مرکز القائمیة اصفهان للبحوث والتحریات الکمبیوتریة

السلام علیک یا صاحب الزمان

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

جعفر مرتضى العاملي

الحياة السياسية للإمام الرضا (ع)

"دراسة وتحليل"

دار الأضواء
بيروت

بسم الله الرحمن الرحیم

الحياة السياسية للامام الرضا عليه السلام

كاتب:

سيد جعفر مرتضى حسينى عاملى

نشرت في الطباعة:

جامعه مدرسين حوزه علميه قم، دفتر انتشارات اسلامي

رقمي الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس 5

الحياة السياسية للامام الرضا عليه السلام 21

هوية الكتاب 21

اشارة 21

الإهداء 25

مقدمة الطبعة الثانية: 27

اشارة 27

هذا الكتاب: 27

الجديد في الكتاب: 28

تنبيه و ختام. 28

تقديم: 29

تمهيد 31

صلة الماضي بالحاضر و المستقبل: 31

لما ذا كان تدوين التاريخ: 32

و نحن ... هل نملك تاريخا؟!! 33

و من تلك الأحداث ... 34

و بدافع من الشعور بالواجب ... 36

تقسيم الكتاب ... باختصار ... 37

القسم الأوّل ممهدات ... 39

اشارة 39

قيام الدولة العباسية 41

العلويون في الماضي البعيد ... 41

العرش الأموي في مهب الريح ... 42

و أما في زمن مروان ... 43

من خلال الاحداث ... 43

و كان نجاح العباسيين طبيعيا ... 44

اشارة 44

الخط الأول: 45

الخط الثاني: 46

الخط الثالث: 48

دولة بني العباس في صحيفة ابن الحنفية: 48

متى بدأ العباسيون دعوتهم، و كيف؟ 49

مدى سرية الدعوة: 52

لا بد من ربط الثورة بأهل البيت ... 55

المراحل التي مرت بها عملية الربط: 57

اشارة 57

المرحلة الأولى: 57

المرحلة الثانية ... 60

المرحلة الثالثة: 62

اشارة 62

ملاحظات لا بد منها في المرحلة الثالثة: 63

اشارة 63

أ: 63

ب: 68

ج: 69

د: 70

المرحلة الرابعة: 71

دعوى الأخذ بثارات العلويين: 81

نهاية المطاف ... 83
مصدر الخطر على العباسيين . 85
العلويون هم مصدر الخطر: 85
تخوف العباسيين من العلويين: 86
خوف المنصور من العلويين 87
خوف المهدي من العلويين: 90
خوف الرشيد من العلويين: 91
و أما في زمن المأمون!! 93
عقدة الحقارة لدى العباسيين: 93
في مواجهة الخطر: 94
سياسة العباسيين ضد العلويين: 95
مما سبق: 95
تطوير نظرية الارث: 95
تشجيع الخلفاء لهذا الاتجاه: 100
الامام علي في ميزان الاعتبار: 102
استغلال لقب المهدي: 103
و كل ذلك لم يكفهم: 105
موقف كل خليفة منهم على حدة: 107
اشارة 107
أما السفاح: 107
و أما المنصور: 108
و أما المهدي: 110
و أما الهادي: 112
و أما الرشيد: 112
و أما المأمون: 116

و الشعراء أيضا قد قالوا الحقيقة: ---------- 116
نصوص اخرى: ---------- 119
و المأمون أيضا يعترف: ---------- 121
جانب من رسالة الخوارزمي لأهل نيشابور: ---------- 121
سياسة العباسيين مع الرعية ---------- 128
نظرة عامة: ---------- 128
تفصيل مواقف الخلفاء مع الرعية: ---------- 131
اشارة ---------- 131
أما السفاح: ---------- 131
و أما المنصور: ---------- 133
اشارة ---------- 133
بعض ما يقال عن المنصور: ---------- 137
و أما المهدي. ---------- 138
و أما الهادي: ---------- 139
و أما الرشيد: ---------- 140
و أما الأمين. ---------- 142
و أما المأمون: ---------- 143
وصية ابراهيم الإمام: ---------- 143
أبو مسلم ينفذ الوصية: ---------- 144
و لا مجال ثمة للشك: ---------- 147
و بعد فلا بد لنا من كلمة اخرى: ---------- 147
العباسيون في حياتهم الخاصة: ---------- 148
و في نهاية المطاف: ---------- 149
فشل سياسة العباسيين ضد العلويين ---------- 150
سؤال لا بد منه: ---------- 150

أما الجواب: ---- 151
و لعل الأهم من ذلك كله: ---- 152
التشيع للعلويين: ---- 153
الخطر الحقيقي: ---- 155
و يبقى هنا سؤال: ---- 156
و نتيجة كل ذلك: ---- 157
القسم الثاني ظروف البيعة و أسبابها: ---- 158
اشارة ---- 158
شخصية الامام الرضا عليه السلام ---- 160
لمحات: ---- 160
فأما علمه، و ورعه و تقواه: ---- 162
و أما مركزه و شخصيته (ع): ---- 163
و أما ما جرى في نيسابور: ---- 165
و ها نحن أمام نصوص اخرى: ---- 167
و في نهاية المطاف: ---- 168
من هو المأمون؟ ---- 169
لمحات: ---- 169
ميزات و خصائص: ---- 170
ما يقال عن المأمون: ---- 171
شهادة ذات أهمية: ---- 173
آمال المأمون و آلامه ---- 176
العباسيون لا يرضون بالمأمون!! ---- 176
سؤال قد تصعب الاجابة عليه: ---- 177
الجواب عن السؤال: ---- 177
أما المأمون: ---- 178

مركز الأمين هو الأقوى: 180
محاولات الرشيد لصالح المأمون: 183
مركز المأمون ظل في خطر: 184
و المأمون و حزبه كانوا يدركون ذلك: 185
و الرشيد أيضا كان في قلق: 186
على من يعتمد المأمون؟ 187
موقف العلويين من المأمون: 188
موقف العرب من المأمون، و نظام حكمه: 188
لا بد من اختيار خراسان: 191
تشيع الايرانيين: 192
ما هو سرّ تشيّع الايرانيين؟ 193
عود على بدء: 195
كيف يثق العرب بالمأمون؟! 196
قتل الأمين و خيبة الأمل: 197
المأمون في الحكم: 199
أما سياسته مع العرب: 199
و الايرانيون أيضا لم يكونوا أحسن حالا: 200
المأمون مع الرعية عموما: 201
و ما ذا بعد الوصول إلى الحكم: 202
الموقف الصعب: 203
ثورات العلويين ... و غيرهم: 204
الزعيم العباسي الأول يعترف: 206
دلالة هامة: 207
عود على بدء: 208
الناس لم يبايعوا المأمون كلهم بعد: 209

المأمون يدرك حراجة الموقف: 211
ما ذا يمكن للمأمون أن يفعل: 211
ظروف البيعة و أسبابها 213
إنقاذ الموقف!!. كيف؟! 213
لا بد من الاعتماد على النفس: 214
أي الاساليب أنجع: 216
خطة المأمون: 217
اشارة 217
نراه من جهة ثانية 219
و أيضا ... لا بد من خطوة أخرى. 223
لم يبق إلا خيار واحد: 223
مع رسالة الفضل بن سهل للامام: 224
ملاحظات لا بد منها: 225
ملاحظات هامة: 226
اشارة 226
أ-: 226
ب-: 227
ج-: 228
د-: 228
ه-: 229
و-: 232
أهداف المأمون من البيعة: 233
اشارة 233
الهدف الأول: 233
الهدف الثاني: 234

الهدف الثالث: 235
الهدف الرابع: 237
اشارة 237
إشارة هامة لا بد منها: 240
الهدف الخامس: 242
الهدف السادس: 243
الهدف السابع: 243
اشارة 243
ملاحظة هامة: 246
الهدف الثامن: 247
اشارة 247
أ-: 247
ب: 248
ج: 248
د-: 250
ه-: 257
الهدف التاسع: 259
الهدف العاشر: 261
الهدف الحادي عشر: 262
اشارة 262
ملاحظة لا بد منها: 263
سؤال و جوابه: 265
رأي الناس فيمن يتصدى للحكم: 266
العلويون يدركون نوايا المأمون: 268
موقف الامام في مواجهة مؤامرات المأمون: 270

المأمون في قفص الاتهام: ---------- 271
مع المأمون في وثيقة العهد: ---------- 272
كلمة أخيرة: ---------- 274
أسباب البيعة لدى الآخرين: ---------- 275
أحمد أمين المصري، و أسباب البيعة: ---------- 275
آراء أحمد أمين في الميزان: ---------- 276
رأي غريب آخر في البيعة: ---------- 280
و فريق آخر يرى: ---------- 281
و لكنه رأي لا تمكن المساعدة عليه: ---------- 282
الفضل في قفص الاتهام: ---------- 283
الفضل بري ء من كل ما نسب إليه: ---------- 284
موقف الإمام من الفضل ينفي نسبة التشيع له: ---------- 287
و المأمون نفسه يستنكر ذلك: ---------- 288
أما حصيلة هذه الجولة: ---------- 289
الفضل يقع في الشرك ---------- 291
لما ذا الاصرار على اتهام الفضل ---------- 292
احتمال وجيه جدا ---------- 294
القسم الثالث أضواء على الموقف: ---------- 296
اشارة ---------- 296
عرض الخلافة، و رفض الامام (ع) ---------- 298
نصوص تاريخية ---------- 298
قبول ولاية العهد بعد التهديد ---------- 301
مع محاولات المأمون لاقناع الإمام ---------- 301
بعض ما يدل على عدم رضا الإمام (ع) ---------- 302
أما الباحثون و غيرهم فيقولون ---------- 304

مدى جدية عرض الخلافة ---------- 306
عرض الخلافة ليس جديّا .. ---------- 306
الاجابة على السؤال الأول ---------- 307
المأمون يرتبك في تبريراته ---------- 309
مع تبريرات المأمون تلك ---------- 310
الامام يدرك أهداف المأمون من عرض الخلافة ---------- 312
و يبقى هنا سؤال ---------- 313
و الجواب ---------- 313
أولا: ---------- 313
و ثانيا: ---------- 317
و ثالثا: ---------- 318
و في النهاية ---------- 319
موقف الامام (ع): ---------- 320
سؤال يطرح نفسه: ---------- 320
لا يرضى الإمام (ع)، و لا يقتنع المأمون: ---------- 322
هي قضية مصير: ---------- 323
مبررات قبول الإمام لولاية العهد: ---------- 325
هل الإمام راغب في هذا الأمر: ---------- 327
فالسلبية اذن هي الموقف الصحيح: ---------- 329
لا بد من خطة لمواجهة الموقف: ---------- 330
خطة الامام (ع) ---------- 331
انحراف الحكام: ---------- 331
العلماء المزيفون و عقيدة الجبر: ---------- 331
عقيدة الخروج على سلاطين الجور: ---------- 332
و الذي زاد الطين بلة: ---------- 333

الأئمة في مواجهة مسئولياتهم: 334
و أما عن الامام الرضا بالذات: 334
الخطة الحكيمة: 335
مواقف لم يكن يتوقعها المأمون: 335
اشارة 335
الموقف الأول: 335
الموقف الثاني: 336
اشارة 336
شكوك لها مبرراتها: 336
الموقف الثالث: 337
الموقف الرابع: 337
اشارة 337
مدى ارتباط مسألة الولاية بمسألة التوحيد: 338
الإمام ولي الأمر من قبل اللّه، لا من قبل المأمون: 340
الإمام يبلغ عقيدته لجميع الفئات: 341
تعقيب هام و ضروري: 343
الموقف الخامس: 345
الموقف السادس: 346
الموقف السابع: 347
اشارة 347
أما ما يتعلق بصحة خلافة المأمون: 347
و أما أن الخلافة حق للامام (ع) دون غيره: 348
المأمون يعترف بأحقية آل علي بالأمر: 349
الاكذوبة المفضوحة: 351
الموقف الثامن: 357

اشارة ---- 357
و إذا كان لا بد من كلمة: ---- 366
ملاحظات هامة: ---- 366
حقا ... إنها للعبقرية السياسية: ---- 367
الموقف التاسع: ---- 368
اشارة ---- 368
1- السلبية تعني الاتهام: ---- 369
2- رفض الاعتراف بشرعية ذلك النظام: ---- 369
3- النظام القائم لا يمثل وجهة نظره في الحكم: ---- 369
4- لا مجال بعد للمأمون لتنفيذ مخططاته: ---- 371
5- الإمام ... لا ينفذ ارادات الحكم: ---- 372
6- لا زهد أكثر من هذا: ---- 373
الموقف العاشر: ---- 374
اشارة ---- 374
1- الأثر العاطفي، و القاعدة الشعبية: ---- 377
2- لما ذا يجازف المأمون بارجاعه (ع): ---- 377
الموقف الحادي عشر: ---- 378
الحكم ليس امتيازا و إنما هو مسئولية: ---- 379
و في نهاية المطاف نقول: ---- 381
القسم الرّابع من خلال الأحداث ---- 382
اشارة ---- 382
مع بعض خطط المأمون ---- 384
التوجيهات الراضية غير مقبولة: ---- 384
المأمون يفضح نفسه: ---- 385
و الذي يعنينا الحديث عنه هنا: ---- 386

لما ذا على البصرة فالأهواز: ---------- 387
الإمام يرفض كل مشاركة تعرض عليه: ---------- 391
الاختبار لشعبية الإمام (ع): ---------- 392
سؤال ... و جوابه: ---------- 392
و أما كتمه لفضائل الإمام (ع): ---------- 393
الشائعات الكاذبة!! ---------- 394
التركيز على افحام الامام (ع): ---------- 396
و حتى مع الامام الجواد قد حاول ذلك: ---------- 399
ملاحظة لا بد منها: ---------- 400
الإمام يقول: المأمون سوف يندم: ---------- 401
الاقتراح العجيب: ---------- 402
موقف بغداد من المأمون و البيعة للرضا (ع): ---------- 402
و أما نصب ابن شكلة: ---------- 404
المأمون ... هو الذي ينقل لنا اقتراحه العجيب: ---------- 405
و لما ذا هذا العرض: ---------- 406
المأمون يتحرك نحو بغداد بنفسه: ---------- 407
لكن المأمون لم يكن يثق بالعباسيين: ---------- 408
و لا كان واثقا من سكوت الامام (ع): ---------- 408
كيف يخرج المأمون من المأزق إذن؟! ---------- 409
تصفية الإمام (ع) جسديا: ---------- 410
قضية حمام سرخس: ---------- 411
مقتل الفضل بن سهل: ---------- 411
ظاهرة قتل الوزراء: ---------- 414
لا بد من العودة الى سنة معاوية: ---------- 414
نبوءة الإمام (ع) قد تحققت: ---------- 416

الحقد الدفين: 417
كاد المريب أن يقول: خذوني. 418
و مع غض النظر عن كل ما تقدم: 418
و الذي نريده هنا: 419
الأسئلة التي لن تجد جوابا: 419
كاد المريب أن يقول: خذوني: 421
ما يقال حول وفاة الامام (ع) 422
ما ذا ترى بعض الفرق في الحكام: 422
انعكاسات هذه العقيدة على التراث: 423
إخفاء كل الحقائق عن الأئمة عليهم السلام: 423
و يبقى هنا سؤال: 426
سرّ اهتمام الخلفاء بأهل العلم: 426
و يتفرع على ما سبق: 428
عود على بدء: 429
ما عشت أراك الدهر عجبا: 430
قول فريق آخر من المؤرخين: 432
رأي فريق ثالث في ذلك: 432
و رأي آخر يقول: 433
و رأي فريق خامس يقول: 434
ملخص ما سبق: 436
آفة ذلك: هل هو الجهل، أم التعصب: 436
نحن ... و ما يقوله هؤلاء: 437
و بعد ... فعلى المكابر: أن يجيب على السؤال التالي: 442
رأي الفريق السادس: الرأي الحق: 443
صدى قتل الرضا في نفس زمن المأمون: 446

و في الشعر أيضا نجد ما يدل على ذلك: 450
الإمام و آباؤه عليهم السلام يخبرون بشهادته: 451
و حتى الزيارة تؤكد على استشهاده (ع): 452
القمة الشامخة الخالدة: 453
دعبل و المأمون!!: 454
الموقف الجري ء 454
كلمة ختامية: 457
و في الختام: 457
الإكثار من النصوص التاريخية في الكتاب: 457
رجاء و اعتذار: 458
شكر و تقدير: 458
رسالة نقد، و جوابها 460
اشارة 460
أما نحن فنقول: 461
وثائق هامة 464
اشارة 464
رسالة الفضل بن سهل الى الامام (ع) 466
هذه الرسالة: 466
نص الرسالة: 467
وثيقة ولاية العهد 469
مصادر الوثيقة: 469
نص الوثيقة: 470
الشهود على الجانب الأيمن: 476
الشهود على الجانب الأيسر: 476
رسالة المأمون الى العباسيين 478

مصادر الكتاب: ---------- 478
نص الكتاب: ---------- 478
رسالة عبد اللّه بن موسى الى المأمون ---------- 486
النص الأول للرسالة: ---------- 486
و ثمة نص آخر: ---------- 488
رسالة سفيان الى هارون ---------- 490
مصادر الرسالة: ---------- 490
مناقشة لا بد منها: ---------- 490
نص الرسالة: ---------- 491
قصيدة الأمير أبي فراس الحمداني ---------- 494
نقاط رئيسية: ---------- 494
ولاء ... و شجاعة: ---------- 494
و القصيدة هي: ---------- 495
فهارس الكتاب: ---------- 500
اشارة ---------- 500
مصادر الكتاب ---------- 502
تعريف مركز ---------- 519

الحياة السياسية للامام الرضا عليه السلام

هوية الكتاب

اسم الكتاب: الحياة السياسية للامام الرضا عليه السلام

كاتب: جعفر مرتضى العاملي

موت: معاصر

عدد المجلدات الفعلية: 1

لسان: العربية

موضوع: امام رضا عليه السلام

ناشر: دارالاضواء بيروت

محرر الرقمي : ميثم حيدرى

ص: 1

اشارة

حقوق الطبع محفوظة

1406هـ- 1986م

دارالاضواء للطباعة والنشر والتوزيع

ص: 2

بسم الله الرحمن الرحيم

ص: 4

الإهداء

إليك يا أعز من في الوجود عليّ ... يا من تعيش لأجلي، و تشعر بآلامي، و تحسّ بمشاكلي ... دون أن أراك، و دون أن أعرف مكانك، بل و حتى دون أن أفطن في كثير من الأحيان لوجودك ...

إليك يا أملي الحي، الذي يمدني بالقوة، و يجدد فيّ العزيمة ...

و يا قبس الهدى و النور، الذي لولاه لكنت أعيش في الظلام، ...

ظلام الوحدة، و الحيرة، و الضياع ...

إليك. يا من تملأ الأرض قسطا، و عدلا، بعد ما ملئت ظلما، و جورا ...

إليك ... يا سيدي، و مولاي، يا صاحب الزمان ... أرفع كتابي هذا ...

راجيا منك القبول ...

جعفر.

مقدمة الطبعة الثانية:

اشارة

بسم اللّه الرحمن الرحيم و الحمد للّه رب العالمين، و الصلاة و السلام على أشرف الخلق و أعز المرسلين، محمد و آله الطيبين الطاهرين.

و بعد:

فهـذه هي الطبعـة الثانيـة لهـذا الكتاب، نخرجها إلى القراء الكرام، بعـد حوالى ثلاث سـنوات من ظهور طبعته الاولى، التي نفدت نسـخها بسرعة.

و انني إذ أعتزّ باقبال القراء على هذا الكتاب، لا يسعني إلا أن أقف موقف التقدير و الاكبار لهذه الرغبة الصادقة منهم في الاطّلاع و المعرفة، و هو أمر يبعث على الأمل، و يبشر بمستقبل مشرق إن شاء اللّه تعالى ...

هذا الكتاب:

لقد جاء التفكير في هذا الكتاب في نفس الوقت الذي نشرت فيه مجلة لبنانية مقالا لبعض السطحيين، من طالبي الشهرة و المال!! يتهجم فيه على ساحة قدس الإمامين العظيمين: الحسن المجتبى عليه السلام؛ لصلحه مع معاوية ...

و الامام الرضا عليه السلام؛ لقبوله بولاية العهد، من قبل المأمون العباسي ...

فاما قضـية الصـلح فقد كان قد بحثها الباحثون، و اهتم بها العلماء و المؤرخون، و كشفوا عن جانب كبير من ظروفها و ملابساتها؛ و من هنا فقد انصبّ اهتمامى آنئذ على بحث قضـية ولاية العهد، و التي كان البحث فيها شاقا و صـعبا للغاية، لاسـباب لا يجهلها من له أدنى اطلاع على واقع الكتب التاريخية، و مؤلفيها، و ظروف تأليفها ...

و لعل ذلك المقال نفسه أيضا، قـد كان هو الحافز لسـماحة العلامـة البارع، السـيد محمد جواد فضل اللّه رحمه اللّه، ليكتب كتابه الشّـيق، الذي أسماه:

«حياة الامام الرضا (ع)»، و عقد فيه فصـلا للحديث عن ولاية العهد أيضا؛ فشـكر اللّه سعيه، و تغمده برحمته، و جزاه خير جزاء المحسنين ...

الجديد في الكتاب:

و أودّ أن أشـير هنا، إلى أنه ... إما لسوء حظي، أو لحسن حظّ القارئ!! لم تتهيأ لي الفرصة لاعادة النظر في الكتاب من جديد، بشكل يسمح لي بالتعديل و التطوير فيه؛ و لذا فقد اكتفيت باصلاح كثير من الأخطاء المطبعية، مع زيادات طفيفة، لا تكاد تذكر.

تنبيه و ختام.

و بعـد هذا ... فإنني أود أن انبه: على أن كلمة «التشـيع» الواردة في هذا الكتاب لا يراد بها المعنى الخاص إلا نادرا ... كما أن المقصود من كلمـة: «علوي» و «علويين» هو كـل من يتصـل نسـبه بـأمير المؤمنين علي بن ابي طالب صـلوات اللّه و سـلامه عليه و على ابنائه الطيبين الطاهرين ...

و في الختام ... فانني أعود فأكرر رجائي الأكيد من كل القراء الكرام أن يكتبوا الي بملاحظاتهم، و وجهات نظرهم، و أنا لهم من الشاكرين.

و الحمد للّه، و له المنة، و به الحول، و عليه التكلان.

22/ 1/ 1400 ه. ق.

جعفر مرتضى الحسيني العاملي

ص: 8

تقديم:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ* و الحمد للّه رب العالمين، و الصلاة و السلام على خير خلقه أجمعين، محمد و آله الطيبين الطاهرين:

و بعد:

فقد كان هذا الكتاب نتيجة دراسة استمرت ثلاث سنوات ما بين مد و جزر ... و هو يبحث في ظروف و أسباب حدث تاريخي هام في التاريخ الاسلامي ... ألا و هو: «أخذ البيعة للامام الرضا عليه السلام بولاية العهد للمأمون» ...

و رغم الأهمية البالغة لهذا الحدث، و كونه جديرا بالدراسة، و البحث، و التمحيص ... فاننا رأينا المؤرخين و الباحثين- و لأسباب مختلفة- يضربون عنه صفحا، و يحاولون تجاهله، و التقليل من أهميته ...

و على كل حال ... و مهما كانت الحقائق التي أوردتها في هذا الكتاب موافقة لهوى قوم، و مثيرة لحنق آخرين ... فإن ما أريد أن أؤكد عليه هو:

إني لثقتي من نفسي بأنني ما ادخرت وسعا، و لم آل جهدا في تمحيص الحقائق، و ابراز المعالم الأصيلة للصورة، التي أريد- لسبب أو لآخر- طمسها، و تشويه معالمها. و أيضا لحسن ظني بالقارئ، و ثقتي بنزاهته، و نظرته الواعية ...

من أجل ذلك أقول- و بكل رضى، و ارتياح، و اطمئنان-:

إنني لا أريد أن أفرض ما في هذا الكتاب من آراء، و استنتاجات على أحد ... بل سوف أترك الحكم في ذلك للقارئ نفسه، الذي يمتلك كامل الحرية في أن يقبل، أو أن يرفض، إذا اقتضى الأمر أيا من الرفض، أو القبول ...

و اللّه ولينا ... و هو الهادي إلى سواء السبيل ...

جعفر مرتضى الحسيني العاملي

تمهيد

صلة الماضي بالحاضر و المستقبل:

... بديهي أن بعض الأحداث التاريخية، التي تمر بالأمة، تؤثر تأثيرا مباشرا، أو غير مباشر في واقعها، إن حاضرا، و إن مستقبلا ...

بل و قد تؤثر في روح الأمة، و عقلها، و تفكيرها ... و من ثم على مبادئها العامة، التي قامت عليها قوانينها و نظمها، التي تنظم لها مسيرتها، و تهمين على سلوكها ... فقد تقوي من دعائمها، و تؤكد وجودها، و استمرارها، و قد تنسفها من أسسها، إن كانت تلك المبادئ على درجة كبيرة من الضعف و الوهن في ضمير الأمة و وجدانها ... و على صعيد العمل في المجال العملي العام ...

فمثلا ... نلاحظ أن الاكتشافات الحديثة، و التقدم التقني قد أثر أثرا لا ينكر حتى في عاطفة الإنسان، التي يفرضها واقع التعايش ...

و حتى في مواهبه و ملكاته، فضلا عن سلوكه، و أسلوب حياته ...

و حيث إن المبادئ الاجتماعية لم تكن على درجة من الرسوخ و القوة في ضمير الإنسان و وجدانه، و لم تخرج عن المستوى الشكلي في حياته العملية- و إن انغرست في أعماق بعض أفراده أحيانا في دورات تاريخية

ص: 11

قصيرة- نرى أنها بدورها قد تأثرت بذلك، و نسفت او كادت من واقع هذه الأمة، و عدمت أو كادت من دائرة حياتها ... و ليكون البديل- من ثم- عنها لـدى هـذا الكائن هو «الذاتيـة» الكافرة بكل العواطف الاجتماعيـة، و العوض عنها في نفسه هو المادة الجافة، التي لا ترحم و لا ترثي، و لا تلين، لا يجـد لـذة العاطفـة، و لا حلاوة الرحمـة، و ليعود الانسان- بعـد لأي- متشائما حاقدا، لا يثق بمسـتقبله، و لا يأمن من يحيط به، و لا يطمئن إلى أقرب الناس إليه ...

و بطبيعة الحال، سوف يتأثر النش ء الجديد بذلك، ثم ينتقل ذلك إلى الجيل الذي يليه ... و هكذا ...

و هكذا ... فإن الحدث التاريخي الذي كان قبل ألف سنة مثلا، أو أكثر قد نجد له آثارا بارزة، حتى في واقع حياتنا التي نعيشها اليوم.

و إذن ... فنستطيع أن نستخلص من هذا: أن الأحداث التاريخية مهما بعدت، و من أي نوع كانت تؤثر في وضع الأمة، و في تصرفاتها، و في حياتها، و سـلوكها على المدى الطويل ... و تتحكم- إلى حد ما- في مستقبلها. و ان العامل التاريخي له أثر كبير في فرض المستوى الذي يعيشه المجتمع بالفعل، سواء في ذلك الأدبي منه، أو العلمي، أو الديني، أو السياسي، أو الاقتصادي، أو غير ذلك ...

و غني عن القول هنا ... أن التأثر بالأحداث يختلف من أمة لأخرى، و من عصر لآخر ...

لما ذا كان تدوين التاريخ:

و من هنا تبرز أهمية التاريخ، و نعرف أنه يلعب دورا كبيرا في حياة

الأمم: مما يجعلنا لا نجد كثير عناء في الإجابة على سؤال: لما ذا عنيت الأمم على اختلافها بالتاريخ، تدوينا، و درسا، و بحثا. و تمحيصا؟! فان ذلك لم يكن إلا لأنها تريد أن تستفيد منه، لتتعرف على واقعها الذي تعيشه؛ لتستفيد من ذلك لمستقبلها الذي تقدم عليه ... و لتكتشف منه عوامل رقيها، و انحطاطها، و لتنطلق من ثم لبناء نفسها على أسس متينة و سليمة ...

فمهمّة التاريخ إذن- تاريخ الأمة المدوّن- هي: أن يعكس بأمانة و دقة ما تمر به الأمة من أحوال و أوضاع، و أزمات فكرية، و اقتصادية، و ظروف سياسية: و اجتماعية، و غير ذلك.

و نحن ... هل نملك تاريخا؟!!

و نحن أمة ... لكننا لا نملك تاريخا- و أقصد بذلك كتب التاريخ- نستطيع أن نستفيد منه الكثير في هذا المضمار؛ لأن اكثر ما كتب لنا منه تتحكم فيه النظرة الضيقة، و الهوى المذهبي، و التزلف للحكام.

و أقصد ب «النظرة الضيقة»: عملية ملاحظة الحدث منفصلا عن جذوره و أسبابه التي تلقي الضوء الكاشف على حقيقته و واقعه ...

نعم ... إننا بمرارة- لا نملك تاريخا نستطيع أن نستفيد منه الكثير؛ لأن المسيرة قد انحرفت، و الأهواء قد لعبت لعبتها (1) و أثرت أثرها المقيت

1- و من أراد أن يعرف المزيد عن ذلك، فليراجع: النصائح الكافية لمن يتولى معاوية من ص 72 إلى ص 79، و الغدير ج 5 ص 208 إلى ص 378، و ج 11 من ص 71، إلى ص 103، و ج 9 من ص 218 إلى آخر المجلد، و غير ذلك من مجلدات هذا الكتاب و صفحاته و الاحتجاج للطبرسي، و خمسون و مائة صحابي مختلق للعسكري، و غير ذلك كثير ...

البغيض، حتى في تدوين التاريخ نفسه.

و إنه لمما يـدمي قلوبنا، و يملأ نفوسـنا أسـى و ألما، أن نكون قـد فقـدنا تاريخنا، و دفناه تحت ركام من الانانيات، و العصبيات، و الأطماع الرخيصة، حتى لم يبق منه سوى الرسوم الشوهاء، و الذكريات الشجية ...

و مرة أخرى أقول: إن كل ما لدينا هو- فقط- تاريخ الحكام و السلاطين، الذين تعاقبوا على كراسي الحكم. و حتى تاريخ الحكام هذا، رأيناه مشوها، و ممسوخا؛ حيث لم يسـتطع أن يعكس بأمانة وحيدة الصورة الحقيقية لحياة أولئك الحكام، و أعمالهم و تصرفاتهم؛ و ما ذلك إلا لأن المؤرخين لم يكونوا أحرارا في كتابتهم للتاريخ. بل كانوا يؤرخون و يكتبون حسب ما يريده الحكام أنفسهم، و يخدم مصالحهم ...

إما رهبة من هؤلاء الحكام، او رغبة، او تعصبا لمذهب، أو لغيره ...

و من هنا ... فليس من الغريب جدا أن نرى المؤرخ يعتني بأمور تافهة و حقيرة؛ فيسـهب القول في وصف مجلس شراب، أو منادمة، حتى لا يفوته شـيء منه، أو يختلق و يفتعـل أحـداثا لم يكن لهـا وجود إلا في عالم الخيالات و الأوهام، أو يتكلم عن أشـخاص لم يكن لهم شأن يـذكر، بل قد لا يكون لهم وجود أصـلا ... بينما نراه في نفس الوقت يهمل بالكلية شخصـيات لها مكانتها، و خطرها في التاريخ، أو يحاول تجاهل الـدور الـذي لعبته فيه ... و يهمل أو يشوه أحداثا ذات أهمية كبرى، صدرت من الحاكم نفسه، أو من غيره، و من بينها ما كان له دور هام في حياة الأمة، و مستقبلها، و أثر كبير في تغيير مسيرة التاريخ، أو يحيطها- لسبب أو لآخر- بستار من الكتمان، و الابهام.

و من تلك الأحداث ...

و في طليعة تلك الأحداث التي كان نصيبها ذلك: «البيعة للامام

الرضا عليه السلام بولاية العهد ...»، من قبل الخليفة العباسي عبد اللّه المأمون!! ...

هذا الحدث الذي لم يكن عاديا، و طبيعيا، كسائر ما يجري و ما يحدث، و الذي كان نصيبه من المؤرخين أن يتجاهلوه، و يقللوا ما أمكنهم من اهميته، و خطره، و أن يحيطوا أسبابه و دوافعه، و ظروفه بستائر من الكتمان ... و عند ما كانت تواجههم الأسئلة حوله تراهم يرددون تلك التفسيرات التي أراد الحكام أن يفهموها للناس، دون أن يكون من بينها ما يقنع، أو ما يجدي ...

إلا أننا مع ذلك، لم نعدم في هذا الذي يسمى، ب «التاريخ» بعض الفلتات و الشذرات المتفرقة هنا و هناك، التي تلقي لنا ضوءا، و تبعث فينا الرجاء و الأمل بالوصول إلى الحقائق التي خشيها الحكام؛ فقضوا عليها- بكل قسوة و شراسة- بالعدم، و الاندثار ...

و لو فرض: أنه كان للمؤرخين القدامى العذر- إلى حد ما- في تجاهل هذا الحدث، و التقليل من أهميته، لظروف سياسية، و اجتماعية، و مذهبية معينة .... فان من الغريب حقا أن نرى الباحثين اليوم- مع أنهم لا يعيشون تلك الظروف، و ينعمون بالحرية بمفهومها الواسع- يحاولون بدورهم تجاهل هذا الحدث، و التقليل من أهميته، عن قصد أحيانا، و عن غير قصد أخرى، و إن كنا نستبعد هذا الشق الأخير؛ إذ أننا نشك كثيرا في أن لا يسترعي حدث غريب كهذا انتباههم، و يلفت أنظارهم ...

و أيا ما كان السبب في ذلك، فان النتيجة لا تختلف، و لا تتفاوت؛ إذ انها كانت في الواقع الخارجي سلبية على كل حال.

و بدافع من الشعور بالواجب ...

و من هنا ... و بدافع من الشـعور بالمسؤولية، رأيت أن أقوم بدراسة لهذا الحدث بالذات، للتعرف على حقيقة دوافعه و أسبابه، و واقع ظروفه و ملابساته ...

و كانت نتيجة تلك الدراسة، التي استمرت ثلاث سنوات ما بين مد و جزر هي: هذا الكتاب الذي بين يديك ...

و لا أدعي: أن كل ما في هذا الكتاب من آراء و استنتاجات، لا تعدو الحقيقة، و لا تشذ عن الصواب.

و لا أدعي أيضا: أنني اسـتطعت أن أضع يـدي على كل خيوط القضـية، و أن أنفذ إلى جميع جذورها العميقة و الرئيسة؛ فان ذلك ليس من الأمور السـهلة بالنسـبة لأي حدث تاريخي مضـى عليه العشرات و المئات من السنين؛ فكيف إذا كان إلى جانب ذلك مما قد أريد له- كما قلنا- أن تبقى دوافعه و أسبابه طي السرية و الكتمان، و ظروفه و ملابساته رهن الابهام و الغموض ...

لا ... لا أدعي هذا، و لا ذاك ... و إنما أقول:

إن هـذا الكتاب قادر- و لا شك- على أن يرسم علامـة اسـتفهام كبيرة حول «طبيعيـة» هـذا الحدث، و حول المأمون، و نواياه، و تصـرفاته المشبوهة ...

و انه- على الأقـل يمكن أن يعتـبر خطوة على طريق الكشف الكامـل عن جميع الحقـائق، و التعرف على كافـة العوامـل و الظروف، الـتي اكتنفت هذا الحدث التاريخي الهام ....

تقسيم الكتاب ... باختصار ...

و من أجل استيفاء البحث من جميع جوانبه، كان لا بد لنا من تقسيم الكتاب إلى أقسام أربعة:

الأول: يتناول قيام الدولة العباسـية، و أساليب دعوتها، و يعطي لمحة عن موقف العلويين، و العباسيين، كل منهما من الآخر، و ردود الفعل لذلك، و غير ذلك من أمور ...

الثاني: يبحث حول ظروف البيعة، و أسبابها، و نتائجها ...

الثالث: يتكفل بالقاء أضواء كاشفة عن المواقف، سواء بالنسبة إلى المأمون، أو بالنسبة إلى الإمام (ع) ...

الرابع: نعرض فيه لبعض الأحداث التي تلقي لنا ضوءا على حقيقة نوايا المأمون، و تكشف لنا عن بعض مخططاته ... و غير ذلك مما يتصل بذلك، و يرتبط به، بنحو من الارتباط و الاتصال ...

هذا:

و قد وضعنا في آخر الكتاب بعض الوثائق التاريخية الهامة، التي آثرنا أن يطلع القارئ بنفسه على نصها الكامل ...

و نسأل اللّه أن يوفقنا جميعا ... و يهدينا سبيل الرشاد ...

القسم الأوّل ممهدات ...

اشارة

1- قيام الدولة العباسية.

2- مصدر الخطر على العباسيين.

3- سياسة العباسيين ضد العلويين.

4- سياسة العباسيين مع الرعية ...

5- فشل سياسة العباسيين ضد العلويين.

ص: 19

قيام الدولة العباسية

العلويون في الماضي البعيد ...

بعد أن أمعن الأمويون في الانحراف عن الخط الاسلامي القويم، و أصبح واضحا لدى كل أحد، أن هدفهم ليس إلا الحكم و السيطرة، و التحكم بمقدرات الأمة و امكاناتها ... و أن كل همهم كان مصروفا إلى الملذات و الشهوات، أينما كانت، و حيثما وجدت ... و ليس لمصلحة الأمة، و سعادتها، و رفاهها عندهم أي اعتبار ...

و بعد أن لجوا في عدائهم لأهل البيت عليهم السلام، و بلغوا الغاية فيهم، قتلا، و عسفا، و تشريدا ... و خصوصا ما كان منهم في وقعة كربلاء التي لم يعرف التاريخ أبشع، و لا أفظع منها ... و جعلهم لعن علي عليه السلام سنة لهم، يشب عليها الصغير، و يهرم عليها الكبير ...

ثم ملاحقتهم لولده، و لكل من يتشيع لهم، تحت كل حجر و مدر، و في كل سهل و جبل؛ ليعفوا منهم الآثار، و يخلوا منهم الديار ...

بعد كل هذا ... و بفضل جهاد أهل البيت المتواصل، في سبيل توعية الامة، و تعريفها بأحقيتهم، و بحقيقة، و واقع تلك الطغمة الفاسدة ... كان من الطبيعي أن ينمو تعاطف الناس مع أهل البيت

ص: 21

و يزيـد، كلمـا ازداد نفورهـم من الأ ـمويين، و نقمتهم عليهم؛ و ذلـك تبعـا لتزايـد وعيهم، و تكشف الحقـائق لهم، و لأنهم أدركوا من واقع الأحـداث التي مرت بهم: أن أهل البيت عليهم السـلام هم: الركن الوثيق، الـذي لا نجاة لهم إلا بالالتجاء إليه، و ذلك الأمل الحي، الذي تحيا به الأمة، و تحلو معه الحياة ...

العرش الأموي في مهب الريح ...

و لهـذا نجـد: أن الثورات و الفتن ضـد الحكم الا ـموي كـانت تظهر من كـل جـانب و مكـان، طيلـة فترة حكمهم. حتى أنهكت قواهم، و اضعفتهم إلى حد كبير، و فنوا و أفنوا، حتى لم يعد باستطاعتهم ضبط البلاد، و لا السيطرة على العباد ...

و كانت تلك الثورات تتخـذ الطابع الـديني على العموم، مثل: ثورة أهل المدينـة المعروفـة ب «وقعـة الحرة»، و ثورة قراء الكوفـة و العراق، المعروفة ب «دير الجماجم» سنة 83 ه ... و قبلها ثورة المختار و التوابين سنة 67 ه. و أيضا ثورة يزيد بن الوليد مع المعتزلة على الوليد بن يزيد؛ للأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، سنة 126 ه. و كذلك ثورة عبد اللّه بن الزبير، الذي تغلب على البلاد ما عدا دمشق، و ما والاها مدة من الزمن ... ثم الثورة التي قامت ضد هشام في افريقيا.

و ثورة الخوارج بقيادة المتسمي ب «طالب الحق» سنة 128 ه ...

و أيضـا ثورة الحارث بن سـريح في خراسان، داعيا إلى كتاب اللّه، و سـنة رسوله سـنة 116 ه. إلى غير ذلـك ممـا لاـ مجال لنا هنا لتتبعه و استقصائه ...

و اما ما كان منها بـدافع غير ديني، بل من أجل الحكم، و السـلطان، فنـذكر منها على سبيل المثال: ثورة آل المهلب سـنة 102 ه. و ثورة مطرف بن المغيرة ...

و أما في زمن مروان ...

و في زمن مروان بن محمـد الجعـدي، المعروف بمروان الحمار، كان الوضع في السوء و التدهور قد بلغ الغاية، و أوفى على النهاية؛ حيث بلغ من انشـغال مروان بالثورات و الفتن، التي كانت قد شملت اكثر الاقطار: أنه لـم يستطع أن يصغي إلى شكوى عامله في خراسان نصر بن سيـار، الـذي كـان بـدوره يواجه الثورات و الفتن، و من جملتهـا دعوة بني العبـاس، التي كـانت تزداد قوة يومـا بعـد يوم، بقيادة أبي مسـلم الخراساني ...

من خلال الاحداث ...

كل ذلك يكشف عن مـدى تبرم الناس بحكم بني أميـة، و بسـلطانهم، الذي كان قائما على أساس من الظلم و الجور، و الابتزاز، و التحكم بمقدرات الأمة، و امكاناتها ... و يتضح لنا ذلك جليا إذا لاحظنا:

أن ما كان يتقاضاه الولاة لا يمكن أن يخطر على قلب بشـر؛ و يكفي مثالا على ذلك أن نشير إلى أن خالدا القسري، كان يتقاضى راتبا سنويا قدره «20» مليون درهـم، بينما ما كان يختلسه كان يتجاوز

ال «100» مليون (1). و إذا كان هذا حال الولاة، فكيف ترى كان حال الخلفاء، الذين كانوا يحقدون على كل القيم، و المثل، و الكمالات الانسانية ... و الذين وصف الكميت رأيهم في الناس، فقال:

رأيه فيهم كرأي ذوي الثلّة في الثائجات جنح الظلام.

جزّ ذي الصوف و انتقاء لذي المخّة، نعقا و دعدعا بالبهام (2).

نعم ... لقد كانت الأمة قد اقتنعت اقتناعا كاملا و نهائيا: بأن بني أمية ليس لهم بعد حق في أن يفرضوا أنفسهم قادة للامة، و لا روّادا لمسيرتها؛ لأن نتيجة ذلك ستكون- حتما- هي جرّ الامة إلى الهاوية، حيث الدمار و الفناء؛ فلفظتهم، و انقلبت عليهم، تأخذ منهم بعض الحقوق التي لها عندهم. إلى أن تمكنت أخيرا من أن تخلي منهم الديار، و تعفي منهم الآثار ...

و كان نجاح العباسيين طبيعيا ...

اشارة

و من هنا نعرف: أن نجاح العباسيين في الاستيلاء على مقاليد الحكم-

---

1- السيادة العربية ص 32، ترجمة الدكتور حسن ابراهيم حسن، و محمد زكي ابراهيم. و في البداية و النهاية ج 9 ص 325: أن دخل خالد القسري كان في كل سنة «13» مليون دينار، و دخل ولده يزيد بن خالد كان «10» ملايين دينار سنويا. و لا بأس بمطالعة كتاب السيادة العربية، ليعرف ما أصاب الناس، و خصوصا العراقيين و الخراسانيين في عهد الامويين ...

2- الهاشميات ص 26، 27. و الثلة: القطعة الكثيرة من الضان. و الثائجات: الصائحات. و انتقاء: اختيار. و أراد بذي المخة: السمينة. و نعقا: أي صياحا. و الدعدعة: زجر البهائم ... يقول: رأي الواحد من هؤلاء الخلفاء في رعيته، و معاملته لها كرأي أصحاب الغنم في غنمهم؛ فلا يراعون العدل، و لا الانصاف فيهم ...

في ذلك الحين- لم يكن ذلك الأمر المعجزة، و الخارق للعادة. بل كان أمرا طبيعيا للغاية؛ إذا ما أخذت الحالة الاجتماعية، و الظروف و الملابسات آنئذ بنظر الاعتبار؛ فان الامة كانت مهيأة نفسيا لقبول التغيير، أي تغيير ... بل كانت تراه أمرا ضروريا، لا بد منه، و لا غنى عنه؛ إذا كانت تريد لنفسها الحياة الفاضلة، و العيش الكريم ...

و لهذا ... فليس من الغريب أن نقول:

إنه كان بامكان أية ثورة أن تنجح، لو أنها تهيأت لها نفس الظروف، و سارت على نفس الخط، و اتبعت نفس الأساليب، التي اتبعها العباسيون في دعوتهم، و ثورتهم.

و نستطيع أن نتبين أساليب العباسيين تلك في ثلاثة خطوط عريضة و واضحة ...

الخط الأول:

«كانوا يصورون أنفسهم على أنهم ما جاءوا إلا لينقذوا الأمة من شرور بني أمية، و ظلمهم، و عسفهم، الذي لم يكن يقف عند حدود.

و كانت دعوتهم تتخذ اتجاه التبشير بالخلاص، و أنهم سوف يقيمون حكما مبدؤه العدل، و المساواة، و الأمن و السلام. و قد كانت و عودهم هذه كسائر الوعود الانتخابية، التي ألفناها من ساسة العصر الحديث ... بل لقد كانت الأماني التي خلقتها الدعوة العباسية في الجماهير مسئولة الى حد كبير عن ردود الفعل العنيفة، التي حدثت ضد الحكم العباسي بعد ذلك؛ حيث كان حكمهم قائما على الطغيان المتعطش إلى سفك الدماء (1) ...».

ص: 25

1- راجع: امبراطورية العرب، للجنرال جلوب، ترجمة: خيري حماد.

الخط الثاني:

إنهم لم يعتمدوا كثيرا على العرب، الذين كانوا يعانون من الانقسامات الداخلية الحادة، و إنما استعانوا بغير العرب، الذين كانوا في عهد بني أمية محتقرين، و منبوذين، و مضـطهدين، و محرومين من أبسط الحقوق المشروعة، التي منحهم إياها الاسلام ... حتى لقد أمر الحجاج أن لا يؤم في الكوفة إلا عربي ... و قال لرجل من أهل الكوفة: لا يصلح للقضاء إلا عربي (1) ...

كما طرد غير العرب من البصـرة، و البلاد المجاورة لها، و اجتمعوا يندبون: وا محمدا و أحمدا. و لا يعرفون أين يذهبون، و لا عجب أن نرى أهل البصرة يلحقون بهم، و يشتركون معهم في نعي ما نزل بهم من حيف و ظلم (2).

بل لقد قالوا: «لا يقطع الصلاة إلا: حمار، أو كلب، أو مولى (3) ...»

و قد أراد معاوية أن يقتل شطرا من الموالي، عند ما رآهم كثروا، فنهاه الأحنف عن ذلك (4) ...

و تزوج رجـل من الموالي بنتـا من أعراب بني سـليم، فركب محمـد بن بشـير الخـارجي إلى المدينـة، و واليهـا يومئـذ ابراهيم بن هشام بن اسماعيل،

1- ضـحى الاسلام ج 1 ص 24، و العقـد الفريد ج 1 ص 207، و مجلـة الهادي، السـنة الثانيـة العدد الأول ص 89، و تاريخ التمدن الاسلامي المجلد 2 جزء 4 ص 343.
2- السيادة العربية ص 56، 57، و لا بأس بمراجعة: تاريخ التمدن الاسلامي المجلد الأول ج 2 ص 274.
3- العقد الفريد طبع مصر سنة 1935 ج 2 ص 270، و تاريخ التمدن الاسلامي جزء 4 ص 341.
4- المصدران السابقان ...

فشكا إليه ذلك، فأرسل الوالي إلى المولى، ففرق بينه و بين زوجته، و ضربه مأتي سوط، و حلق رأسه، و حاجبه، و لحيته ... فقال محمد ابن بشير في جملة أبيات له:

قضيت بسنة و حكمت عدلا و لم ترث الخلافة من بعيد (1) و لم تفشل ثورة المختار، إلا لأنه استعان فيها بغير العرب، فتفرق العرب عنه لذلك (2).

و يقول أبو الفرج الاصفهاني: «... كان العرب إلى أن جاءت الدولة العباسية، إذا جاء العربي من السوق، و معه شيء، و رأى مولى، دفعه إليه، فلا يمتنع (3).»

بل كان لا يلي الخلافة أحد من أبناء المولدين، الذين ولدوا من أمهات أعجميات (4).

و أخيرا ... فان البعض يقول: إن قتل الحسين كان: «الكبيرة، التي هونت على الأمويين أن يقاوموا اندفاع الايرانيين؟ إلى الدخول في الاسلام (5) ...».

و بعد هذا ... فان من الطبيعي أن يبذل الموالي أرواحهم، و دماءهم و كل غال و نفيس في سبيل التخلص من حكم يعاملهم هذه المعاملة، و له فيهم هذه النظرة؛ فاعتماد الدعوة العباسية على هؤلاء كان منتظرا5.

ص: 27

1- الأغاني ج 14 ص 150، و ضحى الاسلام ج 1 ص 23، 24.
2- السيادة العربية و الشيعة و الاسرائيليات ص 40، و لا بأس أيضا بمراجعة: تاريخ التمدن الاسلامي، المجلد الأول، الجزء الثاني ص 282، 283.
3- ضحى الاسلام ج 1 ص 25.
4- ضحى الاسلام ج 1 ص 25، و العقد الفريد ج 6 ص 130، 131، طبعة ثالثة، و مجلة الهادي، السنة الثانية، العدد الأول ص 89.
5- الصلة بين التصوف و التشيع ص 95.

و متوقعا، كما أن اندفاع هؤلاء في نصرة الدعوة العباسية كان متوقعا، و منتظرا أيضا ...

الخط الثالث:

أنهم- أعني العباسيين- قد حاولوا في بادئ الأمر أن يربطوا دعوتهم و ثورتهم بأهل البيت عليهم السلام ...

و طبيعة البحث تفرض علينا أن نتوسع في بيان هذه النقطة بالذات و ذلك لمالها من الأهمية البالغة، بالنظر لما تركته من آثار بارزة على مدى التاريخ، و لأنها كانت الناحية التي اعتمد العباسيون عليها اعتمادا كليا، و تعتبر السبب الرئيس في وصول العباسيين إلى السلطة، و حصولهم على مقاليد الحكم ... و لهذا ... فنحن نقول:

دولة بني العباس في صحيفة ابن الحنفية:

قد نقل ابن أبي الحديد (1)، عن أبي جعفر الاسكافي: أنه قد صحت الرواية عندهم عن أسلافهم، و عن غيرهم من أرباب الحديث، أنه: لما مات علي أمير المؤمنين عليه السلام، طلب محمد بن الحنفية من أخويه: الحسن، و الحسين ميراثه من العلم، فدفعا إليه صحيفة، لو اطلعاه على غيرها لهلك. و كان في هذه الصحيفة ذكر لدولة بني العباس. فصرح ابن الحنفية لعبد اللّه بن العباس بالأمر، و فصله له ...

و الظاهر أن تلك الصحيفة انتقلت منه لولده أبي هاشم، و عن طريقه وصلت إلى بني العباس. و يقال: إنها قد ضاعت منهم أثناء

1- شرح نهج البلاغة ج 7 ص 149، 150.

حربهم مع مروان بن محمد الجعدي (1)، آخر خلفاء الأمويين ...

و قـد ذكرت هـذه الصـحيفة في كلام بني العباس، و خلفائهم كثيرا، و سـيأتي لها ذكر في رسالة المأمون للعباسـيين، التي سوف نوردها في أواخر هذا الكتاب إن شاء اللّه ...

متى بدأ العباسيون دعوتهم، و كيف؟

و بعد هذا ... فان الشي ء المهم هنا هو تحديد الزمن الذي بدأ به العباسيون دعوتهم، و كيف؟.

و نستطيع أن نبادر هنا إلى القول:

إن الـذين بدءوا بالدعوة أولا هم العلويون، و بالتحديد من قبل أبي هاشم، عبد اللّه بن محمد بن الحنفية. و هو الذي نظم الدعاة، و رتبهم، و قد انضوى تحت لوائه: محمد بن علي بن عبد اللّه بن العباس، و معاوية ابن عبد اللّه بن جعفر بن أبي طالب، و عبد اللّه بن الحارث بن نوفل ابن الحارث بن عبد المطلب، و غيرهم ... و هؤلاء الثلاثة هم الذين حضروه حين وفاته، و أطلعهم على أمر دعاته ...

و قد قرأ محمد بن علي، و معاوية بن عبد اللّه تلك الصحيفة، المشار إليها آنفا، و وجد كل منهما ذكرا للجهة التي هو فيها ...

و لهـذا نلاحظ: أن كلا من محمـد بن علي، و معاويـة بن عبـد اللّه، قـد ادعى الوصايـة من أبي هاشم؛ مما يـدل دلالـة واضـحة على أنه لم يخصص أيا منهما بالوصية، و إنما عرفهما دعاته فقط ...

1- شرح نهج البلاغة ج 7 ص 149.

هذا ... و بعد موت معاوية بن عبد اللّه، قام ابنه عبد اللّه يدعي الوصاية من أبيه، من أبي هاشم ... و كان له في ذلك شيعة، يقولون بامامته سرا حتى قتل ...

و أما محمد بن علي فقد كان بمنتهى الحنكة و الدهاء، و قد تعرف- كما قلنا- من أبي هاشم على الدعاة، و استطاع بما لديه من قوة الشخصية، و حسن الدهاء أن يسيطر عليهم، و يستقل بهم (1)، و يبعدهم عن معاوية بن عبد اللّه، و عن ولده، و يبعدهما عنهم ...

و استمر محمد بن علي يعمل بمنتهى الحذر و السرية ... و كان عليه أن:

1- يحذر العلويين، الذين كانوا أقوى منه حجة، و أبعد صيتا.

بل عليه أن يستغل نفوذهم- إن استطاع- لصالحه، و صالح دعوته ...

و لقد فعل ذلك هو و ولده كما سيتضح ...

2- و كان عليه أيضا أن يتحاشى مختلف الفئات السياسية، التي لن يكون تعامله معها في صالحه، و في صالح دعوته ...

3- و الأهم من ذلك أن يصرف أنظار الحكام الأمويين عنه، و عن نشاطاته، و يضللهم، و يعمي عليهم السبل ...

و لذا فقد اختار خراسان، فأرسل دعاته إليها، و أوصاهم بوصيته0.

1- شرح النهج للمعتزلي ج 7 ص 150.

المشـهورة، التي يقسم فيها البلاد و الامصار: هـذا علوي، و ذاك عثماني، و ذلك غلب عليه أبو بكر و عمر، و الآخر سـفياني ... إلى آخر ما سيأتي (1) ...خ.

ص: 31

1- و لقـد بـذل محمد بن علي جهدا جبارا في إنجاح الدعوة، و كانت أكثر نشاطاته في حياة والده، علي بن عبد اللّه، الذي يبدو أنه لم يكن له في هذا الأمر دور يذكر. و توفي والده على ما يظهر في سنة 118 ه. و كان قد بدأ نشاطاته، حسب ما بأيدينا من الدلائل التاريخية من سنة 100 ه. أي بعد وفاة أبي هاشم بسنتين. إذ في: سنة 100 ه. وجه محمد بن علي من أرض الشراة ميسرة إلى العراق و وجه محمد بن خنيس، و أبا عكرمة السـراج، و هو أبو محمد الصادق، و حيان العطار إلى خراسان. و فيها أيضا جعل اثني عشر نقيبا، و أمر دعاته بالدعوة إليه، و إلى أهل بيته ... و في سنة 102 ه. وجه ميسرة رسله إلى خراسان، و ظهر أمر الدعوة بها و بلغ ذلك سعيد خذينة، عامل خراسان؛ فأرسل، و أتى بهم، و استنطقهم، ثم أخذ منهم ضمناء و أطلقهم ... و في سنة 104 ه. دخل أبو محمد الصادق، و عدة من أصحابه، من أهل خراسان إلى محمد بن علي؛ فأراهم السـفاح في خرقة، و كان قد ولد قبل خمسة عشر يوما، و قال لهم: «و اللّه، ليتمن هذا الأمر، حتى تدركوا ثاركم من عدوكم». و في سـنة 105 ه. دخـل بكير بن ماهـان في دعوة بني هاشم ... و فيها مات ميسـرة؛ فجعل محمـد بن علي بكيرا هـذا مكانه في العراق ... و في سـنة 107، أو 108 ه. وجه بكير بن ماهـان عـدة من الـدعاة إلى خراسـان، فظفر بهم عامـل خراسان؛ فقتلهم، و نجا منهم عمارة؛ فكان هو الذي أخبر محمد ابن علي بذلك. و في سـنة 113 ه. صار جماعـة من دعاة بني العباس إلى خراسان؛ فأخذ الجنيد بن عبد الرحمن رجلا منهم؛ فقتله، و قال: «من اصـيب منهم فدمه هدر». و في سـنة 117 ه. أخـذ عامل خراسان أسـد بن عبد اللّه وجوه دعاة بني العباس، و فيهم النقباء، و منهم سـليمان بن كثير؛ فقتل بعضـهم، و مثل ببعضـهم، و حبس آخرين ... و في سنة 118 وجه بكير بن ماهان عمار بن يزيـد- و هو خـداش- واليا على شـيعة بني العباس؛ فنزل مروا، و دعا إلى محمد بن علي؛ ثم غلا ... و في سـنة 120 ه. و جهت شيعة بني العباس سـليمان بن كثير إلى محمد بن علي في أمر خداش. و في سـنة 124 ه. قدم جماعة من شـيعة بني العباس الكوفة يريدون مكـة. و فيها أيضا اشترى بكير بن ماهان أبا مسـلم ... راجع في ذلك كله: تاريـخ الطبري مطبعـة الاسـتقامة ج 5 ص: 316، 358، 368، 387، 389، 425، 439، 440، 467، 512، و غير ذلك من كتب التاريخ.

و أمرهم- أعني الدعاة بالتحاشي عن الفاطميين، لكنه ظل هو شخصيا، و من معه من العباسيين، الذين استنوا بسنته، و ساروا من بعده بسيرته- ظلوا- يتظاهرون للعلويين بأنهم معهم، و أن دعوتهم لهم. و لم يكن إلا القليلون يعرفون بأنه: كان يدبر الأمر للعباسيين.

و قد أعطى دعاته شعارات مبهمة، لا تعين أحدا، و صالحة للانطباق على كل فريق، كشعار: «الرضا من آل محمد» و «أهل البيت»، و نحو ذلك ...

مدى سرية الدعوة:

و الظاهر ... أن عبد اللّه بن معاوية كان من جملة أولئك المخدوعين بهذه الشعارات؛ إذ قد ذكر المؤرخون، و منهم أبو الفرج في مقاتل الطالبيين ص 168، و غيره: أنه بعد ان استظهر ابن ضبارة على عبد اللّه ابن معاوية توجه عبد اللّه إلى خراسان، و كان أبو مسلم قد ظهر بها؛ فخرج إلى أبي مسلم طمعا في نصرته!! فأخذه أبو مسلم؛ فحبسه، ثم قتله ...

و هذا يدل دلالة واضحة على أن عبد اللّه بن معاوية كان يظن أن أبا مسلم سوف ينصره، و أنه- يعني أبا مسلم- كان يدعو إلى أهل البيت، و الرضا من آل محمد على الحقيقة، و لم يخطر في باله: أن الدعوة كانت للعباسيين، و بتدبير من أعظم داهية فيهم!! ..

بل لعلنا نستطيع أن نقول: إن محمد بن علي قد استطاع أن يخفي هذا الأمر حتى عن ولديه: السفاح، و المنصور، و لذا نراهما قد التحقا مع جميع بني هاشم العباسيين و العلويين على حد سواء، و بعض الأمويين (1) و وجوه قريش بعبد اللّه بن معاوية الخارج سنة 127 ه. في الكوفة، ثم في شيراز؛ حيث تغلب على: فارس، و كورها، و على حلوان، و قومس، و اصبهان، و الري و على مياه الكوفة، و على مياه البصرة، و على همدان، و قم، و اصطخر، و عظم أمره جدا (2).

و قد تولى المنصور من قبل عبد اللّه بن معاوية هذا على «إيذج» (3) كما تولى غيره غير ذلك من الأمصار ... فقبول المنصور لولاية «إيذج» من قبله، باعتباره من الهاشمين يكشف عن أنه لم يكن يعلم: أن والده كان ابتداء من سنة مائة، أي قبل خروج عبد اللّه بن معاوية ب «28» سنة يسعى جاهدا، و يشقى و يتعب في تدبير الامر للعباسيين، و تركيز الدعوة لهم ... و انما كان يعلم أن الدعوة كانت لأهل البيت، و الرضا منا.

1- الأغاني ج 11 ص 74، و مقاتل الطالبيين ص 167، و الوزراء و الكتاب ص 98.
2- راجع أنساب الأشراف ص 63، و الأغاني ج 11 ص 74، و مقاتل الطالبيين ص 167، و البداية و النهاية ج 10 ص 25، 26، و ص 3، و عمدة الطالب، و زاد في تاريخ الجنس العربي: المدائن، و نيسابور ...
3- أنساب الأشراف للبلاذري ص 63، و عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب طبع بمبئي ص 22، و الوزراء و الكتاب ص 98 و 99، و فرج المهموم في تاريخ علماء النجوم ص 210. و فيه: أن سليمان بن حبيب بن المهلب أخذه؛ فحبسه، و أراد قتله، فسلم المنصور منه بعد أن أشرف على القتل ... و ليراجع الجهشياري أيضا.

آل محمد، المنطبق- بالطبع- على العلويين أكثر من غيرهم على الاطلاق ...

و إلا فلو كان لمحمد بن علي دعوة واضحة، و مشهورة، و متميزة، و كان المنصور يعلم بها لكان توليه لإيذج من قبل عبد اللّه بن معاوية مضرا جدا في دعوة أبيه، و ضربة قاضية لها ...

اللهم إلا أن يكون ثمة غرض آخر أهم؛ فيكون ذلك منهم حنكة و دهاء ... كأن يكون نظرهم إلى أنه: لو نجحت دعوتهم، فبها ...

و إلا ... فلو نجحت دعوة عبد اللّه بن معاوية، فباستطاعتهم أن يحتفظوا فيها بمراكزهم، و نفوذهم؛ إذ لهم أن يقولوا: إننا كنا من المعاونين و المساهمين في هذه الدعوة ... كما أن بذلك تتصرف أنظار الحكام عنهم، و يأمن العلويون جانبهم؛ فلا يناهضون دعوتهم و لا يقفون في وجهها ...

و بهذه الاسباب نستطيع أن نفسر بيعة العباسيين جميعا، اكثر من مرة لمحمد بن عبد اللّه العلوي، و به أيضا نفسر جواب المنصور لسائله عن محمد بن عبد اللّه هذا، حيث قال: «هذا محمد بن عبد اللّه بن الحسن ابن الحسن، مهدينا أهل البيت» و يأخذ بركابه، و يسوي عليه ثيابه (1).

و أيضا قوله في مجلس البيعة لمحمد هذا: «ما الناس أصور أعناقا، و لا أسرع إجابة منهم لهذا الفتى ...» كما سيأتي ...

و مما يوضح أيضا مدى تكتم العباسيين بأمر دعوتهم، أن: إبراهيم الامام قد بشر بأنه قد أخذت له البيعة بخراسان- و هو في نفس الاجتماع الذي كان قد عقد ليجددوا فيه البيعة لمحمد بن عبد اللّه بن الحسن ... و سيأتي المزيد من الشواهد لهذا أيضا إن شاء اللّه تعالى.

و هكذا ... فان النتيجة تكون هي: أن العباسيين ظلوا يتسترون0.

1- مقاتل الطالبيين ص 239، 240.

بـالعلويين، و يخـدعونهم، على اعتبـار أنهم لو نجحوا في دعوتهم السـرية، فان بيعتهم للعلويين، و دعوتهم لهم لا تضـرهم، و إذا ما فشـلوا فانهم سوف يحتفظون بنفوذهم و مراكزهم في دولة أبناء عمهم …

هذا مجمل الكلام بالنسبة للدعوة العباسية، و لكن طبيعة البحث تفرض علينا التوسع في بيان المراحل التي مرّت بها هذه الدعوة، و لا سيما فيما يتعلق بربطها بأهل البيت عليهم السلام، و العلويين، و مدى اعتمادهم على هذا الربط … فنقول:

لا بد من ربط الثورة بأهل البيت …

إنه كان لا بد للعباسيين من ربط الثورة و الدعوة بأهل البيت عليهم السلام، حيث إنهم كانوا بحاجة إلى:

أولا: صرف انظار الحكام عنهم …

ثانيا: كسب ثقة الناس بهم، و الحصول على تأييدهم لهم.

ثالثا: أن لا تقابل دعوتهم بالاستغراب، و الاستهجان، حيث إنهم لم يكونوا معروفين في أقطار، و انحاء الدولة الاسلامية المترامية الأطراف، و لا كان يعرف أحد لهم حقا في الدعوة لأنفسـهم، كما هو الحال بالنسبة إلى العلويين، مما يجعل الدعوة لهم مع وجود العلويين مستغربة و مستهجنة إلى حد ما …

رابعا:- و هو أهم ما في الامر- أن يطمئن إليهم العلويون، و يثقوا بهم، حتى لا تكون لهم دعوة في مقابل دعوتهم، لأن ذلك بلا شك سوف يضعفهم، و يوهن قوتهم، لما يتمتع به العلويون من نفوذ و مكانة في نفوس الناس بشكل عام …

و لهذا نرى أبا سلمة الخلال، يعتذر لابي العباس السفاح، عن كتابته

للامام الصادق عليه السلام، بأن يجعل الدعوة باسمه، و يبايعه- يعتذر- بأنه: «كان يدبر استقامة الأمر (1)».

نعم ... لقد كان لربطهم الثورة بأهل البيت عليهم السلام أثر كبير في نجاح ثورتهم، و ظهور دعوتهم. و قد أكسبها ذلك قوة و منعة، و جعلها في منأى و مأمن من طمع الطامعين، و تطلع المتطلعين، الذين كانوا يرجون لأنفسهم حظا من الحياة الدنيا، و ما أكثرهم ...

كما و أن ذلك قد أثر أثرا بالغا في اكتسابهم عطف الأمة، و تأييدها، و خصوصا الخراسانيين، الذين كانوا لا يزالون يعيشون الإسلام بعيدا عن أهواء المبتدعين، و تلاعب المتلاعبين، و الذين: «و إن كانوا أقل غلوا (أي من أهل الكوفة)، فقد كانوا أكثر حماسة للدعوة لأهل البيت» (2)؛ و ذلك لأنهم لم يعاملوا معاملة حسنة في الواقع، و لم يسر فيهم بسيرة محمد و القرآن إلا علي بن أبي طالب عليه السلام (3) ...

كما أنهم لم ينسوا بعد ما لا لاقوه في الدولة الأموية من العسف و التنكيل؛ و لذا فمن الطبيعي أن نراهم مستعدين لتقبل أية دعوة لأهل البيت عليهم السلام، و التفاعل معها، بل و التفاني في سبيلها. كما أن بلدهم كان بعيدا من مركز الخلافة بالشام و لم يكن فيه فرق و أحزاب متناحرة كالعراق الذي كان فيه شيعة و خوارج و مرجئة و غير ذلك. و كانت وطأة الحكم العباسي على العراق و مراقبتهم لكل حركة فيه أشد منها في خراسان ...

و بالفعل لقد شيد الخراسانيون، الذين كانوا يحبون أهل البيت عليهم السلام أركان دولة بني العباس، و قامت خلافتهم على أكتافهم، و استقامت9.

ص: 36

1- تاريخ اليعقوبي ج 3 ص 87.

2- السيادة العربية، و الشيعة، و الاسرائيليات ص 106.

3- نفس المصدر ص 39.

لهم الامور بفضل سواعدهم، و أسيافهم، و سيأتي إن شاء اللّه المزيد من الكلام عن الايرانيين، و عن سر تشيعهم، و خاصة الخراسانيين منهم في فصل: ظروف المأمون الخ ... و غيره من الفصول ...

المراحل التي مرت بها عملية الربط:

اشارة

و لقد مرت عملية الربط هذه بثلاثة مراحل أو أربعة، طبقا للظروف التي كانت قائمة آنذاك ... و إن كانت هذه المراحل قد تبدو متداخلة، و غير مميزة في أحيان كثيرة (1) ... إلا أن ذلك كان تبعا للظروف المكانية، و الزمانية، و الاجتماعية، التي كانت تتفاوت و تختلف باستمرار إلى حد كبير ... و هذه المراحل هي:

الأولى: دعوتهم في بادئ الأمر «للعلويين».

الثانية: دعوتهم إلى: «أهل البيت»، و «العترة».

الثالثة: دعوتهم إلى «الرضا من آل محمد».

الرابعة: ادعاؤهم الخلافة بالارث، مع حرصهم على ربط الثورة بأهل البيت، بدعوى: أنهم إنما خرجوا للأخذ بثارات العلويين، و ليرفعوا عنهم الظلم الذي حاق بهم ...

المرحلة الأولى:

و إذ قد عرفنا أن الدعوة كانت في بدء أمرها للعلويين، فلا يجب

1- قال في العيون و الحدائق ص 180: «و كان قد انتشر في خراسان دعاة من الشيعة، و قد انقسموا قسمين: قسم منهم يدعو إلى آل محمد على الاطلاق. و القسم الثاني يدعو إلى أبي هاشم بن محمد بن الحنفية، و كان المتولي لهذه الدعوة إلى آل رسول اللّه (ص) ابن كثير، و كان الدعاة يرجعون في الرأي و الفقه إلى أبي سلمة الخ ...».

أن نستغرب كثيرا، إذا قيل لنا: إن جلة العباسيين، حتى ابراهيم الامام، و السفاح، و المنصور كانوا قد بايعوا للعلويين اكثر من مرة، و في اكثر من مناسبة، فإن ذلك ما كان الا ضمن خطة مرسومة، وضعت بعناية فائقة، بعد دراسة معمقة لظروفهم مع العلويين خاصة، و مع الناس بشكل عام ...

و يمكن أن نعتبر بيعتهم هذه هي المرحلة الأولى من تلك المراحل المشار إليها آنفا ...

فنراهم عدا عن تعاونهم الواضح مع عبد اللّه بن معاوية، قد بايعوا محمد بن عبد اللّه بن الحسن أكثر من مرة أيضا، فقد:

«اجتمع آل عباس، و آل علي عليه السلام بالأبواء، على طريق مكة، و هناك قال صالح بن علي: «إنكم القوم الذين تمتد إليهم أعين الناس، فقد جمعكم اللّه في هذا الموضع، فاجتمعوا على بيعة أحدكم، فتفرقوا في الآفاق، فادعوا اللّه، لعل أن يفتح عليكم، و ينصركم»، فقال أبو جعفر، أي المنصور: «لأي شيء تخدعون أنفسكم؟ و اللّه، لقد علمتم: ما الناس أصور (أي أميل) أعناقا، و لا أسرع إجابة منهم إلى هذا الفتى»، يريد محمد بن عبد اللّه العلوي ...

قالوا: «قد و اللّه صدقت، إنا لنعلم هذا»، فبايعوا جميعا محمدا، و بايعه ابراهيم الامام، و السفاح، و المنصور، و صالح بن علي، و سائر من حضر» طبعا ما عدا الامام الصادق عليه السلام ...».

و خرج دعاة بني هاشم عند مقتل الوليد بن يزيد، فكان أول ما يظهرونه فضل علي بن أبي طالب و ولده، و ما لحقهم من القتل، و الخوف، و التشريد، فإذا استتب لهم الأمر ادعى كل فريق الوصية إلى من يدعو إليه ...

و لم يجتمعوا (أي المتبايعون الآنف ذكرهم) إلى أيام مروان بن

محمد، ثم اجتمعوا يتشاورون، إذ جاء رجل إلى ابراهيم الامام، فشاوره بشي ء، فقام و تبعه العباسيون، فسأل العلويون عن ذلك، فاذا الرجل قد قال لإبراهيم: «قد أخذت لك البيعة بخراسان، و اجتمعت لك الجيوش ...».

بل لقد بايع المنصور محمد بن عبد اللّه العلوي مرتين: إحداهما:

بالأبواء على طريق مكة. و الأخرى: بالمدينة. و بايعه مرة ثالثة أيضا:

في نفس مكة، و في المسجد الحرام بالذات ...

و من هنا نعرف السبب في حرص السفاح و المنصور على الظفر بمحمد ابن عبد اللّه العلوي، فان ذلك لم يكن إلا بسبب ما كان له في اعناقهما من البيعة (1) .....

ص: 39

1- قد اقتبسنا هذه النصوص كلها من كثير من المراجع، و خصوصا: مقاتل الطالبيين، لأبي الفرج الاصفهاني، صاحب الأغاني ص 233، 234، 256، 257، 295، و غيرها ... و على كل فان كون الدعوة العباسية كانت في بدء أمرها باسم العلويين، يبدو مما لا شك فيه، و مما اتفقت عليه كلمات المؤرخين، و النصوص التاريخية، التي سوف نشير إلى شطر منها في هذا الفصل ... و لا بأس أن يراجع بالاضافة إلى مقاتل الطالبيين في الصفحات المشار إليها: النصوص التي وردت في: النزاع و التخاصم للمقريزي ص 50، و تاريخ ابن خلدون ج 4 ص 3، و ج 3 ص 187، و الفخري في الآداب السلطانية ص 164، 165، و تاريخ التمدن الاسلامي ج 4 ص 397، 398، و البحار ج 47 ص 120 و ص 277، و عمدة الطالب، طبع بيروت ص 84، و الخرائج و الجرائح ص 244، و جعفر ابن محمد، لعبد العزيز سيد الاهل ص 115، فما بعدها، و غاية الاختصار ص 22، و إعلام الورى ص 271، 272، و ارشاد المفيد ص 294، 296، و كشف الغمة ج 2 ص 383، 384، و ابن اعثم الكوفي في كتابه: الفتوح على ما نقله في طبيعة الدعوة العباسية، ... و أشار الطبري إلى ذلك في تاريخه ج 10 ص 143، فقال: قد ذكروا أن محمدا كان يذكر أبا جعفر ممن بايعه ليلة تشاور بنو هاشم بمكة فيمن يعقدون له الخلافة، حين اضطرب أمر بني مروان ... و أشار إلى ذلك أيضا ابن الأثير ج 4 ص 270، و يراجع أيضا شرح ميمية أبي فراس ص 114، و ص 104. 105. و غير هؤلاء كثير ...

و قد ذكر أبو فراس الحمداني هذه البيعة في قصيدته المشهورة، المعروفة ب «الشافية»، فقال:

بئس الجزاء جزيتم في بني حسن أباهم العلم الهادي و أمهم

لا بيعة ردعتكم عن دمائهم و لا يمين، و لا قربى، و لا ذمم و ذكر ابن الأثير: أن عثمان بن محمد، بن خالد بن الزبير، هرب بعد مقتل محمد إلى البصرة، فأخذ و أتي به إلى المنصور، فقال له المنصور: يا عثمان، أنت الخارج علي مع محمد؟!. قال له عثمان:

بايعته أنا و أنت بمكة، فوفيت ببيعتي، و غدرت ببيعتك. فشتمه المنصور، فأجابه، فأمر به فقتل (1) ...

و ذكر البيهقي: أنه لما حمل رأس محمد بن عبد اللّه بن الحسن إلى المنصور، من مدينة الرسول، صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، قال لمطير بن عبد اللّه: «أ ما تشهد أن محمدا بايعني؟.» قال: «أشهد باللّه، لقد أخبرتني أن محمدا خير بني هاشم، و أنك بايعت له ...» قال: يا ابن الزانية الخ:

و كانت النتيجة: أن المنصور أمر به، فوتد في عينيه، فما نطق!!. (2)

إلى آخر ما هنالك من النصوص الكثيرة، التي يتضح معها بما لا مجال معه للشك: أن الدعوة كانت في بدء أمرها لخصوص العلويين، و باسمهم، ثم استغلت بعد ذلك لمصلحة العباسيين ...

المرحلة الثانية ...

ثم رأينا بعد ذلك: كيف أن الدعوة العباسية تستبعد العلويين،

1- الكامل لابن الأثير ج 5 ص 12.

2- المحاسن و المساوي للبيهقي ص 482.

و تتحاشى التصريح باسمهم، بطريقة فيها الكثير من الدهاء، و السياسة، حيث اقتصروا في دعوتهم- بعد ذلك- على أنها ل «أهل البيت»، و «العترة»، و هذه هي المرحلة الثانية من المراحل الأربع التي أشرنا إليها ...

و كان الناس لا يفهمون من كلمة: «أهل البيت» إلا العلويين، لانصراف الأذهان إليهم عند اطلاق هذه العبارة، و ذلك بسبب الآيات و الروايات الكثيرة، التي استخدمت هذا التعبير للدلالة عليهم، دون غيرهم ...

فهذا أبو داود يقول للنقباء: «... أ فتظنونه- أي النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلّم- خلفه- أي العلم- عند غير عترته، و أهل بيته، الأقرب، فالأقرب؟! ...

إلى أن قال: ا فتشكون أنهم معدن العلم، و أصحاب ميراث رسول اللّه (ص)؟! .. (1)»

و هذا أبو مسلم الخراساني القائم بالدولة العباسية، يكتب إلى الإمام الصادق صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و يقول: «إني دعوت الناس إلى موالاة أهل البيت، فان رغبت فيه، فأنا أبايعك؟.».

فأجابه الامام صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «.. ما أنت من رجالي، و لا الزمان زماني»، ثم جاء أبو مسلم، و بايع السفاح، و قلده الخلافة (2).

و قال السيد امير علي بعد أن ذكر ادعاء العباسيين للوصاية من أبي هاشم: «.. و قد لاقت هذه القصة بعض القبول في بعض المناطق الإسلامية. أما عند عامة المسلمين، الذين كانوا يتعلقون بأحفاد محمد،ي.

1- الطبري، طبع ليدن ج 9 ص 1961.
2- الملل و النحل للشهرستاني، طبع مؤسسة الحلبي في القاهرة ج 1 ص 154، و طبع العنانية ص 87، و ينابيع المودة للحنفي ص 381، نقلا عن: فصل الخطاب، لمحمد بارسا البخاري.

فقد ظل دعاة العباسيين يؤكدون لهم أنهم يعملون لحساب: أهل البيت.

و حتى ذلك الوقت كان العباسيون يظهرون الولاء التام لبني فاطمة، و يخلعون على حركتهم، و على سياساتهم مظهر الوصول إلى هدف ضمان العدالة، و الحق لأحفاد محمد .. و كان ممثلوا أهل البيت، و محبوهم، لا يخامرهم الشك في الغدر، الذي تبطنه هذه الاعترافات من العباسيين؛ فشملوا محمد بن علي، و جماعته بعطفهم و حمايتهم، الذين كانوا في حاجة إليهما ..» (1).

و يقول: «... و كانت كلمة: «أهل البيت» هي السحر الذي يؤلف بين قلوب مختلف طبقات الشعب، و يجمعهم حول الراية السوداء ...» (2).

المرحلة الثالثة:

اشارة

ثم تأتي المرحلة الثالثة، و يتقلص ظل العلويين، و أهل البيت عن هذه الدعوة، أكثر فأكثر، كلما ازدادت قوتها، و اتسع نفوذها، حيث رأينا أخيرا انها اتسعت بحيث تستطيع أن تشمل العباسيين أيضا مع العلويين.

حيث أصبحت إلى: «الرضا من آل محمد»، و إن كانوا لا يزالون يذكرون فضل علي، و ما لحق ولده من القتل و التشريد، كما يتضح بأدنى مراجعة لكتب التاريخ ...

و هذه العبارة، و إن كانت لا تختلف كثيرا عن عبارة: «العترة، و أهل البيت»، و نحوها ... إلا أنها كانت في أذهان العامة أبعد من أن يراد بها العلويون على الخصوص ... و لكن مع ذلك بقيت الجماهير

1- روح الاسلام ص 306 و 308. و لا بأس بمراجعة ما ورد في كتاب الامام الصادق و المذاهب الأربعة ج 1 جزء 2 ص 532. و السيادة العربية و الشيعة و الإسرائيليات ص 94. و امبراطورية العرب ص 406، و طبيعة الدعوة العباسية، و غير ذلك.

2- روح الاسلام ص 306 و 308. و لا بأس بمراجعة ما ورد في كتاب الامام الصادق و المذاهب الأربعة ج 1 جزء 2 ص 532. و السيادة العربية و الشيعة و الإسرائيليات ص 94. و امبراطورية العرب ص 406، و طبيعة الدعوة العباسية، و غير ذلك.

تعتقد أن الخليفة سيكون علويا، كما كان العلويون يعتقدون ذلك ...» (1)

على حد تعبير أحمد شلبي ... و إذا صح هذا، و فرض- و لو بعيدا- أن شعار: الرضا من آل محمد لا يختلف عن شعار: العترة، و أهل البيت في أذهان عامة الناس، فلسنا نصر على جعل هذا مرحلة مستقلة، بل يكون داخلا فيما سبقه، و تكون المراحل حينئذ ثلاثة، لا أربعة ...

ملاحظات لا بد منها في المرحلة الثالثة:

اشارة

و قبل الانتقال إلى الكلام على المرحلة الرابعة، و الأخيرة. لا بد من ملاحظة أمور:

أ:

انهم في نفس الوقت الذي نراهم فيه يبعدون الدعوة عن أهل البيت، كما يدلنا عليه قول محمد بن علي العباسي لبكير بن ماهان:

«و حذر شيعتنا التحرك في شيء مما تتحرك فيه بنو عمنا آل أبي طالب؛ فإن خارجهم مقتول، و قائمهم مخذول؛ و ليس لهم من الأمر نصيب، و سنأخذ بثأرهم ...» (2).

و كما يدلنا عليه ما رواه الطبري من أن محمد بن علي نهى دعاته عن رجل اسمه: غالب؛ لأنه كان مفرطا في حب بني فاطمة (3) ...

نراهم من جهة ثانية: و حتى لا يصطدموا بالعلويين وجها لوجه ...

كانوا في جميع مراحل دعوتهم يتكتمون جدا باسم الخليفة، الذي يدعون الناس إليه، و إلى بيعته، بل إن الشخص الذي كانوا يدعون

1- التاريخ الاسلامي و الحضارة الاسلامية لأحمد شلبي ج 3 ص 20.

2- طبيعة الدعوة العباسية 152، نقلا عن: مخطوطة العباسي ص 93 أ، 93 ب.

3- راجع: تاريخ الجنس العربي ج 8 ص 411.

النـاس إليه، و إلى بيعته ... بـل و كـان النـاس يبـايعونه مـا كـانوا يعرفونه، بل يعرفه الـدعاة فقط، و على الناس أن يبايعوا إلى «الرضا من آل محمد» و لا بأس بمراجعة نص البيعة في تاريخ التمدن الاسلامي، المجلد الأول، الجزء الاول ص 125.

و لعل هدفهم من ذلك كان أيضا: هو أن لا يربطوا الدعوة بفرد معين، حتى لا تضعف إذا ما مات، أو اغتيل ...

و على كل فقد نص ابن الأثير في الكامل ج 4 ص 310، حوادث سنة 130 على أن أبا مسلم كان يأخذ البيعة إلى الرضا من آل محمد ...

و مثل ذلك كثير في كلمات المؤرخين، و إليك بعض النصوص التاريخية، التي تدل على ذلك:

ففي الكامل ج 4 ص 323 نص على أن محمـد بن علي بعث داعيا إلى خراسان يدعو إلى «الرضا من آل محمد» و لا يسـمي أحدا، و لعل الذي أرسله هو أبو عكرمة الآتي ذكره ...

و قد قال محمد بن علي العباسي لأبي عكرمة: «فلتكن دعوتك إلى: «الرضا من آل محمد»؛ فاذا وثقت بالرجل، في عقله، و بصيرته، فاشرح له أمركم ...

و ليكن اسمي مستورا من كل أحد، إلا عن رجل عدلك في نفسك، و توثقت منه، و أخذت بيعته ...».

ثم أمره بالتحاشي عن الفاطميين (1) ...

و يقول أحمد شلبي: «... كانوا (أي العباسيون) يوهمون العلويين بأنهم يعملون لهم، و لكنهم في الواقع كانوا يعملون لأنفسهم» (2) ...0.

1- طبيعة الدعوة العباسية ص 155، نقلا عن:DIC .PO ص 95 أ/ 95 ب.

2- التاريخ الاسلامي و الحضارة الاسلامية ج 3 ص 20.

و يقول أحمد أمين: «... و مع هذا فكان من إحكام أمرهم أنهم لم يكونوا يصرحون عند دعوتهم في كثير من المواقف باسم الإمام؛ ليتجنبوا انشقاق الهاشميين بعضهم على بعض ...» (1).

و لو كان الخليفة معينا و معروفا عند الناس، لما استطاع أبو مسلم، و أبو سلمة، و سليمان الخزاعي، أن يكاتبوا الإمام الصادق عليه السلام، و غيره من العلويين، أنهم يبايعونهم، و يجعلون الدعوة لهم، و باسمهم ...

و قد تقدمت رسالة أبي مسلم للإمام الصادق عليه السلام، التي يصرح فيها بأنه: إنما دعا الناس إلى موالاة أهل البيت فقط، أي من دون تصريح باسم أحد ...

و قد قال أحدهم: كنت عند أبي عبد اللّه عليه السلام، فأتاه كتاب أبي مسلم؛ فقال: «ليس لكتابك جواب. أخرج عنا» (2).

و قال السيد أمير علي عن أبي مسلم: «و قد ظل إلى هذا الوقت مواليا، بل مخلصا، بل متحمسا لابناء علي (3)».

و قال صاحب قاموس الأعلام: «و عرض أبو مسلم الخراساني الخلافة ابتداء على الامام الصادق، فلم يقبلها (4)».1.

ص: 45

1- ضحى الاسلام ج 3 ص 380، 381.

2- روضة الكافي ص 274، و البحار ج 47 ص 297.

3- روح الاسلام ص 306.

4- راجع المجلد الأول، الجزء الأول من كتاب: الامام الصادق و المذاهب الأربعة ص 57، نقلا عن: قاموس الاعلام ج 3 ص 1821 طبع استانبول، تأليف: ش. سامي ... و رغم أن أبا مسلم قد قضى على عدة ثورات قامت باسم العلويين، على ما في كتاب: طبيعة الدعوة العباسية ص 251، 253، فاننا نعتقد أن رسائله هذه، و رسائله التي أرسلها إلى المنصور يظهر فيها الندم على أنه زوى الأمر عن أهله، و وضعه في غير محله ... هي السر، و السبب الحقيقي الكامن و راء قتله، مع أنه مؤسس الدولة العباسية (و من سل سيف البغي قتل به)، و مشيد أركانها ... و قد استظهر ذلك أيضا المستشرق العلامة (بلوشيه) على ما في كتاب طبيعة الدعوة العباسية ص 251، و أشار إليه أيضا السيد أمير علي في كتابه: روح الاسلام ص 311.

و أمـا أبو سـلمة: فانه عنـد ما خاف من انتقاض الامر عليه، بسـبب موت ابراهيم الإمام، أرسل- و السـفاح في بيته- إلى الامام الصادق عليه السـلام يطلب منه القدوم عليه ليبايعه، و تكون الدعوة باسـمه، كما أنه كتب بمثل ذلك إلى عبد اللّه بن الحسن ... لكن الامام عليه السلام، الذي كان في منتهى اليقظة و الحزم. رفض الطلب، و أحرق الكتاب، و طرد الرسول (1) ...

و قد نظم أبو هريرة الأبّار، صاحب الامام الصادق عليه السلام هذه الحادثة شعرا، فقال:

و لما دعا الداعون مولاي لم يكن ليثني إليه عزمه بصواب

و لما دعوه بالكتاب أجابهم بحرق الكتاب دون رد جواب ن.

ص: 46

1- مروج الذهب ج 3 ص 253، 254، و ينابيع المودة ص 381، و تاريخ اليعقوبي ج 3 ص 86، و الوزراء و الكتاب ص 86، و هامش ص 421 من امبراطورية العرب، و الفخري في الآداب السلطانية ص 154، 155، و روح الاسلام ص 308، و عمدة الطالب، طبع بيروت ص 82، 83، و الكامل لابن الأثير ... و نقله في المناقب لابن شهرآشوب ج 4 ص 229، و البحار ج 47 ص 132 عن ابن كادش العكبري في: مقاتل العصابة ... لكنهما (أعني المناقب و البحار) ذكرا أن الذي كتب للامام هو أبو مسلم ... و في المناقب ج 4 آخر ص 229، و البحار ج 47 ص 133 نقلا عن رامش الافزاري أن الذي كتب إلى الامام هو أبو مسلم الخلال!!! ... و واضح أن هذا هو السبب الحقيقي لقتل أبي سلمة، و قد صرح بذلك جمع من المؤرخين و الباحثين.

و ما كان مولاي كمشري ضلالةو لا ملسا منها الردى بثواب

و لكنه للّه في الارض حجةدليل الى خير، و حسن مآب (1) و كتب إليه أبو سلمة أيضا مرة ثانية، عند ما أقبلت الرايات: «إن سبعين الف مقاتل وصل إلينا، فانظر أمرك». فأجابه الامام بالرفض أيضا (2) ...

و أما سليمان الخزاعي: المدبر الحقيقي للثورة في خراسان، فانه اتصل بعبد اللّه بن الحسين الأعرج، و هما يسايران أبا جعفر المنصور في خراسان، عند ما أرسله السفاح إليها، قال سليمان لعبد اللّه: «إنا كنا نرجو أن يتم أمركم، فاذا شئتم فادعونا إلى ما تريدون!!»، فعلم أبو مسلم بالأمر، فقتل سليمان هذا (3) ...

بل إن هذا إن دل على شي ء فانما يدل على أن كثيرا من الدعاة ما كانوا يعرفون: أن الخليفة سيكون عباسيا، فضلا عن أن يكونوا يعرفونه باسمه الصريح ...

قال الدكتور فاروق عمر: «على أننا نستطيع القول: إن اسم الامام كان معروفا لدى الحلقات الخاصة من الشيعة الهاشمية، أو العباسية، و أن الكثير من الأنصار، الذين ساندوا الثورة، و منهم ابن الكرماني نفسه، لم يكن يعرف أن «الرضا من آل البيت» سيكون عباسيا، مع أن ابن الكرماني كان قائدا كبيرا، و كان يطمع إلى الاستيلاء على5.

1- مناقب ابن شهرآشوب ج 4 ص 230. و البحار ج 47 ص 133.
2- مناقب ابن شهرآشوب ج 4 ص 229، و البحار ج 47 ص 133، و الامام الصادق و المذاهب الأربعة ج 1 ص 47.
3- الطبري ج 10 ص 132، و الامامة و السياسة ج 2 ص 125.

خراسان (1) ...».

ب:

يلاحظ أن العباسيين قد موهوا على الناس، و استطاعوا أن يخدعوهم، حيث خيلوا لهم في بادئ الأمر أن الثورة كانت للعلويين ...

ثم بدءوا يعدون العدة لما سوف يقولون للناس عند اكتشافهم لحقيقة الأمر؛ فصنعوا سلسلة الوصاية المعروفة عنهم من علي بن أبي طالب، إلى محمد ابن الحنفية، فإلى أبي هاشم، فإلى علي بن عبد اللّه بن العباس ...

و هكذا ... و هي في الحقيقة نفس عقيدة الكيسانية، كما سنشير إليها في بعض الهوامش الآتية.

و قد جازت حيلتهم هذه على الناس، الذين كانوا يظنون أنهم يعملون للعلويين (2)، حتى لقد خفي أمرهم عن عبد اللّه بن معاوية حسما قدمنا، بل لقد كان من جملة المخدوعين، الذين اكتشفوا الحقيقة بعد فوات الأوان، سليمان الخزاعي، الذي تقدم أنه- باعترافه- كان يرجو هذا الأمر للعلويين، و أبو مسلم الخراساني الذي صارح المنصور بأن السفاح كان قد خدعه ... و أنه خدع أيضا من قبل ابراهيم الإمام، حيث ادعيا الوصاية و الامامة، و حرفا الآيات الواردة في أهل البيت لتنطبق عليهم، مما كان من نتيجته أن زوى الأمر عن أهله، و وضعه

1- طبيعة الدعوة العباسية ص 209 ... و لقد اشتبه الأمر على الدكتور فاروق عمر؛ فان ابن الكرماني كان من عمال الامويين، و لم يكن من الشيعة في أي وقت من الأوقات، و انما استماله أبو مسلم توطئة للغدر به ... و لم يكن أبو مسلم و لا غيره من الدعاة و النقباء ليصرحوا لعدوهم بمثل هذا الأمر الذي يخفونه عن أخص الناس بهم، بل حتى عمن هم مثل المنصور.

2- امبراطورية العرب ص 206، و غير ذلك كثير ...

في غير محله (1).

أما انخداع ابن الكرماني فهو من الامور الواضحة و المعروفة. بل لقد رأينا البعض يذكر أن أبا سلمة الخلال كان أيضا من جملة المخدوعين، حيث كان يتوهم: أن الخليفة سيكون علويا لا عباسيا (2) ...

ج:

و مما تجدر الاشارة إليه هنا، هو ما تقدم: من رفض الامام القاطع لعرض كل من أبي سلمة، و أبي مسلم في جعل الدعوة له، و باسمه ...

و ما ذلك إلا لعلمه عليه السلام: بأن هؤلاء ليس لهم من هدف، إلا الوصول إلى مآربهم من الحكم و السلطان، ثم يتخلصون من كل من لا يعودون بحاجة إليه، إذا اعتبروه عقبة في طريقهم ... كما كان الحال في قتلهم أبا مسلم، و سليمان بن كثير، و أبا سلمة ... و غيرهم ... شاهدنا على ذلك جواب الإمام عليه السلام لأبي مسلم: «ما أنت من رجالي، و لا الزمان زماني» ... و كذلك المحاورة التي جرت بينه عليه السلام، و بين عبد اللّه بن الحسن، عند ما جاءه كتاب من أبي سلمة مثل كتابه ...

و أيضا قوله عليه السلام: مالي و لأبي سلمة، و هو شيعة لغيري ... بل و مما يدل على ذلك دلالة قاطعة ... ما قدمناه من اعتذار أبي سلمة للسفاح، عن مراسلته للصادق، و غيره من العلويين، بأنه: «كان يدبر استقامة الأمر» بل يذكر الطبري ج 6 ص 102 و ابن الأثير ج 5

ص: 49

1- الامام الصادق و المذاهب الأربعة المجلد الأول، جزء 2 ص 533، و سنشير إلى مصادر اخرى لذلك فيما يأتي إن شاء اللّه ...

2- التاريخ الاسلامي و الحضارة الاسلامية ج 3 ص 254. و في كتاب: السيادة العربية لفان فلوتن ص 97: أن النقباء أمروا بعض الدعاة بستر اسم المدعو له، و أخفوا اسم المدعو له عن البعض الآخر ...

ص 437: أنه عند ما جمع السفاح خاصته ليستشيرهم بقتل أبي سلمة و أخبرهم بمكاتبته للعلويين ... نجد أن بعض خاصته انبرى ليقول: ما يدريكم لعل ما صنع أبو سلمة كان من رأي أبي مسلم (1). و عليه فلا يصح قول صاحب العيون و الحدائق ص 181: «و لم يكن هوى أبي سلمة معهم، و إنما كان هواه مع الصادق جعفر الخ ...» فإن لجوءه إلى الصادق إنما كان لأجل استقامة الأمر. بل إن بعض المحققين لا يستبعد أن يكون من جملة أهدافهم من رسائلهم تلك، إلى الصادق، و عبد اللّه ابن الحسن، و غيرهما من العلويين ... هو معرفة إن كان هؤلاء يطمحون إلى الحكم، و يرغبون فيه أولا ... و ذلك ليستعد العباسيون- من ثم- لمواجهة دعوتهم، و رصد كل حركاتهم، و سكناتهم، و من ثم شل حركتهم، و القضاء عليهم ... و هذا أسلوب استعمله المنصور من بعد، لكن الإمام الصادق عليه السلام تنبه للمكيدة، و عمل على احباطها ...

د:

و تصريح أبي سلمة هذا و موقف الإمام منه، و قوله: إنه شيعة لغيره يلقي لنا ضوءا على الروايات التي تتهمه، و تتهم أبا مسلم بميول علوية ... و أن أبا مسلم أراد أن يعلن خلافة علوية، بمجرد وصوله إلى خراسان، كما عن الذهبي، و شارح شافية أبي فراس، و تاريخ الخميس. فان ذلك لا شاهد له إلا رسائلهما التي أشرنا إليها ... مع أنها لم يكن الهدف منها إلا استقامة الأمر للعباسيين ... خصوصا إذا لاحظنا أن أبا مسلم قد قضى على عدة ثورات للعلويين، و باسمهم- كما أشرنا إليه-

ص: 50

1- و أما كتابه للصادق فهو لا يدل على اخلاصه له، بل هو فقط- كان يدبر استقامة الأمر، و قتله من قبل العباسيين بهذا الجرم ليس إلا تغاضيا عن حقيقة الأمر بهدف الوصول إلى أهدافهم في التخلص منه بطريقة مشروعة.

و أنه كان يلاحقهم تحت كل حجر و مدر، و في كل سهل و جبل، على حد تعبير الخوارزمي (1) ...

المرحلة الرابعة:

ثم تأتي المرحلة الرابعة و الاخيرة، و هي: ادعاؤهم الخلافة بالإرث، كما أشرنا إليه ... و لكنهم استمروا يربطون الثورة بأهل البيت عليهم السلام من ناحيتين:

الأولى: ادعاؤهم الخلافة بالارث عن طريق علي بن أبي طالب، و محمد بن الحنفية، كما سيأتي بيانه.

الثانية: ادعاؤهم أنهم إنما خرجوا للأخذ بثارات العلويين ... فأما ادعاؤهم استحقاقهم الخلافة بالارث، عن طريق علي بن أبي طالب عليه السلام، و احتجاجهم بقرباهم النسبية من رسول اللّه (ص)، فاننا نلمحها في كثير من مواقفهم، حيث كانوا يستطيلون على الناس بهذه القربى، و يحتجون بها في مختلف المناسبات (2) ...

1- و لكننا لا نجد فيما بأيدينا من الشواهد التاريخية، ما يؤيد دعوى الخوارزمي هذه عدا ما ذكروه من أنه: قتل عبد اللّه بن معاوية بن عبد اللّه بن جعفر، و عبيد اللّه بن الحسين بن علي بن الحسين.
2- حيث قد ظلوا بحاجة لأن يصلوا حقهم الذي كانوا يدعونه ... بحق علي بن أبي طالب عليه السلام، و وصايتهم بالوصاية التي له، و التي لا يجهلها أحد، و ليصححوا بهذه الوسيلة خلافتهم، و يتقبلها الناس ... فكانت السلسلة التي سيأتي بيانها هي معتمدهم، مضيفين إليها تبرأهم من أبي بكر و عمر و عثمان ... و في الحقيقة أن تلك هي عقيدة الكيسانية انتحلوها لأنفسهم يوحي من مصالحهم الخاصة ... حتى إذا ما وصلوا إلى الحكم نراهم قد قطعوا حبل صلتهم بعلي، و ولده، و جعلوا الخلافة حقا للعباس و ولده ... ثم تخلوا عن ذلك كله فيما بعد، و رجعوا إلى العقيدة التي أسسها معاوية، و لكنهم اختلفوا عنه بأنهم أدخلوا عليا، و جعلوه في المرتبة الرابعة، و كان ذلك بداية وجود أهل السنة بخصائصهم، و مميزاتهم المذهبية، و لهذا البحث مجال آخر، و اللّه هو الموفق و المستعان.

فقد قال داود بن علي، أول خطيب لهم على منبر الكوفة، في أول كلام له أمام السفاح: «... و إنما أخرجنا الانفة من ابتزازهم حقنا، و الغضب لبني عمنا (1)...».

و نرى السفاح في خطبته الأولى أيضا في مسجد الكوفة، بعد أن ذكر عظمة الرب تبارك و تعالى، و فضل النبي (ص) «قد قاد الولاية و الوراثة، حتى انتهيا إليه، و وعد الناس خيرا (2)...».

و يقال: إن من جملة ما قاله السفاح في خطبته الأولى: «... فأعلمهم جل ثناؤه فضلنا، و أوجب عليهم حقنا و مودتنا، و أجزل من الفي ء، و الغنيمة نصيبنا، تكرمة لنا و فضلا علينا ...

و زعمت السبائية الضلال: أن غيرنا أحق بالرياسة و السياسة ... إلى أن قال: ورد علينا حقنا (3)...»..

1- الطبري، طبع ليدن ج 10 ص 31، و البداية و النهاية ج 10 ص 41، و شرح النهج للمعتزلي ج 7 ص 154، و الكامل لابن الأثير ج 4 ص 325.

2- تاريخ ابن خلدون ج 3 ص 129، و مروج الذهب ج 3 ص 256، و الطبري ج 10 ص 37، طبع ليدن.

3- الطبري ج 10 ص 39، 40، و تاريخ الخلفاء للسيوطي ص 257، و البداية و النهاية ج 10 ص 41، و الكامل لابن الأثير ج 4 ص 324، 325 ... لكن الظاهر أن لعن السبائية (و هم الشيعة الامامية حسب مصطلحهم) مفتعل على لسان السفاح؛ لأن كلمة داود بن علي المتقدمة تدل على إنكار العباسيين- في بدء أمرهم- خلافة أبي بكر، و عمر، و عثمان، و تمسكهم بخلافة علي عليه السلام، حيث يصلون حبل وصايتهم بها ... و إن كانوا قد رجعوا عن هذه العقيدة بعد ذلك حسبما أشرنا إليه إلى العقيدة التي كان قد روجها معاوية ... و لكن من المؤكد أنهم استمروا على عقيدتهم تلك، أعني إنكار خلافة الثلاثة، و وصلهم حبل وصايتهم بعلي عليه السلام، إلى زمن المنصور، الذي كان أول من أوقع الفتنة بين العباسيين و العلويين كما سيأتي ...

و يقول داود بن علي في خطبته الأولى في مسجد الكوفة أيضا:

«... و أحيا شرفنا و عزنا، ورد إلينا حقنا و إرثنا ...» (1).ة،

ص: 53

1- الطبري ج 10 ص 32، طبع ليدن، و الكامل لابن الأثير ج 4 ص 325. (أمر هام لا بد من التنبيه عليه:) إننا إذا تتبعنا الأحداث التاريخية، نجد: أن كل مطالب بالخلافة كان يدعي أول ما يدعي الرحمية و القربى من رسول اللّه (ص). و أول من بدأ ذلك أبو بكر في يوم السقيفة، و تبعه على ذلك عمر؛ حيث قررا أن ليس لأحد الحق في أن ينازعهم سلطان محمد؛ إذ أنهم أمس برسول اللّه رحما (على ما في نهاية الإرب ج 8 ص 168، وعيون أخبار ابن قتيبة ج 2 ص 233، و العقد الفريد ج 4 ص 258، طبع دار الكتاب العربي، و الأدب في ظل التشيع ص 24، نقلا عن البيان و التبيين للجاحظ)؛ و لأنهم هم أولياؤه و عشيرته، على ما ذكره الطبري ج 3 ص 220، طبع دار المعارف بمصر، و الامامة و السياسة ص 14، 15 طبع الحلبي بمصر، و شرح النهج المعتزلي ج 6 ص 7، 8، 9، 11، و الامام الحسين للعلائلي ص 186، وص 190، و غيرهم. او لأنهم عترة النبي (ص) و أصله و البيضة التي تفقأت عنه كما في العثمانية للجاحظ ص 200. فأسقطا بذلك دعوى الأنصار عن الاعتبار. كما أن أبا بكر قد استدل على الأنصار بالحديث الذي صرح باستفاضته جهابذة أهل السنة (على ما في ينابيع المودة للحنفي)، و هو قوله (ص) مشيرا إلى خلفائه الاثنى عشر: «يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلهم تجتمع عليه الامة، كلهم من قريش».- استدل به- بعد أن تصرف فيه، بأن حذف صدره، و اكتفى بذكر: أن الأئمة من قريش على ما في صواعق ابن حجر ص 6، و غيره ... و أصبح كون الأئمة من قريش تقليدا متبعا، بل و من عقائد أهل السنة المعترف بها، و قد استدل ابن خلدون على ذلك بالاجماع. و لكن قول عمر: لو كان سالم مولى حذيفة حيا لوليته، قد أوقع ابن خلدون، كما أوقع غيره من جهابذة أهل السنة في حيص بيص؛ لعدم كون سالم قرشيا، فضلا عن أن يكون أمس رحما برسول اللّه من غيره، فراجع مقدمة ابن خلدون ص 194، و غيره من كتبهم ... أما ابن كثير فانه قد استشكل بالأمر من ناحية اخرى؛ حيث قال- و هو يتحدث عن فتنة محمد بن الأشعث الكندي-: «... و العجب كل العجب من هؤلاء الذين بايعوه بالامارة،

و ليس هو من قريش، و انما هو كنـدي من اليمن؛ و قد اجتمع الصحابة يوم السقيفة على أن الإمارة لا تكون إلا في قريش، و احتج عليهم الصديق بالحديث في ذلك، حتى أن الانصار سألوا أن يكون منهم أمير مع أمير المهاجرين، فأبى الصديق عليهم ذلك ... ثم مع هذا كله ضرب سعد بن عبادة، الذي دعا إلى ذلك أولا، ثم رجع عنه» ... انتهى ... راجع البداية و النهاية ج 9 ص 54.

فتراه يستشكل في عمل من بايعوا محمد بن الاشعث بامرة المؤمنين، التي رآها مخالفة للاجماع المدعى يوم السقيفة ... و تراه يعترف بمخالفة سعد ثم يدعي أنه رجع عن ذلك ...

و لست أدري كيف رجع عنه، مع أنه من المتسالم عليه تاريخيا: أنه استمر على الخلاف معهم، حتى اغتيل بالشام- اغتالته السياسة، على حد تعبير طه حسين في كتابه: من تاريخ الأدب العربي ج 1 ص 146، و غيره ... و ذلك أشهر من أن يحتاج إلى بيان.

و على كل حال ... فان ما يهمنا هو الاشارة إلى أن كون الأئمة من قريش ليس فقط أصبح تقليدا متبعا، بل قد أصبح من عقائد أهل السنة المعترف بها ...

و لكن ما تأتي به السياسة، تذهب به السياسة؛ إذ بعد تسعمائة سنة جاء السلطان سليم، و خلع الخليفة العباسي، و تسمى هو ب: «أمير المؤمنين»، مع أنه لم يكن من قريش.

و بهذا يكون قد الغى هذا التقليد عملا من عقائد طائفة من المسلمين، و أبطله ...

و مهما يكن من أمر فان أول من ادعى استحقاق الخلافة بالقربى النسبية من رسول اللّه (ص) كان أبو بكر، ثم عمر، و جاء بعدهما بنو أميّة؛ فعرفوا أنفسهم بأنهم ذوي قربى النبي (ص) حتى لقد حلف عشرة من قواد أهل الشام، و أصحاب النعم و الرئاسة فيها- حلفوا- للسفاح:

على أنهم لم يكونوا يعرفون إلى أن قتل مروان، أقرباء للنبي (ص)، و لا أهل بيت يرثونه غير بني أميّة ... فراجع النزاع و التخاصم للمقريزي ص 28، و شرح النهج للمعتزلي ج 7/ 159، و مروج الذهب ج 3 ص 33 و فتوح ابن أعثم ج 8 ص 95 بل لقد ذكر المسعودي و المقريزي: أن إبراهيم بن المهاجر البجلي، الموالي للعباسيين قد نظم قضية هؤلاء الامراء شعرا، فقال:

أيها الناس اسمعوا أخبركم عجبا زاد على كل العجب

عجبا من عبد شمس إنهم فتحوا للناس أبواب الكذب

ورثوا أحمد فيما زعموادون عباس بن عبد المطلب

كذبوا و اللّه ما فعلمه يحرز الميراث إلا من قرب و يقول الكميت عن دعوى بني أميّة هذه:

و قالوا: ورثناها أبانا و امناو لا ورثتهم ذاك أم و لا أب

و في العقد الفريد ج 2/ 120 طبع دار الكتاب العربي: أن أروى بنت الحارث بن عبد المطلب قالت لمعاوية: «... و نبينا (ص) هو المنصور؛ فوليتم علينا من بعده، تحتجون بقرابتكم من رسول اللّه (ص)، و نحن أقرب إليه منكم، و أولى بهذا الأمر الخ ...».

ثم جاء العباسيون، و ادعوا نفس هذه الدعوى، كما هو واضح من النصوص التي ذكرناها، و نذكرها ... بل لقد ادعى نفس هذه الدعوى أيضا أكثر إن لم يكن كل من خرج مطالبا بالخلافة، سواء كان خروجه على الامويين أو على العباسيين ...

و هذا يعني أن العامل النسبي قد لعب دورا هاما في الخلافة الاسلامية، و كان الناس بسبب جهلهم، و عدم وعيهم لمضامين الاسلام يصدقون و يسلمون بأن القربى النسبية تكفي وحدها في أن تجعل لمدعيها الحق في منصب الخلافة. و لعل أكثر ما ورد في القرآن الكريم، و السنة النبوية الشريفة من الوصايا بأهل البيت عليهم السلام، و الأمر بمودتهم، و محبتهم، و التمسك بهم جعل الناس يظنون أن سبب ذلك هو مجرد قرباهم النسبية منه (ص) ... و كان أن استغل الطامحون فهم الناس الخاطئ هذا ... بل لقد حاولوا ما أمكنهم تكريسه، و تثبيته ...

إلا أن حقيقة الأمر هي غير ذلك؛ فان منصب الخلافة في الاسلام، لا يدور مدار القربى النسبية منه. بل هو يدور مدار الأهلية و الجدارة، و الاستعداد الذاتي لقيادة الامة قيادة صالحة، كما كان النبي (ص) يقودها، يدلك على ذلك أننا لو رجعنا إلى النصوص القرآنية، و إلى ما ورد عن النبي (ص) بشأن الخليفة بعده، فلعلنا لا نعثر على نص واحد منها يفهم منه أن استحقاق الخلافة يدور مدار القربى النسبية منه (ص)، و حسب.

و كل ما ورد في القرآن، و عنه (ص) من الأمر بموالاة أهل بيته، و حبهم، و التمسك بهم، و من تعيينه خلفاءه منهم، فليس لأجل قرباهم النسبية منه (ص). بل لأن الأهلية، و الجدارة الحقيقية لهذا المنصب قد انحصرت في الخارج فيهم. فهو على حد تعبير الاصوليين:

من باب الاشارة إلى الموضوع الخارجي ... و ليس تصريحه (ص) بالقربى لأجل بيان الميزان و المقياس و الملاك في استحقاقهم الخلافة.

و واضح أنه كان لا بد من الالتجاء إلى اللّه و رسوله لتعيين الشخص الذي له الجدارة و الأهلية لقيادة الامة؛ لأن الناس قاصرون عن إدراك حقائق الامور، و نفسيات، و غرائز، و ملكات بعضهم البعض ... إدراكا دقيقا و حقيقيا، و عن إدراك عدم طرو تغير أو تبدل عليه في المستقبل ... و نقد عينه (ص) بالفعل، و دل عليه بمختلف الدلالات،

بالقول: تصريحا، و تلويحا، و كناية، و نصا، و وصفا، و غير ذلك ... و بالفعل أيضا، حيث أمره على المدينة، و على كل غزوة لا يكون هو (ص) فيها، و لم يؤمر عليه أحدا، و غير ذلك ...

هذا هو رأي الشيعة، و هذا هو رأي أئمتهم في هذا الأمر، و كلماتهم طافحة و مشحونة بما يدل على ذلك. و لا يبقى معه مجال لأي لبس أو توهم؛ فراجع كلام الامام علي في شرح النهج للمعتزلي ج 6 ص 12، و غيره مما قد يتعسر استقصاؤه ...

و مما ذكرنا نستطيع أن نعرف أن ما ورد عن الامام علي عليه السلام، أو عن غيره من الأئمة الطاهرين، من قولهم: أنهم هم الذين عندهم ميراث رسول اللّه (ص)؛ فانما يقصدون به الميراث الخاص، الذي يختص اللّه به من يشاء من عباده، أعني: ميراث العلم؛ على حد قوله تعالى: «ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ...» و قد اعترف أبو بكر نفسه لفاطمة الزهراء بأن الأنبياء يورثون العلم لأشخاص معينين من بعدهم. و على كل فلقد أنكر علي عليه السلام مبدأ استحقاق الخلافة بالقرابة و الصحابة أشد الإنكار، فقد جاء في نهج البلاغة قوله عليه السلام: «وا عجبا!! أ تكون الخلافة بالصحابة و القرابة؟!!». هكذا في نهج البلاغة، شرح محمد عبده، و لكن الظاهر هو أنها محرفة، و أن الصحيح هو ما في نسخة ابن ابي الحديد، و هي هكذا: «وا عجبا!! أن تكون الخلافة بالصحابة، و لا تكون بالصحابة و القرابة!!».

و أما ما يظهر منه أنهم يستدلون لاستحقاقهم الخلافة بالقربى من رسول اللّه (ص)، فانما اقتضاه الحجاج مع الخصوم؛ فهو من باب: «الزموهم بما الزموا به أنفسهم». و يدل على هذا المعنى و يوضحه ما قاله الإمام علي عليه السلام لأبي بكر، عند ما جي ء به ليبايع؛ فكان مما قاله: «... و احتججتم عليهم (أي على الأنصار) بالقرابة من النبي (ص) ...

و أنا أحتج عليكم بمثل ما احتججتم به على الأنصار، نحن أولى الخ» ... راجع: الامامة و السياسة ج 1 ص 18.

و يشير أيضا عليه السلام- إلى هذا المعنى في بعض خطبه الموجودة في نهج البلاغة فمن أراد فليراجعه ... كما و يشير إليه أيضا ما نسب إليه عليه السلام من الشعر (على ما في نهج البلاغة) و هو قوله:

فان كنت بالشورى ملكت امورهم فكيف بهذا و المشيرون غيب

و ان كنت بالقربى حججت خصيمهم فغيرك أولى بالنبي و أقرب و لكن أحمد أمين المصري في كتابه: ضحى الاسلام ج 3 ص 261، و ص 300، و ص 222، و ص 235. و كذلك سعد محمد حسن في كتابه: المهدية في الاسلام ص 5

و الخضري في محاضراته ج 1 ص 166: إن هؤلاء ينسبون إلى الشيعة القول: بأن منصب الخلافة يدور مدار القربى النسبية منه (ص) و حسب ... رغم اعتراف أحمد أمين في نفس الكتاب، و بالتحديد في ص 208، 212: بأن الشيعة يحتجون بالنص في خصوص الخليفة بعد الرسول ... بل و الخضري يعترف بذلك أيضا حيث قال: «أما الانتخاب عند أهل التنصيص على البيت العلوي، فانه كان منظورا فيه إلى الوراثة الخ» ...

و هي نسبة غريبة حقا- بعد هذا الاعتراف الصريح منهم، و من غيرهم- فان عقيدة الشيعة- تبعا لأئمتهم هي ما ذكرنا، أي ليس منصب الخلافة دائرا مدار القربى النسبية منه (ص)، و أدلة الشيعة تنطق و تصرح بأن القربى النسبية وحدها لا توجب بأي حال من الأحوال استحقاق الخلافة، و إنما لا بد من النص المعين لذلك الشخص الذي يمتلك الجدارة و الأهلية و الاستعداد الذاتي لها ...

إنهم يستدلون على خلافة علي عليه السلام بالنصوص القرآنية، و النبوية المتواترة عند جميع الفرق الاسلامية، و لا يستدلون بالقربى إلا من باب: ألزموهم ... أو من باب تكثير الأدلة، أو في مقابل استدلال أبي بكر و عمر بها، و إذا ما شذ واحد منهم، و استدل بذلك، معتقدا بخلاف ما قلناه عن قصور نظر، و قلة معرفة، أو لفهمه- خطأ- ما ورد عنهم عليهم السلام، من أن عندهم ميراث رسول اللّه (ص)؛ فلا يجب، بل لا يجوز أن يحسب على الشيعة، و من ثم القول بأن ذلك هو قولهم، و أن تلك هي عقيدتهم ...

و لعل أحمد أمين لم يراجع أدلة الشيعة!! أو أنه راجعها، و اشتبه عليه الأمر!! أو أنه ... لا هذا ... و لا ذاك ... و إنما أراد التشنيع عليهم؛ فنسب إليهم ما ليس من مذهبهم! و يدلنا على صحة هذا الاحتمال الأخير، اعترافه المشار إليه، بأن الشيعة يستدلون على إمامة علي عليه السلام بالنص، لا بالقربى!! ...

و خلاصة القول هنا: إن القربى النسبية ليست هي الملاك في استحقاق الخلافة. و لم تكن دعوى أنها كذلك، لا من الأئمة، و لا من شيعتهم. و إنما كانت من قبل أبي بكر، و عمر، ثم الامويين، فالعباسيين.

و إذا كان أهل السنة- تبعا لأئمتهم- قد جعلوا كون الإمامة في قريش من عقائدهم.

و إذا كان غير أهل البيت هم الذين ادعوا هذه الدعوى، و هللوا و كبروا لها ... فمن الحق لنا إذن أن نقول:

«رمتني بدائها و انسلت».

و أخيرا ... فلقد كان من أبسط نتائج هذه العقيدة لدى أهل السنة، و قبولهم أن القربى النسبية تجعل لمدعيها الحق في الخلافة ... أن سنحت الفرصة لأن يصل أشخاص إلى الحكم من أبرز مميزاتهم، و خصائصهم جهلهم بتعاليم الدين، و انسياقهم وراء شهواتهم، أينما كانت، و حيثما وجدت، جاعلين الحكم و السلطان وسيلة إليها، مسدلين على حماقاتهم هنا، و تفاهاتهم هناك ستارا من القربى النسبية منه (ص) ... و هو من هؤلاء و أمثالهم بري ء ...

و لما لم يعد ذلك الستار يقوى على المنع من استكناه واقعهم، و حقيقة نواياهم و تصرفاتهم، كان لا بد لهم من الالتجاء إلى أساليب اخرى، تبرر لهم واقعهم، و تحمي تصرفاتهم، و تؤمن لهم الاستمرار في الحكم. و لعل بيعة المأمون للامام الرضا عليه السلام بولاية العهد هي من تلك الأساليب، كما سيتضح إن شاء اللّه تعالى ...

و عنـد مـا ذهب داود بن علي إلى مكـة، واليا عليها، من قبل أخيه السـفاح، و أراد أن يخطب في مكـة خطبته الأولى، طلب منه سـديف بن ميمون أن يأذن له في الكلام؛ فأذن له؛ فوقف؛ و قال من جملة ما قال:

«... أ تزعم الضلال: أن غير آل الرسول أولى بتراثه؟! و لم؟! و بم؟! معاشر الناس؟! ألهم الفضل بالصحابة، دون ذوي القرابة؟

الشركاء في النسب، و الورثة للسلب ...» (1).

و يقول داود بن علي في نفس المناسبة، أعني في أول خطبة له:

«لم يقم فيكم إمام بعد رسول اللّه (ص)، إلا علي بن أبي طالب، و هذا القائم فيكم ...» و أشار إلى السفاح (2)...

1- تاريخ اليعقوبي ج 3 ص 89، و العقد الفريد، طبع دار الكتاب ج 4 ص 485

2- مروج الذهب ج 3 ص 237 و 256، و الطبري ج 10 ص 33 و 37، وعيون الأخبار لابن قتيبة ج 2 ص 252، و تاريخ اليعقوبي ج 3 ص 87، 88، و الكامل لابن الأثير ج 4 ص 326، و تاريخ ابن خلدون ج 3 ص 129 و 173، و امبراطورية العرب ص 422، و البداية و النهاية ج 10 ص 42، و شرح النهج للمعتزلي ج 7 ص 155، و فيه: «إنه لم يخطب على منبركم هـذا خليفة حق إلخ» ... و برواية اخرى فيه: «اقسم باللّه قسـما برا، ما قام هذا المقام أحد بعد رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله، أحق به من علي بن أبي طالب، و أمير المؤمنين هذا» ...

و قال المنصور في خطبة له: «و أكرمنا من خلافته، ميراثنا من نبيه ...» (1).

و لكنهم بعد المنصور- بل و حتى من زمن المنصور نفسه كما سيتضح- قد غيروا سلسلة الارث هذه، و جعلوها عن طريق العباس، و ولده عبد اللّه، و لكنهم أجازوا بيعة علي؛ لأن العباس نفسه كان قد أجازها ...

كما سيأتي بيانه .. فكانت استدلالات الخلفاء ابتداء من المنصور ناظرة إلى الارث عن هذا الطريق ...

فنرى المنصور يبين في رسالـة منه لمحمـد بن عبد اللّه بن الحسن: أن الخلافة قد ورثها العباس في جملة ما ورثه من النبي (ص)، و أنها في ولده (2) ...

و كان الرشيد يقول: «ورثنا رسول اللّه، و بقيت فينا خلافة اللّه (3)».

و قال الأمين عند ما بويع له، بعد موت أبيه الرشيد: «... و أفضت خلافة اللّه، و ميراث نبيه إلى أمير المؤمنين الرشيد (4) ...».

و مدح البعض المأمون، و عرض بأخيه الذي غدر به، فقال في جملة أبيات له:

إن تغدروا جهلا بوارث أحمد و وصي كل مسدد و موفق (5)9.

1- مروج الذهب ج 3 ص 301، و الطبري ج 10 ص 432.
2- الطبري ج 10 ص 215، و العقـد الفريد طبع دار الكتاب ج 5 ص 81، إلى 85، و صبح الأعشى ج 1 ص 333، فما بعد، و الكامل للمبرد، و طبيعة الدعوة العباسية ...
3- البداية و النهاية ج 10 ص 217.
4- تاريخ اليعقوبي ج 3 ص 163.
5- مروج الذهب ج 3 ص 399.

إلى غير ذلك مما لا مجال لنا لتتبعه ... و لنعد إلى ما كنا فيه أولا، فنقول:

دعوى الأخذ بثارات العلويين:

و أما ادعاؤهم: أنهم إنما خرجوا للأخذ بثارات العلويين، و استمرارهم على ربط الثورة بأهل البيت، حتى بعد نجاح ثورتهم، و تسلمهم لأزمة الحكم و السلطان- و هذه هي الناحية الثانية من المرحلة الرابعة- فذلك أوضح من أن يخفى ... و قد تقدم قول محمد بن علي لبكير بن ماهان:

«و سنأخذ بثارهم ...» يعني بثارات العلويين. و تقدم أيضا قول داود ابن علي: «و انما أخرجنا الانفة من ابتزازهم حقنا، و الغضب لبني عمنا ...» ...

و يقول السفاح، عند ما أتي برأس مروان: «ما أبالي متى طرقني الموت، فقد قتلت بالحسين، و بني أبيه من بني أمية مائتين، و أحرقت شلو هشام بابن عمي زيد بن علي، و قتلت مروان بأخي ابراهيم ...» (1).

و يقول صالح بن علي لبنات مروان: «أ لم يقتل هشام بن عبد الملك، زيد بن علي بن الحسين، و صلبه في كناسة الكوفة؟. و قتل امرأة زيد بالحيرة، على يد يوسف بن عمرو الثقفي؟! أ لم يقتل الوليد بن يزيد يحيى بن زيد، و صلبه بخراسان؟!

1- مروج الذهب ج 3 ص 257، و في شرح النهج للمعتزلي ج 7 ص 131، و حياة الامام موسى بن جعفر للقرشي ج 1 ص 337، نقلا عن مختصر أخبار الخلفاء، هكذا ... «... و قد قتلت بالحسين ألفا من بني أميّة ... إلى أن قال: و قتلنا سائر بني أميّة بحسين، و من قتل معه، و بعده من بني عمنا أبي طالب» ...

أ لم يقتل الدعي عبيد اللّه بن زياد، مسلم بن عقيل بن أبي طالب بالكوفة؟! أ لم يقتل يزيد بن معاوية الحسين (1)؟! ...

و برواية ابن أبي الحديد، أنه قال لهن: «... إذن، لا نستبقي منكم أحدا؛ لأنكم قد قتلتم ابراهيم الإمام، و زيد بن علي، و يحيى بن زيد، و مسلم بن عقيل.

و قتلتم خير أهل الأرض حسينا، و إخوته، و بنيه، و أهل بيته، و سقتم نساءه سبايا- كما يساق ذراري الروم- على الأقتاب إلى الشام ...» (2).

و لا بأس بمراجعة ما قاله داود بن علي عند ما قتل ثمانين أمويا مرة واحدة (3).

و كذلك فانهم ما لقبوا أبا سلمة الخلال، أول وزير في الدولة العباسية ب «وزير آل محمد»، و أبا مسلم الخراساني ب «أمين، أو أمير آل محمد (4)» ... إلا من أجل الحفاظ على ربط الدعوة بأهل البيت عليهم السلام، و لتبقى- من ثم- محتفظة بقوتها، و حيويتها ...

و أخيرا ... فلم يكن اتخاذهم السواد شعارا إلا تعبيرا عن الحزن و الاسى..

1- الكامل لابن الأثير ج 4 ص 332، و مروج الذهب ج 3 ص 247، و لا بأس بمراجعة خطبة السفاح في مروج الذهب أيضا ج 3 ص 257.
2- شرح النهج للمعتزلي ج 7 ص 129.
3- تاريخ اليعقوبي ج 3 ص 92.
4- الفخري في الآداب السلطانية ص 155، و مروج الذهب ج 3 ص 271، و البداية و النهاية ج 10 ص 54، و الطبري ج 10 ص 60، و تاريخ التمدن الاسلامي، المجلد الأول، جزء 1 ص 152، و غيرهم. فانه مما نص عليه أكثر المؤرخين ...

لما نال أهل البيت في عهد بني أمية (1) ...

و هكـذا ... يتضح، بما لا مجال معه للشك: أنهم كانوا يسـتغلون سـمعة العلويين، و دماءهم الزكية في محاولاتهم للوصول إلى الحكم، و تثبيت أقدامهم فيه ...

بـل إن من الملاحـظ أن كثيرا من الثورات التي قـامت بعـد ثورة بني العبـاس، كانت تحاول ذلك- بطريقـة أو بأخرى- أي أنها كانت تظهر للناس ارتباطها بأهل البيت عليهم السلام، و أنها تحظى بتأييدهم، و موافقتهم، و كثير منها كان يرفع شعار: «الرضا من آل محمد».

نهاية المطاف ...

و بعد كل ما تقدم ... يتضح لنا بجلاء، الاسلوب الذي انتهجه

1- هذا يصح بالنسبة للملابس السوداء ... و أما كون الرايات سوداء؛ فيحتمل أن يكون لأجل ذلك، حسبما صرح به ابن خلدون ص 259، و يحتمل أن يكون لما ورد من أن راية علي عليه السـلام يوم صفين كانت سوداء، على ما نص عليه فان فلوتن في هامش: ص 126 من كتابه السـيادة العربية. أو لأن رايات النبي (ص) في حروبه مع الكفار كانت سوداء؛ يقول الكميت مشيرا إلى ذلك: و إلا فارفعوا الرايات سوداعلى أهل الضلالة و التعدي و في صبح الأعشى ج 3 ص 370، نقلا عن القاضي الماوردي في كتابه: «الحاوي الكبير»: أن السبب في اختيارهم السواد هو أن النبي (ص) قد عقد في يوم حنين و يوم الفتح لعمه العباس راية سوداء ... و في صـبح الأعشى أيضا ج 3 ص 371 نقل عن أبي هلال العسـكري في كتابه «الأوائل» أن سـبب ذلك هو قتل مروان لإبراهيم الامام، حيث لبس شـيعته السواد حـدادا عليه؛ فلزمهم ذلك، و صار شـعارا لهم ... و نرجح أن حادثة قتل يحيى بن زيد، و لبس الخراسانيين السواد عليه سبعة أيام، هي التي شجعت العباسيين على اتخاذ السواد شـعارا لهم؛ إظهارا للحزن و الأسـى لما نال أهل البيت في الدولـة الامويـة. و يـذهب إلى هذا الرأي السـيد عباس المكي في نزهة الجليس ج 1 ص 316. بل صرح البلاذري في أنساب الأشراف ج 3 ص 264 بما يدل على ذلك فراجع.

العباسيون، و الخطة التي اتبعوها، من أجل كسب ثقة الناس بهم، و تأييدهم لهم، و صرف أنظار الحكام عنهم ...

و أيضا الطريقة التي اتبعوها في ابعاد العلويين عن مجال السياسة، و أن بيعتهم لهم ما كانت إلا خداعا و تمويها، من أجل تنفيذ خطتهم، و انجاح دعوتهم ...

كما و ظهر أن كون الدعوة- في بادئ الأمر- باسم العلويين، لم يكن أمرا عفويا، و تلقائيا ... و انما كان ضمن خطة دقيقة، و مدروسة، وضعت بعناية فائقة، كما توضحه لنا النصوص المتقدمة ...

و ظهر أيضا: كيف أن العباسيين قد حرصوا كل الحرص على ربط الثورة بأهل البيت عليهم السلام، و كانوا يعتمدون على هذا الربط كل الاعتماد، و يصرون، و يؤكدون عليه، كلما سنحت لهم الفرصة، و واتاهم الظرف، حتى عند ما وصلوا إلى الحكم، و فازوا بالسلطان ...

و قد انقاد الناس لهم في البداية، و استقامت لهم الأمور، ظنا منهم بحسن نيتهم، و سلامة طويتهم ...

و لكن ... ما ذا كانت النتيجة بعد ذلك، بالنسبة للناس عامة، و بشكل خاص بالنسبة للعلويين، الذين قامت الثورة باسمهم و نجحت بفضلهم؟! و ما ذا كان نصيبهم، و مصيرهم، من هذه الثورة و معها؟! هذا ... ما سوف نحاول الاجابة عليه فيما يأتي من الفصول.

مصدر الخطر على العباسيين

العلويون هم مصدر الخطر:

قد تقدم معنا: أن الدولة العباسية إنما قامت- في بداية أمرها- على الدعوة لخصوص العلويين، ثم لأهل البيت، ثم إلى الرضا من آل محمد ... و أن سرّ نجاحها ليس إلا ربطها بأهل البيت عليهم السلام ...

و إن كانت قد انحرفت فيما بعد، حيث تحكم العباسيون و تسلطوا على الأمة بدعوى القربى النسبية من الرسول الاكرم (ص).

و من هنا ... فان من الطبيعي، أن يكون الخطر الحقيقي الذي يتهدد العباسيين، و خلافتهم، هو من جهة ابناء عمهم العلويين، الذين كانوا أقوى منهم حجة، و أقرب إلى النبي (ص) منهم، باعتراف العباسيين أنفسهم (1) ...

ص: 64

1- سيأتي اعتراف عيسى بن موسى بذلك، و اعتراف الرشيد للكاظم عليه السلام و المأمون للرضا عليه السلام في الكتاب الذي سنورده في أواخر هذا الكتاب، و أيضا قوله للرضا عليه السلام: أنتم و اللّه أمس برسول اللّه رحما، و بيعة السفاح و المنصور و غيرهم لمحمد بن عبد اللّه العلوي و كلام المنصور في مجلس البيعة يدل على ذلك أيضا، إلى غير ذلك مما لا مجال لنا هنا لتتبعه و استقصائه ...

فادعاؤهم الخلافة إذن، له مبرراته الكاملة، و لا سيما و أن من بينهم من له الجدارة و الأهلية، و يتمتع بأفضل الصفات و المؤهلات لهذا المنصب من العلم، و العقل، و الحكمة، و بعد النظر في الدين و السياسة ... هذا بالاضافة إلى ما كان يكنه الناس لهم، من مختلف الفئات و الطبقات، من الاحترام و التقدير، الذي نالوه بفضل تلك المميزات و الصفات، و بفضل سلوكهم المثالي، و ترفعهم عن كل المشينات، و الموبقات ...

أضف إلى ذلك كله ... أن رجالات الاسلام، و أبطاله، كانوا هم آل أبي طالب «رضي اللّه تعالى عنه»؛ فأبو طالب مربي النبي (ص) و كفيله، و علي عليه السلام وصيه و ظهيره، و كذلك الحسن، و الحسين، و علي زين العابدين، و باقي الأئمة. و منهم زيد بن علي الخارج على بني أمية، و غيرهم، ممن يطول المقام بذكرهم، رضوان اللّه عليهم أجمعين.

و لقد كانت بطولات العلويين، و مواقفهم على كل شفة و لسان، و في كل قلب و فؤاد، حتى لقد ألفت الكتب الكثيرة في وصف تلك البطولات، و بيان هاتيك المواقف ...

و خلاصة الأمر: إنه لم يكن هناك مجال لانكار نفوذ العلويين الواسع في تلك الفترة، أو تجاهله؛ فان ذلك إما أن يكون عن قصر نظر، و قلة معرفة، أو مكابرة و عنادا ...

تخوف العباسيين من العلويين:

و قد كان الخلفاء من بني العباس يدركون جيدا مقدار هذا النفوذ، للعلويين، و يتخوفون منه، منذ أيامهم الأولى في السلطة. و مما يدل على ذلك:

أن السـفاح، من أول عهـده كان قـد وضع الجواسـيس على بني الحسن؛ حيث قال لبعض ثقاته، و قـد خرج وفد بني الحسن من عنده: «قم بـانزالهم و لاـ تـأل في الطافهم. و كلما خلوت معهم؛ فأظهر الميل إليهم، و التحامل علينا، و على ناحيتنا، و أنهم أحق بالأمر منا، و أحص لي ما يقولون، و ما يكون منهم في مسيرهم، و مقدمهم (1) ...».

و قد تنوعت هذه المراقبة، و تعددت أساليبها بعد عهد السفاح، يظهر ذلك لكل من راجع كتب التاريخ (2) ...

خوف المنصور من العلويين

و مما يدل على مدى تخوف العباسيين من العلويين وصية المنصور لولده المهدي، التي يحثه فيها على القبض على عيسى بن زيد العلوي، يقول المنصور:

«... يـا بني، إني قـد جمعت لـك من الأموال ما لم يجمعه خليفـة قبلي، و جمعت لك من الموالي ما لم يجمعه خليفـة قبلي، و بنيت لك مدينة لم يكن في الاسلام مثلها. و لست أخاف عليك إلا أحد رجلين:

عيسى بن موسى، و عيسى بن زيد. فأما عيسى بن موسى، فقد أعطاني من العهود و المواثيق ما قبلته، و و اللّه، لو لـم يكن إلا أن يقول قولا لما خفته عليك؛ فأخرجه من قلبك. و أما عيسى بن زيد؛ فانفق هذه الأموال، و اقتل هؤلاء الموالي، و اهدم هذه المدينة، حتى تظفر به،

1- الطبري، طبع ليدن ج 11 ص 752، و العقد الفريد، طبع دار الكتاب العربي ج 5 ص 74، و تاريخ التمدن الاسلامي، و غير ذلك ...
2- و قد اعترف المنصور نفسه بهذه المراقبة في بعض خطبه؛ فراجع: الطبري ج 10 ص 432، و مروج الذهب ج 3 ص 301.

ثم لا ألومك (1) ...».

و ليس تخوف المنصور إلى هذا الحد من عيسى بن زيد لعظمة خارقة في عيسى هذا، و انما كل ما في الأمر أن المجتمع الاسلامي كان قد قبل- في تلك الفترة من الزمن- أن الخلافة الشرعية إنما هي في ولد علي عليه السلام ... و إذا ما قام عيسى بن زيد بثورة، فانه سوف يلقى تأييدا واسعا؛ فهو من جهة ابن زيد الشهيد، الثائر على بني أمية ...

و من جهة أخرى. كان من المعاونين لمحمد بن عبد اللّه العلوي- قتيل المدينة- الذي كان السفاح و المنصور قد بايعاه، حسبما تقدم، و الذي ادعي على نطاق واسع- باستثناء الامام الصادق عليه السلام- أنه مهدي هذه الأمة ... كما أنه- أي عيسى بن زيد- كان من المعاونين لإبراهيم أخي محمد بن عبد اللّه الآنف الذكر، و الذي خرج بالبصرة، و قتل بباخمرى ...

و مما يدل على مدى خوف المنصور من العلويين أنه:

عند ما كان مشغولا بحرب محمد بن عبد اللّه، و أخيه ابراهيم، كان لا ينام الليل في تلك الايام. و أهديت له جاريتان؛ فلم ينظر إليهما؛ فكلم في ذلك؛ فنهر المتكلمة، و قال: «... ليست هذه الايام من أيام النساء، لا سبيل لي إليهما، حتى أعلم: أ رأس ابراهيم لي، أم رأسي لإبراهيم؟ (2)».ر.

1- الطبري طبع ليدن ج 10 ص 448. و تحسن الاشارة هنا إلى أن الأموال التي خلفها المنصور للمهدي تبلغ 600 مليون درهم، و 14 مليون دينار ... راجع امراء الشعر العربي في العصر العباسي ص 35.

2- تاريخ ابن خلدون ج 3 ص 195، و الطبري ج 10 ص 306، و تاريخ اليعقوبي ج 3 ص 114، و البداية و النهاية ج 10 ص 93، و الكامل لابن الأثير ج 5 ص 18. و أنساب الأشراف ج 3 ص 118، و لكنه يذكر أنهما امرأتان من قريش كانتا قد خطبتا للمنصور.

و هيئت له آنئذ عجة من مخ و سكر، فاستطابها، فقال: «أراد ابراهيم أن يحرمني هذا و أمثاله (1)».

و أرسـل إلى كل باب من أبواب عاصـمته- و هي الكوفـة آنئـذ- إبلا و دوابا، حتى إذا أتى إبراهيم و جيشه من ناحيـة، هرب هو إلى الري من الناحية الأخرى (2) ...

و في حربه- أي المنصور- مع محمد بن عبد اللّه اتسخت ثيابه جدا، حيث لم ينزعها عن بدنه أكثر من خمسين يوما (3) ...

و كان لا يستطيع أن يتابع كلامه من كثرة همه (4) ... الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملي 68 خوف المنصور من العلويين ..... ص : 66

أخيرا ... فكم من مرة رأيناه يجلب الامام الصادق عليه السلام، و يتهدده و يتوعده، و يتهمه بأنه يدبر للخروج عليه و على سلطانه.

فكل ذلك يـدل دلالـة واضـحة على مـدى رعب المنصور، و خوفه من العلويين، و ما ذلك إلا لإدراكه مـدى ما يتمتعون به من التأييـد، في مختلف الطبقات، و عند جميع الفئات .....

ص: 68

1- مروج الذهب ج 3 ص 298 و هذا يعبر بوضوح عن نوعية تفكير خليفة المسلمين و نوعية طموحاته ...
2- الطبري ج 10 ص 317، طبع ليدن، و تاريخ اليعقوبي ج 3 ص 113، و مرآة الجنان ج 1 ص 299، و شرح ميمية أبي فراس ص 116، و فرج المهموم في تاريخ علماء النجوم ص 210، نقلا عن تجارب الامم لابن مسكويه ج 4 ...
3- الطبري ج 10 ص 306، و تاريخ ابن خلدون ج 3 ص 195، و الكامل لابن الأثير ج 5 ص 18، و المحاسن و المساوي ص 373، و البداية و النهاية ج 10 ص 93، و أنساب الأشراف للبلاذري ج 3 ص 118.
4- البداية و النهاية ج 10 ص 93. و قـال اليافعي في مرآة الجنان ج 1 ص 298، 299: «... و لم يأو إلى فراش خمسـين ليلة، و كان كل يوم يأتيه فتق من ناحية ... هذا، و مائة ألف سيف كامنة له بالكوفة؛ قالوا: و لو لا السعادة لسل عرشه بدون ذلك» ...

حتى إنه عند ما سئل عن المبايعين لمحمد بن عبد اللّه أجاب: «...

ولد علي، و ولد جعفر، و عقيل، و ولد عمر بن الخطاب، و ولد الزبير بن العوام، و سائر قريش، و أولاد الانصار (1)».

و سيمر معنا أن المنصور ادعى أن ولده هو المهدي، عند ما رأى أن الناس- ما عدا الامام الصادق عليه السلام- قد قبلوا بمهدوية محمد بن عبد اللّه العلوي ... و سيمر معنا أيضا طرف من معاملته للعلويين فيما يأتي إن شاء اللّه تعالى ...

خوف المهدي من العلويين:

و أما خوف المهدي من العلويين، فذلك لعله من أوضح الواضحات، فمثلا نرى أنه: عند ما أخرج الامام الكاظم عليه السلام من السجن، يطلب منه أن لا يخرج عليه، و لا على أحد من ولده (2).

كما أنه قد مكث مدة يطلب عيسى بن زيد، و الحسن بن ابراهيم، بعد هربه من السجن ... فقال المهدي يوما لجلسائه: «لو وجدت رجلا من الزيدية، له معرفة بآل حسن، و بعيسى بن زيد، و له فقه؛ فاجتلبه عن طريق الفقه؛ فيدخل بيني و بين آل حسن، و عيسى بن زيد»؛ فدله الربيع على يعقوب بن داود؛ فلم يزل أمره يرتفع عند الخليفة المهدي، حتى استوزره، و فوضه جميع أمور الخلافة، و خرج كتابه على الدواوين

1- مروج الذهب ج 3 ص 294، 295.

2- راجع: مروج الذهب، و ابن خلكان، ترجمة الامام الكاظم، و فصل الخطاب، و ينابيع المودة، و كشف الغمة، و مرآة الجنان، و صفة الصفوة. و صرح في ينابيع المودة ص 382، 383 باتفاق المؤرخين على ذلك.

بأنه: قد آخاه (1) ... كل ذلك من أجل أن يدله على الحسن بن ابراهيم، و عيسى بن زيد، مع أن يعقوب هذا كان قد سجنه المنصور، لخروجه عليه مع ابراهيم بن عبد اللّه بن الحسن، و المهدي هو الذي أطلقه ...

و لكنه لما لم يدله على عيسى بن زيد اتهمه بأنه: يمالىء الطالبيين فسجنه (2)، و بقي في السجن إلى زمن الرشيد؛ فأخرجه، و قد كف بصره و صار شعره كالانعام ...

خوف الرشيد من العلويين:

و أما الرشيد «الذي ثارت الفتن في زمنه بين أهل السنة و الرافضة (3)»،

ص: 70

1- الطبري، طبع ليدن ج 10 ص 464، 507، 508، و مروج الذهب ج 3 ص 312، و الفخري في الآداب السلطانية ص 184، 185، و ليراجع: الوزراء و الكتاب ص 155 و غير ذلك. و سيأتي في فصل: ظروف البيعة المزيد من الكلام حول نفوذ يعقوب هذا ... و نكتفي هنا بالقول: إنه قد بلغ من نفوذه، أن جاز لبشار أن يقول أبياته المشهورة: بني أميّة هبوا طال نومكم إن الخليفة يعقوب بن داود ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسواخليفة اللّه بين الزق و العود

2- مروج الذهب ج 3 ص 312، و ضحى الاسلام ج 3 ص 292، و الطبري، و غير ذلك ... و في مرآة الجنان ج 1 ص 419 و غيره: أنه حبسه في بئر، و بنى عليه قبة، و ليراجع الوزراء و الكتاب ص 155 أيضا. و قد دخل مروان بن أبي حفصة على المهدي بعد أن سجن يعقوب، و قال له: «إن يعقوب رجل رافضي» ... و مع ذلك ... فاننا نرى البعض يتهم يعقوب هذا بأنه هو الذي وشى للرشيد بالامام موسى ابن جعفر عليه السلام، فراجع عيون أخبار الرضا ج 1 ص 73، و غيره ...

3- النجوم الزاهرة ج 2 ص 77.

فقد كان معنيا بالمسألة عن آل علي، و كل من كان ذا نباهة و شأن منهم. كما سيأتي.

و قضيته مع يحيى بن عبد اللّه بن الحسن، الذي كان قد خرج في الديلم، و حالته السيئة، و همومه في أيام خروجه، أشهر من أن تحتاج إلى بيان ... و كيف لا تأخذه الهموم، و تذهب به الوساوس، و قد اتبع يحيى «خلق كثير، و جم غفير، و قويت شوكته، و ارتحل إليه الناس من الكور و الأمصار؛ فانزعج لذلك الرشيد، و قلق من أمره» ... و كان الساعي بالصلح بينه و بين يحيى هو الفضل بن يحيى، و بسبب تمكنه من إخماد ثورة يحيى عظمت منزلته عند الرشيد جدا، و فرح بذلك الصلح فرحا عظيما (1). و إن كان قد غدر بيحيى بعد ذلك، كما هو معروف و مشهور ...

كما انه عند ما ذهب إلى المدينة لم يعط الامام موسى بن جعفر عليه السلام، سوى مائتي دينار، رغم أنه كان يعطي من لا يقاسون به الآلاف منها، و كان اعتذاره عن ذلك لولده المأمون: أنه لو أعطاه اكثر من ذلك لم يأمن أن يخرج عليه من الغد مائة الف سيف من شيعته، و محبيه صلوات اللّه و سلامه عليه (2) ...!!

ص: 71

1- راجع في ذلك كله: البداية و النهاية ج 10 ص 167، و عمدة الطالب، طبع بيروت ص 124، و شرح ميمية أبي فراس ص 190.

2- عيون أخبار الرضا ج 1 ص 92، و البحار ج 48 ص 131، 132. و قد رأينا أن العباسيين ابتداء من المنصور، بل السفاح- مع الامام الصادق عليه السلام- كانوا دائما يتهددون الأئمة- الذين ما كانوا يجدون الفرصة لأي تحرك، و من أي نوع، كما سنوضحه- و يتهمونهم بأنهم كانوا يدبرون في الخفاء للخروج عليهم؛ ليجدوا الوسيلة من ثم- للتضييق عليهم، و المبرر لسجنهم، و مصادرة أموالهم و و ... و كان الأئمة ينفون ذلك، و يدحضون تلك التهم باستمرار ... لكنهم ما كانوا يقبلون منهم ذلك!!

ثم عاد و سجنه بعد ذلك بحجة أنه كان يجبى إليه الخراج، ثم يدس إليه السم، و يتخلص منه، و ذلك هو مصير اكثر الائمة على يد الخلفاء قبله و بعده ...

و أما في زمن المأمون!!

و أما في زمن المأمون: فقد كان الأمر أعظم، و أمر، و أدهى؛ حيث قد شملت الثورات و الفتن الكثير من الولايات و الأمصار، حتى لم يعد يعرف المأمون من أين يبدأ، و لا كيف يعالج. و أصبح يرى، و يؤلمه أن يرى مصيره، و مصير خلافته في مهب الريح، تتقاذفه الانواء، و يضرى به الإعصار.

عقدة الحقارة لدى العباسيين:

و كان ذلك بطبيعة الحال يزيد من رعب العباسيين، و يضاعف من مخاوفهم ...

لا سيما بملاحظة أنهم كانوا يعيشون عقدة الحقارة و المهانة ...

يقول أبو فراس مشيرا إلى ذلك:

ثم ادعاها بنو العباس ملكهم و مالهم قد فيها و لا قدم

لا يذكرون إذا ما معشر ذكرواو لا يحكم في أمر لهم حكم

و لا رآهم أبو بكر و صاحبه اهلا لما طلبوا منها و ما زعموا

فهل هم يدعوها غير واجبةأم هل أئمتهم في أخذها ظلموا و قد كتب ابو مسلم للمنصور، من جملة رسالة له: «... و أظهركم اللّه بعد الاخفاء، و الحقارة و الذل، ثم استنقذني بالتوبة الخ (1) ...».

ص: 72

1- البداية و النهاية ج 10 ص 64. و غيره.

و في رسالة أخرى: «... حتى عرفكم من كان جهلكم (1)».

بل لقد صرح المنصور بذلك لعمه عبد الصمد بن علي؛ حيث قال له: «نحن بين قوم رأونا بالأمس سوقة، و اليوم خلفاء؛ فليس تتمهد هيبتنا إلا باستعمال العقوبة، و نسيان العفو ...» كما سيأتي ...

في مواجهة الخطر:

و إذا كان العباسيون يدركون: أن الخطر الحقيقي الذي يتهددهم، إنما هو من قبل أبناء عمهم العلويين، فان عليهم إذن ... أن يتحركوا ...

أن يفعلوا شيئا ... أن يواجهوا الخطر المحدق بهم بكل وسيلة، و بأي أسلوب كان ... سيما و هم يشهدون عن كثب سرعة استجابة الناس للعلويين، و تأييدهم، و مساندتهم لكل دعوة من قبلهم ...

فكيف عالج العباسيون الموقف؟! ...

و ما هو مدى نجاحهم في ذلك؟ إن كان قدر لهم النجاح!!.

1- البداية و النهاية ج 10 ص 69، و الامامة و السياسة ج 2 ص 133، و غير ذلك.

سياسة العباسيين ضد العلويين:

مما سبق:

قد تقدم معنا بعض ما يدل على مدى نفوذ العلويين، و على المكانة التي كانوا يتمتعون بها على العموم ... و أنهم هم الذين كانوا يشكلون الخطر الحقيقي على العباسيين، و مركزهم في الحكم ...

و قد كان العباسيون يدركون بالفعل هذه الحقيقة، فكان عليهم أن يبعدوهم عن مجال السياسة بأي وسيلة كانت و أن يحدوا ما استطاعوا من نفوذهم، و يضعفوا ما أمكنهم من قوتهم ...

و قد اتبعوا من أجل ذلك أساليب شتى، و طرقا متنوعة:

فحاولوا في بادئ الأمر أن يقارعوهم الحجة بالحجة ...

تطوير نظرية الارث:

و كان من جملة أساليبهم في ذلك أنهم غيروا و بدلوا في السلسلة، التي كانوا يواجهون بها الناس في تقريرهم لشرعية خلافتهم من النبي (ص) ...

ص: 74

و ذلك لأنهم كانوا في بداية أمرهم يصلون حبل وصايتهم بأمير المؤمنين عليه السلام، ثم منه إلى ولده محمد بن الحنفية، ثم إلى ابنه أبي هاشم، ثم إلى علي بن عبد اللّه بن العباس، فإلى ولده محمد بن علي، فإبراهيم الامام، ثم منه إلى أخيه السفاح (1) و هكذا ... هذا ... مع إنكارهم لشرعية خلافة أبي بكر و عمر، و عثمان، و غيرهم من خلفاء الامويين، و غيرهم ...

و يتضح انكارهم و تبرؤهم هذا من كثير من النصوص التاريخية ... فمن ذلك قصة أبي عون مع المهدي، التي ستأتي في بعض هوامش هذا الفصل ...

و من ذلك أيضا قول أبي مسلم في خطبته في أهل المدينة في السنة التي حج فيها في عهد السفاح، قال: «... و ما زلتم بعد نبيه تختارون تيميّا مرة، و عدويا مرة، و أسديا مرة و سفيانيا مرة، و مروانيا مرة، حتى جاءكم من لا تعرفون اسمه، و لا بيته [يعني نفسه] يضربكم بسيفه؛ فأعطيتموها عنوة، و أنتم صاغرون، ألا و إن آل محمد أئمة الهدى، و منار سبيل التقى، القادة الذادة السادة الخ (2) ...». و تقدم قول داود ابن علي: «لم يقم فيكم امام بعد رسول اللّه الخ ...»

و روى أبو سليمان الناجي، قال: «جلس المهدي يوما يعطي قريشا صلات لهم، و هو ولي عهد، فبدأ ببني هاشم، ثم بسائر قريش.

فجاء السيد [أي الحميري]؛ فرفع إلى الربيع حاجب المنصور رقعة مختومة، و قال: ان فيها نصيحة للامير؛ فأوصلها إليه. فأوصلها؛ فإذا فيها:2.

1- تاريخ ابن خلدون ج 3 ص 173، و مروج الذهب ج 3 ص 238، و وفيات الأعيان ج 1 ص 454، 455، طبع سنة 1310، و امبراطورية العرب ص 406، و غير ذلك، و قد أشرنا إلى أن هذه هي عقيدة الكيسانية، فراجع ...
2- شرح النهج للمعتزلي ج 7 ص 161، 162.

قل لابن عباس سمي محمدلا تعطين بني عدي درهما

احرم بني تيم بن مرة انهم شر البرية آخرا، و مقدما

إن تعطهم لا يشكروا لك نعمةو يكافئوك بأن تذم و تشتما

و إن ائتمنتهم أو استعملتهم خانوك، و اتخذوا خراجك مغنما

و لئن منعتهم لقد بدءوكم بالمنع؛ إذ ملكوا و كانوا أظلما

منعوا تراث محمد أعمامه و ابنيه، و ابنته عديلة مريما

و تأمروا من غير ان يستخلفواو كفى بما فعلوا هنالك مأثما

لم يشكروا لمحمد انعامه أ فيشكرون لغيره إن أنعما

و اللّه من عليهم بمحمدو هداهم، و كسا الجنوب، و أطعما

ثم انبروا لوصيه و وليه بالمنكرات، فجرعوه العلقما قال: فرمى بها إلى عبد اللّه معاوية بن يسار، الكاتب للمهدي، ثم قال: اقطع العطاء؛ فقطعه. و انصرف الناس. و دخل السيد إليه؛ فلما رآه ضحك، و قال: قد قبلنا نصيحتك يا إسماعيل ... و لم يعطهم شيئا (1) ...».

و نرى السيد الحميري في مناسبة أخرى ينشد المنصور أبياتا يهجو بها سوارا القاضي، من جملتها:

إن سوار بن عبداللّه من شر القضاة

نعثلي، جملي،لكم غير مواتي (2) 56

1- الأغاني ج 7 ص 16، طبع دار الفكر، و الغدير ج 2 ص 254، 255، و الأدب في ظل التشيع ص 207، و مستدرك أخبار السيد الحميري للمرزباني ص 58، باختصار و ديوان السيد الحميري ص 377، 378، نقلا عن الأولين، و عن: أعيان الشيعة ج 12 ص 178، و تاريخ الاسلام ج 2 ص 147، و تاريخ آداب اللغة العربية ج 2 ص 67، 68.
2- طبقات الشعراء لابن المعتز ص 34، و الأغاني ج 7 ص 261، و الغدير ج 2 ص 256

و يقول القاسم بن يوسف:

هاشم فخر قصي كلهاأين تيم وعدي و الفخار

لهم أيد طوال في العلى و لمن ساماهم أيد قصار

لهم الوحي و فيهم بعده آمر الحق و في الحق منار

و هم أولى بأرحامهم في كتاب اللّه إن كان اعتبار

ما بعيد كقريب سببالا و لا يعدل بالطرف الحمار إلى أن قال:

خسر الآخذ ما ليس له عمد عين و الشريك المستشار

و لفيف ألفوا بينهم بيعة فيها اختلاط و انتشار

و رسول اللّه لم يدفن فماشغل القوم اغتمام و انتظار

كان منهم قبل آل المصطفى أن يلوا الأمر حذار و نفار (1) إلى آخر الابيات ...

و القاسم بن يوسف معاصر لكل من الرشيد و المأمون، و توفي سنة 213 ه.

و كل ما ذكرناه يدل على انكار العباسيين لشرعية خلافة أبي بكر و عمر ...

و مثل ذلك كثير لا مجال لنا هنا لاستقصائه، و حسبنا هنا أقوال المؤرخين، فانها القول الفصل، و الحكم العدل ...

هـذا ما كان في بداية الأمر ... أي أنهم كانوا يصـلون حبل وصايتهم بعليّ عليه السـلام، و ينكرون شـرعية خلافة الثلاثة، ثم عدلوا عن ذلك بعد فترة ... و ذلك لما يتضمنه من الاعتراف بأن الوصاية كانت في ولد عليّ عليه السلام.9.

1- الأوراق للصولي ص 180، و أخبار شعراء الشيعة للمرزباني ص 108- 109.

فأسس المهدي فرقة (1) تدعي: أن الامام بعد رسول اللّه (ص) هو العباس بن عبد المطلب، ثم ابنه عبد اللّه، ثم ابنه علي، ثم ابنه محمد ... و هكـذا إلى أن ينتهي الأـمر إليهم ... هـذا ... مع الاسـتمرار على البراءة من أبي بكر، و عمر، و عثمان. و لكنهم أجازوا بيعـة علي ابن أبي طالب؛ لأن العباس نفسه كان قد أجازها (2). و تسمى هذه الفرقة ب: «الراوندية و الشيعة العباسية».

و لكننا لا نجد لهذه الفرقة أثرا في عصـر المأمون، لأن سـياسة الخليفة قد اقتضت تجميد هذه المقالة، و لو لفترة من الزمان كما سنوضحه و على كل حال فيقول منصور النمري يمدح الرشيد و يشير الى ذلك:

لو لا عدي و تيم لم تكن وصلت إلى أمية تمريها و ترتضع

إن الخلافة كانت إرث والدكم من دون تيم، و عفو اللّه متسع (3) 6.

ص: 78

1- هـذا ... و لكن الذي يبدو هو أن صاحب الفكرة الحقيقي هو المنصور. كما يظهر من رسالته لمحمد بن عبد اللّه بن الحسن، و من كثير من كلماته، و خطبه ... و المهـدي كان هو المنفـذ لها، و المخرج من عالم القوة إلى عالم الفعل ... بل لقـد سار المنصور في إشاعـة هذه الفكرة، و تركيزها شوطا بعيدا، حتى لقد تقرب إليه بها الشـعراء؛ فهذا السيد الحميري يقول- على ما يرويه لنا المرزباني في أخباره ص 37 و يروي أيضا مكافأة المنصور المهمة له على ذلك- يقول السيد: يا رهط أحمد إن من أعطاكم ملك الورى و عطاؤه أقسام رد الخلافة و الوراثة فيكم و بنو أميّـة صاغرون رغام لمتمم لكم الـذي أعطاكم و لكم لديه زيادة و تمام أنتم بنو عم النبي عليكم من ذي الجلال تحية و سـلام و ورثتموه و كنتم أولى به إن الولاء تحوزه الأرحام إلى غير ذلك مما لا مجال لنا لتتبعه و استقصائه.
2- فرق الشيعة للنوبختي ص 48، 49، و تاريخ ابن خلدون ج 3 ص 173، و مروج الذهب للمسعودي ج 3 ص 236، إلا أن النوبختي ذكر أنهم لم يجيزوا حتى بيعة علي أيضا.
3- طبقات الشعراء لابن المعتز ص 244، و الشعر و الشعراء ص 546.

تشجيع الخلفاء لهذا الاتجاه:

و قد شجع الخلفاء هذه النحلة، أو فقل هذا الاتجاه. و استمروا يناصرونه إلى زمن هارون ...

و قد حصل مروان ابن أبي حفصة من الخليفة العباسي «المهدي» على أعظم جائزة تعطى لشاعر في تلك الفترة، على قوله مخاطبا آل علي:

هل تطمسون من السماء نجومهابأكفكم أو تسترون هلالها

أو تدفعون مقالة عن ربكم جبريل بلغها النبي فقالها

نزلت من الأنفال آخر آيةبتراثهم، فأردتم ابطالها يشير إلى آية: «أولو الأرحام ...».

فزحف المهدي من صدر مصلاه إعجابا، و أعطاه مائة ألف درهم، لكل بيت ألف درهم. و كانت هذه أول مائة ألف تعطى لشاعر في دولة بني العباس (1).

و أعطاه هارون بدوره على هذه الأبيات، بعد أن أصبح خليفة مائة ألف أيضا.

كما أن المهدي قد أعطى مروان هذا على قوله:

أنى يكون و ليس ذاك بكائن لبني البنات وراثة الأعمام أعطاه ثلاثين ألفا من صلب ماله، و كساه جبة، و مطرفا، و فرض على أهله و مواليه ثلاثين ألفا أيضا (2).

1- تاريخ بغداد ج 13 ص 144، 145، و مرآة الجنان ج 1 ص 321.
2- و لكن في العقد الفريد ج 1 ص 312، الطبعة الثالثة، و المحاسن و المساوي ص 219: أنه أخذ منه ثلاثين، و من أهل بيته سبعين. و لعل هذا هو الأقرب إلى الواقع؛ فقد ذكر في المحاسن و المساوي ص 220: أن مروان هذا قال في هذه المناسبة: بسبعين ألفا راشي من حبائه و ما نالها في الناس من شاعر قبلي بل هذا البيت يدل على أن السبعين كانت منه، لا من أهل بيته ... و في طبقات الشعراء ص 51 اكتفى بالقول: أنه أخذ بهذا البيت مالا عظيما ...

و ينسب هذا الشعر لبشار بن برد كذلك ...

و بعد ذلك يقف مروان بن أبي الجنوب (و يقال: بل مروان بن أبي حفصة، و قد أنشدها المتوكل، على ما في الغدير ج 4 ص 175)، و ينشد الخليفة قصيدته التي مطلعها:

لكم تراث محمدو بعدلكم تشفى الظلامة إلى أن يقول:

ما للذين تنحلواميراثكم إلا الندامة فيخلع عليه أربع خلع، و ينثر ثلاثة آلاف دينار، يأمره بالتقاطها، و يعطيه عشرة آلاف درهم، ... ثم يعقد له- مع ذلك كله- ولاية على البحرين و اليمامة (1) بل لقد تمادى هارون، و أراد أن يذهب إلى أبعد من ذلك، حيث أراد أن ينكر حتى شرعية خلافة الامام علي عليه السلام، فأحضر «أبا معاوية الضرير» و هو أحد محدثي المرجئة (2)، و قال له: «هممت أنه من يثبت خلافة علي فعلت به و فعلت ...». فنهاه أبو معاوية عن ذلك، و استدل له بما أعجبه، فارتدع، و انصرف عما كان عزم عليه (3) ...7.

1- راجع: الكامل لابن الأثير ج 7 ص 38، و الامام الصادق و المذاهب الأربعة، المجلد الثاني، جزء 3 ص 228.

2- المرجئة الاولى كانوا لا يتولون عثمان و لا عليا، و لا يتبرءون منهما.

3- راجع تفصيل ذلك في تاريخ بغداد ج 5 ص 244، و نكت الهميان في نكت العميان ص 247.

بل إن بعض النصوص التاريخية تفيد أن المهدي أيضا كان لا يريد أن يجيز بيعة علي عليه السلام (1).

الامام علي في ميزان الاعتبار:

و إذا ما عرفنا أن اظهار المأمون حبه لعلي بن أبي طالب، و ولده، ليس إلا لظروف سياسية معينة كما سيأتي توضيحه ... فاننا سوف نرى أنفسنا مقتنعين بأن تأرجح الامام علي عليه السلام في ميزان الاعتبار في تلك الفترة و التي بعدها عند العباسيين، لم يكن إلا أمرا ظاهريا أملته الظروف السياسية، و الاجتهادات المختلفة في أساليب مواجهة العلويين ...

و لهذا نرى ارتباكهم في ذلك ظاهرا للعيان من وقت لآخر، و من فترة لأخرى ... و هكذا ... نجد أن الإمام عليا لم يكن معتبرا عند المأمون،

1- فقد ذكر ابن الأثير في الكامل ج 5 ص 72، و الطبري في تاريخه حوادث سنة 169 ه.: أن المهدي عند ما رأى في وصية القاسم بن مجاشع التميمي المروزي عبارة: «... و يشهد أن محمدا عبده و رسوله، و أن علي بن أبي طالب وصي رسول اللّه، و وارث الامامة من بعده ... الخ» ... رماها من يده، و لم ينظر في باقيها ... كما أنه عند ما ذهب لعيادة أبي عون، الذي كان من كبار رجال الدعوة، و الذي أرسله أبو مسلم في ثلاثين ألفا في طلب مروان بن محمد، و كان هو الذي أنهى أمره في مصر على ما في الامامة و السياسة ج 2 ص 116، 119، 120.- عند ما ذهب المهدي لعيادته-، و طلب منه أبو عون أن يرضى عن ولده، الذي كان يرى رأي الشيعة في الخلافة، أجاب: أنه على غير الطريق، و على خلاف رأينا. فقال له أبو عون: هو و اللّه يا أمير المؤمنين، على الأمر الذي خرجنا عليه، و دعونا إليه؛ فان كان قد بدا لكم، فمرونا، حتى نطيعكم ... راجع الامام الصادق و المذاهب الأربعة، المجلد الأول، جزء 2 ص 569، و قاموس الرجال ج 5 ص 373، و الطبري، و غير ذلك ...

غير معتبر عند المنصور و الرشيد، بل هو غير معتبر عندهم جميعا.

و لسنا هنا في صدد تحقيق هذا الأمر، و لكن قد تكفي الاشارة في كثير من الأحيان.

استغلال لقب المهدي:

هذا ... و نلاحظ: أن المنصور أيضا قد حاول أن يقارع العلويين بالحجة، و لكن بنحو آخر، و أسلوب آخر ...

فانه عند ما رأى أن الناس قد قبلوا على نطاق واسع (ما عدا الإمام الصادق عليه السلام) بأن محمد بن عبد اللّه العلوي هو المهدي ... حاول أن يموه هو بدوره على النّاس، فلقب ولده، و الخليفة بعده ب «المهدي»، من أجل أن يصرف الناس عن محمد بن عبد اللّه هذا ...

فقد أرسل مولى له إلى مجلس محمد بن عبد اللّه، و قال له:

«اجلس عند المنبر، فاسمع ما يقول محمد»، قال: فسمعته يقول:

«إنكم لا تشكون أني أنا المهدي، و أنا هو» فأخبرت بذلك أبا جعفر، فقال: «كذب عدو اللّه، بل هو ابني (1)» ...

ثم ... و من أجل اقناع الناس بهذا الأمر، وجد المنصور من يضع له الاحاديث، و يكذب على النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و طبق واضعوها «مهدي الامة» على ولده الخليفة «المهدي» (2). و يقول القاضي النعمان الاسماعيلي في أرجوزته:

1- مقاتل الطالبيين ص 240، و المهدية في الاسلام ص 117.
2- تجد بعض هذه الأحاديث في: الصواعق المحرقة 98، 99، و تاريخ الخلفاء للسيوطي ص 259، 260، 272، و البداية و النهاية ج 6 ص 246، 247، و غير ذلك.

من انتظاره و قد تسمى بهذه الاسماء ناس لما

تغلبوا ليجعلوها حجةفعدلوا عن واضح المحجة

إذ مثلوا الجوهر بالاشباه منهم محمد بن عبد اللّه

ابن علي من بني العباس ذوي التعدي الزمرة الارجاس

إذ وافق الاسم تسمّى مهدي و هذه من الدواهي عندي (1) و قد أقر أحمد أمين المصري بكذب هذه الاحاديث، و وضعها (2)، كما أقر غيره بذلك ...

بل إن المنصور نفسه- الذي كان قد اعترف بمهدوية محمد بن عبد اللّه العلوي، و تبجح، و افتخر بها (3)- قد كذب نفسه في ذلك، و كذبها في مهدوية ولده أيضا ...

يقول مسلم بن قتيبة: «أرسل إلى أبو جعفر، فدخلت عليه، فقال: قد خرج محمد بن عبد اللّه، و تسمى بالمهدي، و و اللّه، ما هو به، و أخرى أقولها لك، لم أقلها لأحد قبلك، و لا أقولها لأحد بعدك ... و ابني و اللّه، ما هو بالمهدي، الذي جاءت به الرواية. و لكني تيمنت به، و تفاءلت به (4) ...». و الخليفة المهدي نفسه يقر بأن أباه فقط يروي أنه المهدي الذي بعده في الناس (5).

و أما اتخاذهم الزندقة ذريعة للقضاء على خصومهم، سواء من العلويين، أو من غيرهم ... فسيأتي توضيحه إن شاء اللّه تعالى ...7.

1- الارجوزة المختارة ص 31.

2- ضحى الاسلام ج 3 ص 240.

3- مقاتل الطالبيين ص 239، 240، و المهدية في الاسلام ص 116، و جعفر بن محمد لعبد العزيز سيد الأهل ص 116.

4- مقاتل الطالبيين ص 247، و المهدية في الاسلام ص 117.

5- الوزراء و الكتاب ص 127.

و كل ذلك لم يكفهم:

و لكن العباسيين قد وجدوا أن ذلك كله لم يكن ينطلي على أحد.

و أن الامور- مع ذلك- تسير في غير صالحهم؛ و لهذا فان من الافضل و الأجدى لهم أن لا يفسحوا المجال للعلويين للمنطق و الحجاج؛ فان ذلك من شأنه أن يظهر كل ما كان يتمتع به العلويون من خصائص و مميزات عليهم. هذا إن لم ينته الأمر بفضيحة ساحقة للعباسيين، و كشف حقيقتهم و واقعهم أمام الملأ، الأمر الذي كان يزعجهم، و يقض مضاجعهم إلى حد كبير ...

و إذن ... فإن من الحكمة أن يتبعوا أساليب أخرى من أجل القضاء على العلويين ...

و لم تكفهم مراقبتهم لهم، حتى لم يكونوا يغفلون عنهم طرفة عين أبدا، من أجل التعرف على أحوالهم، و إحصاء كل حركاتهم، ابتداء من السفاح، ثم اتبعه الخلفاء على ذلك من بعده ...

كما لم يكفهم ... التهديد و الوعيد الذي كانوا يواجهونهم به؛ بهدف إضعاف شخصياتهم، و تحطيم معنوياتهم ...

كما لم يكفهم مصادرة أموالهم، و هدم بيوتهم، و منعهم من السعي من أجل الحصول على لقمة العيش، حتى لقد بلغ البؤس بهم أن:

العلويات كن يتداولن الثوب الواحد من أجل الصلاة (1).

و كذلك لم يكفهم ... عزلهم عن الناس، و منع كل أحد من الوصول إليهم، تمهيدا لتشويه سمعتهم بما أمكنهم من أساليب الكذب و الافتراء،

1- كان ذلك في زمن المتوكل، راجع: بند تاريخ ج 1 ص 72، و مقاتل الطالبيين ص 599.

و إن كانت سيرتهم الحميدة، و خصوصا أهل البيت منهم، كانت تدفع كل شائعة، و سلوكهم المثالي يدحض كل افتراء ...

و أما الاضـطهاد و التشـريد، و زج العشرات و المئات منهم في السجون الرهيبة، التي كان من يدخل إليها لا يأمل بالخروج منها؛ حيث إن دخول السجن إنما كان يعني في الحقيقة دخول القبر ... و أما دسهم السم لكل شخصية لا يستطيعون الاعتداء عليها جهارا- أما ذلك- فلم يكن ليكفيهم أيضـا، و لا ـ ليقنعهم قطعـا ... حيث انهم إنما كانوا متعطشـين إلى الولوغ في دمائهم، و مشـتاقين إلى التفنن في تعـذيبهم، و اختراع أساليب جديدة في ذلك؛ فسـمروا بالحيطان من سـمروا، و أماتوا جوعا من أماتوا، و وضعوا في الاسطوانات منهم من وضعوا ... إلى غير ذلك مما يظهر لكل من له أدنى اطلاع على تاريخهم، و تاريخ سلوكهم مع أبناء عمهم العلويين ...

و أما قتلهم لهم جماعات، فأشـهر من أن يحتاج إلى بيان ... و قضـية المنصور مع بني حسن لا يكاد يخلو منها كتاب تاريخي ... و كذلك قضية الستين علويا، الذين قتلوا بأمر من الخليفة «المنصور» باستثناء غلام منهم، لا نبات بعارضيه (1).ر.

ص: 85

1- هذا ما نقله في شـرح شافية أبي فراس ص 174 عن الدر النظيم، عن أحمد بن حنبل، الذي رأى رجلا متعلقا بأسـتار الكعبة، يضرع إلى اللّه بالمغفرة، و أقر له بأنه بنى على هؤلاء ما عـدا الغلام المذكور بأمر من المنصور ... و في عيون أخبار الرضا ج 1 ص 108، فما بعدها، و شرح ميمية أبي فراس ص 176، 177، و البحار ج 48 ص 176 فما بعدها ... قصة شبيهة بهذه ينقلها عن حميد بن قحطبة الذي كان يفطر في شـهر رمضان، ليأسه من مغفرة اللّه، لأنه قتل ستين علويا في ليلـة واحـدة بأمر من الرشـيد ... و لكن الظاهر أن ذكر الرشـيد اشـتباه من الراوي، و لعله عمدي؛ لأن حميدا قد مات سـنة 158، على ما صرح به في البحار ج 48 ص 322، و خلافة هارون الرشيد إنما بدأت سنة 170، و لعل القصـة الحقيقيـة هي ما عن أحمد بن حنبل، و انما حرفها المحرفون لحاجة في نفس يعقوب، لا تخفى على المتتبع الخبير، و الناقد البصير.

موقف كل خليفة منهم على حدة:

اشارة

و إننا من أجل أن نلم بموقف كل خليفة منهم على حدة من أبناء عمهم العلويين، نقول:

أما السفاح:

فقد قال عنه أحمد أمين: «... و كانت حياته حياة سفك للدماء، و قضاء على المعارضين (1)...».

و قال عنه الجنرال جلوب: «... و كان السفاح و المنصور قد نشئا نشأة المتآمرين، و لذا وطدا ملكهما- بعد نجاح الثورة- بكثير من سفك الدماء، و لا سيما من دماء أولاد أعمامهم، من بني أمية، و بني علي بن أبي طالب (2)...».

و يقول الخوارزمي عن السفاح: «... و سلط عليهم (يعني على العلويين) أبا مجرم، لا أبا مسلم، يقتلهم تحت كل حجر و مدر، و يطلبهم في كل سهل، و جبل (3)...».

و من ذلك يعلم أن اظهاره اللين تجاههم أمام الناس ما كان إلا من أجل تثبيت دعائم حكمه، و تحكيم قواعد سلطانه، لكنه لم يغفل لحظة واحدة عن مراقبتهم، و التجسس على أحوالهم، بل و قتلهم، إذا ما سنحت الفرصة له لذلك، كما قدمنا ...

1- ضحى الاسلام ج 1 ص 105.

2- امبراطورية العرب ص 499.

3- رسائل الخوارزمي ص 130، و ضحى الاسلام ج 3 ص 296، 297، و سيأتي شطر من هذه الرسالة ... راجع ما علقناه على هذه الفقرة في فصل: قيام الدولة العباسية.

و أما المنصور:

الذي لم يتورع عن قتل ابن أخيه السفاح (1)، و عمه عبد اللّه بن علي ...

و أبي مسلم، مؤسس دولته ... و الذي سافر سنة 148 ه. إلى الحج، و عزم على القبض على الامام الصادق (ع)، و إن كان لم يتم له ذلك (2) ...

و الذي سمى نفسه المنصور بعد انتصاره على العلويين (3).

أما المنصور هذا ... فهو أول من أوقع الفتنة بين العباسيين و العلويين (4).

و قد اعترف عند ما عزم على قتل الإمام الصادق عليه السلام، بعدد ضخم من ضحاياه من العلويين، حيث قال:

«... قتلت من ذرية فاطمة ألفا، أو يزيدون، و تركت سيدهم، و مولاهم، و إمامهم، جعفر بن محمد ...» (5).

و لقد كان هذا القول منه في حياة الإمام الصادق عليه السلام، أي في صدر خلافة المنصور ... فكيف بمن قتلهم بعد ذلك!! و قد ترك خزانة رءوس ميراثا لولده المهدي، كلها من العلويين، و قد علق بكل رأس ورقة كتب فيها ما يستدل به على صاحبه، و من بينها رءوس شيوخ، و شبان، و أطفال (6).

ص: 87

1- تاريخ التمدن الاسلامي المجلد الثاني جزء 4 ص 494، نقلا عن: نفح الطيب ج 2 ص 715.
2- النجوم الزاهرة ج 2 ص 6
3- التنبيه و الاشراف ص 295، و طبيعة الدعوة العباسية ص 119.
4- تاريخ الخلفاء للسيوطي ص 261، و مروج الذهب ج 4 ص 222. و شرح ميمية أبي فراس ص 117، و مشاكلة الناس لزمانهم لليعقوبي ص 22، 23.
5- شرح ميمية أبي فراس ص 159، و الأدب في ظل التشيع ص 68.
6- تاريخ الطبري ج 10 ص 446، و النزاع و التخاصم للمقريزي ص 52، و غير ذلك.

و هو الذي يقول لعمه عبد الصمد بن علي، عند ما لامه على أنه يعاجل بالعقوبة، حتى كأنه لم يسمع بالعفو- يقول له-: «إن بني مروان لم تبل رممهم، و آل أبي طالب لم تغمد سيوفهم- و نحن بين قوم رأونا بالأمس سوقة، و اليوم خلفاء، فليس تتمهد هيبتنا الا بنسيان العفو، و استعمال العقوبة (1)...».

و هو الذي يقول للامام الصادق عليه السلام: «لأقتلنك، و لا قتلن أهلك، حتى لا أبقي على الأرض منكم قامة سوط (2)...».

و عند ما قال المنصور للمسيب بن زهرة: إنه رأى أن الحجاج أنصح لبني مروان ... أجابه المسيب: «يا أمير المؤمنين، ما سبقنا الحجاج إلى أمر، فتخلفنا عنه، و اللّه، ما خلق اللّه على جديد الأرض خلقا أعز علينا من نبينا (ص)، و قد أمرتنا بقتل أولاده، فأطعناك، و فعلنا، فهل نصحناك؟!» (3).

و هو أول من سن هدم قبر الحسين عليه السلام في كربلاء (4)...

و هو الذي كان يضع العلويين في الاسطوانات، و يسمرهم في الحيطان- كما نص عليه اليعقوبي، و غيره- و يتركهم يموتون في المطبق جوعا، و تقتلهم الروائح الكريهة، حيث لم يكن لهم مكان يخرجون إليه لازالة الضرورة. و كان يموت أحدهم، فيترك معهم، حتى يبلى من غير دفن، ثم يهدم المطبق على من تبقى منهم حيا، و هم في أغلالهم- كما فعل ببني حسن، كما هو معروف و مشهور.3.

ص: 88

1- تاريخ الخلفاء للسيوطي ص 267، و امبراطورية العرب ص 491، و الامام الصادق و المذاهب الأربعة، المجلد الأول جزء 2 ص 534.

2- مناقب ابن شهرآشوب ج 3 ص 357، و البحار ج 47 ص 178.

3- مروج الذهب ج 3 ص 224.

4- تاريخ كربلاء، لعبد الجواد الكليدار آل طعمه ص 193.

و لقد قال أحد العلويين، و هو أبو القاسم الرسي بن ابراهيم بن طباطبا، اسماعيل الديباج، عند ما هرب من المنصور إلى السند:

لم يروه ما أراق البغي من دمنافي كل أرض فلم يقصر من الطلب

و ليس يشفي غليلا في حشاه سوى أن لا يرى فوقها ابن لبنت نبي (1) وعلى كل: فإن معاملة المنصور لأولاد علي، تعتبر من أسوأ صفحات التاريخ العباسي (2) ...

و ستأتي عبارة الخضري عنه عن قريب ...

و أما المهدي:

الذي حبس وزيره يعقوب بن داود، و بنى على المطبق الذي هو فيه قبة، و بقي فيه حتى عمي، و طال شعر بدنه، حتى صار كالأنعام- حبسه- لاتهامه إياه بأنه يمالى ء الطالبيين، كما قدمنا ...

المهدي الذي عرفنا فيما تقدم موقفه من أبي عون، و ولده، الذي كان يذهب مذهب الشـيعة في الخلافة ... و كذلك موقفه من وصية القاسم ابن مجاشع ...

أما المهدي هذا فقد اتخذ الزندقة ذريعة للقضاء على كل مناوئيه، و خصوصا العلويين، و المتشيعين لهم:

قال الدكتور أحمد شلبي: «إن الرمي بالزندقة اتخذ وسيلة للإيقاع بالأبرياء في كثير من الأحايين ...» (3).

1- النزاع و التخاصم للمقريزي ص 51.
2- مختصر تاريخ العرب، للسيد أمير علي ص 184.
3- التاريخ الاسلامي و الحضارة الاسلامية ج 3 ص 200.

و قال الدكتور أحمد أمين المصري: «الحق أن بعض الناس اتخذوا الزندقة ذريعة للانتقام من خصومهم. سواء في ذلك: الشعراء، و العلماء، و الأمراء، و الخلفاء» (1).

و قد ألف له- أي للمهدي- ابن المفضل كتابا في الفرق، اخترع فيه فرقا من عند نفسه، و نسبها لأولئك الذين يريد المهدي أن يتتبعهم، و يقضي عليهم. مع أنهم لم يكونوا أصحاب فرق أصلا ... كزرارة، و عمار الساباطي، و ابن أبي يعفور، و أمثالهم؛ فاخترع فرقة سماها «الزرارية»، نسبة لزرارة. و فرقة سماها «العمارية» نسبة لعمار، و فرقة سماها «اليعفورية»، و أخرى سماها «الجواليقية»، و أصحاب سليمان الأقطع ...

و هكذا ... إلا أنه لم يذكر «الهشامية» نسبة لهشام بن الحكم (2) ...4.

1- ضحى الاسلام ج 1 ص 157 ... هذا ... و قد اتهم شريك بن عبد اللّه القاضي بالزندقة، لأنه لم يكن يرى الصلاة خلف الخليفة المهدي؛ فراجع: البداية و النهاية ج 10 ص 153، و حياة الامام موسى بن جعفر ج 2 ص 137، و الامام الصادق و المذاهب الأربعة المجلد الثاني جزء 3 ص 232. و أيضا ... فقد أراد هارون أن يقتل عمه، الذي قال: كيف لقي آدم موسى؟ عند ما ذكرت رواية مفادها ذلك ... و ذلك بتهمة الزندقة. راجع: تاريخ بغداد ج 14 ص 7، 8 و البداية و النهاية ج 10 ص 215، و حياة الامام موسى بن جعفر ج 2 ص 138، و تاريخ الخلفاء للسيوطي ص 285، و البصائر و الذخائر ص 81 ... و هذا يعني أن لفظ الزنديق قد اطلق على كل من يناقش في أحاديث الصحابة، و على كل من يعارض نظام الحكم، و الحكام و أهواءهم، و اطلق أيضا على كل ماجن خليع كما يبدو لمن راجع رواية شريك القاضي في مظانها و غيرها ... و لا بأس بمراجعة عبارة هامة لأحمد أمين تتعلق بهذا الموضوع في كتاب الامام الصادق و المذاهب الأربعة، المجلد الثاني جزء 3 ص 232.

2- رجال المامقاني ج 3 ص 296، و قاموس الرجال ج 9 ص 324، و البحار ج 48 ص 195، 196، و رجال الكشي ص 27 طبع كربلاء ... و أشار إلى ذلك المسعودي أيضا؛ فراجع: ضحى الإسلام ج 1 ص 141. و اليعقوبي في كتابه مشاكلة الناس لزمانهم ص 24.

و قال عبـد الرحمن بـدوي: «إن الاتهام بالزندقـة في ذلك العصـر، كان يسـير جنبا إلى جنب مع الانتساب إلى مذهب الرافضة، كما لاحظ ذلك الاستاذ (فيدا) ...» (1).

يقول أبو حنيفة أو الطغرائي في جملة أبيات له:

و متى تولى آل أحمد مسلم قتلوه أو وصموه بالإلحاد (2) إلى غير ذلك مما لا يمكننا تتبعه و استقصاؤه في مثل هذه العجالة ...

و أما الهادي:

«فقد أخاف الطالبيين خوفا شديدا، و ألح في طلبهم، و قطع أرزاقهم و اعطياتهم. و كتب إلى الآفاق بطلبهم (3)...».

و لم تكن واقعة فخ المشهورة إلا بسبب الاضطهاد الذي لحق العلويين، و المعاملة القاسية لهم، حسبما نص عليه المؤرخون ... و التي بلغ عدد الرءوس فيها مائة و نيفا، و سبيت فيها النساء و الأطفال، و قتل السبي حتى الاطفال منهم على ما قيل ...

و أما الرشيد:

«الذي حصد شجرة النبوة، و اقتلع غرس الامامة»، على حد تعبير الخوارزمي ...

1- من تاريخ الإلحاد في الاسلام ص 37.
2- نسبه إلى الأول في ملحقات احقاق الحق ج 9 ص 688 نقلا عن مفتاح النجا في مناقب آل العبا للعلامة البدخشي ص 12 مخطوط و عن قلنـدر الهندي الحنفي في روض الأزهر ص 359 طبع حيـدرآباد و هو منسوب للطغرائي أيضا و هو مثبت في احـدى قصائده في ديوانه فلعله أخذه على سبيل الاستشهاد على عادة الشعراء في ذلك ...
3- تاريخ اليعقوبي ج 3 ص 136، 137.

و الذي «لم يكن يخاف اللّه، و أفعاله بأعيان آل علي (ع)، و هم أولاد بنت نبيه، لغير جرم، تدل على عدم خوفه من اللّه تعالى (1) ...».

و الذي كان على حد تعبير أحمد شلبي: «يكره الشيعة و يقتلهم (2) ...»

و الذي بلغ من كرهه لهم: أن الشعراء كانوا يتقربون إليه بهجاء آل علي عليه السلام، كما يظهر بأدنى مراجعة للتاريخ ...

أما الرشيد هذا ...

فقد أقسم على استئصالهم، و كل من يتشيع لهم، فقال: «... حتام أصبر على آل بني أبي طالب، و اللّه لأقتلنهم، و لأقتلن شيعتهم، و لأفعلن و أفعلن (3) ...».

و عند ما تولى الخلافة أمر بإخراج الطالبيين جميعا من بغداد، إلى المدينة (4)، كرها لهم و مقتا ...

«و كان شديد الوطأة على العلويين يتتبع خطواتهم، و يقتلهم (5) ...».

«... و أمر عامله على المدينة بأن يضمن العلويون بعضهم بعضا (6)».

و كان: «يقتل أولاد فاطمة و شيعتهم (7)» ...0.

1- الفخري في الآداب السلطانية ص 20.
2- التاريخ الاسلامي و الحضارة الاسلامية ج 3. ص 352.
3- الأغاني، طبع دار الكتب بالقاهرة ج 5 ص 225.
4- الكامل لابن الأثير ج 5 ص 85، و الطبري ج 10 ص 606، و غير ذلك.
5- العقد الفريد ج 1 ص 142.
6- الولاة و القضاة للكندي ص 198، و ليراجع: تاريخ كربلاء، لعبد الجواد الكليدار ص 196.
7- العقد الفريد، طبع دار الكتاب العربي ج 2 ص 180.

و كان «مغرى بالمسألة عن آل أبي طالب، و عمن له ذكر و نباهة منهم (1)».

و عنـد ما أرسل الجلودي لحرب محمـد بن جعفر بن محمد، أمره أن يغير على دور آل أبي طالب في المدينة، و يسلـب ما على نسائهم من ثياب، و حلي، و لا يدع على واحدة منهن إلا ثوبا واحدا (2) ...

و عند ما حضرته الوفاة كان يقول: «... وا سوأتاه من رسول اللّه (3)».

و هـدم قبر الحسـين، و حرث أرض كربلاء، و قطع السـدرة التي كان يسـتظل بها الزائرون لتلك البقعة المباركة، و ذلك على يد عامله على الكوفة، موسى بن عيسى بن موسى العباسي (4).

ثم توج موبقاته كلها، و فظائعه تلك، بقتل سيد العلويين، و قائدهم، الامام موسى بن جعفر، صلوات اللّه و سلامه عليه .....

1- مقاتل الطالبيين ص 493، و بعـد ذلك قال: «فسأل يوما الفضل بن يحيى- بعـد أن عاد من خراسان-: هل سـمعت ذكرا لأحد منهم؟ قال: لا و اللّه، و لقد جهدت فما ذكر لي أحد منهم، إلا أني سمعت رجلا إلخ» ...

2- أعيان الشيعة، طبعة ثالثة، ج 4 قسم 2 ص 108، و عيون أخبار الرضا ج 2 ص 161، و البحار ج 49 ص 166.

3- الكامـل لابن الأثير ج 5 ص 130، و يلاحـظ هنا: أن الانسان غالبا ما ينكشف على حقيقته حين موته. و قول الرشـيد هـذا يكشف لنا الرشيد على حقيقته، و يبين لنا مدى ما فعله الرشيد مع ذرية رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ...

4- تاريخ الشيعة ص 89، و أمالي الشـيخ، طبع النجف ص 330، و الكنى و الالقـاب ج 1 ص 27 و شـرح ميمية أبي فراس ص 209، و المناقب لابن شـهرآشوب ج 2 ص 19، و تاريـخ كربلاء، لعبد الجواد الكليدار ص 197، 198، نقلا عن: نزهـة أهل الحرمين ص 16، و البحار ج 10 ص 297، و تظلم الزهراء ص 218، و مجالي اللطف ص 39، و أعيان الشيعة ج 4 ص 304، و تسلية المجالس، لمحمد بن أبي طالب، و غير ذلك ...

و لقد خاطبه العقاد مشيرا إلى نبشه لقبر الحسين عليه السلام، فقال:

«... و كأنهم خافوا على قبرك أن ينبشه أشياع علي، رضي اللّه عنه، فدفنوك في قبر الامام العلوي، لتأمن فيه النبش و المهانة بعد الممات ...

فمن عجب أن يلوذ أبناء علي بملكك الطويل العريض، فيضيق بهم، و أن يبحث أتباعك عن ملاذ يحتمي به جثمان صاحب الملك الطويل العريض بعد مماته، فيجدوه في قبر واحد من أولئك الحائرين اللائذين بأكناف البلدان، من غير قرار، و لا اطمينان (1) ...».

يشير بذلك إلى قبر علي بن موسى الرضا عليهما السلام؛ حيث إن الرشيد مدفون إلى جانبه كأنه يريد أن يقول: إن دفن المأمون للرضا عليه السلام إلى جانب أبيه الرشيد كان لأجل الحفاظ على قبر أبيه من النبش.

و لكن من المعلوم: ان العلويين و شيعتهم ما كانوا ليقدموا على امر كهذا، مهما بلغ بهم الحقد و الغضب بسبب اضطهاد الحكام لهم ...؛ يقول محمد بن حبيب الضبي، رحمه اللّه مشيرا إلى ذلك:

قبران في طوس الهدى في واحدو الغي في لحد ثراه ضرام

قرب الغوي من الزكي مضاعف لعذابه، و لأنفه الارغام و يقول دعبل رحمه اللّه:

قبران في طوس خير الناس كلهم و قبر شرهم هذا من العبر

ما ينفع الرجس من قرب الزكي و ماعلى الزكي بقرب الرجس من ضرر و لقد بلغ من ظلم الرشيد للعلويين أن جعل الناس يعتقدون فيه بغض علي عليه السلام، حتى اضطر إلى أن يقف موقف الدفاع عن نفسه،اد

1- راجع: تاريخ كربلاء، لعبد الجواد الكليدار ص 199، نقلا عن: مجلة «الهلال»، عدد اكتوبر سنة 1947 م. ص 25، من مقال بعنوان: «حديث مع هارون الرشيد» للاستاذ العقاد

و يقسم على أنه يحبه، قال اسحاق الهاشمي: «كنا عند الرشيد، فقال:

بلغني أن العامـة يظنون فيّ بغض علي بن أبي طالب. و و اللّه، ما أحب أحـدا حبي له، و لكن هؤلاء (يعني العلويين) أشـد الناس إلـخ ...» (1).

ثم يلقي التبعة في ذلك عليهم، و يقول: إنهم إلى بني أمية أميل منهم إلى بني العباس الخ كلامه ...

بل لقد رأيناه يعلن أمام أعاظم العلماء عن توبته مما كان منه من أمر الطالبيين و نسلهم (2) ...

و ذلك أمر طبيعي بعد أن كان يتتبع خطواتهم و يقتلهم «و بعد أن كانت سـجون العباسـيين، و خصوصا المنصور و الرشيد، قد امتلأت من العلويين، و كل من يتشيع لهم» على حد تعبير أحمد أمين (3) ...

و أخيرا ... فقـد بلغ من ظلم الرشـيد للعلويين أن توهم البعض أن المأمون إنما بايع للرضا بولايـة العهد؛ من أجل أن يمحو ما كان من أمر الرشيد في آل علي عليه السلام، كما عن البيهقي، عن الصولي (4)

و أما المأمون:

فستأتي الاشارة إلى بعض ما فعله في آل علي في تضاعيف الفصول الآتية إن شاء اللّه تعالى ...

و الشعراء أيضا قد قالوا الحقيقة:

و هكذا ... يتضح لنا كيف أن العباسيين قد انقلبوا- بدافع من

1- تاريخ الخلفاء للسيوطي ص 293.

2- شرح ميمية أبي فراس ص 127.

3- راجع: ضحى الاسلام ج 3 ص 296، 297.

4- عيون أخبار الرضا ج 2 ص 147، و البحار ج 49 ص 132، و غير ذلك ...

خوفهم- على العلويين يوسعونهم قتلا، و عسفا و تشريدا، و أذاقوهم مختلف أنواع العذاب، التي لم تكن لتخطر على قلب بشر؛ بهدف استئصالهم من الوجود، و محو آثارهم؛ ليصفو لهم الجو، و لا يبقى من يستطيع أن ينازعهم سلطانهم، الذي يجب أن يكون لهم وحدهم ... أو بالأحرى حتى لا يبقى من من شأنه ذلك ... حتى لقد نسي الناس فعال بني أمية معهم، عند ما رأوا فعال بني العباس بهم ... و حتى لقد رأينا أحد شعراء ذلك الوقت يقول:

تاللّه ما فعلت أمية فيهم معشار ما فعلت بنو العباس (1) و قال آخر- و هو أبو عطاء، أفلح بن يسار السندي، المتوفى سنة 180 ه‍. و هو من مخضرمي الدولتين: الاموية و العباسية: قال في زمن السفاح.

يا ليت جور بني مروان دام لناو ليت عدل بني العباس في النار (2) و قال منصور بن الزبرقان النمري، المتوفى في خلافة الرشيد:

آل النبي و من يحبهم يتطامنون مخافة القتل

أمن النصارى و اليهود و هم من أمة التوحيد في أزل (3) و قد أنشد الرشيد هذين البيتين بعد موت منصور هذا، فقال الرشيد، بعد أن أرسل إليه من يقتله، فوجده قد مات: «لقد هممت أن انبشة.

ص: 96

1- شرح ميمية أبي فراس ص 119.
2- المحاسن و المساوي ص 246، و الشعر و الشعراء ص 484، و نظرية الإمامة ص 382، و المهدية في الاسلام ص 55، و طبيعة الدعوة العباسية ص 272.
3- الأزل: الضيق و الشدة.

عظامه فأحرقها (1)» ... بل في رسالة الخوارزمي، الآتي شطر منها:

أن قبره قد نبش بالفعل.

و يقول ابو حنيفة أو الطغرائي على اختلاف النسبة في جملة أبيات له:

و متى تولى آل أحمد مسلم قتلوه أو وصموه بالإلحاد و يقول إبراهيم بن عبد اللّه بن الحسن، يذكر العلويين، الذين قتلهم المنصور، و يقال: إن القائل هو غالب الهمداني.

أصبح آل الرسول أحمد في الناس كذي عرة به جرب و يقول دعبل بن علي الخزاعي في رثاء الرضا، و هو شعر معروف، و مشهور، و قد أنشده للمأمون نفسه:

و ليس حي من الأحياء نعلمه من ذي يمان، و لا بكر، و لا مضر

إلا و هم شركاء في دمائهم كما تشارك أيسار على جزر

قتلا، و أسرا، و تحريقا، و منهبةفعل الغزاة بأهل الروم و الخزر

أرى أمية معذورين إن فعلواو لا أرى لبني العباس من عذر أما أبو فراس الحمداني فيقول:!.

1- زهر الآداب ج 2 ص 705 و الشعر و الشعراء ص 547، و الامام الصادق و المذاهب الاربعة، المجلد الاول جزء 1 ص 254، و طبقات الشعراء ص 246، و فيه في ص 244: أن الرشيد بعد سماعه لمدائح النمري في اهل البيت، أمر أبا عصمة الشيعي بأن يخرج من ساعته إلى الرقة؛ ليسل لسان منصور من قفاه، و يقطع يده، و رجله، ثم يضرب عنقه. و يحمل إليه رأسه، بعد أن يصلب بدنه. فخرج أبو عصمة لذلك. فلما صار بباب الرقة استقبلته جنازة النمري؛ فرجع إلى الرشيد فأعلمه؛ فقال له الرشيد «و يلي عليك يا ابن الفاعلة؛ فألا إذا صادفته ميتا فأحرقته بالنار»!!.

ما نال منهم بنو حرب و إن عظمت تلك الجرائر إلا دون نيلكم (1) و يقول علي بن العباس، الشاعر المعروف بابن الرومي، مولى المعتصم من قصيدة له:

بني المصطفى كم يأكل الناس شلوكم لبلواكم عما قليل مفرج

أ كلّ أوان للنبي محمدقتيل زكي بالدماء مضرج إلى أن قال مخاطبا لنبي العباس:

أ في الحق أن يمسوا خماصا و أنتم يكاد أخوكم بطنة يتبعج

و تمشون مختالين في حجراتكم ثقال الخطى اكفالكم تترجرج

وليدهم بادي الطوى و وليدكم من الريف ريان العظام خدلج

و لم تقنعوا حتى استثارت قبورهم كلابكم فيها بهيم و ديزج و القصيدة طويلة جدا، من أرادها فليراجعها ...

نصوص اخرى:

يقول فان فلوتن: «... و لا غرو، فإن العلويين لم يلقوا من الاضطهاد مثل ما لقوا في عهد الأولين من خلفاء بني العباس ...» (2).

و يقول الخضري: «... فكان نصيب آل علي في خلافة بني هاشم، أشد و أقسى مما لاقوه في عهد خصومهم من بني أمية، فقتلوا، و شردوا كل مشرد، و خصوصا في زمن المنصور، و الرشيد، و المتوكل من بني العباس. و كان اتهام شخص في هذه الدولة بالميل إلى واحد من

1- سوف نورد قصيدة أبي فراس، و هي المعروفة ب «الشافية» و كذلك شطرا من قصيدة دعبل، في أواخر هذا الكتاب إن شاء اللّه تعالى.
2- السيادة العربية و الشيعة و الاسرائيليات ص 133.

بني علي كافيا لاتلاف نفسه، و مصادرة ماله. و قد حصل فعلا لبعض الوزراء، و غيرهم الخ ..» (1).

و لما دخل ابراهيم بن هرمة، المعاصر للمنصور المدينة، أتاه رجل من العلويين؛ فسلم عليه؛ فقال له إبراهيم: «تنح عني، لا تشط بدمي ..» (2).

بل يظهر من قضية أخرى لابن هرمة أن العباسيين كانوا يعاقبون حتى على حب أهل البيت عليهم السلام في زمن الامويين؛ فإنه- أعني ابن هرمة- عند ما سئل في عهد المنصور عن قوله في عهد الامويين:

و مهما ألام على حبهم فإني أحب بني فاطمة أجاب: «من عض ببظر أمه».

فقال له ابنه: أ لست قائلها؟!! قال: بلى ...

قال: فلم تشتم نفسك؟! قال: «أ ليس يعض الرجل ببظر أمه خير له من أن يأخذه ابن قحطبة؟ ...» (3).

بل إن الجلودي الذي أمره الرشيد بالاغارة على دور آل أبي طالب- كما قدمنا- قد قال للمأمون، عند ما جعل ولاية العهد للرضا:ة.

1- محاضرات تاريخ الامم الاسلامية ج 1 ص 161.
2- تاريخ بغداد ج 6 ص 129، و حياة الامام موسى بن جعفر ج 2 ص 184.
3- طبقات الشعراء لابن المعتز ص 20، 21، و الأغاني ج 4 ص 110، و قاموس الرجال ج 10 ص 269، نقلا عن تنبيه البكري. و ملحقات احقاق الحق ج 9 ص 690 نقلا عن الحضرمي في رشفة الصادي ص 56 طبع القاهرة.

«اعيذك باللّه يا أمير المؤمنين أن تخرج هذا الأمر الذي جعله اللّه لكم، و خصكم به، و تجعله في أيدي أعدائكم، و من كان آباؤك يقتلونهم، و يشردونهم في البلاد ...» (1).

و أمر الرشيد عامله على المدينة: بأن يضمن العلويون بعضهم بعضا ...» (2)

و كانوا يعرضون على السلطات؛ فمن غاب منهم عوقب!!.

و المأمون أيضا يعترف:

و جاء في كتاب المأمون، الذي أرسله إلى العباسيين، بعد ما ذكر حسن سياسة الإمام علي عليه السلام مع ولد العباس ما يلي:

«... حتى قضى اللّه بالأمر إلينا؛ فأخفناهم، و ضيقنا عليهم، و قتلناهم أكثر من قتل بني أميه إياهم. و يحكم، إن بني أمية قتلوا من سل سيفا، و انا معشر بني العباس قتلناهم جملا ... فلتسألن أعظم الهاشمية بأي ذنب قتلت، و لتسألن نفوس القيت في دجلة و الفرات، و نفوس دفنت ببغداد، و الكوفة أحياء الخ ...». و سنورد الرواية، و نذكر مصادرها في أواخر هذا الكتاب إن شاء اللّه ...

جانب من رسالة الخوارزمي لأهل نيشابور:

و حسب القارئ أن يرجع إلى مقاتل الطالبيين لابي الفرج الأصفهاني،

1- بحار الأنوار ج 49 ص 166، و عيون أخبار الرضا ج 2 ص 267.

2- لقد كان ذلك قبل الرشيد أيضا فراجع تاريخ ابن خلدون ج 3 ص 215، فانه قال: «... و ما زال آل أبي طالب يكفل بعضهم بعضا، و يعرضون؛ فغاب إلخ» ... ثم يسوق واقعة فخ المشهورة، و بعض أسبابها ... و لا بأس بمراجعة الكامل لابن الأثير ج 5 ص 75 و غيره ...

مع أنه لم يستوف كـل شـي ء، و إنما اكتفى بـذكر بعض منهم ... و كـذلك إلى ما ذكره ابن الساعي في مختصـر أخبار الخلفاء ص 26، و غيرها.

و غير ذلك من كتب التاريخ و الرواية، ليعلم مقدار الظلم و العسف الذي حاق بأبناء علي، و شيعتهم في تلك الحقبة من الزمن ...

و حسـبنا هنا بعـد كل الذي قدمناه، أن نذكر فقرات من رسالة أبي بكر الخوارزمي، التي أرسـلها إلى أهل نيشابور، يقول أبو بكر، بعد أن ذكر كثيرا من الطالبيين، الذين قتلهم الامويون، و العباسيون- و منهم الرضا الذي سم بيد المأمون-:

«فلمـا انتهكوا ذلـك الحريم، و اقترفوا ذلـك الاثم العظيم، غضب اللّه عليهم، و انتزع الملك منهم، فبعث عليهم «أبا مجرم»، لا أبا مسـلم، فنظر لانظر اللّه إليه إلى صـلابة العلويـة، و إلى لين العباسـية، فترك تقاه، و اتبع هواه، و باع آخرته بدنياه، بقتله عبد اللّه بن معاوية بن عبد اللّه بن جعفر بن أبي طالب. و سـلط طواغيت خراسان، و اكراد أصفهان، و خوارج سجستان على آل أبي طالـب، يقتلهم تحت كل حجر و مدر، و يطلبهم في كل سـهل و جبل، حتى سـلط عليه أحب الناس إليه، فقتله كما قتل الناس في طاعته، و أخـذه بما أخـذ الناس في بيعته، و لم ينفعه:

أن أسـخط اللّه برضاه، و أن ركب ما لا يهواه. و خلت من الـدوانيقي (1) الدنيا، فخبط فيها عسـفا، و تقضى فيها جورا و حيفا. و قد امتلأت سجونه بأهل بيت الرسالة، و معدن الطيب و الطهارة، قد تتبع غائبهم، و تلقط حاضـرهـم، حتى قتل عبد اللّه بن محمد بن عبد اللّه الحسـني بالسند، على يد عمر بن هشام الثعلبي، فما ظنك بمن قرب متناوله عليه، و لان مسه على يديه.ب.

1- في مجمع الفوائد: «و خلت إلى الدوانيقي» و لعله هو الصواب.

و هـذا قليل في جنب ما قتله هارون منهم، و فعله موسى قبله بهم، فقد عرفتم ما توجه على الحسن (1) بن علي بفخ من موسى، و ما اتفق على علي بن الافطس الحسيني من هارون، و ما جرى على احمد بن علي الزيدي، و على القاسم بن علي الحسيني من حبسه، و على غسان بن حاضر الخزاعي، حين أخذ من قبله، و الجملة أن هارون مات و قد حصد شجرة النبوة، و اقتلع غرس الإمامة.

و أنتم أصلحكم اللّه، أعظم نصيبا في الدين من الأعمش، فقد شتموه، و من شريك، فقد عزلوه، و من هشام بن الحكم، فقد أخافوه، و من علي بن يقطين، فقد اتهموه ...».

إلى أن يقول، بعد كلام له عن بني أمية:

«... و قل في بني العباس، فإنك ستجد بحمد اللّه مقالا، و جل في عجائبهم، فانك ترى ما شئت مجالا.

يجبى فيؤهم، فيفرق على الديلمي، و التركي، و يحمل إلى المغربي، و الفرغاني. و يموت إمام من أئمة الهدى، و سيد من سادات بيت المصطفى، فلا تتبع جنازته، و لا تجصص مقبرته، و يموت (ضراط) لهم، أو لاعب أو مسخرة، أو ضارب، فتحضر جنازته العدول و القضاة، و يعمر مسجد التعزية عنه القواد و الولاة ...

و يسلم فيهم من يعرفونه دهريا، أو سوفسطائيا، و لا يتعرضون لمن يدرس كتابا فلسفيا و مانويا، و يقتلون من عرفوه شيعيا، و يسفكون دم من سمى ابنه عليا ...

و لو لم يقتل من شيعة أهل البيت غير المعلى بن خنيس، قتيل داودد.

1- الظاهر أن الصحيح هو: «الحسين» كما في مجمع الفوائد.

ابن علي، و لو لم يحبس فيهم غير أبي تراب المروزي، لكان ذلك جرحا لا يبرأ، و ثائرة لا تطفأ، و صدعا لا يلتئم، و جرحا لا يلتحم.

و كفاهم أن شعراء قريش قالوا في الجاهلية أشعارا يهجون بها أمير المؤمنين عليه السلام، و يعارضون فيها أشعار المسلمين، فحملت أشعارهم، و دونت أخبارهم، و رواها الرواة، مثل: الواقدي، و وهب بن منبه التميمي، و مثل الكلبي، و الشرقي ابن القطامي، و الهيثم بن عدي، و دأب بن الكناني. و أن بعض شعراء الشيعة يتكلم في ذكر مناقب الوصي، بل ذكر معجزات النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلّم؛ فيقطع لسانه، و يمزق ديوانه، كما فعل بعبد اللّه بن عمار البرقي، و كما أريد بالكميت بن زيد الأسدي، و كما نبش قبر منصور بن الزبرقان النمري، و كما دمر على دعبل بن علي الخزاعي. مع رفقتهم من مروان بن أبي حفصة اليمامي، و من علي بن الجهم الشامي؛ ليس إلا لغلوهما في النصب، و استيجابهما مقت الرب؛ حتى إن هارون بن الخيزران، و جعفرا المتوكل على الشيطان، لا على الرحمن، كانا لا يعطيان مالا، و لا يبذلان نوالا، إلا لمن شتم آل أبي طالب، و نصر مذهب النواصب، مثل: عبد اللّه ابن مصعب الزبيري، و وهب بن وهب البختري، و من الشعراء مثل:

مروان بن أبي حفصة الاموي، و من الادباء مثل: عبد الملك بن قريب الأصمعي. فأما في أيام جعفر فمثل: بكار بن عبد اللّه الزبيري، و أبي السمط ابن أبي الجون الاموي، و ابن أبي الشوارب العبشمي ...»

و بعد كلام له عن بني أمية أيضا قال:

«و ما هذا بأعجب من صياح شعراء بني العباس على رءوسهم بالحق، و إن كرهوه، و بتفضيل من نقصوه و قتلوه، قال المنصور بن الزبرقان على بساط هارون:

ص: 103

آل النبي و من يحبهم يتطامنون مخافة القتل

أمن النصارى و اليهود و هم من أمة التوحيد في أزل و قال دعبل، و هو صنيعة بني العباس و شاعرهم:

أ لم تر أني مذ ثمانين حجةأروح، و أغدو دائم الحسرات

أرى فيئهم في غيرهم متقسماو أيديهم من فيئهم صفرات و قال علي بن العباس الرومي، و هو مولى المعتصم:

تأليت أن لا يبرح المرء منكم يشل على حر الجبين فيعفج

كذاك بني العباس تصبر منكم و يصبر للسيف الكمي المدجج (1)

لكل أوان للنبي محمدقتيل زكي بالدماء مضرج (2) و قال ابراهيم بن العباس الصولي- و هو كاتب القوم و عاملهم- في الرضا لما قربه المأمون:

يمن عليكم بأموالكم و تعطون من مائة واحدا و كيف لا يتنقصون قوما يقتلون بني عمهم جوعا و سغبا و يملئون ديار الترك و الديلم فضة و ذهبا، يستنصرون المغربي و الفرغاني، و يجفون المهاجري و الأنصاري، و يولون أنباط السواد وزراتهم، و تلف العجم و الطماطم قيادتهم، و يمنعون آل أبي طالب ميراث أمهم، و في ء جدهم.

يشتهي العلوي الاكلة، فيحرمها، و يقترح على الايام الشهوة فلا يطعمها، و خراج مصر و الاهواز، و صدقات الحرمين و الحجاز، تصرف إلى ابن أبي مريم المديني، و إلى إبراهيم الموصلي، و ابن جامع السهمي، و إلى زلزل الضارب، و برصوما الزامر، و أقطاع بختيشوع النصراني قوت أهل..

1- في مقاتل الطالبيين: «لذاك بني العباس يصبر مثلكم و يصبر للموت».
2- في مقاتل الطالبيين: «أكل أوان» ...

بلد، و جاري بغا التركي، و الافشين الأشروسني كفاية أمة ذات عدد ...

و المتوكل زعموا يتسرى باثني عشر الف سرية، و السيد من سادات أهل البيت يتعفف بزنجية، أو سندية. و صفوة مال الخراج مقصورة على أرزاق الصفاعنة، و على موائد المخاتنة، و على طعمة الكلابين، و رسوم القرادين، و على مخارق و علوية المغني، و زرزر، و عمر بن بانة المهلبي، و يبخلون على الفاطمي بأكلة أو شربة، و يصارفونه على دانق و حبة، و يشترون العوادة بالبدر، و يجرون لها ما يفي برزق عسكر.

و القوم الذين أحل لهم الخمس، و حرمت عليهم الصدقة، و فرضت لهم الكرامة و المحبة، يتكففون ضرا، و يهلكون فقرا، و يرهن أحدهم سيفه، و يبيع ثوبه، و ينظر إلى فيئه بعين مريضة، و يتشدد على دهره بنفس ضعيفة. ليس له ذنب إلا أن جده النبي، و أبوه الوصي، و أمه فاطمة، وجدته خديجة، و مذهبه الايمان، و إمامه القرآن ... و حقوقه مصروفة إلى القهرمانة و المضرطة و إلى المغمزة، إلى المزررة، و خمسه مقسوم على نقار الديكة الدمية، و القردة، و على رءوس اللعبة و اللعبة، و على مرية الرحلة ...

و ما ذا أقول في قوم حملوا الوحوش على النساء المسلمات، و أجروا لعبادة و ذويه الجرايات، و حرثوا تربة الحسين عليه السلام بالفدان، و نفوا زواره إلى البلدان. و ما أصف من قوم هم: نطف السكارى في أرحام القيان؟ و ما ذا يقال في أهل بيت منهم نبع البغا، و فيهم راح التخنيث و غدا، و بهم عرف اللواط؟!. كان ابراهيم بن المهدي مغنيا، و كان المتوكل مؤنثا موضعا، و كان المعتز مخنثا، و كان ابن زبيدة معتوها مفركا، و قتل المأمون أخاه، و قتل المنتصر أباه، و سم موسى بن المهدي أمه، و سم المعتضد عمه. و لقد كان في بني أمية مخازي تذكر، و معايب تؤثر ...».

ص: 105

و بعد أن عدد بعض مخازي بني أمية، و معايبهم قال:

«... و هـذه المثالب مع عظمها و كثرتها، و مع قبحها و شـنعتها، صـغيرة و قليلة في جنب مثالب بني العباس، الذين بنوا مدينة الجبارين، و فرقوا في الملاهي و المعاصي أموال المسلمين ... إلى آخر ما قال ...» (1).

هذا جانب من رسالة الخوارزمي، و قد كنت أود أن أثبتها بتمامها، لكنني رأيت أن المجال لا يتسع لذلك ... و على كل فإن:

ذلك كله غيض من فيض ... و لعل فيما ذكرناه كفاية .....

ص: 106

1- راجع: رسائل الخوارزمي طبع القسـطنطينية سنة 1297 من ص 130، إلى ص 140. و نقل شـطرا كبيرا منها: سـعد محمد حسن في كتابه: المهدية في الاسلام ابتداء من ص 58 و ذكر شـطرا منها أيضا الدكتور احمد امين في كتابه ضحى الاسلام ج 3 ص 297 فما بعدها؛ فراجع. و هي موجودة بتمامها في مجموعة خطية من تأليف سيدي الوالد أيده اللّه، سماها: «مجمع الفوائد، و مجمل العوائد» ابتداء من ص 45 ...

سياسة العباسيين مع الرعية

نظرة عامة:

لا نريـد في هـذا الفصل أن نعرض لأنواع القبائـح، التي كان العباسـيون يمارسونها؛ فإن ذلك مما لا يمكن الالمام به و اسـتقصاؤه في هذه العجالة.

و إنما نريـد فقط أن نعطي لمحـة سـريعة عن سـيرتهم السـيئة في الناس، و مدى اضـطهادهـم و ظلمهم لهم، و جورهم عليهم، الأمر الذي أسهم إسهاما كبيرا في كشف حقيقتهم، و بيان واقعهم أمام الملأ ... حتى لقد قال الشعراء في وصف الحالة العامة في زمن خلفائهم الشي ء الكثير؛ فمن ذلك قول سليم العدوي في الثورة على الوضع القائم:

حتى متى لا نرى عدلا نسرّ به و لا نرى لولاة الحق أعوانا

مستمسكين بحق قائمين به إذا تلون أهل الجور ألوانا

يا للرجال لداء لا دواء له و قائد ذي عمى يقتاد عميانا (1) و قال سديف:

ص: 107

1- المستطرف ج 1 ص 97، و طبيعة الدعوة العباسية ص 272، و ضحى الاسلام ج 2 ص 37.

إنا. لنأمل أن ترتد ألفتنابعد التباعد و الشحناء و الإحن

و تنقضي دولة أحكام قادتهافينا كأحكام قوم عابدي وثن فكتب المنصور إلى عبد الصمد بن علي بأن: يدفنه حيا؛ ففعل (1).

و قد ذكر أبو الفرج ابياتا كثيرة بالاضافة الى هذين البيتين، و نسبها يحيى بن عبد اللّه بن الحسن، بحضرة الرشيد، إلى عبد اللّه بن مصعب الزبيري، و من جملتها قوله:

فطالما قد بروا في الجور اعظمنابري الصناع قداح النبع بالسفن (2) و قال آخر، و هو أحمد بن أبي نعيم، الذي نفاه المأمون بسبب هذا البيت إلى السند:

ما أحسب الجور ينقضي و على الناس أمير من آل عباس (3) و قد تقدم قول أبي عطاء السندي، المتوفى سنة 180 ه:

يا ليت جور بني مروان دام لناو ليت عدل بني العباس في النار و قال الدكتور أحمد محمود صبحي: «... لكن ذلك المثل الاعلى للعدالة، و المساواة الذي انتظره الناس من العباسيين، قد أصبح و هما من الاوهام، فشراسة المنصور و الرشيد، و جشعهم، و جور أولاد علي بن..

ص: 108

1- راجع: العمدة لابن رشيق ج 1 ص 75، 76، و العقد الفريد، طبع دار الكتاب العربي ج 5 ص 87، و هامش طبقات الشعراء ص 41.
2- مقاتل الطالبيين ص 476، 477.
3- راجع: وفيات الأعيان، ترجمة يحيى بن أكثم، و مروج الذهب ج 3 ص 435، و ضحى الاسلام ج 2 ص 38، و نهاية الارب ج 8 ص 175، و طبيعة الدعوة العباسية ص 273، و طبقات الشعراء ص 378، لكنه نسبه لابن أبي خالد، لكن في العقد الفريد ج 6 ص 418، قد نسب يحيى بن أكثم هذا البيت إلى دعبل. و فيه: أنه هو الذي نفي إلى السند ...

عيسى، و عبثهم بأموال المسلمين، يذكرنا بالحجاج، و هشام، و يوسف ابن عمرو الثقفي، و عم الاستياء أفراد الشعب، بعد أن استفتح أبو عبد اللّه، المعروف ب «السفاح»، و كذلك المنصور بالاسراف في سفك الدماء، على نحو لم يعرف من قبل (1) ...».

و يقول صاحب امبراطورية العرب: «... إنه بالرغم من أن جيش خراسان هو الذي أوصل العباسيين إلى الملك، فان الفتن في خراسان ظلت قائمة في عهد العباسيين، كما كانت في عهد الامويين. و كان الشعار الذي رفعه الخراسانيون الآن: أنهم هم الذين أوصلوا «آل البيت» إلى الحكم، لإقامة عهد من الرحمة و العدل، لا لإقامة عهد آخر من الطغيان، المتعطش إلى سفك الدماء ... إلى أن يقول:

لكن الشيء الذي لا ريب فيه: هو أن الاحلام باقامة عهد السلام و العدل، التي كانت السبب في الثورة العامة ضد الامويين قد تبخرت الآن، و لو لم يكن العباسيون أسوأ حالا من الامويين، فانهم لم يكونوا- على أي حال- خيرا منهم (2) ...». و قريب منه كلام غيره (3) و ستأتي في فصل: آمال المأمون إلخ ... عبارة فان فلوتن الهامة، و القيمة عن الحكم العباسي، و سياساته مع الرعية ... فانتظر ...

و لعل قصيدة أبي العتاهية، التي مطلعها:

من مبلغ عني الامام نصائحا متوالية 1.

ص: 109

1- نظرية الامامة ص 381. لكن كنية السفاح هي: «أبو العباس»، لا أبو عبد اللّه. و عبد اللّه هو: اسمه، و اسم المنصور أيضا، الذي كان أكبر من السفاح.

2- امبراطورية العرب ص 452.

3- راجع: حياة الامام موسى بن جعفر ج 2 ص 162 عن كتاب: «النكبات» للريحاني، و ضحى الاسلام ج 1 ص 127 حتى 131.

تعبر تعبيرا صادقا عن الحالة العامة، التي كانت سائدة آنذاك، و هي معروفة و مشهورة، و مذكورة في ديوانه ص 304. و هي بحق من الوثائق الهامة، المعبرة عن واقع الحياة في تلك الفترة من الزمن ...

تفصيل مواقف الخلفاء مع الرعية:

اشارة

و بعد هذا ... و إذا ما أردنا أن نقف عند بعض جنايات و جرائم كل واحد منهم فإننا نقول:

أما السفاح:

الذي أظهر نفسه في صورة مهدي (1) ...

فهو الذي يقول عنه المؤرخون: إنه: «كان سريعا إلى سفك الدماء؛ فاتبعه عماله في ذلك، في المشرق و المغرب، و استنوا بسيرته، مثل: محمد بن الأشعث بالمغرب، و صالح بن علي بمصر، و خازم بن خزيمة، و حميد بن قحطبة، و غيرهم ...» (2).

حتى لقد خرج عليه شريك بن شيخ المهري، الذي كان- على ما يظهر- من دعاة العباسيين- خرج عليه- ببخارا، في أكثر من ثلاثين ألفا؛ فقال: «ما على هذا بايعنا آل محمد، تسفك الدماء،

1- البداية و النهاية ج 10 ص 69، و التنبيه و الاشراف ص 292.
2- مروج الذهب للمسعودي ج 3 ص 222، و تاريخ الخلفاء للسيوطي ص 259. و مشاكلة الناس لزمانهم لليعقوبي ص 22، و ليراجع امبراطورية العرب ص 435.

و يعمل بغير الحق (1) ...»، فوجه إليه السفاح أبا مسلم، فقتله، و من معه ...

و قضية عامل السفاح- و هو أخوه، و قيل: ابن اخيه، يحيى- مع أهل الموصل، حيث ذبح الآلاف الكثيرة منهم في المسجد ... هذه القضية معروفة و مشهورة.

و ينص المؤرخون، على أنه: لم يبق من أهل الموصل على كثرتهم إلا أربع مائة إنسان، صدموا الجند، فأفرجوا لهم ... كما أنه أمر جنده، فبقوا ثلاثة أيام يقتلون النساء، لأنه سمع أنهن يبكين رجالهن ... و ينص المؤرخون أيضا: على أن نفوس أهل الموصل قد ذلت بعد تلك المذبحة، و لم يسمع لهم بعدها صوت، و لا قامت لهم قائمة (2) ...

و عند ما سألت السفاح زوجته أم سلمة، بنت يعقوب بن سلمة:

«لأي شي ء استعرض ابن أخيك أهل الموصل بالسيف؟!. قال لها:

و حياتك ما أدري (3) ....»!!.

و قد تقدمت عبارة الدكتور أحمد محمود صبحي عن السفاح و المنصور معا عن قريب .....

1- الكامل لابن الأثير ج 4 ص 342، و الامامة و السياسة ج 2 ص 139، و تاريخ اليعقوبي ج 2 ص 354 طبع صادر، و البداية و النهاية ج 10 ص 56، و تاريخ التمدن الاسلامي ج 2 ص 402، و غيرهم ... و في كتاب طبيعة الدعوة العباسية ص 230 قال: إنه «لذلك نقل ولاءه للعلويين، و ثار ببخارا، و انضم إليه أنصار العلويين في خراسان، و كذلك ولاة العباسيين على بخارا، و برزم، و كانت حركته شعبية. و جابه أبو مسلم صعوبات كبيرة في القضاء عليها ...» انتهى.

2- راجع تفاصيل هذه القضية في: النزاع و التخاصم للمقريزي ص 48، 49، و الكامل لابن الأثير ج 5 ص 212، حوادث سنة 132، و تاريخ ابن خلدون ج 3 ص 177، و غاية المرام للموصلي ص 115، و تاريخ اليعقوبي، طبع صادر ج 2 ص 357، و شرح ميمية أبي فراس ص 216.

3- النزاع و التخاصم للمقريزي ص 49، و غير ذلك ...

و أما المنصور:

اشارة

الذي أظهر نفسه في صورة مهدي كما يظهر من قول أبي دلامة مخاطبا أبا مسلم الذي قتله المنصور:

أبا مجرم ما غير اللّه نعمةعلى عبده حتى يغيرها العبد

أ في دولة المهدي حاولت غدرةألا إن أهل الغدر آباؤك الكرد (1) و الذي قتل خلقا كثيرا حتى استقام له الأمر (2) ...

فأمره في الظلم و الجور و انتهاك الحرمات أشهر من أن يذكر، حتى لقد أنكر عليه ذلك: «... رجل من أعظم الدعاة قدرا، و أعظمهم غناء. و هو أبو الجهم بن عطية، مولى باهلة. و هو الذي أخرج أبا العباس السفاح من موضعه الذي أخفاه فيه أبو سلمة، حفص بن سليمان الخلال، و حرسه، و قام بأمره حتى بويع بالخلافة؛ فكان أبو العباس يعرف له ذلك. و كان أبو مسلم يثق به، و يكاتبه ...

فلما استخلف أبو جعفر المنصور، و جار في أحكامه؛ قال أبو الجهم:

ما على هذا بايعناهم، إنما بايعناهم على العدل؛ فأسـرّها أبو جعفر في نفسه، و دعاه ذات يوم؛ فتغدى عنده، ثم سـقاه شربة من سويق اللوز؛ فلما وقعت في جوفه هاج به وجع؛ فتوهم: أنه قد سم؛ فوثب، فقال له المنصور: إلى أين يا أبا الجهم؟! فقال: إلى حيث أرسلتني. و مات بعد يوم أو يومين فقال:

1- عيون الأخبار لابن قتيبة ج 1 ص 26 و الكنى و الألقاب ج 1 ص 158. و يحتمل أن يقصد بالمهدي هنا: السفاح.

2- فوات الوفيات ج 1 ص 232، و تاريخ الخلفاء للسيوطي ص 259، و تاريخ الخميس ج 2 ص 324.

احذر سويق اللوز لا تشربنه فان سويق اللوز أردى أبا الجهم (1).

و أنكر عليه ذلك أيضا- بالاضافة إلى عمه كما تقدم- جماعة من قواده، فقاموا عليه، و دعوا الناس إلى موالاة أهل البيت، فحاربهم عبد الرحمن الازدي سنة 140 ه. فقتل طائفة منهم، و حبس آخرين (2) ...

و قال الطبري في حوادث سنة 140 ه. أيضا: «... و فيها ولي أبو جعفر عبد الجبار بن عبد الرحمن خراسان، فقدمها، فأخذ بها ناسا من القواد، و ذكر أنه اتهمهم بالدعاء إلى ولد علي بن أبي طالب، منهم:

مجاشع بن حريث الانصاري، و أبو المغيرة، مولى لبني تميم، و اسمه خالد ابن كثير، و هو صاحب قوهستان، و الحريش بن محمد الذهلي، ابن عم داود، فقتلهم و حبس الجنيد بن خالد بن هريم التغلي، و معبد بن الخليل المزني، بعد ما ضربهما ضربا مبرحا، و حبس عدة من وجوه قواد أهل خراسان (3) ..».

و لعل من الامور الجديرة بالملاحظة هنا: أن المنصور كان يعاشر الراوندية القائلين بالوهيته، و لا ينهاهم و لا يردعهم عن مقالتهم تلك، و عند ما سأله أحد المسلمين عن ذلك قال له- على ما في تاريخ الطبري-:

«لأن يكونوا في معصية اللّه و طاعتنا، أحب إليّ من أن يكونوا في طاعة اللّه و معصيتنا.».

و لكنه عند ما ثاروا عليه في الهاشمية، وضع فيهم السيف و قتلهم، و لكن لا لاجل مقالتهم الشنيعة تلك، و إنما لأجل عدم طاعتهم له!! ...8.

1- النزاع و التخاصم للمقريزي ص 52، و ليراجع: الوزراء و الكتاب ص 136- 137 و فيه: أن أبا الجهم كان وزيرا للسفاح.
2- البداية و النهاية ج 10 ص 75.
3- الطبري، طبع ليدن ج 10 ص 128.

هذا ... و عند ما قال لعبد الرحمن الافريقي، رفيق صباه:

«كيف رأيت سلطاني من سلطان بني أمية؟».

أجابه عبد الرحمن: «ما رأيت في سلطانهم شيئا من الجور إلا رأيته في سلطانك ...» (1).

و عند ما قدم عليه عبد الرحمن هذا من إفريقيا، و دخل عليه، بعد أن بقي ببابه شهرا، لا يستطيع الوصول إليه، قال له عبد الرحمن:

«ظهر الجور ببلادنا، فجئت لا علمك؛ فإذا الجور يخرج من دارك. و رأيت أعمالا سيئة، و ظلما فاشيا، ظننته لبعد البلاد منك، فجعلت كلما دنوت منك كان الأمر أعظم».

فغضب المنصور، و أمر باخراجه (2) ...

و قال لابن أبي ذؤيب: «أي الرجال أنا؟».

فأجابه: «أنت و اللّه عندي شر الرجال، استأثرت بمال اللّه، و رسوله، و سهم ذوي القربى، و اليتامى. و المساكين، و أهلكت الضعيف، و أتعبت القوي، و أمسكت أموالهم ...» (3) ... و حج أبو جعفر فدعا ابن أبي ذئب، فقال: نشدتك اللّه، أ لست أعمل بالحق؟ أ ليس تراني أعدل؟ فقال ابن أبي ذئب: أما إذ نشدتني باللّه فأقول: اللهم لا، ما أراك تعدل، و إنك لجائر، و إنك لتستعمل الظلمة، و تترك أهل الخير (4).5.

1- تاريخ الخلفاء للسيوطي ص 268، و غيره.
2- تاريخ بغداد ج 10 ص 215، و الامام الصادق، و المذاهب الأربعة المجلد الأول جزء 2 ص 479.
3- الامامة و السياسة ج 2 ص 145.
4- صفة الصفوة ج 2 ص 175.

و عند ما كان يطوف بالبيت سمع أعرابيا يقول: «اللهم إني أشكو إليك ظهور الفساد، و ما يحول بين الحق و أهله، من الطمع.»؛

فطلبه المنصور، فأتي به، فاستمع المنصور منه إلى شرح واف عن الظلم، و الجور، و الفساد، الذي كان فاشيا آنذاك، و هي قصة طويلة لا مجال لذكرها، وعلى مريدها المراجعة إلى مظانها (1).

و لا بأس بمراجعة ما قاله له عمرو بن عبيد، في موعظته الطويلة له، و من جملتها: «... إن وراء بابك نيرانا تتأجج من الجور، و اللّه، ما يحكم وراء بابك بكتاب اللّه، و لا بسنة نبيه إلخ ...» (2).

و قد لقي أعرابيا بالشام؛ فقال له المنصور: «احمد اللّه يا أعرابي، الذي رفع عنكم الطاعون بولايتنا أهل البيت».

فأجابه الاعرابي: «إن اللّه أعدل من أن يجمعكم علينا و الطاعون».

فسكت، و لم يزل يطلب له العلل حتى قتله (3).».

1- المحاسن و المساوي من ص 339، إلى ص 341، و العقد الفريد للملك السعيد ص 116، 117، 118، و حياة الحيوان للدميري ج 2 ص 190، 191، طبع سنة 1319، و عيون الأخبار، لابن قتيبة ج 2 ص 333، إلى ص 336، و العقد الفريد ج 2 ص 104، 105، طبع سنة 1346، و ضحى الاسلام ج 2 ص 40، و الامام الصادق و المذاهب الأربعة ج 2 ص 480، نقلا عن: تاريخ ابن الساعي ص 19، و الفتوحات الاسلامية لدحلان ج 2 ص 445 حتى 448 مطبعة مصطفى محمد. و الموفقيات ص 392، 393.
2- مرآة الجنان لليافعي ج 1 ص 336، 337، و المحاسن و المساوي، طبع صادر ص 338، 339، و عيون الأخبار، لابن قتيبة باختصار ج 2 ص 337، و نور القبس ص 44.
3- روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار ص 86 و أساس الاقتباس، و البداية و النهاية ج 10 ص 123، تاريخ الخلفاء للسيوطى ص 265، و في كتاب ربيع الابرار ج 1 ص 688، طبيعة الدعوة العباسية ص 273، نقلا عن تاريخ دمشق لابن عساكر III ص 391: أن الذي قال للمنصور ذلك هو منصور بن جعونة الكلابي: و أن قوله له هو: «إن اللّه أعدل من أن يسلط علينا الطاعون و العباسيين معا ...».

و قد كتب له سديف، الذي كان من المتحمسين للدولة العباسية:

أسرفت في قتل الرعية ظالمافاكفف يديك اظلها «مهديها» (1) و يريد ب «مهديها» محمد بن عبد اللّه بن الحسن على ما يظهر ...

و قضـية الرجل الهمداني، الذي أراد عامل المنصور أن يسـلبه ضيعته؛ فأبى عليه ذلك؛ فكبله بالحديد، و سيره إلى المنصور، فأودعه السجن أربعة أعوام، لا يسأل عنه أحد، هذه القضية معروفة، و مشهورة (2) ...

و عند ما بنى مدينة: «المصصية» قد أخذ أموال الناس، حتى ما ترك عند أحد فضلا (3)، و عند ما أراد أن يبني مدينة أخرى ثار الناس عليه و وقع القتال؛ لأنهم علموا أنه سوف لا يبقي عندهم فضلا أيضا.

و أما ما فعله عبد الوهاب ابن أخي المنصور في أهل فلسطين؛ فذلك يفوق كل وصف و يتجاوز كل بيان (4).

بعض ما يقال عن المنصور:

و أخيرا ... فقد قال عنه البيهقي إنه: «كان يعلق الناس من أرجلهم، حتى يؤدّوا ما عليهم ...» (5).

1- العقد الفريد، طبع دار الكتاب العربي ج 5/ 88. و يقال: إن هذا هو سبب قتل سديف ...
2- شرح قصيدة ابن عبدون لابن بدرون ص 281، 282، و مروج الذهب ج 3 ص 288.
3- تاريخ اليعقوبي ج 3/ 121.
4- الوزراء و الكتاب ص 137.
5- المحاسن و المساوي ص 339.

هذا ... و قد وصف اليافعي و الذهبي المنصور بأنه كان: «فيه جبروت و ظلم» (1).

و وصفه السيد أمير علي بأنه: «كان غادرا خداعا، لا يتردد البتة في سفك الدماء ... إلى أن قال: و على الجملة: كان أبو جعفر سادرا في بطشه، مستهترا في فتكه، و تعتبر معاملته لأولاد علي من أسوأ صفحات التاريخ العباسي» (2).

و لا بأس بمراجعة ما قاله الريان، مولى المنصور لجعفر بن أبي جعفر، حيث ينص على أنه قتل أهل الدنيا، ممن لا يعد و لا يحصى، و ان فرعون لا يقاس به (3).

و أما المهدي.

الذي اتخذ الزندقة ذريعة للفتك بالأبرياء ... فقد كفانا الجهشياري مؤونة الحديث عنه؛ حيث قال: إنه في زمن المهدي هذا:

«كان أهل الخراج يعذبون بصنوف من العذاب، من السباع، و الزنابير و السنانير ...» (4) ... و قد خرج عليه يوسف البرم بخراسان، منكرا عليه أحواله، و سيرته، و ما يتعاطاه (5).

1- العبر للذهبي ج 1/ 230، و مرآة الجنان لليافعي ج 1/ 334.
2- مختصر تاريخ العرب و التمدن الاسلامي ص 184. و ليراجع تاريخ التمدن الاسلامي ج 4/ 399، و التاريخ الإسلامي و الحضارة الاسلامية ج 3/ 61.
3- الوزراء و الكتاب ص 130.
4- الوزراء و الكتاب ص 142.
5- البداية و النهاية ج 10/ 131.

و أما الهادي:

فقد كان: «يتناول المسكر، و يحب اللهو و الطرب، و كان ذا ظلم و جبروت» (1).

و كان «سيّئ الأخلاق، قاسي القلب، جبارا، يتناول المسكر، و يلعب.» (2).

و قد قال عنه الجاحظ: «كان الهادي شكس الأخلاق، صعب المرام، سيئ الظن. قل من توقاه، و عرف أخلاقه إلا أغناه، و ما كان شيء أبغض إليه من ابتدائه بسؤال. و كان يأمر للمغني بالمال الخطير الجزيل ...» (3).

و قال الجهشياري: «كان فظا قاسيا، غير مأمون على وفاء بوعد» (4).

نعم ... لقد كان يأمر للمغني بالمال الجزيل الخطير- من بيت مال المسلمين- كما يقول الجاحظ ... و قد بلغ من إسرافه في إجازة الخلعاء و المغنين، أن دفع إسحاق الموصلي لأن يقول: «لو عاش لنا الهادي لبنينا حيطان دورنا بالذهب و الفضة» (5).

و أخيرا ... فقد قال عنه الذهبي: «قد كان جبارا ظالم النفس» (6).

إلى آخر ما هنالك مما لا مجال لنا هنا لتتبعه ...

ص: 118

1- تاريخ الخميس ج 2/ 331.

2- تاريخ الخلفاء للسيوطي ص 279، و غيره.

3- التاج للجاحظ ص 81.

4- الوزراء و الكتاب ص 174.

5- الأغاني، طبع دار الكتب بالقاهرة ج 5/ 163.

6- العبر للذهبي ج 1/ 258. و لا بأس بمراجعة: مشاكلة الناس لزمانهم ص 24.

و أما الرشيد:

فسيرته تكفي عن كـل بيان ... و يكفيه أنه- كما ينص المؤرخون- يشـبه المنصور في كل شـي ء إلا في بـذل المال (1)؛ حيث يقولون إن المنصور كان بخيلا ...

و قد تسلط- كالمنصور- بعد مدة من خلافته على الامور؛ فأفسد الصنائع، و أحب جمع الأموال (2).

«و كان جبارا سفاكا للدماء، على نمط من ملوك الشرق المستبدين» (3).

و قد عسف عامله أهل خراسان، و قتل ملوكها، و وجوه أهلها و أشـرافها و صـناديدها، و أخذ أموالهم، فأرسلها إلى الرشيد، الأمر الذي كان سببا في انتقاضها عليه (4).

و كان يعـذب الناس في الخراج؛ حيث: «أخذ العمال، و التنّاء، و الدهاقين، و أصـحاب الصـنائع، و المبتاعين للغلات، و المقبلين. و كان عليهم أموال مجتمعـة؛ فولى مطـالبتهم عبـد اللّه بن الهيثم بن سـام، فطالبهم بصـنوف من العـذاب ... إلى أن دخل عليه ابن عياض؛ فرأى الناس يعذبون في الخراج؛ فقال: ارفعوا عنهم؛ إني سمعت عن رسول اللّه (ص) يقول: من عذب الناس في الدنيا عذبه اللّه يوم القيامة.؛ فأمر بأن يرفع العذاب عن الناس؛ فرفع ...» (5).

ص: 119

1- و لكن لا في سبيل اللّه، و إنما على ملذاته و شهواته، و على المغنين و المضرطين كما في رسالة الخوارزمي المتقدمة، و كما ينص عليه أي كتاب تاريخي يتحدث عن سيرته و أفعاله.

2- التنبيه و الإشراف ص 299.

3- هذا قول الأمير شـكيب أرسلان، في تعليقته على: حاضر العالـم الإسلامي، نقلها عنه: محمد بن عقيل هامش ص 20 من كتابه: العتب الجميل ... و هو من منشورات هيئة البحوث الاسلامية في اندونيسيا.

4- الوزراء و الكتاب ص 228.

5- تاريخ اليعقوبي ج 3/ 146.

و كان قد ولى رجلا يضرب الناس، و يحبسهم، ليؤدوا ما عليهم من الخراج (1).

و قال أبو يوسف، في عرض وصيته للرشيد بشأن عمال الخراج:

«بلغني أنه: قد يكون في حاشية العامل، أو الوالي جماعة، منهم من له حرمة، و منهم من له إليه وسيلة، ليسوا بأبرار و لا صالحين، يستعين بهم، و يوجههم في أعماله، يقتضي بذلك الذمامات. فليس يحفظون ما يوكلون بحفظه، و لا ينصفون من يعاملونه. إنما مذهبهم أخذ شيء، من الخراج كان، أو من أموال الرعية. ثم انهم يأخذون ذلك كله- فيما بلغني- بالعسف، و الظلم، و التعدي (2) ...

و قال: و بلغني أنهم يقيمون أهل الخراج في الشمس، و يضربونهم الضرب الشديد، و يعلقون عليهم الجرار، و يقيدونهم بما يمنعهم من الصلاة، و هذا عظيم عند اللّه، شنيع في الاسلام ...» (3).

و بعد ... فقد كان في قصره أربعة آلاف امرأة: من الجواري و الحظايا (4) و كان على حد تعبير بعضهم: «حريصا على اللذات المحرمة، و سفكا.

ص: 120

1- البداية و النهاية ج 10/ 184.
2- الخراج لأبي يوسف ص 116 ط سنة 1392 ه.
3- المصدر نفسه ص 118.
4- البداية و النهاية ج 10/ 220، نقلا عن الطبري ... و في نفس الجزء من البداية و النهاية ص 222 قال: «قال بعضهم: إنه كان في داره أربعة آلاف جارية سراري حسان» ... و جاء في ضحى الاسلام ج 1/ 9. أنه: «كان للرشيد زهاء ألفي جارية: من المغنيات، و الخدمة في الشراب في أحسن زي، من كل نوع من أنواع الثياب و الجوهر ...». و إذن فكيف بالسراري الذين هم أربعة آلاف، و بقية الجواري، اللواتي يحتاج إليهن في كثير من الشؤون ... فالرقم الحقيقي أكثر من أربعة آلاف بكثير، بل لعله يزيد عما كان عند المتوكل، الذي كان يتسرى باثني عشر ألف سرية، كما نص عليه الخوارزمي فيما تقدم، و جبور عبد النور في كتاب الجواري ص 36 من سلسلة اقرأ.

الدماء، و غصب حقوق الناس، و كان ظالما لأهل البيت (ع)، و كانت جوائزه خاصة لأهل اللهو، و اللعب، و المغنين، و الراقصات ...».

و ستأتي عبارة فان فلوتن عنه في فصل: آمال المأمون الخ ... فانتظر ...

و حسب الرشيد ... رسالة سفيان، التي أرسلها إليه من غير طي، و لا ختم. و التي تلقي لنا ضوءا على جانب من سيرته و سلوكه ... و لسوف نثبتها- نظرا لا هميتها- مع الوثائق الهامة في أواخر هذا الكتاب إن شاء اللّه تعالى ...

و أما الأمين.

«... الذي رفض النساء، و اشتغل بالخصيان، و وجه إلى البلدان في طلب الملهين، و استخف حتى بوزرائه، و أهل بيته ...» (1).

فقد كان: «قبيح السيرة، ضعيف الرأي، سفاكا للدماء، يركب هواه، و يهمل أمره، و يتكل في جليلات الامور على غيره الخ ...» (2).

و يضيف هنا القلقشندي قوله: منهمكا في اللذات و اللهو ...» (3).

و يكفيه أن كلا من العبري، و ابن الاثير الجزري يقول عنه: إنه:

«لم يجد للأمين شيئا من سيرته يستحسنه، فيذكره ...» (4).

و لقد كانت أيامه على الناس، أيام حروب، و ويلات، و سلب

1- مآثر الانافة ج 1/ 205، و تاريخ الخلفاء للسيوطي ص 201، و مختصر تاريخ الدول ص 134، و الكامل لابن الأثير، طبع دار الكتاب العربي ج 5/ 170، و الطبري، و غير ذلك.

2- التنبيه و الاشراف ص 302.

3- مآثر الانافة في معالم الخلافة للقلقشندي ج 1/ 204.

4- مختصر أخبار الدول ص 134، و الفخري في الآداب السلطانية ص 212.

و نهب، و ما إلى ذلك، مما لا تقره شريعة، و لا يرضى به خلق كريم ...

و أما المأمون:

فإنه لم يكن في كل ما ذكرناه أفضل من أسلافه، و لا كانت أيامه بدعا من تلك الأيام، كما سنوضح ذلك في أواخر فصل: آمال المأمون و آلامه، حيث سيتضح أن حال الرعية في أيامه كان قد تناهى في السوء، و بلغ الغاية في التدهور. الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملي 122 وصية ابراهيم الإمام: ..... ص : 122

وصية ابراهيم الإمام:

و بعد كل الذي قدمناه، لم يعد يخفى على أحد، كم سفك العباسيون من الدماء البريئة- عدا عما سفكوه من دماء بني عمهم العلويين- و نزيد هنا: أن إبراهيم الامام أرسل إلى أبي مسلم يأمره: «بقتل كل من شك فيه، أو وقع في نفسه شي ء منه، و إن استطاع أن لا يدع بخراسان من يتكلم بالعربية إلا قتله فليفعل، و أي غلام بلغ خمسة أشبار يتهمه فليقتله، و أن لا يخلي من مضر ديارا» (1).

و لعل سر أمره له بقتل كل عربي يرجع إلى أنه كان يعلم أن ذلك يرضي الخراسانيين، الذين كانوا مضطهدين على أيدي العرب ... كما أنه كان يعلم أن العرب لن يستجيبوا له استجابة واسعة ضد الامويين، لأن الدولة الاموية كانت ترضي غرور العربي، و تؤكد اعتزازه بجنسه و محتده ...

ص: 122

1- الطبري، طبع ليدن ج 9/ ص 1974، و ج 10/ 25، و الكامل لابن الأثير، ج 4/ 295، و البداية و النهاية ج 10/ 28، و ص 64، و الإمامة و السياسة ج 2 ص 114، و النزاع و التخاصم للمقريزي ص 45، و العقد الفريد، طبع دار الكتاب ج 4/ 479، و شرح النهج للمعتزلي ج 3/ 267، و ضحى الاسلام ج 1 ص 32.

يضاف إلى ذلك ما كان يعانيه العرب من الانقسامات الداخلية، التي كانت تمزق صفوفهم و توهن قوتهم ...

و أما المضرية فقد كانوا جماعة نصر بن سيار الموالي للامويين، و اليمانية كانوا جماعة ابن الكرماني المناهض لنصر (1) ...

أبو مسلم ينفذ الوصية:

و قد حرص أبو مسلم على تنفيذ وصية ابراهيم الامام كل الحرص ...

حتى لقد قتل- كما يقول الذهبي و اليافعي-: «خلقا لا يحصون محاربة و صبرا، و كان حجاج زمانه (2) ...».

و يقول المؤرخون: إن من قتلهم أبو مسلم صبرا قد بلغ «ست مائة الف نفس» من المسلمين، من المعروفين، سوى من لم يعرف، و من قتل في الحروب، و تحت سنابك الخيل (3) ...

و قد اعترف المنصور نفسه بذلك، عند ما عاتب أبا مسلم، ثم قتله، فكان من جملة ما عاتبه به قوله: «فأخبرني عن ست مائة الف من المسلمين، قتلتهم صبرا؟!» ... و لم ينكر أبو مسلم ذلك، و إنما أجابه بقوله:

1- راجع: تاريخ الجنس العربي ج 8/ 417.

2- العبر للذهبي ج 1/ 186، و مرآة الجنان ج 1/ 285.

3- البداية و النهاية ج 10/ 72، و وفيات الأعيان ج 1/ 281، طبع سنة 1310 ه. و مختصر تاريخ الدول ص 121، و الكامل لابن الأثير ج 4 ص 354، و شرح شافية أبي فراس ص 211، و غاية المرام في محاسن بغداد دار السلام للعمري الموصلي ص 116 و تاريخ ابن الوردي ج 1/ 261، و مآثر الانافة في معالم الخلافة ج 1/ 178، و النزاع و التخاصم للمقريزي ص 46.

«لتستقيم دولتكم» (1)!!.

و اعترف جعفر البرمكي بذلك أيضا (2).

و أبو مسلم نفسه نراه قد اعترف بمائة الف منها أيضا في مناسبة أخرى (3).

و أما من قتلهم في حروبه مع بني أمية و قوادهم، فقد أحصوا فوجدوا: ألف ألف و ستمائة ألف (4) ...

و كل ذلك غير بعيد ... إذا ما عرفنا أن ثورة أبي السرايا قد كلفت جيش المأمون فقط (200) الف جندي، كما سيأتي ... و كذلك إذا ما لاحظنا ما يذكره المؤرخون عن عدد القتلى في الوقائع المختلفة، التي خاضها أبو مسلم ...

و بعد هذا ... فاننا نرى أبا مسلم نفسه يقول في رسالة منه للمنصور:

«فوترت أهل الدنيا في طاعتكم، و توطئة سلطانكم ...» (5).

و في رسالة أخرى منه له أيضا يقول: «... إن أخاك أمرني أن أجرد السيف، و آخذ بالظنة، و أقتل على التهمة، و لا أقبل المعذرة، فهتكت بأمره حرمات حتم اللّه صونها، و سفكت دماء فرض اللّه حقنها، و زويت الأمر عن أهله، و وضعته في غير محله ...» (6).

يقصد ب «أهله»: أهل البيت (ع)، و قد أوضح ذلك في رسالته3.

ص: 124

1- طبيعة الدعوة العباسية ص 245، نقلا عن العيني في: دولة بني العباس و الطولونيين و الاخشيديين ص 30، فما بعدها ...

2- تاريخ التمدن الاسلامي ج 2/ 435، نقلا عن: زينة المجالس (فارسي).

3- تاريخ اليعقوبي ج 3/ 102، و تاريخ ابن خلدون ج 3/ 103.

4- شرح قصيدة ابن عبدون لابن بدرون ص 214، و ليراجع صبح الأعشى ج 1/ 445 أيضا.

5- البداية و النهاية ج 10/ 69.

6- تاريخ بغداد ج 10/ 208، و البداية و النهاية ج 10/ 14، و لا بأس بمراجعة ص 69، و النزاع و التخاصم ص 53، و الإمام الصادق و المذاهب الأربعة جلد 1 ج 2/ 533.

الاخرى للمنصور التي يقول فيها: أن أخاه قد استخف بالقرآن و حرفه.

و أنه أوطأه في غيرهم من أهل بيتهم العشوة، بالإفك و العدوان، و أنه ظهر له بصورة مهدي ...

أي أن أخا المنصور قـد حرف الآيات الواردة في أهل البيت (ع) لتنطبق على العباسـيين، و أنه بـذلك تمكن من إغراء أبي مسـلم بالعلويين؛ ففعل بهم ما فعل بالإفك و العـدوان ... و يصـرح بـذلك في رسالة أخرى للمنصور؛ فيقول: «و أوطات غيركم من كان فوقكم من آل رسول اللّه بالذل و الهوان، و الإثم و العدوان ...» يشير بذلك إلى العلويين (1).

و على كل فإننا سوف لا نسـتغرب إذا رأينا أنه قد بلغ من ظلم أبي مسـلم أنه عند ما حج: «هربت الأعراب عن المناهل، التي يمر بها ذهابا و إيابا؛ فلم يبق منهم أحد؛ لما كانوا يسمعونه من سفكه للدماء» (2).

و قال المقريزي: «و قتل (يعني أبو مسـلم) زياد بن صالح؛ من أجل أنه بلغه عنه أنه يقول: إنما بايعنا على اقامة العدل، و إحياء السـنن، و هذا جائر ظالم، يسير بسيرة الجبابرة، و إنه مخالف.

و كان لزياد بلاء في إقامة الدولة؛ فلم يرع له؛ فغضب عيسـى ابن ماهان، مولى خزاعة لقتل زياد، و دعا لحرب أبي مسـلم سـرا؛ فاحتال عليه بأن دس إلى بعض ثقاته إلخ ...» ثم ذكر كيفية احتيال أبي مسلم عليه و قتله إياه (3) ...ة.

1- طبيعة الدعوة العباسية ص 33، الفتوح لابن أعثم الكوفي، ج 8 ص 223 ... و لا بأس بمراجعة الرسائل المختلفة المعبرة عن ذلك فيما تقدم من المراجع، و في النزاع و التخاصم ص 52، 53، و الإمام الصادق و المذاهب الأربعة جلد 1 ج 2/ 533، 534، و البداية و النهاية ج 10/ 69، و الإمامة و السياسة ج 2/ 132، 133، و غير ذلك.
2- النزاع و التخاصم ص 46.
3- نفس المصدر و الصفحة.

و قد قال أبو مسلم ليونس بن عاصم عند ما قال له: هذا جزائي؟! «و من جازيناه بجزائه؛ وضعت سيفي فلم يبق بر و لا فاجر إلا قتلته» (1).

و قال أبو مسلم أيضا: «إني أطفيت من بني أمية جمرة، و ألهبت من بني العباس نيرانا، فإن أفرح بالاطفاء، فوا حزنا من الالهاب» (2).

و قال أبو مسلم أيضا: «إني نسجت ثوبا من الظلم لا يبلى ما دامت الدولة لبني العباس، فكم من صارخ الخ.» (3).

و لا مجال ثمة للشك:

كل ذلك يدل دلالة قاطعة على مدى الظلم الذي كان يمارسه العباسيون مع الناس بصورة عامة، و مع العلويين بشكل خاص ... و المتتبع للأحداث التاريخية يرى أن الامة كانت تعيش في رعب دائم و مستمر، خصوصا و أن كل أحد كان يرى و يعلم: كيف أن الآلاف من الناس، كانوا يذبحون لأتفه الأسباب و أحقرها ...

و أعود فأذكر القارئ ببعض ما أوردناه من رسالة الخوارزمي، التي تعتبر بحق من الوثائق الهامة، كما اعترف به غير واحد من الباحثين ...

و بعد فلا بد لنا من كلمة اخرى:

كانت تلك- كما قلنا- لمحة خاطفة عن حالة العباسيين مع الناس عامة، و مع العلويين خاصة ... و لعل من الظلم للحقيقة و للتاريخ هنا،

1- النزاع و التخاصم ص 47.
2- المحاسن و المساوي للبيهقي ص 298، طبع صادر و شرح ميمية أبي فراس ص 214.
3- المحاسن و المساوي طبع مصر ج 1/ 482، و الكنى و الألقاب ج 1/ 157/ 158 نقلا عن ربيع الأبرار للزمخشري.

أن نمضي و لا نعطي للقارئ لمحة عن حياتهم الخاصة، و سلوكهم الخلقي.

و لذا نرى لزاما علينا: أن نلم المامة سريعة ببعض ما يحدثنا به التاريخ في هذا الموضوع، فنقول:

العباسيون في حياتهم الخاصة:

أما حياتهم الخاصة، و ما كان يمر بها من رذائل و قبائح، يندى لها جبين الانسان الحر الما و خجلا، و يقطر قلبه لها دما و ألما، فتلك حدث عنها و لا حرج ... و قد تقدم في رسالة الخوارزمي بعض ما يشير إلى ذلك ...

و حيث أن الاستقصاء في هذا الموضوع مما تنوء به العصبة أولو القوة، فاننا لن نحاول التصدي لذلك، و لا سيما و أن هذا الكتاب غير معد لبحث هذا الموضوع فعلا.

و لعل الكلمة التي تجمع صفات بني العباس الخلقية هي الكلمة التي كتبها المأمون، و هو في مرو في رسالة منه للعباسيين، بني أبيه في بغداد، و التي قلنا إننا سوف نوردها في أواخر هذا الكتاب مع الوثائق الهامة، إن شاء اللّه تعالى ...

و المأمون: هو من أهل ذلك البيت، الذين هم أدرى من كل أحد بما فيه؛ لأنهم عاشوا في خضم الأحداث، و شاهدوا كل شيء، و كل القضايا عن كثب ... يقول المأمون في تلك الرسالة:

«... و ليس منكم إلا لاعب بنفسه، مأفون في عقله، و تدبيره، إما مغن، أو ضارب دف، أو زامر ... و اللّه، لو أن بني أمية الذين قتلتموهم بالأمس نشروا؛ فقيل لهم: لا تأنفوا من معايب تنالوهم بها، لما زادوا على ما صيرتموه لكم شعارا و دثارا، و صناعة و أخلاقا.

ليس منكم إلا من إذا مسّه الشر جزع، و إذا مسّه الخير منع. و لا

تأنفون، و لا ترجعون إلا خشية؛ و كيف يأنف من يبيت مركوبا، و يصبح باثمه معجبا، كأنه قد اكتسب حمدا، غايته بطنه و فرجه، لا يبالي أن ينال شهوته بقتل ألف نبي مرسل، أو ملك مقرب. أحب الناس إليه من زين له معصية، أو أعانه في فاحشة، تنظفه المخمورة الخ ...».

فهذه القطعة تبين لنا بجلاء- كما يتبين من كثير أمثالها- كيف كان خلفاء العباسيين منغمرين في الملذات و الشهوات ... و تبين لنا نظرتهم للحياة و أهدافهم منها ... و لو لا أن المقام يطول لأوردنا سيلا من الشواهد و الدلائل على مدى استهتارهم، و انتهاكهم للحرمات، و ارتكابهم للموبقات، ليعلم أن أقوال المأمون هذه، و كذلك أقوال الخوارزمي، و غيرهما مما تقدم غير مبالغ فيها، و أن الحقيقة هي أعظم من ذلك بكثير و أن ذلك ليس إلا غيضا من فيض ... و كتب التاريخ و الأدب خير شاهد على ذلك، و إن حاولت بعض الأيدي الأثيمة تشويه الحقيقة، و التستر على واقعهم ذاك المزري و المهين ...

و في نهاية المطاف:

و إذا كانت تلك هي سيرة العباسيين في حياتهم الخاصة، و تلك هي سياساتهم مع الناس و مع خصومهم، فما ذا يمكن أن تكون حالة وزرائهم و قوادهم، و سائر رجال دولتهم؟! التاريخ وحده هو الذي يتولى الاجابة على هذا السؤال ...

أما نحن ... فنكتفي بهذا القدر، و ننتقل إلى الحديث عن بعض نتائج سياسات العباسيين تلك ... و خصوصا ما كان منها يتعلق بالعلويين ...

فشل سياسة العباسيين ضد العلويين

سؤال لا بد منه:

و الآن ... و بعد أن عرفنا موقف العباسيين من العلويين، و قدمنا لمحة عن معاملتهم للرعية، التي لم تكن أحسن حالا، و لا أهدأ بالا من العلويين. سيما و أنهم من أول يوم من حكمهم سلطوا على الناس فئة لا تفقه للرحمة معنى، و لا تجد الشفقة إلى قلوبها أي سبيل، همها الدنيا، و غايتها الاستئثار بكل شيء، و تتمتع بحماية مطلقة من قبل الخلفاء، حتى عند ما كانت تعبث بأموال الناس، و حتى في دمائهم و أعراضهم ...

و كيف لا!! و الخلفاء أنفسهم ما كانوا أحسن حالا من تلك الفئة، و لا أقل انحرافا، و بعدا عن تعاليم السماء، و الخلق الانساني منها ...

بعد أن عرفنا ذلك ... و غيره مما تقدم؛ فإن السؤال الذي يفرض نفسه هو:

ما هي نتائج و آثار سياسات العباسيين تلك؟ ... و هل استطاعوا أن يجعلوا الناس راضين عن تلك السياسات؟ و عما كانوا يرونه منهم من تميعهم، و استهتارهم بكل القيم، و الفضائل الأخلاقية؟ ...

و هل استطاعوا أن يكتسبوا عطف الامة، بعد أن فعلوا بها، و بأهل بيت نبيها ما فعلوا؟! ...

أما الجواب:

الواقع ... أن نتيجة ذلك كانت وبالا على العباسيين: «و لا يحيق المكر السيّئ إلا بأهله ...». فقد كان الناس مستائين جدا من سيرتهم السيئة و سيرة ولاتهم مع الرعية، و كان من الطبيعي جدا أيضا: أن يثير الناس و يسوؤهم ما كانوا يرونه من تميعهم الشديد في حياتهم الخاصة، و إيثارهم اللذات المحرمة على كل شي ء، حتى قد يبلغ الأمر بالخليفة منهم أن يحتجب عن الناس منهمكا بلذاته و شهواته ... و قد كان الرشيد يحمد اللّه على أن أراحه البرامكة من أعباء الحكم (1)، و تركوه ينصرف إلى ما يندى له جبين الانسان الحر ألما و خجلا، و كذلك كانت حال والده المهدي من قبل، و على ذلك جرى ولده الأمين من بعد ...

و غيرهم و غيرهم ممن لا نرى ضرورة لتعداد أسمائهم ... و حسبنا تلك الشواهد الكثيرة في التاريخ، الذي قد لا تمر بصفحة منه، فيها حديث عن الخلفاء، إلا و تجد فيها ما لا يسر، و ما لا يغبط عليه أحد ...

و كان مما ساعد على إدراك الناس لحقيقة نوايا العباسيين، و واقعهم، الذي طالما جهدوا في التستر عليه، و اخفائه، بحيث لم يعد ثمة شك في انهم ليسوا بأفضل من الامويين، إن لم يكونوا اكثر منهم سوءا ... هو ما كانوا يرونه من معاملتهم لبني عمهم آل أبي طالب، الذين ضحوا بكل شي ء في سبيل هذا الدين، و أعطوا و بذلوا حتى أرواحهم في سبيل هذه الامة ... و الذين كانوا هم الأمل الحي لهذه الامة المضطهدة، و المغلوبة على أمرها، التي كانت ترى فيهم كل الفضائل، و الكمالات الانسانية ...

و الذين كان من الواضح لدى كل أحد أن وجود العباسيين في الحكم مدين لهم، أكثر من غيرهم على الاطلاق ...

1- الوزراء و الكتاب ص 225.

لقد رأوهم جميعا متفقين- حتى المأمون كما سيتضح- على العداء لهم، و وجوب التخلص منهم، لكن الفرق هو أن الخلفاء الذين سبقوا المأمون كانت أساليبهم تجاههم، تتميز- عموما- بالعنف و القسوة، بخلافه هو، فإنه اتبع أسلوبا جديدا، و فريدا في القضاء عليهم، و التخلص منهم ...

و لقد كان هذا الموقف مفاجأة للامة، و صدمة لها، و لذا فمن الطبيعي أن يتسبب في ردود فعل عنيفة في ضمير الامة و وجدانها، و بخيبة أمل قاسية لها في العباسيين ...

بل لقد كان ذلك سببا في زيادة تعاطفها مع آل علي، و مضاعفة احترامها لهم- و لو بدافع انساني بحت- و من هنا نلاحظ أنهم كثيرا ما يذكرون في سبب نكبات الوزراء، و العمال، بل و العلماء أيضا- صدقا كان ذلك أو كذبا- أنه أجار علويا، أو أطلقه من السجن، و دله على طريق النجاة. و قد ذكرت هذه المنقبة للامام أحمد بن حنبل أيضا (1)، و أما موقف أبي حنيفة، و الشافعي، و غيرهم من العلماء؛ فهو أشهر من أن يذكر.

و لعل الأهم من ذلك كله:

و لعل الأهم من ذلك كله أن الناس الذين كانوا يرون سلوك العباسيين مع العلويين، و مع الناس عامة، و أيضا سلوكهم اللاأخلاقي في حياتهم الخاصة ... كانوا يرون في مقابل ذلك: زهد العلويين، و ورعهم، و ترفعهم عن كل الموبقات و المشينات، و خصوصا الأئمة منهم عليهم السلام.

و قد جعلهم ذلك ينساقون معهم لا إراديا؛ حيث رأوا أنهم هم الذين يمتلكون كل المؤهلات، و يتمتعون بكافة الفضائل و المزايا، التي

1- راجع كتاب: شيخ الامة، الإمام أحمد بن حنبل، لعبد العزيز سيد الأهل.

تجعلهم جديرين بخلافة محمد (ص)، و أهلا لقيادة الامة، قيادة صالحة و سليمة، كما كان النبي (ص) يقودها من قبل ...

و واضح أن تلك الخصائص: و هاتيك المؤهلات و المميزات لأئمة أهل البيت (ع)، و ذلك السلوك المثالي لهم- كل ذلك- كان يغري العباسيين بمضايقتهم، و ملاحقتهم أشد الاغراء، و كان أيضا يدفع الحساد للوشاية بهم، و تحريض الخلفاء على الايقاع و التنكيل فيهم.

و لهذا نرى أن الخلفاء!! لم يكونوا يألون جهدا، أو يدخرون وسعا في ملاحقتهم، و اضطهادهم، و سجنهم. حتى إذا تمكنوا منهم قضوا عليهم، بالوسائل التي تضمن- بنظرهم- عدم إثارة شكوك الناس و ظنونهم ...

التشيع للعلويين:

و بعد كل الذي قدمناه، فإن من الطبيعي أن نرى العلويين يتمتعون بالاحترام و التقدير من مختلف الفئات و الطبقات، و أن نرى ازدياد احترام الناس، و تقديرهم لهم باستمرار ... حتى لقد كان لهم في نفوسهم من عميق الحب، و صادق المودة، ما أرهب العباسيين، و أرعبهم ... و حتى لقد رأينا الرشيد نفسه- و هو طاغية بني العباس بلا منازع- يشكو لعظيم البرامكة، يحيى بن خالد غمه و حيرته في أمر الإمام موسى (ع)، رغم أنه (ع) كان في السجن. و نرى يحيى بن خالد يعترف بدوره بأن: الإمام «المسجون» قد أفسد عليهم قلوب شيعتهم!! (1) و لا يجب أن نستغرب شكوى الرشيد تلك، و لا اعتراف يحيى هذا بعد أن كان التشيع (2) بحد سبيله الى كل قلب، و كل فؤاد، حتى

ص: 132

1- الغيبة للشيخ الطوسي ص 20، و البحار.

2- كلمة «التشيع» التي ترد في هذا الكتاب، لا أقصد بها غالبا- التشيع بمفهومه الأخص. و المذهب المعروف، و إنما أقصد بها مجرد الولاء و الحب للعلويين، و تأييدهم ضد خصومهم، سواء أ كان ذلك من الشيعة بالمعنى المعروف، أو من غيرهم من أهل الفرق الإسلامية الاخرى.

وزراء العباسيين، و قوادهم، بل و حتى نساء الخلفاء أنفسهم ...

فهذه أم الخليفة المهدي تقيم خادما لقبر الحسين (ع)، و تجري عليه كل شهر ثلاثين درهما، دون أن يعلم بها أحد (1).

و هذه بنت عم المأمون، التي كان لها نفوذ قوي عنده، يذكر المؤرخون أنها كانت تميل إلى الإمام الرضا (ع) ...

بل و حتى «زبيدة»، زوجة الرشيد، و حفيدة المنصور، و أعظم عباسية على الاطلاق، يقال: إنها كانت تتشيع، و عند ما علم الرشيد بذلك حلف أن يطلقها (2) ... و لعل لهذا السبب أحرق أهل السنة قبرها مع ما أحرقوا من قبور بني بويه و قبر الكاظم (ع) و ذلك عند ما وقعت الفتنة العظيمة بين السنة و الشيعة سنة 443 ه (3) و أما وزراء العباسيين، فأمرهم أظهر من أن يحتاج الى بيان، فإن التاريخ يحدثنا: أن العباسيين، ابتداء من السفاح، كانوا غالبا يبطشون بوزرائهم؛ بسبب اطلاعهم على تشيعهم، و ممالأتهم للعلويين. ابتداء بأبي سلمة، فأبي مسلم، فيعقوب بن داوود ... و هكذا الى أن ينتهي الأمر بالفضل بن سهل، و غيره من بعده، بل و حتى نكبة البرامكة يقال:

إنّ سببها هو تشيعهم للعلويين!! و ان كان يقال: إن الرضا عليه السلام دعا عليهم، لأنّهم كانوا سبب قتل أبيه ...

إلا إذا كان تظاهرهم بمحبة العلويين مجاراة للرأي العام، و سياسة منهم؛ فاستغل ذلك الرشيد ضدهم نعم ... لقد بلغ الامر حدا اصبح معه:ر.

1- الطبري ج 11/ 752، طبع ليدن ...
2- ذكر ذلك الصدوق في المجالس؛ فراجع: رجال المامقاني، مادة: «زبيدة».
3- الكنى و الألقاب ج 2/ 289 نقلا عن ابن شحنة في روضة المناظر.

التسمي ب «الوزير» يعتبر شؤما: و ينفر الناس منه كل النفور، كما سنشير إليه فيما يأتي إن شاء اللّه تعالى ...

و أما عن امرائهم و قوادهم، فالأمر فيهم أوضح و أجلى؛ حيث إنهم ما كانوا يرون إلا واليا أو قائدا يخرج عليهم داعيا للعلويين، أو آخر قد خلع طاعتهم، و استجاب لدعوة خصومهم آل علي، أو ثالث يخشى أن يميل إليهم، و يتعاطف معهم ... و قد بدأ قوادهم بالخروج عليهم من زمن السفاح، الذي خرج عليه ابن شيخ المهري، داعيا لآل علي، و بعد ذلك كانت ثورة القواد على المنصور داعين إلى موالاة أهل البيت، و قامت ثورة ضد المنصور، و داعية للعلويين في نفس خراسان، و ذلك في سنة (140 ه). و بعد ذلك و في زمن المهدي العباسي قامت ثورة اخرى في خراسان تدعو الى آل أبي طالب بقيادة صالح بن أبي حبال ... و عظم شأنه جدا، و لم يمكنهم القضاء عليه إلا بإعمال الحيلة (1) و أما في زمن الرشيد، فقد ثارت الفتن بين أهل السنة و الرافضة، على حد تعبير النجوم الزاهرة ...

الخطر الحقيقي:

و أما الذي كان يمكن فيه الخطر الحقيقي، و كان يهز الدولة، و يزعزع من أركانها ... فهو ثورات العلويين أنفسهم؛ حتى ليقال:

إنه قد بويع لمحمد بن عبد اللّه بن الحسن، و أخيه ابراهيم في أكثر الأمصار، و ذلك في سنة 145 ه. و بعد ذلك كانت واقعة فخ المشهورة، ثم استمر الحال على ذلك، فلم يكن العباسيون يرون، إلا علويا ثائرا، أو أنه يدبر للثورة، حتى أوائل زمن المأمون؛ حيث بلغت الحالة فيه

1- راجع: لطف التدبير ص 105.

في السوء و التدهور الغاية، و أوفت على النهاية ... حتى ليقال: إن الثورات العلوية، التي قامت فيما بين عهد السفاح، و أوائل عهد المأمون، و بالتحديد إلى حوالي سنة 200 ه أي فيما يقل عن سبعين عاما، قد قاربت الثلاثين ثورة، هذا بغض النظر عن الثورات الاخرى التي كانت تدعو لهم، و إلى موالاتهم ...

و ستأتي الاشارة إلى بعض الثورات العلوية التي قامت ضد المأمون بالخصوص، و إلى أنه حتى قائده العظيم، طاهر بن الحسين،- بل و جميع آل طاهر (1)- و كذلك وزيره الفضل بن سهل، و هرثمة بن أعين، و غيرهم، و غيرهم، كانوا يتهمون بالتشيع للعلويين ...

و لسوف يتضح أن الوضع في عهده قد أصبح إلى حد كبير شبيها بالوضع الذي كان سائدا في أواخر عهد الامويين، بفارق واحد بسيط، لو استمر الحال لتسارع لذلك الفارق الضعف و الوهن، و هو: أنه لا يزال كثير من الناس المخدوعين بدعايات العباسيين يعتبرون تلك المنازعات طبيعية بين من يستحقون الخلافة!!!.

و يبقى هنا سؤال:

لما ذا لم تكن ثورات العلويين، أو الثورات الداعية لهم، تصادف النجاح، مع أنها كانت تحظى بالتأييد الواسع، في مختلف فئات الشعب، و طبقاته؟! ...

و جوابنا عن هذا السؤال هو: أن الذي يراجع التاريخ يرى- بما لا مجال معه للشك-: أن تلك الثورات لم يكن يسبقها التخطيط،

1- راجع: الكامل لابن الأثير، حوادث سنة 250 ه.

و الاعداد الكافيان، و ما كان العباسيون ليعطوها الفرصة لتخطيط و اعداد يمكن أن يصل إلى درجة تمكنه من أن يذهب بدولة الجبارين ...

هـذا بالاضافة إلى فساد القيادة القبيلة آنذاك، و التي كانت السـبب الأول و الأخير لنجاح أية ثورة أو فشـلها ... و سـيأتي تفصـيل ذلك على النحو الكافي و الشافي، في فصل: مدى جدية العرض، إن شاء اللّه.

و نتيجة كل ذلك:

و هكـذا ... يتضـح: أن سـياسات العباسـيين، لم تسـتطع أن تحقق لهم الأهداف التي كانوا يتوخون تحقيقها، و إنما كانت نتائجها عكسـية بالنسبة إليهم، و دمارا و وبالا عليهم، قبل أن تكون وبالا على أي من خصومهم ...

و بالأخص أبناء عمهم العلويين ...

القسم الثاني ظروف البيعة و أسبابها:

اشارة

1- شخصية الإمام الرضا (ع).

2- من هو المأمون؟.

3- آمال المأمون، و آلامه ...

4- ظروف البيعة و أسبابها.

5- أسباب البيعة لدى الآخرين.

ص: 137

شخصية الامام الرضا عليه السلام

لمحات:

الإمام الرضا (ع)، هو ثامن الأئمة الاثني عشر، الذين نص عليهم النبي (ص): علي بن موسى، بن جعفر، بن محمد، بن علي، ابن الحسين، بن علي، بن أبي طالب، صلوات اللّه عليهم أجمعين ...

ستة آباؤه من هم أفضل من يشرب صوب الغمام كنيته: أبو الحسن ...

و من ألقابه: الرضا، و الصابر، و الزكي، و الولي ...

نقش خاتمه: حسبي اللّه ...

و قيل: بل نقشه: ما شاء اللّه، لا قوة إلا باللّه (1) ...

ولد في المدينة سنة 148 ه. أي: في نفس السنة التي توفي فيها

ص: 139

1- لنا رأي بالنسبة للّقب، و نقش الخاتم: و هو أنه كثيرا ما يعبر عن ظاهرة من نوع معين، و ظروف اجتماعية، و سياسية، و نفسية، و غير ذلك ... و كذلك عن مميزات، و ملكات شخصية خاصة. و نأمل أن نوفق لبحث هذا الموضوع مستوفى في فرصة اخرى إن شاء اللّه.

جده الإمام الصادق (ع) على قول أكثر العلماء و المؤرخين مثل:

المفيد في الارشاد، و الشبراوي في الانحاف بحب الاشراف، و الكليني في الكافي، و الكفعمي في المصباح، و الشهيد في الدروس، و الطبرسي في أعلام الورى، و الفتال النيسابوري في روضة الواعظين، و الصدوق في علل الشرائع، و تاج الدين محمد بن زهرة في غاية الاختصار، و ابن الصباغ المالكي في الفصول المهمة، و الاردبيلي في جامع الرواة، و المسعودي في مروج الذهب، و إن كان في كلامه اضطراب، و أبو الفداء في تاريخه، و الكنجي الشافعي في كفاية الطالب، و ابن الأثير في كامله، و ابن حجر في صواعقه، و الشبلنجي في نور الأبصار، و البغدادي في سبائك الذهب، و ابن الجوزي في تذكرة الخواص، و ابن الوردي في تاريخه، و نقل عن تاريخ الغفاري، و النوبختي. و كان عتاب بن أسد يقول: إنه سمع جماعة من أهل المدينة يقولون ذلك، و غير هؤلاء كثير و ذهب آخرون- و هم الأقل- إلى أن ولادته (ع)، كانت سنة 153 ه. منهم: الاربلي في كشف الغمة، و ابن شهر اشوب في المناقب، و الصدوق في عيون الأخبار، و إن كان في كلامه اضطراب، و المسعودي في إثبات الوصية، و ابن خلكان في وفيات الأعيان، و ابن عبد الوهاب في عيون المعجزات، و اليافعي في مرآة الجنان ...

و قيل: إن ولادته كانت سنة 151 ه.

و القول الأول هو الأقوى و الأشهر ... و لم يذهب إلى القولين الأخيرين إلا قلة ...

و توفي (ع) في طوس سنة 203 ه. على قول معظم العلماء، و المؤرخين، و الشاذ النادر لا يلتفت إليه ...

و بعد:

فأما علمه، و ورعه و تقواه:

فـذلك مما اتفق عليه المؤرخون أجمع، يعلم ذلك بأدنى مراجعة للكتب التاريخية؛ و يكفي هنا أن نذكر أن نفس المأمون قد اعترف بذلك، أكثر من مرة، وفي أكثر من مناسبة ... بل في كلامه: أن الرضا (ع) أعلم أهل الأرض، و أعبدهم ... و لقد قال لرجاء بن أبي الضحاك:

«... بلى يا ابن أبي الضحاك؛ هذا خير أهل الأرض، و أعلمهم، و أعبدهم ...» (1).

و قد قال أيضا للعباسيين، عند ما جمعهم، في سنة 200 ه. و هم أكثر من ثلاثة و ثلاثين ألفا (2):

«إنه نظر في ولد العباس، و ولد علي رضـي اللّه عنهم، فلم يجد أحدا أفضل، و لا أورع، و لا أدين، و لا أصلح، و لا أحق بهذا الأمر من علي بن موسى الرضا (3)» ...

1- راجع: البحار ج 49 ص 95، و عيون أخبار الرضا ج 2 ص 183، و غير ذلك ...

2- مروج الـذهب ج 3 ص 440، و النجـوم الزاهرة ج 2 ص 166، و غايـة المرام للعمري الموصـلي ص 121، و مآثر الانافـة في معالم الخلافة ج 1 ص 212، و الطبري، طبع ليدن ج 11 ص 1000، و تاريخ الخلفاء للسيوطي ص 333، و غير ذلك ... و ورد ذلك أيضا في رسالة الحسن بن سـهل، لعيسى بن أبي خالد؛ فراجع: الطبري ج 11 ص 1012، و تجارب الامم ج 6 المطبوع مع العيون و الحدائق ص 430. هـذا ... و لكن في تاريخ التمدن الاسـلامي، ج 1 ص 176 و يؤيده ما في وفيات الأعيان لابن خلكان، طبع سـنة 1310 ج 1 ص 321، و يساعد عليه الاعتبار أيضا: أن الذين أحصوا آنئذ هم: العباسيون خاصة المأمون، دون غيرهم من سائر بني العباس.

3- راجع: مروج الذهب ج 3 ص 441، و الكامل لابن الأثير ج 5 ص 183، و الفخري في الآداب السلطانية ص 217، و الطبري، طبع ليدن ج 11 ص 1013، و مختصر تاريخ الدول ص 134، و تجارب الامم ج 6 ص 436. و في مرآة الجنان ج 2 ص 11، قال: إنه لم يجد في وقته أفضل، و لا أحق بالخلافة، من علي بن موسى الرضا ... و نحو ذلك ما في البداية و النهاية ج 10 ص 247، و ينابيع المودة للحنفي ص 385، و نظرية الامامة ص 386 و وفيات الاعيان طبع سنة 1310 ه. ج 1 ص 321، و امبراطورية العرب، و غير ذلك.

قال عبد اللّه بن المبارك:

هـذا علي و الهدى يقوده من خير فتيان قريش عوده (1) و لوضوح هـذا الأمر نكتفي هنا بهـذا المقدار، و ننتقل إلى الحديث عن امور هامة اخرى، و ما يهمنا في المقام هو إعطاء لمحة سريعة عن مكانته، و شخصيته (ع)، فنقول:

و أما مركزه و شخصيته (ع):

فهو من الامور البديهيـة، التي لا يكاد يجهلها أحـد، و قد ساعده سوء الأحوال بين الأمين و المأمون على القيام بأعباء الرسالة، و على زيادة جهوده، و مضاعفـة نشاطاته؛ حيث قـد فسح المجال لشـيعته للاتصال به، و الاسـتفادة من توجيهاته؛ مما أدى بالتالي- مع ما كان يتمتع به (ع) من مزايا فريدة، و ما كان ينتهجه من سلوك مثالي- إلى تحكيم مركزه، و بسط نفوذه في مختلف أرجاء الدولة الإسلامية، يقول الصولي:

ألا إن خير الناس نفسا و والداو رهطا و أجدادا علي المعظم

اتينا به للحلم و العلم ثامناإماما يؤدي حجة اللّه يكتم (2) بل لقد قال هو نفسه (ع) مرة للمأمون. و هو يتحدث عن ولاية

1- مناقب آل أبي طالب ج 4 ص 362.

2- نفس المصدر ج 4 ص 332، و هي في مقتبس الاثر ج 22، ص 328، لكنه لم يذكر قائلها ...

العهـد: «... و ما زادني هذا الأمر، الذي دخلت فيه في النعمة عندي شـيئا، و لقد كنت في المدينة، و كتابي ينفذ في المشـرق و المغرب، و لقد كنت أركب حماري، و أمر في سكك المدينة، و ما بها أعز مني ...» (1).

و يكفي أن نذكر هنا قول ابن مؤنس- عدوّ الإمام (ع)، و قد أسّر (ع) للمأمون بشي ء، قال ابن مؤنس:

«... يا أمير المؤمنين، هذا الذي بجنبك و اللّه صنم يعبد دون اللّه» (2) ...

و في الكتاب الـذي طلب المأمون فيه من الرضا أن يجمع له أصول الدين، و فروعه، قال المأمون: إن الإمام: «حجة اللّه على خلقه، و معدن العلم، و مفترض الطاعة ...» (3). كما أن المأمون كان يعبر عن الرضا (ع) ب: «أخيه»، و يخاطبه ب «يا سيدي».

و كتب للعباسيين يصف الرضا، و يقول: «... و أما ما كنت أردته من البيعة لعلي بن موسى، بعد استحقاق منه لها في نفسه، و اختيار مني له ... إلى أن قال: و أما ما ذكرتم من اسـتبصار المأمون في البيعة لأبي الحسن، فما بايع له إلا مستبصـرا في أمره، عالما بأنه لم يبق على ظهرها أبين فضـلا، و لا أظهر عفـة، و لا أورع ورعا، و لا أزهد زهدا في الدنيا، و لا أطلق نفسا، و لا أرضـى في الخاصة و العامة، و لا أشد في ذات اللّه منه ...» (4).ب.

ص: 143

1- البحار ج 49 ص 155، و ص 144، و الكافي ج 8 ص 151، و عيون أخبار الرضا ج 2 ص 167.
2- البحار ج 49 ص 166، و أعيان الشيعة ج 4 قسم 2 ص 138، و عيون أخبار الرضا ج 2 ص 161، و مسند الامام الرضا ج 1 ص 86.
3- نظرية الامامة ص 388.
4- الرسالة مذكورة في أواخر هذا الكتاب.

و في كل ما قدمناه دلالة واضحة على سجايا الإمام، و مركزه، و شخصيته. و كما يقولون: «و الفضل ما شهدت به الأعداء» ...

و مما يـدل على مكانته و هيبته ما ورد في روايـة أخرى، يقول فيها المتحدث: «... دخلنا (أي هو و الرضا «ع») على المأمون، فإذا المجلس غاص بأهله، و محمد بن جعفر في جماعة الطالبيين و الهاشميين، و القواد حضور. فلما دخلنا قام المأمون، و قام محمد بن جعفر، و جميع بني هاشم، فما زالوا وقوفا و الرضا جالس مع المأمون، حتى أمرهم بالجلوس؛ فجلسوا؛ فلم يزل المأمون مقبلا عليه ساعة الخ (1)».

و أما ما جرى في نيسابور:

فلا ـ يكـاد يخلو منه كتاب يتعرض لأحوال الرضا (ع)، و مسـيره إلى مرو، فإنه عنـد ما دخل نيسابور تعرض له الحافظان: أبو زرعـة الرازي، و محمد بن أسـلم الطوسـي، و معهما من طلبة العلم ما لا يحصـى، و تضرعوا إليه أن يريهم وجهه؛ فأقرّ عيون الخلائق بطلعته، و الناس على طبقاتهم قيام كلهم. و كانوا بين صارخ، و باك، و ممزق ثوبه، و متمرغ في التراب، و مقبل لحافر بغلته، و مطول عنقه الى مظلة المهد، إلى أن انتصف النهار، و جرت الدموع كالأنهار، و صاحت الأئمة:

«معاشر الناس، أنصتوا، وعوا، و لا تؤذوا رسول اللّه (ص) في عترته ...»

فأملى صلوات اللّه عليه، عليهم، بعد أن ذكر السلسلة الذهبية الشهيرة

1- مسند الامام الرضا ج 2 ص 76، و البحار ج 49 ص 175، و عيون أخبار الرضا ج 2 ص 156.

للسند، قوله: «لا إله إلا اللّه حصني؛ فمن دخل حصني أمن من عذابي ...»

فلما مرت الراحلة أخرج رأسه مرة ثانية إليهم، و قال: «بشروطها، و أنا من شروطها».

فعد أهل المحابر و الدوى، فأنافوا على العشرين ألفا. كذلك وصف المؤرخون هذه الحادثة الشهيرة (1) ... و لسوف نتحدث عن هذه القضية بالتفصيل في فصل: «خطة الإمام» إن شاء اللّه تعالى ...

و عن أسناد هذه الرواية، الذي أورده الإمام (ع)، يقول الإمام أحمد بن حنبل: «لو قرأت هذا الاسناد على مجنون لبرئ من جنته».

على ما في الصواعق المحرقة، و نزهة المجالس (2)، و غير ذلك ...

و نقل أن بعض أمراء السامانية بلغه هذا الحديث بسنده؛ فكتبه بالذهب، و أوصى أن يدفن معه.».

1- نقله في مجلة مدينة العلم، السنة الاولى ص 415 عن صاحب تاريخ نيسابور، و عن المناوي في شرح الجامع الصغير، و هي أيضا في الصواعق المحرقة ص 122، و حلية الأولياء ج 3 ص 192، و عيون أخبار الرضا ج 2 ص 135، و أمالي الصدوق ص 208، و ينابيع المودة ص 364، و ص 385، و قد ذكر قوله عليه السلام: و انا من شروطها، في الموضع الثاني فقط. و البحار ج 49 ص 123، 126، 127، و الفصول المهمة لابن الصباغ ص 240، و نور الأبصار ص 141، و نقلها في مسند الامام الرضا ج 1 ص 43 و 44 عن التوحيد و معاني الاخبار ص 352/ 353 و كشف الغمة ج 3 ص 98. و هي موجودة في مراجع كثيرة اخرى. لكن يلاحظ أن بعض هؤلاء قد حذف قوله عليه السلام: «بشروطها، و أنا من شروطها»، و لا يخفى السبب في ذلك.

2- و فيه في ج 1 ص 22، قال: «إنه (أي الامام أحمد) قرأها على مصروع فأفاق».

و ها نحن أمام نصوص اخرى:

و كذلك نرى هيبة الإمام (ع)، و قوة شخصيته، في موقفه مع الفضل ابن سهل- أعظم رجل في البلاط العباسي- و ذلك عند ما طلب منه الفضل كتاب الضمان، و الأمان؛ حيث أوقفه ساعة، ثم رفع رأسه إليه، و سأله عن حاجته؛ فقال: «يا سيدي ... إلى أن قال الراوي:

ثم أمره بقراءة الكتاب- و كان كتابا في أكبر جلد- فلم يزل قائما حتى قرأه!! الخ ...» (1).

ثم رأينا المأمون عند ما قتل الفضل بن سهل ذا الرئاستين، و شغب عليه القواد و الجند، و من كان من رجال ذي الرئاستين. و قد جاءوا بالنيران ليحرقوا الباب عليه، ليصلوا إليه- قد رأينا- كيف هرع إلى الإمام، يطلب منه أن يتدخل لانقاذه؛ فخرج (ع) إليهم، و أمرهم بالتفرق؛ فتفرقوا ... يقول ياسر الخادم: «فأقبل الناس و اللّه، يقع بعضهم على بعض، و ما أشار لأحد إلا ركض، و مر، و لم يقف ...» (2).

و نجا المأمون بذلك بجلده، و احتفظ بحياته ...

و في كتاب العهد الذي كتبه المأمون بخط يده- كما صرح به كل من تعرض له- فقرات تدل على سجايا الإمام، و على مركزه، و شخصيته، يقول المأمون عنه: «... لما رأى من فضله البارع، و علمه

1- أعيان الشيعة ج 4 قسم 2 ص 139، و عيون أخبار الرضا ج 2 ص 162، 163 و البحار ج 49 ص 168، و مسند الامام الرضا ج 1 ص 88.

2- المناقب ج 4 ص 347، و روضة الواعظين ج 1 ص 273، و كشف الغمة ج 3 ص 70، و الكافي ج 1 ص 490، 491، و أعلام الورى ص 324، و أعيان الشيعة ج 4 قسم 2 ص 110، 140، طبعة ثالثة، و عيون أخبار الرضا ج 2 ص 164، و ارشاد المفيد ص 314، و البحار ج 49 ص 169، و معادن الحكمة ص 183، و شرح ميمية أبي فراس ص 198، 199.

الناصع، و ورعه الظاهر، و زهده الخالص، و تخليه من الدنيا، و تسلمه من الناس.

و قد استبان له ما لم تزل الأخبار عليه متواطية، و الألسن عليه متفقة، و الكلمة فيه جامعة، و لما لم يزل يعرفه به من الفضل يافعا، و ناشيا، و حدثا، و مكتهلا الخ ...» و كتاب العهد مذكور في أواخر هذا الكتاب ...

و في نهاية المطاف:

فإن الإمام (ع) هو أحد العشرة، الذين هم على حد تعبير الجاحظ:

«كل واحد منهم: عالم، زاهد، ناسك، شجاع، جواد، طاهر، زاك، و الذين هم بين خليفة، أو مرشح لها ...» (1).

و هو على ما في النجوم الزاهرة: «سيد بني هاشم في زمانه، و أجلهم.

و كان المأمون يعظمه، و يجله، و يخضع له، و يتغالى فيه ...» (2).

و مثله ما عن سنن ابن ماجة، على في خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ص 278 ...

و قال عنه (ع) عارف تامر: «يعتبر من الأئمة الذين لعبوا دورا كبيرا على مسرح الأحداث الإسلامية في عصره ...» (3).

و أخيرا ... فقد وصفه أبو الصلت، و رجاء بن أبي الضحاك، و إبراهيم ابن العباس، و غيرهم، و غيرهم ... بما لو أردنا نقله لطال بنا المقام ...

و حسبنا ما ذكرنا؛ فإننا إذا أردنا أن نلم بما قيل في حق الإمام (ع) لاحتجنا إلى تأليف خاص، و وقت طويل ...

1- آثار الجاحظ ص 235.
2- النجوم الزاهرة ج 2 ص 74.
3- الامامة في الاسلام ص 125.

من هو المأمون؟

لمحات:

هو عبد اللّه بن هارون الرشيد.

أبوه: خامس خلفاء بني العباس ... و هو سابعهم، بعد أخيه الأمين ...

أمه: جارية خراسانية، اسمها: «مراجل». و قد ماتت بعد ولادتها إياه، و هي ما تزال نفساء ... فنشأ يتيم الام.

و قد كانت أمه- كما يقول المؤرخون- أشوه، و اقذر جارية في مطبخ الرشيد.

و ذلك هو الذي يجعلنا نصدق القصة التي تقال عن السبب في حملها به (1) ...

ص: 148

1- و تحكى هـذه القصـة على النحو التالي: أن زبيدة لاعبت الرشـيد بالشـطرنج على الحكم و الرضا؛ فغلبته؛ فحكمت عليه أن يطأ أقبح و أقـذر و أشوه جاريـة في المطبخ؛ فبذل لها خراج مصـر و العراق لتعفيه من ذلك؛ فلم تقبل، و لـم تجد جارية تجمع الصـفات المذكورة غير مراجل؛ فطلبت إليه أن يطأها، فجاء المأمون ... راجع حياة الحيوان للدميري ج 1 ص 72. و أعلام الناس في أخبار البرامكة، و بني العباس للاتليدي ص 106، 107، و عيون التواريـخ. و أشار إليها اشارة واضـحة: الاسـحاقي في لطائف أخبار الاول ص 74، و كذلك في روض الأخيـار المنتخب من ربيع الأبرار ص 157. و لا ينافي ذلك أنه ولـد في الليلـة التي تولى فيها أبوه الخلافـة؛ فان أولياء العهـد كانوا يتولون أعظم الولايات من قبل الخلفاء؛ و قـد قسم الرشـيد الدولة كلها بين أولاده الثلاثة: الأمين، و المأمون و القاسم، و لـم يبق لنفسه شـيئا، و هو على قيد الحياة ...

دفعه أبوه إلى جعفر بن يحيى البرمكي؛ فنشأ في حجره.

كانت ولادته في سنة 170 ه. في نفس الليلة التي تولى فيها أبوه الخلافة ...

و كانت وفاته سنة 218 ه.

و كان مربيه الفضل بن سهل، ثم أصبح وزيره، و هو المعروف بذي الرئاستين ...

و كان قائده: طاهر بن الحسين ذو اليمينين ...

ميزات و خصائص:

و قد كانت حياته حياة جد و نشاط، و تقشف، على العكس من أخيه الأمين، الذي نشأ في كنف «زبيدة»، و ما أدراك ما «زبيدة»؛ فقد كانت حياته حياة نعمة و ترف، يميل إلى اللعب و البطالة، أكثر منه إلى الجد و الحزم ... يظهر ذلك لكل من راجع تاريخ حياة الأخوين ...

و لعل سر ذلك يعود إلى أن المأمون لم يكن كأخيه، يشعر بأصالة محتده، و لا كان مطمئنا إلى مستقبله، و إلى رضا العباسيين به. بل كان يقطع بعدم رضاهم به خليفة و حاكما؛ و لهذا ... فقد وجد أنه ليس لديه أي رصيد يعتمد عليه غير نفسه؛ فشمر عن ساعد الجلد، و بدأ يخطط لمستقبله منذ اللحظة الاولى التي أدرك فيها واقعه، و المميزات التي كان يتمتع بها أخوه الأمين عليه ...

بـل نلاحـظ: أنه كان يسـتفيد من أخطاء أخيه الأمين؛ فان: «الفضل عنـد ما رأى اشـتغال الأمين باللهو و اللعب، أشار على المأمون بإظهار الورع و الدين، و حسن السيرة؛ فأظهر المأمون ذلك ... و كان كلما اعتمد الأمين حركة ناقصة اعتمد المأمون حركة شديدة» (1).

و من هنا نعرف السـر فيما يظهر من رسالته للعباسيين؛ حيث نصب فيها نفسه واعظا تقيا، و أضفى عليها هالة من التقى و الورع!! و الزهد في الدنيا!! و الالتزام بأحكام الشريعة، و تعاليم الدين!! ... ليروه و يراه الناس نوعية أخرى تفضل نوعية أخيه الأمين، و تزيد عليها ...

ما يقال عن المأمون:

و على كل حال ... فان المأمون كان قد برع في العلوم و الفنون، حتى فاق أقرانه، بل فاق جميع خلفاء بني العباس ...

و قد قال بعضهم: «لم يكن في بني العباس أعلم من المأمون» (2).

و قال عنه ابن النديم انه: «أعلم الخلفاء بالفقه و الكلام» (3).

و قال عنه محمد فريد وجدي: «لم يل الخلافة بعد الخلفاء الراشدين أكفأ منه» (4).

و في الأخبار الطوال: «و كان شهما، بعيد الهمة، أبي النفس، و كان نجم بني العباس في العلم و الحكمة ...»

1- الفخري في الآداب السـلطانية ص 212. و لكن سـيأتي أن المأمون هو الـذي طلب من الفضل: أن يشـيع عنه الزهـد و التقوى، و ليس الفضل هو المشير عليه بذلك ...
2- حياة الحيوان للدميري ج 1 ص 72.
3- فهرست ابن النديم، طبع مطبعة الاستقامة في القاهرة ص 174.
4- دائرة المعارف الاسلامية ج 1 ص 620.

بل لقد روي عن الإمام علي (ع)، أنه قال- و هو يصف خلفاء بني العباس-: «سابعهم أعلمهم» (1).

و قد وصفه السيوطي و ابن تغري بردى، و ابن شاكر الكتبي؛ فقالوا:

«و كان أفضل رجال بني العباس: حزما، و عزما، و حلما، و علما، و رأيا، و دهاء (2)، و هيبة، و شجاعة، و سؤددا، و سماحة،..

1- مناقب آل أبي طالب ج 2 ص 276، و سفينة البحار ج 2 ص 332، مادة: «غيب».

2- دهاء المأمون، و حنكته، و سياسته من المسلمات، و الأمثلة على ذلك كثيرة؛ فقد روى لنا ابن عبد ربه في العقد الفريد ج 1 ص 123، و الجهشياري في الوزراء و الكتاب ص 311: كيف أنه بين للفضل بن سهل: أن أخاه الأمين كان يستطيع أن ينتصر عليه، لو أنه أرسل إلى أهل البلاد التي يحكمها المأمون يخبرهم: أنه قد وضع عنهم الخراج إلى سنة ... فحينئذ، إن لم يقبل المأمون، قامت البلاد ضده، و إن قبل لم يجد ما يعطي الجند، فيقومون ضده، و في كلا الحالتين يكون النصر للامين، لو وقعت بينهما الحرب؛ فحمد الفضل ربه، على أن لم يهتد الأمين، و اتباعه إلى هذا الرأي ... و إن كان في العقد الفريد للملك السعيد، ص 50 ينسب هذا الرأي إلى الشيخ أبي الحسن القطيفي، و أنه أشار به على الأمين؛ فلم يقبله. و في المحاسن و المساوي طبع مصر ج 2 ص 77، 78 نسبة إلى شيخ مسن أشار به على الأمين فلم يقبل منه. و قد رأينا أيضا: أنه عند ما تسلم زمام الحكم قد طلب من الفضل: أن يشيع عنه الزهد و التقوى و الورع؛ ففعل ... راجع تاريخ التمدن الاسلامي ج 4 ص 261. و رأينا كذلك: أنه يقتل الفضل، و يبكي عليه، و يقتل قتلته، و يقتل الرضا، ثم يبكي عليه ... و يقتل طاهرا، و يولي أبناءه مكانه. و رأينا أيضا: أنه يولي الرضا العهد، و يوهم العباسيين: أن ذلك كان من تدبير الفضل، و يقتل أخاه، و يوهمهم أن الذنب في ذلك على الفضل و طاهر ... إلى آخر ما هنالك، مما سيأتي، و غيره، مما يدل على عمقه، و دهائه، و حنكته، و سياسته ... و أن الفضل و غيره، ما كانوا إلا دمى له، يلهو و يلعب بها، و يحركها كيف شاء، و حيثما أراد ...

لو لا أنه شان ذلك كله ... بالقول بخلق القرآن (1)، و لم يل الخلافة من بني العباس أعلم منه ...» (2).

شهادة ذات أهمية:

و قد شهد له أبوه نفسه بالتقدم على أخيه الأمين؛ قال: «... و قد عنيت بتصحيح هذا العهد، و تصييره إلى من أرضى سيرته، و أحمد طريقته، و أثق بحسن سياسته، و آمن ضعفه و وهنه، و هو: عبد اللّه.

و بنو هاشم- يعني العباسيين- مائلون إلى محمد باهوائهم، و فيه ما فيه من الانقياد لهواه، و التصرف مع طويته، و التبذير لما حوته يده، و مشاركة النساء، و الاماء في رأيه. و عبد اللّه المرضي الطريقة، الأصيل الرأي، الموثوق به في الأمر العظيم؛ فإن ملت إلى عبد اللّه، أسخطت بني هاشم، و إن أفردت محمدا بالأمر، لم آمن تخليطه على الرعية ...» (3).

و قال أيضا: «إني لأعرف في عبد اللّه حزم المنصور، و نسك المهدي، و عزة الهادي، و لو شئت أن أنسبه إلى الرابع- يعني نفسه- لنسبته، و قد قدمت محمدا عليه، و إني لأعلم أنه منقاد لهواه، مبذر

1- قال القلقشندي في كتابه: مآثر الانافة في معالم الخلافة ج 1 ص 213: إنه قد طعن الناس!! على المأمون ثلاثة أشياء: الأول: القول بخلق القرآن!!. الثاني: التشيع، الثالث: بث علوم الفلاسفة بين المسلمين ... فتأمل، باللّه عليك بهذه الامور، التي عدوها من المطاعن، و بعد ذلك: فاضحك، أو فابك على عقول هؤلاء الجهلاء، الذين يسميهم الناس، أو يسمون أنفسهم علماء!!! و العلم من هؤلاء و أمثالهم بريء ...

2- تاريخ الخلفاء ص 306، و فوات الوفيات ج 1 ص 239، و النجوم الزاهرة، و تاريخ الخميس ج 2 ص 334.

3- مروج الذهب طبع بيروت ج 3 ص 352، 353.

لما حوته يده، يشاركه في رأيه الاماء و النساء، و لو لا أم جعفر- يعني زبيدة- و ميل بني هاشم، لقدمت عبد اللّه عليه ...» (1). يعني في ولاية العهد.!.

ص: 153

1- راجع شرح قصيدة ابن عبدون لابن بدرون ص 245، و تاريخ الخلفاء للسيوطي ص 307، و قريب منه ما في الأخبار الطوال ص 401، و الاتحاف بحب الأشراف ص 96، و تاريخ الخميس ج 2 ص 334. هذا ... و الرشيد هنا يدعي النسك للمهدي مع أن كتب التاريخ زاخرة بأخبار بذخه، و لهوه و لعبه؛ و يكفي أن نذكر هنا: أنه قد سلم الأمر ليعقوب بن داود، و انصرف إلى ملذاته و شهواته، حتى قال فيه بشار بن برد أبياته المشهورة: بني أميّة هبوا طال نومكم إن للخليفة يعقوب بن داود ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسواخليفة اللّه بين الزق و العود فراجع: الفخري في الآداب السلطانية ص 184، 185، و تاريخ التمدن الاسلامي المجلد الأول جزء 2 ص 407، و البداية و النهاية، و أي كتاب تاريخي شئت ... هذا ... و لعل ما ينسب إليه من الزهد و الورع إنما كان بلحاظ ما قدمناه: من تسمية أبيه له ب «المهدي»؛ لكي يكون مهدي الامة الذي يملأ الأرض قسطا، و عدلا. و اخترع أحاديث كثيرة لتأييد مدعاه هذا ... و لكن الحقيقة هي ما قدمناه، من أنه لم يكن يقل في تهتكه و استهتاره عن غيره من الخلفاء؛ حتى لقد ذكر الطبري في تاريخه، طبع مطبعة الاستقامة ج 6 ص 405: أنه ألبس ابنته «البانوقة» لباس الفتيان، لتمشي في مقدمة الجند و القواد، و قد رفع القباء ثدييها الناهدين، و كانت سمراء، حسنة القد، حلوة، على حد تعبير الطبري ... فما ذا كان يقصد «المهدي المنتظر»!! من تصرفه هذا!!. فهل كان يريد بذلك أن يملأ الأرض قسطا و عدلا؟!! ... و لما ذا كان الزاهد الورع!! و «المهدي المنتظر» يعذب الناس بالسنانير و الزنابير؟، ليبتز منهم أموالهم، و يتخذ الاتهام بالزندقة ذريعة للقضاء على خصومه، كما قدمنا، و أيضا يثرب الخمر، و يسمع الغناء، حتى بلغ في ذلك حدا جعل يعقوب بن داود يلومه على ذلك، و يقول له: «ما على هذا استوزرتني، و لا على هذا صحبتك الخ ...». و في ذلك يقول بعض الشعراء، يعرض بيعقوب، و يحث المهدي على الاستمرار في ذلك على ما في البداية و النهاية ج 10 ص 148، 149- يقول في ذلك-: فدع عنك يعقوب بن داود جانباو اقبل على صهباء طيبة النشر و أخيرا ... فاننا لا نعرف أحدا يقول بأن المهدي العباسي، هو المهدي الموعود، إلا سلم الخاسر؛ فقد نقل ذلك عنه ابن المعتز في طبقات الشعراء ص 104، و يدل على ذلك قول الخاسر في قصيدة له يمدح بها المهدي العباسي على ما في الأغاني ج 21 ص 187، طبع دار الفكر: له شيم عند بذل العطاءلا يعرف الناس مقدارها و «مهدي امتنا» و الذي حماها و أدرك أوتارها و السيد الحميري أيضا ممن كان قد ظن أنه المهدي حقا لكن فعاله قد بينت: أنه ليس هو، و لذلك يقول السيد حسبما يروي المرزباني في أخبار السيد الحميري (المستدرك) ص 58: ظننا أنه «المهدي» حقاو لا تقع الامور كما ظننا و لا و اللّه، ما المهدي إلإماما فضله أعلى و أسنى و لا بأس بالاشارة هنا إلى ما ذكروه، من أن سبب تسميته بالخاسر: أنه كان عنده مصحف؛ فباعه، و اشترى بثمنه طنبورا، فبقيت من ثمنه بقية، فاشترى بها خمرا!! ... فبورك من مهدي أتباعه أمثال هذا!! و بوركت امة تعترف بمهدي له تلكم الصفات!!.

و على كل حال ... فان كل من تعرض من المؤرخين و غيرهم، لشرح حال المأمون، قد شهد له بالتقدم، و بأنه رجل خلفاء بني العباس و واحدهم ...

و ما يهمنا هنا، هو مجرد الاشارة إلى حال المأمون، و ما كان عليه من الدهاء و السياسة، و حسن التدبير ... و لسنا هنا في صدد تحقيق أحواله، و الاحاطة بكافة شئونه؛ فان ذلك لا يناسب الغرض الذي وضع من أجله هذا الكتاب.

و سيمر معنا في الفصول الآتية المزيد من الكلام عن المأمون و ظروفه، مما له نحو ارتباط بالموضوع الذي نحن بصدد تحقيقه من قريب، أو من بعيد، إن شاء اللّه تعالى ...

آمال المأمون و آلامه

العباسيون لا يرضون بالمأمون!!

لاـ يشك المؤرخون بأن المأمون كان أجـدر من الأمين، و أحق بالخلافـة (1) ... بل لقـد مر اعتراف الرشـيد نفسه بـذلك، لكنه اعتذر عن إسـناده الأمر للأمين: بأن العباسـيين، لا يرضون بالمأمون خليفة، و حاكما؛ رغم سـنه و فضله و كياسته، و أنهم يرجحون أخاه الأمين عليه؛ قال الرشـيد، حسـبما تقدم: «و بنو هاشم مائلون إلى محمد بأهوائهم، و فيه ما فيه ... إلى أن قال: فان ملت إلى ابني عبد اللّه، أسـخطت بني هاشم، و إن أفردت محمدا بالأمر، لم آمن تخليطه على الرعية الخ!!» و مر أيضا قول الرشيد: «... و لو لا أم جعفر، و ميل بني هاشم إليه (أي إلى الأمين) لقدمت عبد اللّه عليه ...».

كما أن المأمون نفسه يقول في رسالته للعباسـيين، المذكورة في أواخر هذا الكتاب: «... و أما ما ذكرتم، مما مسـكم من الجفاء في ولايتي؛ فلعمري ما كان ذلك إلا منكم: بمظافرتكم عليه، و مما يلتكم إياه

1- ليس المراد هنـا: الجـدارة الحقيقيـة، التي قررهـا اللّه، و بينها محمـد صـلّى اللّه عليه و آله، و إنما المراد الجـدارة التي يفهمها هؤلاء، و اعتاضوا بها عن حكم اللّه، و سنة نبيه ...

(أي الأمين)؛ فلما قتلته، تفرقتم عباديد؛ فطورا أتباعا لابن أبي خالد، و طورا أتباعا لاعرابي، و طورا أتباعا لابن شكلة، ثم لكل من سل سيفا عليّ. و لو لا أن شيمتي العفو، و طبيعتي التجاوز، ما تركت على وجهها منكم أحدا؛ فكلكم حلال الدم الخ ...».

و سوف يأتي قول الفضل بن سهل للمأمون: «... و بنو أبيك معادون لك، و أهل بيتك الخ ...».

إلى آخر ما هنالك من النصوص الدالة على حقيقة الموقف السلبي للعباسيين ضد المأمون، و تفضيلهم أخاه الأمين عليه ...

سؤال قد تصعب الاجابة عليه:

فما هو السر يا ترى؟ في عدم رضا العباسيين بالمأمون؟! و لما ذا يفضلون أخاه الأمين عليه؟!! مع أنه هو الأليق و الأجدر و الأحق بالخلافة!!.

إن الإجابة على هذا السؤال ربما تبدو لأول وهلة صعبة، و شاقة.

و لكننا لن نستسلم لهذا الشعور، و لسوف نحاول الاجابة عليه، معتمدين على بعض ما بأيدينا من النصوص التاريخية، التي تلقي لنا ضوءا كاشفا على حقيقة القضية، و واقع الأمر: فنقول:

الجواب عن السؤال:

لعل سر انحراف العباسيين عن المأمون إلى أخيه الأمين يرجع إلى أن الأمين كان عباسيا، بكل ما لهذه الكلمة من معنى:

فأبوه: هارون ...

و أمه: «زبيدة»، حفيدة المنصور، هاشمية (1)، و التي لو نشرت شعرها، لما تعلقت- على ما قبل- (2) إلا بخليفة، أو ولي عهد، و التي كانت أعظم عباسية على الاطلاق ...

و كان في حجر الفضل بن يحيى البرمكي، أخي الرشيد من الرضاعة، و أعظم رجل نفوذا في بلاط الرشيد ...

و كان يشرف على مصالحه الفضل بن الربيع، العربي، الذي كان جده من طلقاء عثمان، و الذي لم يكن ثمة من شك في ولائه للعباسيين.

أما المأمون:

فقد كان في حجر جعفر بن يحيى، الذي كان أقل نفوذا من أخيه الفضل.

و كان مؤدبه، و الذي يشرف على مصالحه، ذلك الرجل الذي لم يكن العباسيون يرتاحون إليه بشكل خاص؛ لأنه كان متهما بالميل إلى العلويين. و الذي كانت العداوة بينه و بين مربي الأمين، الفضل بن الربيع على أشدها، ذلك الرجل الذي أصبح فيما بعد وزيرا للمأمون، و مدبرا لاموره، و أعني به: «الفضل بن سهل الفارسي»، و قد

1- و في الفخري في الآداب السلطانية ص 212، و مروج الذهب ج 3 ص 396، و النجوم الزاهرة ج 2 ص 159، و تاريخ الخلفاء للسيوطي ص 303، و تاريخ اليعقوبي ج 3 ص 162: «أنه لم يتفق لخليفة عباسي أن يكون عباسي الأب و الام، غير الأمين» ... و لا بأس أيضا بمراجعة: مختصر التاريخ ص 130، و مآثر الانافة في معالم الخلافة ج 1 ص 203، و ابن بدرون في شرح قصيدة ابن عبدون ص 243، و زهر الآداب ج 2 ص 993، طبع دار الجيل.

2- تاريخ الخلفاء للسيوطي ص 306.

مل العباسيون الفرس، و خافوهم؛ و لذا سرعان ما استبدلوهم بالأتراك و غيرهم ...

أما أم المأمون ... فقـد كانت خراسانيـة غير عربية، و قد ماتت أيام نفاسـها به، و حتى لو كانت على قيد الحياة، فإنها- و هي أشوه، و أقبح، و أقذر جارية في مطبخ الرشيد- لن تستطيع أن تكون مثل زبيدة عظمة، و نفوذا و لو قلنا إن موتها كان في مصلحة المأمون لما عدونا الحقيقة؛ كيف و قد بلغ من مهانتها- في نظر الناس- أن كان المأمون يعير بها ...

فهذه زينب بنت سليمان، التي كانت عند بني العباس بمنزلة عظيمة، عند ما لـم يحضر المأمون جنازة ابنها، و اكتفى بارسال أخيه صالح من قبله، تغضب، و تقول لصالـح: «قـل له: يـا ابن مراجل، أما لو كان يحيى بن الحسـين بن زيـد، لوضـعت ذيلك على فيك، و عـدوت خلف جنازته ...» (1).

و الرقاشي الشاعر يمدح الأمين، و يعرض بهجاء المأمون، فيقول:

لم تلده أمة تعرف في السوق التجارالا و لا حد، و لا خان، و لا في الخزي جارا (2) يعرض بالمأمون، و أن أمه كانت أمة تباع، و تشرى في الأسواق ...

بل إن نفس الأمين قد عير أخاه بأمه، فقال:

و إذا تطاولت الرجال بفضلهافاربع فانك لست بالمتطاول 2.

1- الكامل لابن الأثير، طبع دار الكتاب العربي ج 5 ص 230، و الامام الصادق و المذاهب الأربعة المجلد الثاني جزء 4 ص 493.

2- المعارف لابن قتيبة، طبع سنة 1300، و الفخري في الآداب السلطانية ص 212.

أعطاك ربك ما هويت و إنماتلقى خلاف هواك عند «مراجل»

تعلو المنابر كل يوم آملاما لست من بعدي إليه بواصل (1) و قد أقذع في هجائه، حين كتب إليه أيام الفتنة بينهما بقوله:

يا بن التي بيعت بأبخس قيمةبين الملا في السوق هل من زائد

ما فيك موضع غرزة من ابره إلا و فيه نطفة من واحد فأجابه المأمون:

و إنما أمهات الناس أوعيةمستودعات و للّأماء أكفاء

فرب معربة ليست بمنجبةو طالما أنجبت في الخدر عجماء (2) و أخيرا ... فإن خير ما يصور لنا الحالة المعنوية التي كان يعاني منها المأمون، هو قول دعبل مخاطبا له:

إني من القوم الذين سيوفهم قتلت أخاك، و شرفتك بمقعد

شادوا بذكرك بعد طول خموله و استنقذوك من الحضيض الأوهد (3)

مركز الأمين هو الأقوى:

و بعد كل ما تقدم، فإن ما لا بد لنا من الاشارة إليه هنا، هو:

1- تاريخ الخلفاء للسيوطي ص 304.
2- غاية المرام في محاسن بغداد دار السلام للعمري الموصلي ص 121.
3- معاهد التنصيص ج 1 ص 202، و وفيات الأعيان، طبع سنة 1310 ه‍. ج 1 ص 179، و تاريخ الخلفاء ص 324، و الشعر و الشعراء ص 539، 540، و الغدير ج 2 ص 376، و العقد الفريد، طبع دار الكتاب العربي ج 2 ص 196، و تاريخ التمدن الاسلامي، المجلد الثاني جزء 3 ص 115، و زهر الآداب طبع دار الجيل ج 1 ص 134 و الكنى و الألقاب ج 1 ص 331 و ربيع الابرار ج 1 ص 743.

قوة مركز الأمين، بالنسبة إلى أخيه المأمون؛ حيث قد كان للأمين حزب قوي جدا، و أنصار يستطيع أن يعتمد عليهم، يعملون من أجله، و في سبيل تأمين السلطة له، و هم: أخواله، و الفضل بن يحيى البرمكي، و أكثر البرامكة، إن لم يكن كلهم، و أمه: زبيدة، بل و العرب أيضا، كما سيأتي …

و إذا ما عرفنا أن هؤلاء هم الذين كانوا يؤثرون على الرشيد كل التأثير، و كان لهم دور كبير في توجيه سياسة الدولة … فلسوف نرى أنه كان من الطبيعي أن يضعف الرشيد أمام هذه القوة، و ينصاع لها، و من ثم … لتؤثر مساعيها أثرها، و تعطي نتيجتها في الوقت المناسب؛ فيجعل ولاية العهد من بعده لولده الأصغر سنا، و هو الأمين، و يترك الأكبر- المأمون-، ليكون ولي العهد الثاني بعد الأصغر …

و لعل تعصب بني هاشم، و جلالة عيسى بن جعفر قد لعبا دورا كبيرا في فوز الأمين بالمركز الأول في ولاية عهد أبيه الرشيد (1). هذا عدا عن الدور الرئيسي، الذي لعبته «زبيدة» في تكريس الأمر لصالح ولدها (2).

فيحدثنا المؤرخون: أن عيسى بن جعفر بن المنصور، خال الأمين جاء إلى الفضل بن يحيى، و هو متوجه إلى خراسان على رأس جيش، و قال له: «انشدك اللّه، لما عملت بالبيعة لابن أختي؛ فإنه ولدك، و خلافته لك، و إن أختي زبيدة تسألك ذلك … فوعده الفضل أن يفعل، و عند ما انتصر على الخارجين هناك، بايع هو و من معه من القواد و الجند لمحمد (3)،8.

ص: 160

1- ابن بدرون في شرح قصيدة ابن عبدون ص 245، و الإتحاف بحب الاشراف ص 96.
2- زهر الآداب طبع دار الجيل ج 2 ص 581.
3- راجع تفصيل ذلك في: الطبري ج 10 ص 611، و النجوم الزاهرة ج 2 ص 76، و الكامل لابن الأثير ج 5 ص 88، و أشار إلى ذلك أيضا ابن خلدون في تاريخه ج 3 ص 218.

رغم أن المأمون كان أسن من الأمين بستة أشهر، و على أقل الأقوال بشهر واحد ...

و أصبح الرشيد حينئذ أمام الأمر الواقع، حيث إن الذي أقدم على هذا الأمر، هو ذلك الرجل، الذي لا يمكن رد كلمته، و الذي له من النفوذ و السلطان، و الخدمات الجلى، و الأيادي البيضاء عليه، ما لا يمكن له، و لا لأحد غيره أن يجحده أو أن يتجاهله ...

و يلاحظ هنا: أن عيسى بن جعفر قد ذكر أن أخته زبيدة، تسأله أن يقدم على هذا الأمر، و زبيدة التي تحظى باحترام كبير عند العباسيين، و لها نفوذ واسع، و تأثير كبير على الرشيد- زبيدة هذه- يهتم البرامكة جدا بأن تكون معهم، و إلى جانبهم؛ و ذلك ليبقى لهم سلطانهم، و يدوم لهم حكمهم، الذي أشار إليه عيسى بقوله: «فانه ولدك، و خلافته لك» فإن في هذا القول دليلا واضحا للفضل على سلامة و صحة ما يقدم عليه بالنسبة لمصالحه هو، و مصالح البرامكة بشكل عام، و بالنسبة لدورهم في مستقبل الخلافة العباسية ... و هو في الحقيقة يشتمل على إغراء و ترغيب واضح بالعمل لهذا الأمر، و في سبيله ...

كما أن قول عيسى الآنف الذكر يلقي لنا ضوءا على الدور الذي لعبته زبيدة في مسألة البيعة لولدها بولاية العهد ... فهو يشير إلى أنها كانت قد استخدمت نفوذها في اقناع رجال الدولة بتقديم ولدها ... هذا بالاضافة إلى أنها كانت تحرض الرشيد على ذلك باستمرار (1)، حتى لقد صرح الرشيد نفسه بأنه: «لو لا أم جعفر و ميل بني هاشم لقدم عبد اللّه على محمد، كما أشرنا إليه» ...

قال محمد فريد و جدي مشيرا إلى أن الرشيد لم يكن يريد جرح عاطفة0.

ص: 161

1- النجوم الزاهرة ج 2 ص 81، و تاريخ الخلفاء للسيوطي ص 290.

زبيدة: «كانت ولاية الأمين بعهد من أبيه، قدمه على إخوته لمكان والدته. و كان الأحق بالتقديم المأمون لعلمه و فضله و سنه ...» (1).

و بعد ... فإننا لا نستبعد أنها كانت بالاضافة إلى ذلك قد استخدمت أموالها، من أجل ضمان ولاية العهد لولدها الأمين، و لعل مما يشير إلى ذلك قول الفضل بن سهل للمأمون: «و هو ابن زبيدة، و أخواله بنو هاشم، و زبيدة و أموالها ...» ...

و أخيرا ... فإنّ من المحتمل جدا أن يكون الرشيد- بملاحظة الدور الذي كانت تلعبه الأنساب في التفكير العربي- قد لاحظ سمو نسب الأمين على المأمون، و كان لذلك أثر في تقديمه له عليه، و قد ألمح بعض المؤرخين إلى ذلك فقال: «و فيها (أي في سنة 176 ه) عقد الرشيد لابنه المأمون عبد اللّه العهد بعد أخيه الأمين ... إلى أن قال:

و كان المأمون أسن من الأمين بشهر واحد، غير أن الأمين أمه زبيدة بنت جعفر هاشمية، و المأمون أمه أم ولد اسمها «مراجل» ماتت أيام نفاسها به ...» (2).

محاولات الرشيد لصالح المأمون:

و من كل ما تقدم يتضح لنا حقيقة موقف العباسيين، و أهل بيت المأمون، و رجال الدولة من المأمون ... و يظهر إلى أي حد كان مركز أخيه قويا، و نجمه عاليا، و أنه لم يكن له مثل ذلك الحظ الذي كان لأخيه الأمين.

1- دائرة المعارف الاسلامية ج 1 ص 606.
2- النجوم الزاهرة ج 2 ص 84، و قريب منه ما في تاريخ الخلفاء للسيوطي.

إلا أن أباه الرشيد، الـذي كان يـدرك حقيقـة الموقف كل الادراك، قـد حاول أن يضـمن له نصـيبه من الخلافة، فجعله ولي العهد بعد أخيه الأـمين، و كتب بـذلك العهود و المواثيق، و أشـهد عليها، و علقها في جوف الكعبـة، و لا نعلم خليفـة، قبله و لا بعـده فعل ذلك مع أولياء عهده، من أولاده أو من غيرهم، رغم أن غيره من الخلفاء قد أخذوا البيعة لأكثر من واحد بعدهم.

كما أنه قـد حاول بطرق شتى أن يشد من عضد المأمون، و يقوي مركزه في مقابل أخيه الأمين؛ لأنه كان يخاف منه على أخيه المأمون؛ فنراه يجدد أخذ البيعة للمأمون أكثر من مرة، و يوليه الحرب، و يولي أخاه السلم (1) و يهب المأمون كل ما في العسكر من كراع و سلاح، و يأمر الفضل بن الربيع، الـذي كان يعرف أنه سوف يتآمر مع الأمين- يأمره- بالبقاء مع المأمون في خراسان. إلى غير ذلك من مواقفه، التي لا نرى حاجة لتتبعها و استقصائها.

مركز المأمون ظل في خطر:

و لكن رغم كل محاولات الرشيد فقد ظل مركز المأمون في خطر و الكل كان يشعر بذلك، و كيف لا يعرف الجميع ذلك، و لا يشعرون به، و هم يرون الأمين يصرح بعد أن أعطى العهود و المواثيق، و حلف الايمان، بأنه: كان يضمر الخيانة لأخيه المأمون (2).

لقد كان الكثيرون يرون بأن هذا الأمر لا يتم، و أن الرشيد قد أسس العداء و الفرقة بين أولاده، «و ألقى بأسهم بينهم، و عاقبة ما صنع

1- مروج الذهب ج 3 ص 353، و الطبري حوادث سنة 186 ه.

2- الوزراء و الكتاب ص 222.

في ذلك مخوفة على الرعية»، و قالت الشعراء في ذلك الشي ء الكثير.

و من ذلك قول بعضهم:

أقول لغمة في النفس مني و دمع العين يطرد اطرادا

خذي للهول عدته بحزم ستلقي ما سيمنعك الرقادا

فإنك إن بقيت رأيت أمرايطيل لك الكآبة و السهادا

رأى الملك المهذب شر رأي بقسمته الخلافة و البلادا

رأى ما لو تعقبه بعلم لبيض من مفارقه السوادا

أراد به ليقطع عن بنيه خلافهم و يبتذلوا الودادا

فقد غرس العداوة غير آل و أورث شمل الفتهم بدادا

و القح بينهم حربا عواناو سلس لاجتنابهم القيادا

فويل للرعية عن قليل لقد أهدى لها الكرب الشدادا

و ألبسها بلاء غير فان و ألزمها التضعضع و الفسادا

ستجري من دمائهم بحورزواخر لا يرون لها نفادا

فوزر بلائهم أبدا عليه أ غيا كان ذلك أم رشادا (1)

و المأمون و حزبه كانوا يدركون ذلك:

و بعـد ... فـإنه من الطبيعي جـدا أن نرى أن المـأمون و حزبه كـانوا يـدركون أن مركز المأمون كان في خطر، و أن الأمين كان ينوي الخيانة لأخيه. و لقد رأينا الفضل بن سهل عند ما عزم الرشيد على الذهاب إلى خراسان، و أمر المأمون بالمقام في بغداد- رأيناه- يقول للمأمون:

«لست تدري ما يحدث بالرشيد، و خراسان ولايتك، و الأمين مقدم عليك. و إن أحسن ما يصنع بك أن يخلعك؛ و هو ابن زبيدة، و أخواله

1- الطبري حوادث سنة 186 ه.

بنو هاشم، و زبيدة، و أموالها ...» (1) ... و تقدم أيضا قوله له: إن أهل بيته و بني أبيه، و العرب معادون له ...

و الرشيد أيضا كان في قلق:

بل لقد صرح الرشيد نفسه بأنه كان يخشى من الأمين على المأمون؛ فإنه قال لزبيدة، عند ما عاتبته على اعطائه الكراع و السلاح للمأمون:

«إنا نتخوف ابنك على عبد اللّه، و لا نتخوف عبد اللّه على ابنك إن بويع ...» (2).

هذا بالاضافة إلى تصريحات الرشيد السابقة، و التي لا نرى حاجة إلى اعادتها ...

و لقد قال الرشيد، عند ما بلغه ما يتهدد به محمد الأمين:

محمد لا تظلم أخاك فإنه عليك يعود البغي إن كنت باغيا

و لا تعجلن الدهر فيه فإنه إذا مال بالأقوام لم يبق باقيا (3) و مهما يكن من أمر، فان الحقيقة التي لا يمكن الجدال فيها، هي أن الرشيد كان في قضية ولاية العهد مغلوبا على أمره، من مختلف الجهات ...

و كان يشعر أن ما أبرمه سوف يكون عرضة للانتقاض بين لحظة و أخرى، و كم كان يؤلمه شعوره هذا، و يحز في نفسه ... حتى لقد ترجم مشاعره هذه شعرا فقال:

1- تاريخ ابن خلدون ج 3 ص 229، و النجوم الزاهرة ج 2 ص 102، و الكامل لابن الأثير، طبعة ثالثة ج 5 ص 127، و الوزراء و الكتاب ص 266.

2- مروج الذهب ج 3 ص 353. و لعله إنما فعل ذلك أيضا، من أجل أن يطيب خاطر المأمون، و يذهب ما في نفسه- و هو الأفضل، و الأكبر سنا من أخيه- من غل و حقد و ضغينة ...

3- ابن بدرون في شرح قصيدة ابن عبدون ص 245، و فوات الوفيات ج 2 ص 269.

لقد بان وجه الرأي لي غير أنني غلبت على الأمر الذي كان أحزما

و كيف يرد الدّرّ في الضرع بعد ماتوزع حتى صار نهبا مقسما

أخاف التواء الأمر بعد استوائه و أن ينقض الحبل الذي كان أبرما (1)

على من يعتمد المأمون؟

و هكذا ... و إذا كان أبوه قد استطاع أن يضمن له المركز الثاني بعد أخيه الأمين، و إذا كان ذلك لا يكفي لأن يجعل المأمون يطمئن إلى مستقبله في الحكم، و أن يأمن أخاه و بني أبيه العباسيين، أن لا يحلوا العقدة، و ينكثوا العهد؛ فهل يستطيع المأمون أن يعتمد على غيرهم، لو تعرض مركزه و وجوده للتهديد في وقت ما؟!. و من هم أولئك الذين يستطيع أن يعتمد عليهم؟! و كيف؟ ... و ما هو موقفهم فعلا منه؟! و كيف يستطيع أن يصل الى الحكم، و السلطان؟! و من ثم ...

كيف يستطيع أن يحتفظ به، و يقوي من دعائمه؟! إن نظرة شاملة على الفئات الاخرى في تلك الفترة من الزمن، لكفيلة بأن تظهر لنا أنه لم يبق أمام المأمون غير العلويين، و العرب، و الايرانيين ...

فما هو موقف هؤلاء منه، و أي الفئات تلك هي التي يستطيع أن يعتمد عليها؟. و كيف يستطيع أن يغير ماجريات الامور لتكون في صالحه، و على وفق مراده؟! ...

هذا هو السؤال الذي لا بد للمأمون من أن يضع الحل و الاجابة عليه، بكل دقة و وعي و إدراك، و أن يتحرك من ثم على وفق تلك الاجابة،

1- ابن بدرون أيضا ص 245، و زهر الآداب، طبع دار الجيل ج 2 ص 581، و فوات الوفيات ج 2 ص 269.

و على مقتضـى ذلـك الحـل ... و لنلق أولاـ نظرة سـريعة على مواقف كل من هؤلاء من المأمون، و لنخلص من ثم إلى معرفـة الفئـة التي يستطيع المأمون أن يعتمد عليها في مواجهة الأخطار و التحديات، التي تنتظره، و تنتظر نظام حكمه، بصورة عامة ... فنقول:

موقف العلويين من المأمون:

أما العلويون ... فإنهم- بالطبع- لن يرضوا بالمأمون- كما لن يرضوا بغيره من العباسـيين، خليفـة و حاكما لأن من بينهم من هو أجـدر من كل العباسيين، و أحق بهذا الأمر، و لأن المأمون، و غيره، كانوا من تلك السلالة، التي لا يمكن أن تصفو لها قلوب آل علي؛ لأنها قد فعلت بهم أكثر من فعل بني أميـة معهم، كما تقدم ... فقد سـفكت دماءهم، و سـلبتهم أموالهم، و شـردتهم عن ديارهم، و أذاقتهم شتى صـنوف العذاب و الاضـطهاد ... و يكفي المأمون عندهم: أنه ابن الرشـيد، الذي حصد شجرة النبوة، و اجتث غرس الإمامة، و الذي قد عرفت طرفا من سيرته السيئة معهم فيما تقدم من الفصول ...

موقف العرب من المأمون، و نظام حكمه:

و أما العرب: فإنهم لا يرضون بالمأمون خليفة و حاكما أيضا، كما أشار إليه الفضل بن سهل فيما تقدم ...

أما أولا: فلأن أمه، و مؤدبه، و القائم بأمره، غير عربيين.

و لقد عانى العرب ما اللّه أعلم به، من تقديم أسلافه للموالي، حتى لم يعد لهم معهم أي شأن يذكر، و أصبح العربي أذل من نعجة، و أحقر من الحيوان ...

قال المسعودي: «... و كان (أي المنصور) أول خليفة استعمل

مواليه و غلمانه في أعماله، و صرفهم في مهماته، و قدمهم على العرب؛ فامتثل ذلك الخلفاء من بعده، من ولده، فسقطت، و بادت العرب، و زالت رئاستها، و ذهبت مراتبها ...» (1).

و قال ابن حزم، و هو يتحدث عن العباسيين: «... فكانت دولتهم أعجمية، سقطت فيها دواوين العرب، و غلبت عجم خراسان على الأمر، و عاد الأمر كسرويا، إلا أنهم لم يعلنوا بسبب أحد من الصحابة رضوان اللّه عليهم ... و افترقت في دولة بني العباس كلمة المسلمين (2) ...».

و يقول الجاحظ: «... دولة بني العباس أعجمية، خراسانية، و دولة بني مروان عربية (3) ...».

إلى آخر ما هنالك، مما يدل على سقوط العرب في تلك الفترة، و امتهانهم. و يبدو أن ذلك من المسلمات. و قد استوفى الباحثون- و منهم أحمد أمين، في الجزء الأول من ضحى الاسلام- البحث في هذا الموضوع؛ فمن أراد فليراجع مظان وجوده ...

و إذا ما عرفنا: أن من الطبيعي أن يكون ذهاب رئاسة العرب، و إبادتها، و اضطهادها على يد الفرس، الذين كانوا هم أصحاب القدرة و السلطان آنذاك ... فلسوف نجد أن من الطبيعي أن يحقد العرب، الذين كانوا في وقت ما هم أصحاب الجبروت و القوة، على الفرس، و على كل من يتصل بهم، و يمت إليهم بسبب؛ من قريب أو من بعيد ...6.

1- مروج الذهب، طبع بيروت ج 4 ص 223، و تاريخ الخلفاء للسيوطي ص 24، و ص 269، 270، و ص 258، و في طبيعة الدعوة العباسية ص 279، نقلا عن المقريزي في: السلوك لمعرفة دول الملوك ج 1 ص 14 مثل ذلك. و ليراجع أيضا كتاب: مشاكلة الناس لزمانهم لليعقوبي ص 23.
2- البيان المغرب، طبع صادر ص 71.
3- البيان و التبيين ج 3 ص 366.

و أما ثانيا: فلسيرة أسلافه، و أبيه الرشيد بالخصوص، في الناس عامة، و مع أهل بيت نبيهم خاصة، و التي قدمنا شطرا منها في الفصول التي سبقت.

أما الأمين: فقد كان له- إلى حدّ ما- شافع عندهم؛ حيث إنه كان من أب و أم عربيين من جهة. و كان قد منحهم ثقته و حبه، و قربهم إليه، حتى كان وزيره الفضل بن الربيع منهم ... من جهة ثانية؛ فتوسموا فيه أن يجعل لهم، شأنا و أن ينظر إليهم بغير العين، التي كان أبوه و أسلافه ينظرون إليهم بها. أو على الأقل: سوف لا تكون نظرته إليهم، على حد نظرة المأمون نحوهم. و ذلك ما يجعلهم يرجحونه- على الأقل- على أخيه المأمون، و إن كان المأمون أفضل، و أسن منه؛ فلقد كان عليهم أن يختاروا أهون الشرين، و أقل الضررين ...

حتى إن نصر بن شبث، الذي كان هواه مع العباسيين، لم يقم بثورته ضد المأمون، التي بدأت سنة 198 ه. و استمرت حتى سنة 210 ه. إلا انتصارا للعرب، و محاماة عنهم؛ لأن العباسيين كانوا يفضلون عليهم العجم، حسب تصريحات نصر بن شبث نفسه (1).

و حتى في مصر أيضا، قد ثارت الفتن بين القيسية، المناصرة للأمين، و اليمانية المناصرة للمأمون ...

و قال أحمد أمين: «... إن أغلب الفرس تعصب للمأمون، و أغلب العرب تعصبوا للأمين ...» (2).

كما أننا نكاد لا نشك في أن تعصب العرب للأمين ليس إلا للسببين المتقدمين، الذين أشرنا إليهما، و أشار إلى أحدهما نصر بن شبث ...3.

1- التاريخ الاسلامي و الحضارة الاسلامية ج 3 ص 104.

2- ضحى الاسلام ج 1 ص 43.

و لكن فردينان توتل يرى في منجد الاعلام: أن تعصب العرب للأمين يرجع إلى أن: «المأمون لم يستطع أن يجعل العرب يحبونه؛ حيث إنه كان يظهر ميلا للايرانيين، و يقربهم إليه. و قد أعانه الايرانيون في مبارزاته، و حروبه، و خصوصا الخراسانيين منهم ...».

و لكن الذي يبدو لي هو أن تعصب العرب للأمين لم يكن نتيجة تقريب المأمون للايرانيين، و تحببه للخراسانيين، و انما عكس ذلك هو الصحيح؛ فإن المأمون لم يتقرب من الخراسانيين إلا بعد أن فرغت يده من العرب، و أهل بيته، و العلويين ...

لا بد من اختيار خراسان:

و بعد أن فرغت يد المأمون من بني أبيه، و البرامكة (1)، و العرب، و العلويين، اضطر أن يلتجئ إلى جهات أخرى لتمد له يد العون و المساعدة، و تكون سلما لأغراضه، و اداة لتحقيق أهدافه و مآربه ...

و لم يبق أمامه غير خراسان؛ فاختارها، كما اختارها محمد بن علي العباسي من قبل. فأظهر لهم الميل و الحب، و تقرب إليهم، و قربهم إليه، و أراهم: أنه محب لما و لمن يحبون، و كاره لما و لمن يكرهون. حتى إنه عند ما علم منهم الميل إلى العلويين، و التشيع لهم، أظهر هو بدوره أنه محب للعلويين، و متشيع لهم ...

كما أنه كان من جهة ثانية قد قطع لهم على نفسه الوعود و العهود، بأن يرفع

1- ذكرنا للبرامكة هنا ليس عفويا؛ فان محط نظرنا يشمل حتى الأيام الاولى، التي فتح بها المأمون عينيه، و عرف واقعه، و أدرك الأخطار، التي تتهدده، و تتهدد مستقبله في الخلافة مع أخيه الأمين؛ فلا يرد علينا: أن البرامكة قد نكبهم الرشيد قبل خلافة المأمون بزمان ... مضافا إلى الدور الكبير الذي لعبه البرامكة في تقديم أخيه الأمين عليه، حسبما قدمنا ...

الظلم و الحيف عنهم، و يرد عنهم الكيد، الأمر الذي جعلهم يثقون به، و يطمئنون إليه، و يعلقون كل آمالهم عليه ...

تشيع الايرانيين:

هذا ... و ليس تشيع (1) الايرانيين بالأمر الـذي يحتاج إلى اثبات، بعـد أن تقـدم معنا: أن دولة العباسـيين ما قامت إلا على أساس الدعوة للعلويين، و أهل البيت ... و بعد أن رأينا الخراسانيين يظهرون النياحة على «يحيى بن زيد» سبعة أيام، و كل مولود ولد في خراسان في سنة قتل يحيى سمي ب «يحيى» (2) ... بل يذكر البلاذري: أنه لما اسـتشار المنصور عيسى بن موسى في أمر محمد و ابراهيم ابني عبد اللّه بن الحسن، فأشار عليه بأن يولي المدينـة رجلا خراسانيا، قال له المنصور: «يا أبا موسـى إن محبة آل أبي طالب في قلوب أهل خراسان ممتزجة بمحبتنا، و إن و ليت أمرها رجلا من أهل خراسان حالت محبته لهما بينه و بين طلبهما، و الفحص عنهما، و لكن أهل الشام قاتلوا عليا على أن لا يتأمر عليهم لبغضهم إياه الخ ...» (3).

و قد تقدم معنا: كيف وصف المؤرخون ما جرى في نيشابور، حين دخلها الإمام الرضا، و سيأتي في فصل: خطة الإمام، وصف ما جرى في مرو حينما خرج الإمام ليصـلي بالناس ... و لقـد عرفنا أيضا: كيف فرق الإمام الرضا الناس عن المأمون. عند ما أرادوا قتله، انتقاما للفضـل بن سهل ...

1- قد تقدم منا ما نقصده بكلمة «التشيع» في هذا الكتاب؛ فلا نعيد.

2- مروج الذهب ج 3 ص 213، و شرح ميمية أبي فراس ص 157، و ليراجع أيضا نزهة الجليس ج 1 ص 316؛ فان فيه ما يشير إلى ذلك ...

3- أنساب الأشراف للبلاذري ج 3 ص 115.

بل لقـد بلغ من حب الايرانيين لأهل البيت أن المأمون كان يخشـى على نفسه أن يقتلوه، لو أنه أراد أن يرجع عن البيعـة للامام الرضا بولاية العهد (1).

و يقول جرجي زيدان: «و كان الخراسانيون، و من والاهـم من أهل طبرسـتان و الديلم، قبل قيام الدولة العباسية، من شيعة علي؛ و إنما بايعوا للعباسيين مجاراة لأبي مسلم أو خوفا منه ...» (2).

و قال أحمد أمين: «... إن الفرس يجري في عروقهم التشيع ...» (3).

و يقول الدكتور الشيبي: «... إن الفرس قد عادوا إلى التشيع، بعد أن نزلت بهم ضربة السفاح أولا، ثم المنصور، ثم الرشيد ...» (4).

و يقول أحمد شـلبي: «... إنه ربما كان سبب أخذ المأمون للرضا العهد، هو أنه يريد أن يحقق آمال الخراسانيين، الذين كانوا إلى أولاد علي أميل ...» (5).

ما هو سرّ تشيّع الايرانيين؟

يقول السيد أمير علي، و هو يتحدث عن سر ارتباط الفرس بقضية بني فاطمة: «... و قد أظهر الامام علي منذ بداية الدعوة الاسلامية

1- تاريخ التمدن الاسلامي المجلد الثاني، جزء 4 ص 440.
2- نفس المصـدر و المجلد، و الجزء ص 232. و لا يهمنا هنا مناقشة جرجي زيدان فيما جعله سـببا لبيعتهم للعباسـيين، و لعل ما قدمناه في فصل: قيام الدولة العباسية كاف في ذلك ...
3- ضحى الاسلام ج 3 ص 295.
4- الصلة بين التصوف و التشيع ص 101.
5- التاريخ الاسلامي و الحضارة الاسلامية ج 3 ص 107.

كل تقدير، و مودة نحو الفرس، الذين اعتنقوا الاسلام. لقد كان سلمان الفارسي، و هو أحد مشاهير أصحاب الرسول، رفيق علي و صديقه، و كان من عادة الإمام أن يخصص نصيبه «النقدي» في الانفال لافتداء الأسرى. و كثيرا ما أقنع الخليفة عمر بمشورته؛ فعمد إلى تخفيف عبء الرعية في فارس. و هكذا كان ولاء الفرس لأحفاده واضحا تمام الوضوح ...» (1).

و يرى فان فلوتن: ان من أسباب ميل الخراسانيين، و غيرهم من الايرانيين للعلويين، هو أنهم لم يعاملوا معاملة حسنة، و لا رأوا عدلا إلا في زمن حكم الإمام علي (ع) (2) ...

أما الاستاذ علي غفوري فيرى (3): أن الايرانيين كانوا قبل الاسلام يعاملون بمنطق: أن الناس قد خلقوا لخدمة الطبقة الحاكمة، و أن عليهم أن ينفذوا الأوامر من دون: كيف؟ و لما ذا؟. فجاء الإسلام بتعاليمه الفطرية السهلة السمحاء؛ فاعتنقوه بكل رضى و أمل، و بدأ جهادهم في سبيل اقامة حكومة اسلامية حقيقية.

و بما أن أولئك الذين تسلموا زمام الامور- باستثناء الإمام علي طبعا- كانوا منحرفين [المقصود هنا بالطبع هو خلفاء الامويين] عن الاسلام، و تعاليمه، و يحاولون تلبيس عاداتهم الجاهلية، حتى التمييز القبلي، و العرقي بلباس الاسلام، و اعطائها صفة القانونية و الشرعية ...

فان الايرانيين لم يجدوا أهداف الاسلام، و تعاليمه في تلك الحكومات؛ و لهذا كان من الطبيعي أن يتوجهوا إلى علي، و الأئمة من ولده، الذين تعدى الآخرون على حقوقهم بالخلافة، و الذين كان سلوكهم المثالي هو».

1- روح الاسلام ص 306.
2- السيادة العربية و الشيعة و الاسرائيليات ...
3- يادبود هشتمين امام «فارسي».

المرآة الصافية، التي تنعكس عليها تعاليم الإسلام و أهدافه، و يمثلون الصورة الحقيقية للاسلام على مدى التاريخ، و كان صدى علمهم، و زهدهم، و استقامتهم يطبق الخافقين، و خصوصا الصادق و الرضا، الذي اهتبل و الفرصة إبان الخلاف بين الأمين و المأمون لنشر تعاليم الإسلام، و تعريف الناس على الحقائق، التي شاء الآخرون أن لا يعرفها أحد.

لكن لم يكن يروق للقوى الحاكمة، أن تظهر تلك الوجوه الطاهرة على الصعيد العام، و تتعرف عليها الامة الإسلامية، و على فضائلها، و كمالاتها؛ لأن الناس حينئذ سوف يدركون الواقع المزري لأولئك الحكام، و المتزلفين لهم. و الذين كانوا يتحكمون بمقدرات الامة، و امكاناتها؛ و إذا أدركوا ذلك فان من الطبيعي أن لا يترددوا في تأييد الأئمة، و مساعدة أية نهضة، أو ثورة من قبلهم؛ و لهذا فقد جهد الحكام في أن يزووهم و يبعدوهم ما أمكنهم عن الناس، و وضعوهم تحت الرقابة الشديدة، و في أحيان كثيرة في غياهب السجون ... حتى إذا ما سنحت لهم فرصة، تخلصوا منهم بالطريقة التي كانوا يرون أنها لا تثير الكثير من الشكوك و الظنون ...

عود على بدء:

و على كل حال ... فان ما يهمنا هنا هو مجرد الاشارة إلى تشيّع الايرانيين، الذي حاول المأمون أن يستغله لمصالحه و أهدافه ... حيث قد أثمرت و عود المأمون للخراسانيين، و تحببه لهم، و تقربه منهم، و تظاهره بالحب لعلي (ع) و ذريته، الثمار المرجوة منها؛ لأن الخراسانيين كانوا يريدون التخلص من أولئك الحكام الذين انقلبوا عليهم يقتلون، و يضطهدون كل من عرفوه مواليا لأهل البيت محبا لهم، ابتداء من المنصور، بل السفاح، و انتهاء بالرشيد، الذي لم يستطع يحيى بن خالد البرمكي أن

يسمع لعلوي ذكرا في خراسان في زمانه ... رغم أنه جهد كل الجهد من أجل ذلك، و في سبيله، حسبما تقدم ...

كما أنهم- أعني الخراسانيين- قد توسموا في المأمون أن يكون المنقذ لهم من أولئك الولاة، الذين ساموهم شتى ضروب العسف، و الظلم و العذاب. و الذين لم يكن يهمهم غير مصالحهم، و ارضاء شهواتهم و ملذاتهم، يعلم ذلك بأدنى مراجعة للتأريخ ...

قد وثقوا إلى حد ما بوعود المأمون تلك، التي كان يغدقها عليهم، و على غيرهم بدون حساب، و أمنوا جانبه؛ فكانوا جنده، و قواده، و وزراءه المخلصين، الذين اخضعوا له البلاد، و أذلوا له العباد، و بسطوا نفوذه و سلطانه على كثير من الولايات و الأمصار، التي كان يطمح إلى الوصول إليها، و السيطرة عليها ...

كيف يثق العرب بالمأمون؟!

و هكذا إذن ... يتضح أن ميل المأمون للايرانيين ما كان إلا دهاء منه و سياسة، استغلها المأمون أحسن ما يكون الاستغلال، حتى استطاع أن يصل إلى الحكم، و يتربع على عرش الخلافة، بعد أن قتل أخاه العزيز على العباسيين و العرب، و قضى على اشياعه بسيوف غير العرب، و ذلك ذنب آخر لن يسهل على العرب الاغضاء عنه أو غفرانه.

ثم ولى على بغداد رجلا غير عربي، هو الحسن بن سهل، أخو الفضل بن سهل، الذي تكرهه بغداد و العرب كل الكره ...

ثم إنه بعد هذا كله جعل مقر حكمه مروا الفارسية، و ليس بغداد العاصمة العربية الاولى التي خربها و دمرها ... و كان ذلك من شأنه أن يثير المخاوف لدى العرب في أن تتحول الإمبراطورية العربية إلى امبراطورية

فارسية، و خصوصا إذا لاحظنا: أن الفرس هم الذين أوصلوا المأمون إلى الحكم ... و قد اثبتوا جدارتهم، و أهليتهم في مختلف المجالات، و خصوصا السياسة، و شئون الحكم.

قتل الأمين و خيبة الأمل:

و إن قتل الأمين، و إن كان يمثل- في ظاهره- انتصارا عسكريا للمأمون إلا أنه كان في الحقيقة ذا نتائج سلبية و عكسية بالنسبة للمأمون، و أهدافه، و مخططاته ... سيما بملاحظة الأساليب التي اتبعها المأمون للتشفي من أخيه الأمين، الذي كان قد أصدر الأمر لطاهر بالأمس بأن يقتله (1) ... حيث رأيناه قد أعطى الذي جاءه برأس أخيه- بعد أن سجد للّه شكرا!!- ألف ألف «أي مليون» درهم (2) ... ثم أمر بنصب رأس أخيه على خشبة في صحن الدار، و أمر كل من قبض رزقه أن يلعنه؛ فكان الرجل يقبض، و يلعن الرأس، و لم ينزله حتى جاء رجل فلعن الرأس، و لعن والديه، و ما ولدا، و أدخلهم في «كذا و كذا» من أمهاتهم. و ذلك بحيث يسمعه المأمون؛ فتبسم، و تغافل؛ و أمر بحط الرأس (3)!!.

و يا ليته اكتفى بكل ذلك ... بل إنه بعد أن طيف برأس الأمين بخراسان (4)

1- لقد نص بعض المؤلفين في كتابه الفارسي «يادبود هشتمين إمام» ص 29 على أن المأمون: «لم يرض بقتل الأمين فحسب، بل أنه هو الذي أمر بقتله ...».

2- فوات الوفيات ج 2 ص 269، و الطبري، طبع دار القاموس الحديث ج 10 ص 202، و البداية و النهاية ج 10 ص 243، و حياة الحيوان ج 1 ص 72، و تجارب الامم ج 6 ص 416 المطبوع مع العيون و الحدائق.

3- مروج الذهب ج 3 ص 414، و تتمة المنتهى ص 186 و الموفقيات ص 140.

4- تاريخ الخلفاء للسيوطي ص 298.

أرسل إلى ابراهيم بن المهدي يعنفه و يلومه على أنه أسف على قتل الأمين، و رثاه (1)!! فما ذا ننتظر بعد هذا كله، و بعد ما قدمناه: أن يكون موقف العباسيين، و العرب، بل و سائر الناس منه ...

إن أيسر ما نستطيع أن نقوله هنا هو: أنه كان لقتله أخاه، و فعاله الشائنة تلك ... أثر سيّئ على سمعته، و من أسباب زعزعة ثقة الناس، به، و تأكيد نفورهم منه، سواء في ذلك العرب، أو غيرهم ...

و قد استمر ذلك الأثر أعواما كثيرة، حتى بعد أن هدأت ثائرة الناس، و رجع إلى بغداد ...

فقد جلس مرة يستاك على دجلة، من وراء ستر؛ فمر ملاح، و هو يقول: «أ تظنون أن هذا المأمون ينبل في عيني، و قد قتل أخاه؟!».

قال: فسمعه المأمون؛ فما زاد على أن تبسم، و قال لجلسائه:

«ما الحيلة عندكم، حتى أنبل في عين هذا الرجل الجليل ...» (2).

و قال له الفضل بن سهل، عند ما عزم على الذهاب إلى بغداد:

«ما هذا بصواب؛ قتلت بالأمس أخاك، و أزلت الخلافة عنه، و بنو أبيك معادون لك؛ و أهل بيتك و العرب ... إلى أن قال: و الرأي،0.

1- البداية و النهاية ج 10 ص 443.
2- تاريخ بغداد ج 10 ص 189، و البداية و النهاية ج 10 ص 277، و تاريخ الخلفاء ص 320، و روض الأخيار في منتخب ربيع الأبرار ص 186، و فوات الوفيات ج 1 ص 240.

أن تقيم بخراسان، حتى تسكن قلوب الناس على هذا، و يتناسوا ما كان من أمر أخيك ...» (1).

المأمون في الحكم:

و إذا ما أردنا أن نعطف نظرنا على ناحية أخرى في سياسة النظام المأموني؛ فإننا سوف نرى أنه لم يكن موفقا في سياسته مع الناس، سواء في ذلك العرب أو الإيرانيون، بالأخص أهل خراسان؛ حيث لم يحاول أن يتجنب سياسة الظلم و العسف و الاضطهاد، التي كان يمارسها أسلافه مع الرعية ... بل لعله زاد عليهم، و سبقهم أشواطا بعيدة في ذلك.

أما سياسته مع العرب:

فالمأمون، و ان استطاع أن يصل الى الحكم إلا أنه فشل في مهمة الفوز بثقة العرب، خصوصا إذا لاحظنا بالاضافة إلى ما قدمناه تحت عنوان «كيف يثق العرب بالمأمون». ما نالهم منه، و من عماله، من صنوف العسف و الظلم- عدا عما فعلته فيهم تلك الحروب الطاحنة، التي شنها ضد أخيه الأمين- فان ذلك يفوق كل وصف، و يتجاوز كل تقدير؛

1- البحار ج 49 ص 166، و مسند الامام الرضا ج 1 ص 85، و أعيان الشيعة ج 4 قسم 2 ص 138، و عيون أخبار الرضا ج 2 ص 160. هذا ... و تجدر الاشارة هنا: إلى أن بعض المحققين يرى: أن قتل الأخ في سبيل الملك، لم يكن من الامور التي يهتم لها الناس كثيرا في تلك الفترة، و لا سيما إذا كان المقتول هو المعتدي اولا، و الأمين هنا هو المعتدي على المأمون، بخلعه أولا، ثم بارساله جيشا إلى إيران لمحاربته، و الذي هزم على يد طاهر بن الحسين. و لكننا مع ذلك ... لا نزال نصر على رأينا في هذا المجال؛ سيما و أننا نرى في النصوص التاريخية ما يدعم هذا الرأي و يقويه ...

حتى لقد وصف: «ديونيسيوس» جباة الخراج في العراق في سنة (200 ه.) بأنهم: «قوم من العراق، و البصرة، و العاقولاء. و هم عتاة، ليس في قلوبهم رحمة، و لا إيمان، شر من الأفاعي. يضربون الناس، و يحبسونهم. و يعلقون الرجل البدين من ذراع واحد، حتى يكاد يموت» (1).

و الايرانيون أيضا لم يكونوا أحسن حالا:

و لم يكن حال الايرانيين من هذه الجهة بأفضل من حال أهل العراق.

و يذكره الجاحظ: أن المأمون ولى محمود بن عبد الكريم التصنيف «فتحامل على الناس، و استعمل فيهم الأحقاد و الدمن؛ فخفض الأرزاق، و أسقط الخواص، و بعث في الكور، و أنحى على أهل الشرف و البيوتات، حسدا لهم، و إشفاء لغليل صاحبه منهم، فقصد لهم بالمكروه و التعنت فامتنعت طائفة من الناس من التقدم إلى العطاء، و تركوا أسماءهم، و طائفة انتدبوا مع طاهر بن الحسين بخراسان، فسقط بذلك السبب بشر كثير ...» (2).

يقول الجنرال جلوب و هو يتحدث عن المأمون: «... و راح يلقي خطبته الاولى في الناس؛ فيعدهم بأن يكون حكمه فيهم طبقا للشرع، و أن يكرس نفسه لخدمة اللّه وحده. و قد أثارت هذه الوعود التقية حماسة عند الناس. و كانت من أهم أسباب انتصاره. لكن هذه الوعود ما لبثت أن تحولت إلى فجيعة نزلت بالناس؛ إذ أن الخليفة ما لبث أن نسيها ...» (3).

1- الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، لآدم متز ج 1 ص 232.

2- رسائل الجاحظ ج 2 ص 207- 208.

3- امبراطورية العرب، ترجمة، و تعليق خيري حماد ص 570.

و يكفي أن نشير هنا إلى المجاعة التي أصابت أهل خراسان، و الري، و أصبهان، و عزّ الطعام، و وقع الموت، و ذلك في سنة 201 للهجرة ...

المأمون مع الرعية عموما:

و عن حالة المأمون العامة مع الناس يقول فان فلوتن:

«... و لم يكن جور النظام العباسي و عسفه، منذ قيام الدولة العباسية بأقل من النظام الاموي المختل. و تذكرنا شراهة المنصور، و الرشيد، و المأمون، و جشعهم، و جور أولاد علي بن عيسى، و عبثهم بأموال المسلمين بزمن الحجاج، و هشام، و يوسف بن عمر الثقفي. و لدينا البراهين الكثيرة على فجيعة الناس في هذا العرش الجديد، و مقدار انخداعهم به ...»، ثم يضرب أمثلة من الخارجين على سياسات العباسيين تلك، ثم يقول: «... كل ذلك يبين أن ما كان يشكو منه المسلمون من الجور و العسف لم يزل على ما كان عليه في عهد بني أمية الأول ...» (1).

قال ابن الجراح: إن ابراهيم بن المهدي كان: «يرمي المأمون بأمه (2)، و إخوته، و أخواته، و من أيسر ذلك قوله:

صدّ عن توبة و عن إخبات و لها بالمجون و القينات

ما يبالي إذا خلا بأبي عيسى و سرب من بدّن أخوات

أن يغص المظلوم في حومة الجور بداء بين الحشا و اللهاة (3)

ص: 180

1- السيادة العربية و الشيعة و الاسرائيليات ص 132.

2- و لكن أمه كانت قد ماتت أيام نفاسها به!!. و لعله يريد أن أمه كانت متهمة، فكان يعير بها ...

3- الورقة، لابن الجراح ص 21، و لا بأس بمراجعة كتاب: أشعار أولاد الخلفاء.

و ما يهمنا هنا هو البيت الأخير، أما ما قبله، فلا نملك إلا أن نقول: «أهل البيت أدرى بالذي فيه ...» ...

و على كل حال ... فإننا لا نستغرب على المأمون صفة الظلم و العسف و الجور ... بعد أن رأينا أنه عند ما عرضت عليه سيرة أبي بكر، و عمر، و عثمان، و علي (ع)، يأبى أن يأخذ بها جميعا، لأنه كان يجد في آخر كل منها: أنهم كانوا يأخذون الأموال من وجوهها، و يضعونها في حقوقها. لكنه قبل سيرة معاوية، الذي أراد الاعلان ببراءة الذمة ممن يذكره بخير؛ لأن في آخرها يقول: إنه كان يأخذ الأموال من وجوهها، و يضعها كيف شاء ...، و قال المأمون حينئذ: «إن كان فهذا (1)»!! و في رسالة عبد اللّه بن موسى للمأمون نفسه ما فيه الكفاية فلتراجع في أواخر هذا الكتاب.

و ما ذا بعد الوصول إلى الحكم:

و هكذا ... فإن المأمون كان يحسب أنه إذا قتل أخاه، و تخلص من من أشياعه و مساعديه، و بعد أن تؤتي الحملة الدعائية ضدهم ثمارها- كان يحسب و يقدر- أن الطريق يكون قد مهد له للاستقرار في الحكم، و أنه سوف يستطيع بعد هذا أن يطمئن، و ينام قرير العين.

و لكن فأله قد خاب، و انقلبت ماجريات الامور في غير صالحه؛ فإن الايرانيين قد: «انفضوا بعد الحرب الأهلية المفجعة بين الأمين و المأمون، عن

1- المحاسن و المساوي للبيهقي ص 495.

تأييد العباسيين ..» (1). انفضوا عنه ليمنحوا العلويين عطفهم و محبتهم، و تأييدهم؛ لأنهم يعرفون أنهم هم الذين يقيمون العدل، و يعملون بشريعة اللّه- و ما موقف نيسابور، و صلاتي العيد، إلا الدليل الواضح و القاطع على تلك العاطفة، و ذلك الحب و التقدير. و أيضا انفضوا عنه لأنه قد كشف لهم عن وجهه الحقيقي، و عرفهم بواقعه الأناني البشع، و خصوصا بعد أن عانوا ما عانوا هم و غيرهم من صنوف الظلم و الجور و الاضطهاد، في ظل نظام الحكم الذي طالما عملوا من أجله، و ضحوا في سبيله ...

و حتى لو أنهم كانوا لا يزالون على تأييدهم له، فإنه لا يستطيع بعد هذا أن يعتمد على ذلك التأييد، و على ثقتهم به طويلا؛ فإنه كان من السهل- بعد أن فعل بأخيه و أشياعه، و غيرهم، ما فعل- أن يكتشفوا أن ذلك منه ما كان إلا سياسة و دهاء ... كما أنه أصبح من الصعب عليهم- بعد تجربتهم الاولى معه، و مع وعوده، التي ما أسرع ما نسيها- أن يقتنعوا منه بالأقوال التي لا تدعمها الأفعال، و لسوف لا يطمئنون إليه، و لن ينقادوا له- بعد هذا- بالسهولة التي كان يتوقعها ...

الموقف الصعب:

كانت تلك لمحة خاطفة عن موقف العباسيين، و العرب تجاه المأمون.

ذلك الموقف، الذي كان يزداد حساسية و تعقيدا، يوما عن يوم.

أضف إلى ذلك أيضا الخطر الذي كان يكمن في موقف الخراسانيين، الذين رفعوا المأمون على العرش، و سلموا إليه أزمة الحكم و السلطان ...

و إذا ما أضفنا إلى ذلك كله، موقف العلويين، الذين اغتنموا فرصة

1- امبراطورية العرب ص 649.

الصـدام بينه و بين أخيه، لتجميع صـفوفهم، و مضاعفة نشاطاتهم، فلسوف تكتمل أمامنا ملامح الصورة لحقيقة الوضع و الظروف، التي كان يعاني منها المأمون، و نظام حكمه آنـذاك ... سـيما و نحن نراه في مواجهة تلك الثورات العارمة، و بالأخص ثورات العلويين أقوى خصوم الدولة العباسية، و التي كانت تظهر من كل جانب و مكان، و كل ناحية من نواحي مملكته ...

ثورات العلويين ... و غيرهم:

فأبو السّرايا- الذي كان يوما ما من حزب المأمون (1)- خرج بالكوفـة. و كان هو و أتباعه لا يلقون جيشا إلا هزموه، و لا يتوجهون إلى بلدة إلا دخلوها (2).

و يقال: إنه قد قتل من أصـحاب السـلطان، في حرب أبي السـرايا فقط، مائتا ألف رجل، مع أن مدته من يوم خروجه إلى يوم ضربت عنقه لم تزد على العشرة أشهر (3).

و حتى البصرة، معقل العثمانية (4)، قد أيدت العلويين، و نصرتهم؛

ص: 183

1- ففي الطـبري ج 10 ص 236، و تاريـخ ابن خلدون ج 3 ص 245، و الكامـل لابن الأثير ج 5 ص 179، طبعـة ثالثة: أن المأمون قال لهرثمة: «مالأت أهل الكوفة، و العلويين، و داهنت، و دسـست إلى أبي السرايا، حتى خرج، و عمل ما عمل، و كان رجلا من أصحابك إلخ ...». و اتهام هرثمة بهذا مهم فيما نحن فيه أيضا.

2- ضحى الاسلام ج 3 ص 294، و مقاتل الطالبيين ص 535.

3- مقاتل الطالبيين ص 550، و البداية و النهاية ج 10 ص 345.

4- الصلة بين التصوف و التشيع ص 173، و سـيأتي كلام محمد بن علي العباسي، المتعلق بهذا الموضوع، عن قريب ... الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملي 184 ثورات العلويين... و غيرهم: ..... ص : 183

فقد خرج فيها زيد النار (1)، و معه علي بن محمد، كما خرج منها من قبل على المنصور ابراهيم بن عبد اللّه ...

و في مكة، و نواحي الحجاز: خرج محمد بن جعفر، الذي كان يلقب ب: «الديباج» و تسمى ب: «أمير المؤمنين» (2) ...

و في اليمن: ابراهيم بن موسى بن جعفر ...

و في المدينة: خرج محمد بن سليمان بن داود، بن الحسن بن الحسين، ابن علي بن أبي طالب ...

و في واسط: التي كان قسم كبير منها يميل إلى العثمانية- خرج جعفر ابن محمد، بن زيد بن علي. و الحسين بن ابراهيم، بن الحسن بن علي ...

و في المدائن: محمد بن اسماعيل بن محمد ...

بل إنك قد لا تجد قطرا، إلا و فيه علوي يمني نفسه، أو يمنيه الناس بالثورة ضد العباسيين- حسبما نص عليه بعض المؤرخين- حتى لقد اتجه أهل الجزيرة، و الشام، المعروفة بتعاطفها مع الامويين،..

1- سمي بذلك؛ لانه حرق دور العباسيين في البصرة بالنار، و كان إذا اتي برجل من المسودة، أحرقه بثيابه ... على ما ذكره الطبري ج 11 ص 986، طبع ليدن، و الكامل لابن الأثير ج 5 ص 177، و تاريخ ابن خلدون ج 3 ص 244، و البداية و النهاية ج 10 ص 346. و في الروايات أن الرضا عليه السلام أظهر الاستياء من فعل أخيه زيد. و لعل سبب ذلك أنه بالاضافة إلى أنه أقدم في ثورته على أعمال تنافي أحكام الدين، و تضر إضرارا بالغا بقضية العلويين العادلة ... كان يمالىء الزيدية، ... أو لأنه أراد إبعاد شر المأمون عن زيد، و ابعاد التهمة عن نفسه؛ بأنه هو المدبر لأمر أخيه أو لعل كل ذلك قد قصد ...

2- و ليس في العلويين- باستثناء الامام علي (ع) طبعا- قبله، و لا بعده، من تسمى ب «أمير المؤمنين» غيره؛ كما في مروج الذهب ج 3 ص 439. و «الديباجة» لقب لأكثر من واحد من العلويين ...

و آل مروان ... إلى محمد بن محمد العلوي، صاحب أبي السرايا؛ فكتبوا إليه: أنهم ينتظرون أن يوجه إليهم رسولا؛ ليسمعوا له، و يطيعوا ... (1)

و أما ثورات غير العلويين، فكثيرة أيضا، و قد كان من بينها ما يدعو إلى: «الرضا من آل محمد»، كثورة الحسن الهرش سنة 198 (2) ه.

و سواها و لا مجال لنا هنا للتعرض إليها. و من أرادها فعليه بمراجعة الكتب التاريخية المعترضة لها (3) ...

الزعيم العباسي الأول يعترف:

هذا مع أن أكثر تلك الأقطار لم تكن تؤيد العلويين، و لا تدين لهم بالولاء باعتراف الزعيم العباسي الأول: محمد بن علي بن عبد اللّه، والد ابراهيم الامام، حيث قال لدعاته:

«... أما الكوفة و سوادها: فهناك شيعة علي، و ولده. و أما البصرة، و سوادها: فعثمانية، تدين بالكف. و أما الجزيرة: فحرورية مارقة،

1- مقاتل الطالبيين ص 534 ... راجع في بيان ثورات العلويين: البداية و النهاية ج 10 ص 244، إلى ص 247، و اليعقوبي ج 3 ص 173، 174، و مروج الذهب ج 3 ص 439، 440، و مقاتل الطالبيين، و الطبري، و ابن الأثير، و أي كتاب تاريخي شئت؛ لترى كيف أن الثورات في الفترة الاولى من عهد المأمون، قد عمت جميع الأقطار و الامصار ...

2- البداية و النهاية ج 10 ص 244، و الطبري ج 11 ص 975، طبع ليدن.

3- و قد تغلب حاتم بن هرثمة على أرمينية، و كان هو السبب في خروج بابك الخرمي. و تغلب نصر بن شبث على كيسوم، و سميساط، و ما جاورها، و عبر الفرات إلى الجانب الشرقي، و كثرت جموعه، و لم يستسلم إلا في سنة 207 ه. و هناك أيضا حركات الزط. و ثورة بابك، و ثورة المصريين التي كانت بين القيسية المناصرة للأمين و اليمانية المناصرة للمأمون. إلى غير ذلك مما لا مجال لنا هنا لتتبعه ...

و أعراب كأعلاج، و مسلمون أخلاقهم كأخلاق النصارى. و أما الشام:

فليس يعرفون إلا آل أبي سفيان، و طاعة بني مروان، عداوة راسخة، و جهل متراكم. و أما مكة و المدينة: فغلب عليهما أبو بكر، و عمر؛ و لكن عليكم بأهل خراسان الخ ...» (1).

و نقل عن الأصمعي أيضا كلام قريب من هذا (2) ...

دلالة هامة:

و من بعض ما قدمناه في الفصول المتقدمة، سيما فصل: موقف العباسيين من العلويين، و أيضا مما ذكرناه هنا نستطيع أن نستكشف أن حق العلويين بالخلافة و الحكم، قد أصبح من الامور المسلمة لدى الناس، في القرن الثاني، الذي يعد من خير القرون ... حيث لم تكن عقيدة عامة الناس قد استقرت بعد على هذه العقيدة المتداولة لدى أهل السنة اليوم، و التي أشرنا إلى أنها العقيدة التي وضع أسسها معاوية ... و عليه ...

فما يدعيه أهل السنة اليوم من أن عقيدتهم في الخلافة قد وصلت إليهم يدا بيد، إلى عصر النبي (ص) غير صحيح على الاطلاق. بل إن الشيخ محمد عبده يرى: ان رسوخ عقيدة «ان حق الخلافة لأهل البيت، و شيوع ذلك في العرب خاصة». هو الذي دعا المعتصم إلى تشييد ملكه على الترك، و غيرهم من العجم، يقول الشيخ محمد عبده: «كان الإسلام دينا عربيا، ثم لحقه العلم فصار علما عربيا، بعد أن كان

1- البلدان للهمداني ج 2 ص 352، و أحسن التقاسيم للمقدسي ص 293، و عيون الأخبار لابن قتيبة ج 1 ص 204، و السيادة العربية، و الشيعة و الاسرائيليات ص 93، و لا بأس بمراجعة: الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ج 1 ص 102.
2- روض الأخيار، المنتخب من ربيع الأبرار ص 67، و العقد الفريد، طبع دار الكتاب العربي ج 6 ص 248.

يونانيا، ثم أخطأ خليفة في السياسة، فاتخذ من سعة الإسلام سبيلا إلى ما كان يظنه خيرا: ظن أن الجيش العربي قد يكون عونا لخليفة علوي؛ لأن العلوي الصق ببيت النبي (ص)؛ فأراد أن يتخذ له جيشا أجنبيا من الترك و الديلم و غيرهم من الامم التي ظن أنه يستعبدها بسلطانه، و يصطنعها باحسانه؛ فلا تساعد الخارج عليه، و لا تعين طالب مكانه من الملك ...» (1).

عود على بدء:

و على كل حال ... فإننا إذا أردنا تقييم تلك الثورات، التي كانت تواجه الحكم العباسي، فإننا سوف نجد: أن ما كان يكمن فيه الخطر الحقيقي هو ثورات العلويين، لانها كانت تظهر في مناطق حساسة جدا في الدولة؛ و لأنها كانت بقيادة أولئك الذين يمتلكون من قوة الحجة، و الجدارة الحقيقية، ما ليس لبني العباس فيه أدنى نصيب ...

و كان في تأييد الناس لهم، و استجابتهم السريعة لدعوتهم دلالة واضحة على شعور الامة، بمختلف طبقاتها، و فئاتها تجاه حكم العباسيين، و نوعية تفكيرها تجاه خلافتهم، و على مدى الغضب الذي كان يستبد بالنفوس؛ نتيجة استهتار العباسيين، و ظلمهم، و سياساتهم الرعناء، مع الناس عامة، و مع العلويين بشكل خاص ...

و قد كان المأمون يعلم أكثر من أي شخص آخر، كم سوف يكون حجم الكارثة، لو تحرك الإمام الرضا- الذي اهتبل فرصة الحرب بينه و بين أخيه، لتحكيم مركزه، و بسط نفوذه ضد الحكم القائم ...

1- الاسلام و النصرانية للشيخ محمد عبده.

الناس لم يبايعوا المأمون كلهم بعد:

و بعد كل ما تقدم ... فإن من الأهمية بمكان، أن نشير هنا، إلى أن العلويين، و قسما كبيرا من الناس، بل و عامة المسلمين، لم يكونوا قد بايعوا المأمون أصلا:

فأما أهل بغداد؛ فحالهم في الخلاف عليه أشهر من أن يذكر، و قد قدمنا في أول هذا الفصل عبارته في رسالته، التي كان قد أرسلها للعباسيين في بغداد ...

و أما أهل الكوفة- التي كانت دائما شيعة علي و ولده- فلم يبايعوا له، بل بقوا على الخلاف عليه، إلى أن ذهب أخو الإمام الرضا (ع)!! العباس بن موسى، يدعوهم، فقعدوا عنه، و لم يجبه إلا البعض منهم؛ و قالوا: «إن كنت تدعو للمأمون، ثم من بعده لأخيك؛ فلا حاجة لنا في دعوتك، و إن كنت تدعو إلى أخيك، أو بعض أهل بيتك، أو إلى نفسك؛ أجبناك ...» (1).

و يلاحظ هنا: كيف قد اختير رجل علوي، و أخو الإمام الرضا (ع) بالذات؛ ليرسل إلى الكوفة، المعروفة بالتشيع للعلويين ... و يلاحظ أيضا:

أن رفضهم الاستجابة له، إنما كان لأجل أن الدعوة تتضمن الدعوة للمأمون العباسي.

و أما أهل المدينة، و مكة، و البصرة، و سائر المناطق الحساسة في

1- الكامل لابن الأثير ج 5 ص 190، و تجارب الامم ج 6 المطبوع مع العيون و الحدائق ص 439. و في تاريخ الطبري ج 11 ص 1020، طبع ليدن، و تاريخ ابن خلدون ج 3 ص 248: أنه قد أجابه قوم كثير منهم، و لكن قعد عنه الشيعة و آخرون ... لكن ظاهر حال الكوفة التي كانت دائما شيعة علي و ولده هو أن المجيبين له كانوا قلة ... كما ذكر ابن الأثير.

الدولة، فقد تقدم ما يدل على حقيقة موقفهم منه، و من نظام حكمه …

و قد كتب المأمون نفسه بخط يده، في وثيقة العهد للامام يقول:

«… و دعا أمير المؤمنين ولـده، و أهل بيته، و قواده، و خدمه؛ فبايعوا مسارعين … إلى أن قال: فبايعوا معشـر أهل بيت أمير المؤمنين، و من بالمدينة المحروسة، من قواده، و جنده، و عامة المسلمين لأمير المؤمنين، و للرضا من بعده، علي بن موسى …» و الوثيقة مذكورة في أواخر هذا الكتاب.

فقوله: «لأمير المؤمنين، و للرضا من بعده …» يدل دلالة واضـحة على أن عامة المسـلمين ما كانوا قد بايعوا بعد: «لأمير المؤمنين»، فضـلا عن: «أهل المدينة المحروسة …».

و حتى لو أنهم كانوا قـد بايعوا له؛ فان بيعتهم هذه، وجودها كعدمها؛ إذ أن عصـيانهم، و تمردهم عليه، و على حكمه، لم يكن ليخفى على أحد … بعد ما قدمناه من ثوراتهم تلك، التي كانت تظهر من كل جانب و مكان، و كان كلما قضـى على واحدة منها تظهر أخرى داعية لما كانت تـدعو إليه تلك، أي إلى: «الرضا من آل محمـد»، أو إلى أحد العلويين، الذين يشاهد المأمون عن كثب قدرتهم، و قوتهم، و نفوذهم الذي كان يتزايد باستمرار يوما عن يوم … و لم تستقم له في الحقيقة سوى خراسان …

نعم بعد أن عاد إلى بغداد، و كان قد قوي أمره، و اتسع نفوذه، بدأ الناس يبايعونه في الاقطار، و يتعللون بأن امتناعهم إنما كان ظاهريا، و أنهم كانوا في السر معه، و على ولائه، على ما صرح به اليعقوبي في تاريخه …

المأمون يدرك حراجة الموقف:

تلك هي باختصار حالة الحكم العباسي بشكل عام، و حالة المأمون، و ظروفه في الحكم بشكل خاص ... في تلك الفترة من الزمن ... و قد اتضح لنا بجلاء: أن الوضع كان بالنسبة إلى المأمون، و نظام حكمه، قد ازداد سوءا، بعد وصول المأمون إلى الحكم، و تضاعفت الأخطار، التي كان يواجهها، و أصبح- هو و عرشه- في مهب الريح، و تحت رحمة الأنواء ... و إذا كان ليس من الصعب علينا: أن نتصور مدى الخطر الذي كان يتهدد المأمون، و خلافته، و بالتالي مستقبل الخلافة العباسية بشكل عام ... فإنه من الطبيعي أن لا يكون من الصعب على المأمون أفعى الدهاء و السياسة أن يدرك- بعمق، إلى أي حد كان مركزه ضعيفا، و موقفه حرجا؛ حيث إنه هو الذي كان يعيش- أكثر من أي إنسان آخر- في ذلك الخضم الزاخر بالمشاكل، و المتاعب، و الأخطار.

و خصوصا و هو يواجه الثورات، و بالأخص ثورات العلويين، أقوى خصوم الدولة العباسية، تظهر من كل جانب و مكان، و كل ناحية من نواحي مملكته ... كما أنه لم يكن ليصعب عليه أن يدرك أن الكثير من المشاكل التي يعاني منها إنما كان نتيجة السياسات الرعناء، التي انتهجها اسلافه، مع الناس عامة، و مع العلويين خاصة. و أن يدرك أن الاستمرار في تلك السياسة. أو حتى مجرد الإهمال، و التواني في علاج الوضع، سوف يكون من ابسط نتائجه أن تلقى خلافة العباسيين على ايدي العلويين نفس المصير الذي لقيته خلافة الامويين على أيدي أسلافه من قبل ...

ما ذا يمكن للمأمون أن يفعل:

و لكن ... و بعد أن نجح المأمون في الوصول إلى ما كان يتمناه، و هو

الحكم و السلطان، و إذا كان لا يرضى به بنو أبيه، و لا العلويون، و لا العرب، و إذا كان حتى غير العرب، ضعفت ثقتهم به، و تزعزع مركزه في نفوسهم.

و أيضا ... إذا كانت ثورات العلويين، فضلا عن غيرهم ... تظهر من كل جانب و مكان ... و إذا كان الكثيرون، بل عامة المسلمين لم يبايعوا له بعد ... و هكذا إلى آخر ما تقدم ... فهل يمكن للمأمون أن يقف تجاه كل تلك العواصف، و الانواء التي تتهدده، و نظام حكمه، مكتوف اليدين؟!.

و ما ذا يمكن للمأمون بعد هذا أن يفعل، ليبقى محتفظا بالحكم و السلطان، الذي هو أعز ما في الوجود عليه؟! ...

هذا- ما سوف نحاول الاجابة عليه في الفصل التالي.

ظروف البيعة و أسبابها

إنقاذ الموقف!!. كيف؟!

قد قدمنا في الفصل السابق لمحة عن ظروف المأمون في الحكم، و أشـرنا إلى أن الوضع كان يزداد سوءا يوما عن يوم ... و إلى أنه كان لا بد للمأمون من التحرك، و العمل بسـرعة، شـرط أن لا يزيد الفتق اتساعا، و الطين بلة ... و أن يستعمل كل ما لديه من حنكة و دهاء، في سبيل انقاذ نفسه، و نظام حكمه، و خلافة العباسيين بشكل عام ...

و كان المأمون يدرك: أن إنقاذ الموقف يتوقف على:

1- إخماد ثورات العلويين، الذين كانوا يتمتعون بالاحترام و التقدير، و لهم نفوذ واسع في جميع الفئات و الطبقات ...

2- أن يحصل من العلويين على اعتراف بشرعية خلافة العباسيين، و ليكون بذلك قد افقدهم سلاحا قويا، لن يقر له قرار، إلا إذا افقدهم إياه ...

3- استئصال هـذا العطف، و ذلك التقدير و الاحترام، الذي كانوا يتمتعون به، و كان يزداد يوما عن يوم- استئصاله- من نفوس الناس نهائيا، و العمل على تشويههم أمام الرأي العام، بالطرق، و الأساليب

ص: 192

التي لا تثير الكثير من الشكوك و الشبهات؛ حتى لا يقدرون بعد ذلك على أي تحرك؛ و لا يجدون المؤيدين لأية دعوة لهم؛ و ليكون القضاء عليهم بعد ذلك نهائيا- سهلا و ميسورا ...

4- اكتساب ثقة العرب و محبتهم ...

5- استمرار تأييد الخراسانيين، و عامة الايرانيين له.

6- إرضاء العباسيين، و المتشيعين لهم، من أعداء العلويين.

7- تعزيز ثقة الناس بشخص المأمون، الذي كان لقتله أخاه أثر سيّئ على سمعته، و ثقة الناس به ...

8- و أخيرا ... أن يأمن الخطر الذي كان يتهدده من تلك الشخصية الفذة، التي كانت تملأ جوانبه فرقا، و رعبا. و أن يتحاشى الصدام المسلح معها. ألا و هي شخصية الإمام الرضا (ع)، و أن يمهد الطريق للتخلص منها، و القضاء عليها، قضاء مبرما، و نهائيا ...

لا بد من الاعتماد على النفس:

و بعد هذا ... فإن من الواضح أن المأمون كان يعلم قبل كل أحد، أنه:

لم يكن يستطيع أن يستعين في مواجهة تلك المشاكل بالعباسيين، بني أبيه، بعد أن كانوا ينقمون عليه، قتله أخاه، العزيز عليهم، و على العرب، و بعد مواقفه، التي تقدم بيان جانب منها تجاههم ... و أيضا ...

بعد أن كانوا لا يثقون به، و لا يأمنون جانبه، بسبب موقفهم السابق منه ...

و الأهم من ذلك أنه لم يكن فيهم الرجال الكفاة، الذين يستطيع

أن يعتمد عليهم (1). يدلنا على ذلك أنهم بعد أن ثاروا على المأمون، بسبب بيعته للرضا عليه السلام، لم يجدوا فيهم شخصا أعظم، و أكفأ من ابن شكلة المغني، فبايعوه، مع أنه من أصحاب المزامير و البرابط ...

و فيه يقول دعبل:

نعر ابن شكلة بالعراق و أهله فهفا إليه كل أطلس مائق

إن كان ابراهيم مضطلعا بهافلتصلحن من بعده لمخارق

و لتصلحن من بعد ذاك لزلزل و لتصلحن من بعده للمارق

أنى يكون، و ليس ذاك بكائن يرث الخلافة فاسق عن فاسق (2) كما أنه عند ما أصبح ابراهيم هذا خليفة، قال بعض الأعراب، عند ما جاء الخبر بأنه: لا مال عند الخليفة ليعطي الجند، الذين ألحوا في طلب اعطياتهم، قال: «فليخرج الخليفة إلينا، فليغن لأهل هذا الجانب ثلاثة أصوات، فتكون عطاءهم، و لأهل هذا الجانب مثلها ...»

فقال في ذلك دعبل- شاعر المأمون- يذم ابراهيم بن المهدي:

يا معشر الاجناد لا تقنطواخذوا عطاياكم، و لا تسخطوا

فسوف يعطيكم حنينيةلا تدخل الكيس، و لا تربط

و المعبديات لقوادكم و ما بها من أحد يغبط

فهكذا يرزق أصحابه خليفة مصحفه البربط (3)..

ص: 194

1- و قد كان بينهم الكثيرون في أول عهد الدولة العباسية ... و نقصد ب «الكفاءة» هنا: الكفاءة الظاهرية، التي يقرها منطق الجبارين المتغطرسين. لا الكفاءة الحقيقية التي يريدها اللّه، و جاء بها محمد. و قد أشرنا إلى ذلك من قبل.

2- وفيات الأعيان، طبع سنة 1310 ه ج 1 ص 8، و الورقة لابن الجراح ص 22، و معاهد التنصيص ج 1 ص 205، و الشعر و الشعراء ص 541، و الكنى و الألقاب ج 1 ص 330، و الأطلس: هو الرجل يرمى بالقبيح ...

3- معاهد التنصيص ج 1 ص 205، 206، و شرح ميمية أبي فراس ص 281، و البداية و النهاية ج 10 ص 290، و البحار ج 49 ص 143، و الغدير ج 2 ص 377، و الأغاني ج 18 ص 68، و ص 101 طبع دار الفكر، و الورقة لابن الجراح ص 22، و نزهة الجليس ج 1 ص 404، و عيون أخبار الرضا ج 2 ص 166. و الحنينيات: منسوبة إلى حنين النجفي العبادي، المغني المشهور. و المعبديات: منسوبة إلى معبد المغني المشهور. و البربط: ملهاة، تشبه العود. و هو فارسي معرب. و أصله: بربت؛ لأن الضارب يضعه على صدره ... انتهى عن نزهة الجليس ...

و إذا كان لا يستطيع أن يستعين ببني أبيه العباسيين، فبالأحرى أن لا يستطيع أن يستعين على حلّ مشاكله بالعلويين، و المتشيعين لهم، بعد أن كانوا هم أساس البلاء و العناء له، و الذين يخلقون له أعظم المشاكل، و يضعون في طريق حكمه أشق العقبات ...

و أما العرب: فهو أعرف الناس بحقيقة موقفهم منه ...

و الخراسانيون: لا يستطيع أن يعتمد على ثقتهم به طويلا، بعد أن كشف لهم عن حقيقته و واقعه الاناني البشع، بقتله أخاه، و إبعاده طاهرا بن الحسين، مشيد أركان حكمه، عن مسرح السياسة: «و لقد ذكره الرضا بذلك، عند ما استعرض معه حقيقة الوضع القائم آنذاك ...».

ثم هناك ما تعرضوا له من ظلم و حيف

أي الاساليب أنجع:

و بعد ذلك ... فانه من الواضح أنه:

لم يكن لينقذ الموقف القسوة و العنف، و هو الذي يعاني المأمون من نتائجه السيئة ما يعاني ...

و لا المنطق و الحجاج، لأن العلويين- بناء على ما شاع عند الامة، بتشجيع من خلفائها، من أن السبب في استحقاق الخلافة، هو القربى النسبية منه (ص)- إن العلويين بناء على هذا: أقوى حجة من العباسيين، لأنهم يمتلكون اعترافا صريحا منهم بأن المستحق للخلافة هو

الأقرب نسبا إلى النبي (ص) ...

هذا ... و إذا ما أراد العباسيون، أو غيرهم الاحتجاج بالأهلية و الجدارة لقيادة الامة، فان العلويين لا يدانيهم أحد في ذلك، و ذلك لما كانوا يتمتعون به من الجدارة و الاهلية الذاتية لقيادة الامة قيادة صالحة و سليمة ...

و أما النص فمن هو ذلك الذي يجرأ على الاستدلال به، و هو يرى أنه كله في صالح آل علي، و أئمة أهل البيت منهم بالخصوص.

و هكذا ... نرى و يرى المأمون: أنه لم يكن لينقذ الموقف أي من تلك الأساليب، و لا غيرها من الطرق و الاساليب الملتوية، و اللاإنسانية، التي اتبعها أسلافة من قبل ...

و إذن ... فلا بد و أن يعود السؤال الأول ليطرح نفسه بكل جدية.

و السؤال هو: ما ذا يمكن للمأمون إذن أن يفعل؟! و كيف يقوي من دعائم حكمه، الذي هو بالنسبة إليه كل شي ء، و ليس قبله، و لا بعده شي ء ... حتى لا يطمع فيه طامع، و لا تزعزعه العواصف، و لا تنال منه الأنواء، مهما كانت هو جاء و عاتية؟! ...

خطة المأمون:

اشارة

و كان أن اتبع المأمون من أجل انقاذ موقفه، الذي عرفت أنه يتوقف على نقاط ثمانية ... و من أجل الاحتفاظ بالخلافة لنفسه، و أن تبقى في بني أبيه- كان أن اتبع- أسلوبا جديدا، و غريبا، لم يكن مألوفا، و لا معروفا من قبل ... و أحسب أنه لم يتوصل إليه إلا بعد تفكير طويل، و تقييم عام و شامل للوضع الذي كان يعيشه، و المشاكل التي كان يواجهها ...

لقد كانت خطته غريبة و فريدة من نوعها، و كانت في غاية الاتقان، و الاحكام في نظره ...

ص: 196

فبينما نراه من جهة:

لا يذكر أحدا من الخلفاء، و لا غيرهم من الصحابة بسوء، بل هو يتخرج حتى من المساس بغير الصحابة، و حتى بأولئك الذين كان حالهم في الخروج على الدين، و تعاليم الشريعة، معروفا و مشهورا «كالحجاج ابن يوسف»! و ذلك من أجل أن لا يثير عواطف أولئك الذين يلتقي معهم فكريا و سياسيا، و مصلحيا. و الذين سوف يكونون له في المستقبل الدرع الواقي، و الحصن الحصين ...

فاستمع إليه يقول- كما يروي لنا التغلبي المعاصر له: «... و ظنوا أنه لا يجوز تفضيل علي إلا بانتقاص غيره من السلف! و اللّه، ما أستجيز أن أنتقص الحجاج بن يوسف؛ فكيف بالسلف الطيب؟!» (1).

و كذلك نراه يركن إلى رأي يحيى بن أكثم، الذي قال له- عند ما أراد الاعلان بسبب معاوية على المنابر-: «و الرأي أن تدع الناس كلهم على ما هم عليه، و لا تظهر أنك تميل إلى فرقة من الفرق؛ فإن ذلك أصلح في السياسة، و أحرى في التدبير ...»، ثم يدخل عليه ثمامة؛ فيقول له المأمون: «يا ثمامة، قد علمت ما كنا دبرناه في معاوية.

و قد عارضنا رأي هو أصلح في تدبير المملكة، و أبقى ذكرا في العامة الخ ...» (2).

و أيضا ... نرى شعره الذي يرويه لنا غير واحد:

أصبح ديني الذي أدين به و لست منه الغداة معتذرا

حب علي بعد النبي و لاأشتم صديقا و لا عمرا 4.

ص: 197

1- عصر المأمون ج 1 ص 369، نقلا عن: تاريخ بغداد، لابن طيفور ج 6 ص 75.

2- المحاسن و المساوي ص 141، و ضحى الاسلام ج 2 ص 58، و ج 3 ص 152، 156، و عصر المأمون ج 1 ص 371، و الموفقيات ص 41، و كتاب بغداد ص 54.

ثم ابن عفان في الجنان مع الابرار ذاك القتيل مصطبرا

ألا و لا أشتم الزبير و لاطلحة إن قال قائل غدرا

و عائش الام لست أشتمهامن يفتريها فنحن منه برا (1) و نراه أيضا يتجسس على عبد اللّه بن طاهر؛ ليعلم: هل له ميل إلى آل أبي طالب أولا (2).

و نراه يقدم على قتل الرضا (ع)، و إخوته، و آلاف من العلويين غيرهم، و يصدر أمرا لامرائه، و قواده بالقضاء عليهم، و فض جمعهم، بعد أن منعهم من ملاقاته، و من الدخول عليه كما سيأتي.

و نراه كذلك ... يرسل إلى عامله على مصر، يأمره بغسل المنابر، التي دعي عليها لعلوي (هو الإمام الرضا (ع)) ... إلى غير ذلك مما لا مجال لنا هنا لاستقصائه ...

بينما نراه كذلك ...

نراه من جهة ثانية

يقدم على الاعلان ببراءة الذمة ممن يذكر معاوية بن أبي سفيان بخير أي أنه أراد أن يجعل تفضيل علي (ع)، و البراءة من معاوية دينا رسميا، يحمل الناس كلهم عليه، كما كان الحال بالنسبة لقضية خلق القرآن ...

و الاعلان بسب معاوية، و إن كان الاقدام عليه في سنة 212 ه.

لكن تفضيله عليا، على جميع الخلق، و تقربه لولده، و إظهاره التشيّع

1- البداية و النهاية ج 10 ص 277، و فوات الوفيات ج 1 ص 241، ما عدا البيت الرابع.

2- الطبري ج 11 ص 1094، طبع ليدن، و العقد الفريد للملك السعيد ص 84، 85. و تجارب الامم ج 6 المطبوع مع العيون و الحدائق ص 461.

و الحب لهم (1) إنما كان من أول أيامه ... يدلنا على ذلك أمور كثيرة، و يكفي هجاء ابن شكلة له، و هجاؤه لابن شكلة شاهدا على ذلك ...

فضلا عن الكثير من الامور الاخرى غيره.

ثم نراه بعد ذلك يبيح المتعة، و يصف الخليفة الثاني، عمر بن..

ص: 199

1- قال في النجوم الزاهرة ج 2 ص 201، 202، و مثله في تاريخ الخلفاء للسيوطي ص 308، و غيرهما: «أن المأمون كان يبالغ في التشيع، و يقول: إن أفضل الخلق بعد النبي علي بن أبي طالب. و أمر أن ينادى ببراءة الذمة ممن يذكر معاوية بخير، لكنه لم يتكلم في الشيخين بسوء بل كان يترضى عنهما، و يعتقد إمامتهما ...». و هذا بعينه هو مذهب معتزلة بغداد ابتداء من بشر بن المعتمر، و بشر بن غياث المريسي و غيرهما من معتزلة بغداد، حتى لقد قال بشر المريسي المعتزلي المعروف على ما في البداية و النهاية ج 10 ص 279: قد قال مأموننا و سيدناقولا له في الكتب تصديق إن عليا أعني أبا حسن خير من قد أقلت النوق بعد نبي الهدى، و إن لناأعمالنا و القرآن مخلوق و صرح بأنه يذهب مذهب المعتزلة كثيرون، فليراجع: البداية و النهاية ج 10 ص 275، و ضحى الاسلام ج 3 ص 295، و امبراطورية العرب ص 600، و غيرهم، بل لقد قال خيري حماد، في تعليقته على ص 601 من امبراطورية العرب: «أجمعت كتب التاريخ العربي على أن المأمون مال إلى الأخذ بمذهب المعتزلة، فقرب أتباع هذا المذهب إليه إلخ ...». و يدل على ذلك أيضا أقوال. و أشعار المأمون المتقدمة ... و لعل وصف بعض المؤرخين له بالتشيع هو الذي أوهم البعض بأن المأمون كان يتشيع بالمعنى المعروف للتشيع، فجزم بذلك، و بدأ يحشد الدلائل، و الشواهد، التي لا تسمن، و لا تغني من جوع، و قد غفل عن أنهم يقصدون بكلمة «التشيع» المعنى اللغوي، لا المعنى الخاص المعروف الآن ... و بعد ... فان من الواضح: أن عقيدة المأمون تلك، لم تكن تثمر على الصعيد العملي العام؛ فانه كان من السياسيين، الذين لا ينطلقون في سلوكهم، و مواقفهم الخارجية من منطلقات عقائدية، و مفاهيم انسانية ... و انما يكون المنطلق لهم في مواقفهم، و تصرفاتهم، هو- فقط- مصالحهم الشخصية، و ما له مساس في استمرار فرض سلطتهم، و تأكيد سيطرتهم ...

الخطاب ب «جعل» (1)، أو نحو ذلك ...

و نراه أيضا أنه عند ما سأل أصحابه عن: أنبل من يعلمون نبلا، و أعفهم عفة، فقال له علي بن صالح: «أعرف القصة في عمر بن الخطاب، فأشاح بوجهه، و أعرض، و ذكر كلاما ليس من جنس هذا الكتاب، فنذكره، إلخ ...» (2) على حد تعبير البيهقي ... و ذكر طيفور: أن أبا عمر الخطابي دخل على المأمون؛ فتذاكروا عمر بن الخطاب فقال المأمون: إلا أنه غصبنا، فقال له أبو عمر يا أمير المؤمنين، يكون الغصب الا بحق يد فهل كانت لكم يد، قال فسكت المأمون عنه، و احتملها له (3).

و لكن اعتراض الخطابي اعتراض بارد و توجيه فاسد فهل الخلافة من الأموال؟ أم هي حق جعله اللّه لهم؟ و لا ندري سر سكون المأمون عنه، و احتماله منه، إلا ما قدمناه ...

بل إن الأهم من ذلك كله ... أننا نراه يصف الخلفاء الثلاثة، و غيرهم من الصحابة بأنهم: «ملحدين»، ناسيا، أو متناسيا كل أقواله السابقة، و خصوصا شعره، و قوله: إنه يتحرج حتى من تنقص1.

1- وفيات الأعيان ترجمة يحيى بن أكثم ج 2/ 218 ط سنة 1310 ه. و السيرة الحلبية ج 3/ 46 و النص و الاجتهاد ص 193، و في قاموس الرجال ج 9/ 397، نقلا عن الخطيب في تاريخ بغداد: أنه كان يقول: «و من أنت يا أحول الخ ...»، و لا يخفى أنهم أرادوا تلطيف العبارة بقدر المستطاع؛ فحرفوها إلى ما ترى ... هذا ... و قد يرى البعض: أن تفضيله عليا، و أعلانه بسبب معاوية، و إباحته المتعة، و قوله بخلق القرآن، ليس إلا لإشغال الناس بعضهم ببعض، و صرف الناس عن التفكير بالخلافة، التي هي أعز ما في الوجود عليه، و التي ضحى من أجلها بأخيه، و أشياعه، و وزرائه، و قواده ... و كذلك من أجل صرف الناس عن أهل البيت عليهم السلام، و ابعادهم عنهم ... و لعل هذا الرأي لا يعدم بعض الشواهد التاريخية، التي تؤيده، و تدعمه.

2- المحاسن و المساوي ص 150.

3- كتاب بغداد ص 51.

الحجـاج، فكيف بالسـلف الطيب، فاسـتمع إليه يقول، على ما يرويه لنا البيهقي، و الظاهر انها جواب على ابيات ابن شـكلة لانها على نفس الروي، و الوزن، و الموضوع- يقول المأمون:

و من غاو يغص علي غيظاإذا أدنيت أولاد الوصيّ

يحاول أن نور اللّه يطفى و نور اللّه في حصن أبيّ

فقلت: أ ليس قد أوتيت علماو بان لك الرشيد من الغوي

و عرفت احتجاجي بالمثاني و بالمعقول و الأثر الجلي (1)

بأية خلة، و بأي معنى تفضل «ملحدين» على «عليّ»

علي أعظم الثقلين حقـاو أفضـلهم سوى حق النـبيّ (2) بل و زاد على ذلك و ضـرب العقيـدة التي تقـدم أن العباسـيين قـد اتوا بها لمقابلة العلويين و روجوا لها من أن الحق كان للعباس، و انه أجاز عليا، فصحت خلافته و ذلك بأن اظهر تقديم علي على العباس فقد قال السندي بن شاهك للفضل بن الربيع يوما عن المأمون:

«سمعته اليوم قدم علي بن أبي طالب على العباس بن عبد المطلب، و ما ظننت أني أعيش حتى اسمع عباسيا يقول هذا، فقال الفضل له:

تعجب من هذا؟ هذا و اللّه كان قول أبيه قبله» (3). و لكن الظاهر:

أن أباه كان يكتم ذلك حتى خفي على مثل السندي المقرب، لكن الآن قد اضطرت السياسة المأمون إلى الجهر بذلك، و إظهاره.

و هكـذا ... فإن المأمون لم يكن يرى أن بين كل تصـرفاته المتقدمة أي تناقض، أو منافاة، بل كانت كلها في نظره صـحيحة، و منطقية؛ لأنها كانت في ظروف مختلفة، و كان لا بد له من مسايرة تلك7.

1- القوي خ ل.

2- المحاسن و المساوي، طبع دار صادر ص 68. و طبع مصر ج 1/ 105.

3- كتاب بغداد ص 7.

الظروف، و الانسجام معها، فلا مانع عنده، من أن يقرب العلويين إليه، و يتظاهر باكرامهم، و تقديرهم ... في يوم ... ثم منعهم من الدخول عليه، و اضطهادهم، و قتلهم بالسم تارة، و بالسيف أخرى في يوم آخر ... و هكذا ...

و أيضا ... لا بد من خطوة أخرى.

و لكن ذلك وحده لم يكن كافيا لإخماد ثورات العلويين، و لا لتحقيق كافة الأهداف، التي قدمنا، و سيأتي شطر منها ...

فكانت خطوته التالية غريبة و مثيرة في نفس الوقت، لكنها إذا ما أخذت الظروف آنذاك بنظر الاعتبار يتضح أنها كانت طبيعية للغاية.

ألجأته إليها الظروف و الأحداث ... و تلك الخطوة هي:

«أخذ البيعة للامام علي الرضا عليه السلام بولاية العهد بعده ...»

و جعله أمير بني هاشم طرا، عباسيهم، و طالبيهم (1)، و ليس الخضرة ...

لم يبق إلا خيار واحد:

و من نافلة القول هنا: أن نقول: إن ذلك يدل على فهم المأمون للداء؛ مما ساعده على معرفة الدواء، الذي تجرعه المأمون- رغم مرارته القاسية، التي لم تكن لتقاس أبدا بما سوف يعقبها من راحة و طمأنينة و هناء- تجرعه- بكل رضا، و رجولة، و شجاعة ...

إن المأمون- على ما أعتقد- و إن كان قد ثقل عليه أمر البيعة لرجل غريب، و من أسرة هي أقوى و أخطر المنافسين للحكم العباسي في

1- غاية الاختصار ص 68.

تلك الفترة ... و لكن ما الحيلة له بعد أن لم يعد أمامه أي خيار في ذلك ...

إلا إذا أراد أن يتغابى أو يتعامى عن ذلك الواقع المزري الذي وصلت إليه خلافته، التي أصبحت ظلا، لا يلبث أن تلتهمه أشعة الشمس المشرقة، فتحوله إلى سراب ...

ما الحيلة له ... بعد أن رأى أنه لن تنقاد له الرعية و القواد، و لن تستقيم له الامور إلا إذا أقدم على مثل تلك اللعبة الجريئة ...

و لقد صرح المأمون نفسه للريان، بعد أن أخبره الريان بأن الناس يقولون: بأن البيعة للامام كانت من تدبير الفضل بن سهل- صرح بقوله: «... و يحك يا ريان، أ يجسر أحد أن يجيء إلى خليفة، قد استقامت له الرعية، و القواد. و استوت له الخلافة؛ فيقول له: ادفع الخلافة من يدك الى غيرك؟. أ يجوز هذا في العقل؟! (1) ...».

مع رسالة الفضل بن سهل للامام:

و كاتب الامام، و ألح عليه، و كاتبه الفضل بن سهل أيضا ... و بما أن في رسالة الفضل مواضع جديرة بالملاحظة؛ فقد أحببت أن أشير- باختصار- إلى بعض ما يمكن استخلاصه من هذه الرسالة ...

كما أني أوردت نص هذه الرسالة بتمامه مع الوثائق الهامة في أواخر هذا الكتاب؛ ليطلع القارئ عليها بنفسه، و يستخلص منها ما يراه مناسبا و ضروريا ...

أما الملاحظات التي رأيت أن من الضروري الاشارة إليها هنا؛ فتتلخص بما يلي:

1- أعيان الشيعة ج 4 قسم 2 ص 113، و البحار ج 49/ 137، و عيون أخبار الرضا ج 2/ 151، و مسند الإمام الرضا ج 1/ 75.

ملاحظات لا بد منها:

أول ما يطالعنا في هذه الرسالة هو استعمال الفضل لكلمة: «الرضا»، التي تنص وثيقة العهد، و غيرها: على أن المأمون هو الذي جعلها لقبا للإمام (ع)- كما سيأتي- ... فاطلاق الفضل بن سهل لكلمة «الرضا» عليه (ع) يجعلنا نقول- إن لم نقل أنه كان لقبا مشهورا و معروفا له-: إن جعل المأمون هذا اللفظ لقبا رسميا للإمام (ع) كان بوحي من ذي الرئاستين نفسه ... و إن كان يمكن أن يقال عكس ذلك تماما: أي أن استعمال الفضل لهذه الكلمة كان بايحاء من المأمون و لا أقل من كونهما قد اتفقا على ذلك.

و ثانيا: إننا بينما نرى الرسالة تشتمل على تطمين الإمام (ع): بأن قضية ولاية العهد ليست لعبة من المأمون، و إنما هي من آثار سعي ذي الرئاستين، الأمر الذي لا داعي معه للخوف و الوجل على الاطلاق- بينما الرسالة تشتمل على ذلك- نراها تنص على أن قضية ولاية العهد أمر قد قضي بليل. و على أن هناك تصميم من ذي الرئاستين و المأمون على امضاء هذا الأمر، و هذا يعني: أن الممانعة و المقاومة لا تجدي و لا تفيد؛ و لذا فإن من الأفضل له (ع) أن يكف عن ذلك، و يمتنع عنه ...

و هذا ما أشار إليه الفضل بقوله: «... و ان كتابي هذا عن إزماع من أمير المؤمنين، عبد اللّه الإمام المأمون و مني الخ ...».

و ثالثا: يلاحظ: أن الرسالة تتناسب في صياغتها، و انتقاء جملها و ألفاظها مع ذوق الإمام (ع)، و مذهبه العقائدي، و مذهب شيعته.

و تنسجم مع ما يدعيه هو، و يدعيه آباؤه، و كان قد اشتهر و شاع بين الناس: من أن الحق في خلافة النبي (ص) لهم دون غيرهم، و أن الغير- أيا كانوا- ظالمون لهم، و معتدون عليهم في هذا الحق ...

ثم يحاول الفضل أن يفهم الإمام: أنه و إن كان هو و المأمون

قـد صـمما على توليته العهـد، لكنه يقول له، لكن السـر في ذلـك مختلف بيني و بين المـأمون؛ فأنـا أقول فيـك: أنك ابن رسول اللّه، و أنك المهتدي، و المقتدى، و أرى أن ذلك إرجاع لحقك إليك، و ردّ لمظلمتك عليك.

أما المأمون: فهو يراك شريكا في أمره، و شقيقا في نسبه، و أولى الناس بما تحت يده.

فالفضل يحاول بهذا أن يتقرب من الإمام، و يكتسب محبته و ثقته ...

و لعل إظهار هذا الاختلاف، مما اتفق عليه كل من المأمون و الفضل ...

و هكذا كان السياسيون، و ما زالوا يتكلمون مع أندادهم باللغة، التي يرون أنها توصلهم إلى أهدافهم، و تحقق لهم مآربهم.

و رابعا: و أخيرا ... إنه بعد أن يطلب منه أن لا يضع الرسالة من يده، حتى يصير إلى باب المأمون!! ... نراه يضمن الرسالة إشارة واضحة:

إلى أن ذلك منه (ع) يوجب صـلاح الامـة به ... و ما ذلك إلا لأنه كان يعلم، كما كان الكل يعلم: أنه إذا تأكـد لدى الإمام (ع): أن صـلاح الامـة متوقف على عمـل ما من جهته؛ فإنه لا يتوانى، و لا يألو جهـدا في العمل بوظيفته، و القيام بواجبه ... هـذا بالاضافـة إلى أن في ذلك إشارة للحالة العامة، التي وصفناها في بعض فصول هذا الكتاب ...

ملاحظات هامة:

اشارة

هذا ... و قبل الخوض في تفصيل أسباب البيعة، لا بد من ملاحظة:

أ-:

إن من الطبيعي أن يثير تصـرفه هـذا حفيظـة العباسـيين، الـذين ناصـبوه العـداء، و شـجعوا أخاه الأمين عليه، و لسوف يزيـد من حنقهم، و غضبهم: حتى إنهم رضوا بابراهيم بن شكلة المغني خليفة عليهم، عند ما سمعوا بهذا النبأ الذي كان له وقع الصاعقة عليهم ...

كما أن من الطبيعي أن يثير دهشتهم، و يذهلهم ... بعد أن لم يكن

بينهم رجالات كفاة، يدركون الأعيب السياسة، و دهاء و مكر الرجال.

و قد عبر عن دهشتهم هذه نفس الخليفة الذي اختاروه، و استعاضوا به عن المأمون ... فلقد قال ابن شكلة معاتبا العباسيين:

فلا جزيت بنو العباس خيراعلى رغمي و لا اغتبطت بري

أتوني مهطعين، و قد أتاهم بوار الدهر بالخبر الجلي

و قد ذهل الحواضن عن بنيهاو صد الثدي عن فم الصبي

و حل عصائب الاملاك منهافشدت في رقاب بني علي

فضجت أن تشد على رءوس تطالبها بميراث النبيّ (1)

ب-:

و لكن دهشتهم و غضبهم لا قيمة لهما، في جانب ذهاب الخلافة عنهم بالكلية، و سفك دمائهم ... و قد أوضح لهم ذلك في رسالة منه إليهم، حيث قال: «... و أما ما كنت أردته من البيعة لعلي بن موسى، بعد استحقاق منه لها في نفسه، فما كان ذلك مني إلا أن اكون الحاقن لدمائكم، و الذائد عنكم، باستدامة المودة بيننا و بينهم ...». و الرسالة مذكورة في أواخر هذا الكتاب.

و قريب من ذلك ما جاء في وثيقة العهد، مخاطبا «أهل بيت أمير المؤمنين» حيث قال لهم: «... راجين عائدته في ذلك (أي في البيعة للرضا عليه السلام) في جمع الفتكم، و حقن دمائكم، و لم شعثكم، و سد ثغوركم ...»

فليغضبوا إذن قليلا، فإنهم سوف يفرحون في نهاية الأمر كثيرا، و ذلك عند ما يعرفون الاهداف الحقيقية، التي كانت تكمن وراء تلك اللعبة، و أنها لم تكن إلا من أجل الابقاء عليهم، و استمرار وجودهم

1- التنبيه و الإشراف ص 303. و الولاة و القضاة للكندي ص 168.

في الحكم، و القضاء على اخطر خصومهم، الذين لن يكون الصدام المسلح معهم في صالحهم.

إنهم دون شك عند ما تؤتي تلك اللعبة ثمارها سوف يشكرونه، و يعترفون له بالجميل، و يعتبرون أنفسهم مدينين له مدى الحياة. و لسوف يذكرون دائما قوله لهم في رسالته المشار إليها آنفا: «... فان تزعموا أني أردت أن يؤول إليهم (يعني للعلويين) عاقبة و منفعة، فاني في تدبيركم، و النظر لكم، و لعقبكم، و لابنائكم من بعدكم ...» ...

و مضمون هذه العبارة بعينه- تقريبا- قد جاء في وثيقة العهد، حيث قال فيها، موجها كلامه للعباسيين، رجاء أن يلتفتوا لما يرمي إليه من لعبته تلك ... فبعد أن طلب منهم بيعة منشرحة لها صدورهم- قال-: «... عالمين بما أراد أمير المؤمنين بها، و آثر طاعة اللّه، و النظر لنفسه، و لكم فيها، شاكرين اللّه على ما الهم أمير المؤمنين، من قضاء حقه في رعايتكم، و حرصه على رشدكم، و صلاحكم، راجين عائدته في ذلك في جمع ألفتكم، و حقن دمائكم إلخ. ما قدمناه ...».

لا شك أنه إذا غضب عليه العباسيون؛ فانه يقدر على ارضائهم في المستقبل، «و قد حدث ذلك بالفعل»، عند ما يطلعهم على حقيقة نواياه، و مخططاته، و أهدافه، و لكنه إذا خسر مركزه، و خلافته، فانه لا يستطيع- فيما بعد- أن يستعيدها بسهولة، أو أن يعتاض عنها بشي ء ذي بال ...

ج-:

إن من الانصاف هنا أن نقول: إن اختيار المأمون للرضا (ع) وليا للعهد، كان اختيارا موفقا للغاية، كما سيتضح، و إنه لخير دليل على حنكته و دهائه السياسى، و إدراكه للأسباب الحقيقية للمشاكل التي كان يواجهها المأمون، و يعاني منها ما يعاني ...

د-:

إن من الامور الجديرة بالملاحظة هنا هو أن اختيار المأمون

لولي عهـده، الذي لـم يقبل إلا بعد التهديد بالقتل ... كان ينطوي في بادئ الرأي على مغامرة لا تنسـجم مع ما هو معروف عن المأمون من الـدهاء و السـياسة؛ إذا ما أخذت مكانة الإمام (ع)، و نفوذه بنظر الاعتبار، سـيما مع ملاحظة: أنه هو الذي كان يشـكل أكبر مصدر للخطر على المأمون، و نظام حكمه؛ حيث إنه كان يحظى بالاحترام و التقدير، و التأييد الواسع في مختلف الفئات و الطبقات في الامة الاسلامية.

و لكننا إذا دققنا الملاحظة نجد أن المأمون لـم يقدم على اختيار الإمام وليا للعهد، إلا و هو على ثقة من اسـتمرار الخلافة في بني أبيه؛ حيث كان الإمام (ع) يكبره ب «22» سـنة؛ و عليه فجعل ولاية العهد لرجل بينه، و بين الخليفة الفعلي هذا الفارق الكبير بالسن، لـم يكن يشـكل خطرا على الخلافة؛ إذ لـم يكن من المعروف، و لا المألوف أن يعيش ولي العهد- و هو بهذه السن المتقدمة- لو فرض سلامته من الدسائس و المؤامرات!! ... إلى ما بعد الخليفة الفعلي، فإن ذلك من الامور التي يبعد احتمالها جدا ...

٥-:

و لهـذا ... و لأن ما أقـدم عليه لـم يكن منتظرا من مثله؛ و هو الـذي قتل أخاه من أجل الخلافـة و الملك، و لأنه من تلك السـلالة المعادية لأهل البيت عليهم السـلام ... احتاج المأمون إلى أن يثبت صدقه، و اخلاصه فيما أقدم عليه، و أن يقنع الناس بصـفاء نيته، و سـلامة طويته ... فأقدم لذلك ... على عدة أعمال:

فأولا: أقدم على نزع السواد شـعار العباسـيين، و لبس الخضـرة شعار العلويين و كان يقول: انه لباس أهل الجنة (1). حتى إذا ما انتهى دور هذه الظاهرة بوفاة الإمام الرضا (ع)، و تمكنه هو من دخول بغداد

1- الإمام الرضا ولي عهد المأمون ص 62 عن ابن الأثير.

عاد إلى لبس السواد شعار العباسيين، بعد ثمانية أيام فقط من وصوله، على حد قول أكثر المؤرخين، و قيل: بل بقي ثلاثة أشهر ... نزع الخضرة رغم أن العباسيين، تابعوه، و أطاعوه في لبسها، و جعلوا يحرقون كل ملبوس يرونه من السواد، على ما صرح به في مآثر الإنافة، و البداية و النهاية، و غير ذلك ...

و ثانيا: و لنفس السبب (1) أيضا نراه قد ضرب النقود باسم الإمام الرضا (ع).

و ثالثا: أقدم للسبب نفسه على تزويج الإمام الرضا (ع) ابنته، رغم أنها كانت بمثابة حفيدة له، حيث كان يكبرها الإمام (ع) بحوالي أربعين سنة. كما أنه زوج ابنته الاخرى للامام الجواد (ع)، الذي كان لا يزال صغيرا، أي ابن سبع سنين (2).

و من يدري: فلعله كان يهدف من تزويجهما أيضا إلى أن يجعل عليهما رقابة داخلية. و أن يمهد السبيل، لكي تكون الأداة الفعالة، التي..

1- التربية الدينية ص 100.

2- راجع مروج الذهب ج 3/ 441، و غيره من كتب التاريخ. و في الطبري ج 11/ 1103، طبع ليدن، و البداية و النهاية ج 10/ 269: أنه (ع) لم يدخل بها إلا في سنة 215 للهجرة، و لكن يظهر من اليعقوبي ج 2/ 454 ط صادر: أنه زوج الجواد ابنته بعد وصوله الى بغداد، و أمر له بألفي الف درهم، و قال: إني أحببت أن أكون جدا لامرئ، ولده رسول اللّه، و علي بن أبي طالب، فلم تلد منه انتهى. و هذا يدل على أنه قد بادر إلى تزويج الجواد بعد قتل أبيه الرضا (ع) ليبرئ نفسه من الاتهام بقتل الرضا (ع)؛ حيث إن الناس كانوا مقتنعين تقريبا بذلك و مطمئنين إليه، و سيأتي في أواخر الكتاب البحث عن ظروف و ملابسات وفاته (ع). و يلاحظ: أن كلمة المأمون هذه تشبه الى حد بعيد كلمة عمر بن الخطاب حينما أراد أن يبرر اصراره غير الطبيعي على الزواج بام كلثوم بنت علي (ع)، حتى لقد استعمل اسلوبا غير مألوف في التهديد و الوعيد من أجل الوصول إلى ما يريد ...

يستعملها في القضاء على الإمام (ع)، كما كان الحال بالنسبة لولده الإمام الجواد، الذي قتل بالسم الذي دسته إليه ابنة المأمون، بأمر من عمها المعتصم (1)؛ فيكون بذلك قد أصاب عدة عصافير بحجر واحد ...

كما يقولون ... و يجب أن نتذكر هنا: أن المأمون كان قد حاول أن يلعب نفس هذه اللعبة مع وزيره الفضل بن سهل؛ فألح عليه أن يزوجه ابنته فرفض، و كان الرأي العام معه، فلم يستطع المأمون أن يفعل شيئا، كما سنشير إليه ... لكن الإمام (ع) لم يكن له إلى الرفض سبيل، و لم يكن يستطيع أن يصرح بمجبوريته على مثل هكذا زواج؛ لأن الرأي العام لا يقيل ذلك منه بسهولة ... بل ربما كان ذلك الرفض سببا في تقليل ثقة الناس بالإمام، حيث يرون حينئذ أنه لا مبرر لشكوكه تلك، التي تجاوزت- بنظرهم حينئذ- كل الحدود المألوفة و المعروفة ...

و على كل حال: فإن كل الشواهد و الدلائل تشير إلى أن زواج الإمام من ابنة المأمون كان سياسيا، مفروضا إلى حد ما ... كما أننا لا نستبعد أن يكون زواج المأمون من بوران بنت الحسن بن سهل سياسيا أيضا، حيث أراد بذلك أن يوثق علاقاته مع الايرانيين، و يجعلهم يطمئنون إليه، خصوصا بعد عودته إلى بغداد، و تركه مروا، و ليبرئ نفسه من دم الفضل بن سهل، و يكتسب ثقة أخيه الحسن بن سهل، المعروف بثرائه و نفوذه ...

و رابعا: و للسبب نفسه أيضا كان يظهر الاحترام و التبجيل للامام (ع)- و إن كان يضيق عليه في الباطن (2)- و كذلك كانت الحال بالنسبة لاكرامه4.

ص: 210

1- و لعله قد استفاد ذلك من سلفه معاوية، و ما جرى له مع الإمام الحسن السبط عليه السلام.

2- و قد سبقه الى مثل ذلك سليمان عم الرشيد، عند ما أرسل غلمانه؛ فأخذوا جنازة الكاظم عليه السلام من غلمان الرشيد، و طردوهم. ثم نادوا عليه بذلك النداء المعروف، اللائق بشأنه؛ فمدحه الرشيد، و اعتذر إليه، و لام نفسه، حيث لم يأخذ في اعتباره ما يترتب على ما أقدم عليه من ردة فعل لدى الشيعة، و محبي أهل البيت عليهم السلام، و الذين قد لا يكون للرشيد القدرة على مواجهتهم. و تبعه أيضا المتوكل؛ حيث جاء بالإمام الهادي عليه السلام الى سامراء؛ فكان يكرمه في ظاهر الحال؛ و يبغي له الغوائل في باطن الأمر؛ فلم يقدره اللّه عليه ... على ما صرح به ابن الصباغ المالكي في الفصول المهمة ص 226، و المجلسي في البحار ج 50/ 203، و المفيد في الإرشاد ص 314.

للعلويين، حيث قد صرح هو نفسه بأن إكرامه لهم ما كان إلا سياسة منه و دهاء، و من أجل الوصول إلى أهداف سياسية معينة؛ فقد قال في رسالته للعباسيين، المذكورة في أواخر هذا الكتاب: «... و أما ما كنت أردته من البيعة لعلي بن موسى ... فما كان ذلك مني، إلا أن اكون الحاقن لدمائكم، و الذائد عنكم؛ باستدامة المودة بيننا و بينهم. و هي الطريق أسلكها في اكرام آل أبي طالب، و مواساتهم في الفي ء، بيسير ما يصيبهم منه ...».

و يذكرني قول المأمون: «و مواساتهم في الفي ء إلخ ...» بقول ابراهيم بن العباس الصولي- و هو كاتب القوم و عاملهم- في الرضا عند ما قربه المأمون:

يمن عليكم بأموالكم و تعطون من مائة واحدا

و-:

إن المأمون- و لا شك- كان يعلم: أن ذلك كله- حتى البيعة للامام- لا يضره ما دام مصمما على التخلص من ولي عهده هذا بأساليبه الخاصة. بعد أن ينفذ ما تبقى من خطته الطويلة الأجل، للخط من الإمام قليلا قليلا، حتى يصوره للرعية بصورة من لا يستحق لهذا الأمر- كما صرح هو نفسه (1)، و كما صرح بذلك أيضا عبد اللّه بن موسى في رسالته إلى المأمون، و التي سوف نوردها في أواخر هذا

1- سنتكلم في القسم الرابع من هذا الكتاب، حول تصريحات المأمون، و خططه بنوع من التفصيل إن شاء اللّه تعالى ...

الكتاب إن شاء اللّه؛ حيث يقول له فيها: «... و كنت الطف حيلـة منهم، بما اسـتعملته من الرضا بنا، و التستر لمحننا، تختل واحـدا فواحدا منا إلخ ...» (1).

إلى غير ذلك من الشواهد و الدلائل، التي لا تكاد تخفى على أي باحث، أو متتبع ...

أهداف المأمون من البيعة:

اشارة

هذا ... و بعد كل الذي قدمناه، فاننا نسـتطيع في نهاية المطاف: أن نجمل أهداف المأمون، و ما كان يتوخاه من أخذ البيعة للرضا (ع) بولاية العهد بعده ... على النحو التالي:

الهدف الأول:

أن يأمن الخطر الذي كان يتهدده من قبل تلك الشخصـية الفذة، شخصية الامام الرضا (ع)، الذي كانت كتبه تنفذ في المشرق و المغرب، و كان الأرضـى في الخاصة و العامة- باعتراف نفس المأمون-، حيث لا يعود باسـتطاعة الامام (ع) أن يدعو الناس الى الثورة و لا ان يأتي بأيّة حركـة ضـد الحكم، بعد أن أصـبح هو ولي العهد فيه. و لسوف لا ينظر الناس إلى أية بادرة عدائية منه لنظام الحكم القائم إلا على أنها تكران للجميل، لا مبرر لها، و لا منطق يدعمها ...

و قد أشار المأمون إلى ذلك، عند ما صرح بأنه: خشي إن ترك الامام على حاله: أن ينفتق عليه منه ما لا يسده، و يأتي منه عليه ما لا يطيقه

1- مقاتل الطالبيين ص 629.

فأراد أن يجعله ولي عهده ليكون دعاؤه له. كما سيأتي بيانه في فصل:

مع بعض خطط المأمون إن شاء اللّه تعالى ...

الهدف الثاني:

أن يجعل هذه الشخصية تحت المراقبة الدقيقة، و الواعية من قرب، من الداخل و الخارج، و ليمهد الطريق من ثم إلى القضاء عليها بأساليبه الخاصة ... و قد أشرنا فيما سبق، إلى أننا لا نستبعد أن يكون من جملة ما كان يهدف إليه من وراء تزويجه الإمام بابنته، هو: أن يجعل عليه رقيبا داخليا موثوقا عنده هو، و يطمئن إليه الإمام نفسه ...

و إذا ما لا حظنا أيضا، أن: «المأمون كان يدس الوصائف هدية ليطلعنه على أخبار من شاء (1) ...»، و أنه كان: «للمأمون على كل واحد صاحب خبر (2) ...» ... فاننا نعرف السر في إرساله بعض جواريه الى الإمام الرضا (ع) بعنوان: هدية ... و قد أرجعها الإمام (ع) إليه مع عدة أبيات من الشعر، عند ما رآها اشمأزت من شيبه (3).

و لم يكتف بذلك، بل وضع على الإمام (ع) عيونا آخرين، يخبرونه بكل حركة من حركاته، و كل تصرف من تصرفاته ...

فقد كان: «هشام بن ابراهيم الراشدي من أخص الناس عند الرضا (ع)، و كانت امور الرضا تجري من عنده، و على يده. و لكنه لما حمل إلى مرو اتصل هشام بن ابراهيم بذي الرئاستين، و المأمون؛

1- تاريخ التمدن الاسلامي ج 5 جلد 2 ص 549، نقلا عن: العقد الفريد ج 1/ 148.

2- تاريخ التمدن الاسلامي ج 4 جلد 2 ص 441، نقلا عن: المسعودي ج 2/ 225، و طبقات الاطباء ج 1/ 171.

3- البحار ج 49/ 164، و عيون أخبار الرضا ج 2/ 178.

فحظي بذلك عندهما. و كان لا يخفي عليهما شيئا من أخباره؛ فولاه المأمون حجابة الرضا. و كان لا يصل إلى الرضا إلا من أحب، و ضيق على الرضا؛ فكان من يقصـده من مواليه، لا يصل إليه. و كان لا يتكلم الرضا في داره بشـي ء الا أورده هشام على المأمون، و ذي الرئاستين ...» (1)

و عن أبي الصـلت: أن الرضـا «كان يناظر العلماء، فيغلبهم، فكان الناس يقولون: و اللّه، إنه أولى بالخلافـة من المأمون؛ فكان أهل الأخبار يرفعون ذلك إليه ...» (2)

و أخيرا ... فإننا نلاحظ: أن جعفر بن محمـد بن الاشـعث، يطلب من الإمام (ع): أن يحرق كتبه إذا قرأها؛ مخافة أن تقع في يد غيره، و يقول الإمام (ع) مطمئنا له: «إني إذا قرأت كتبه إلي أحرقتها ...» (3).

إلي غير ذلك من الدلائل و الشواهد الكثيرة، التي لا نرى أننا بحاجة إلى تتبعها و استقصائها ...

الهدف الثالث:

أن يجعـل الإمـام (ع) قريبـا منه؛ ليتمكن من عزله عن الحيـاة الاجتماعيـة، و ابعـاده عن الناس، و ابعاد الناس عنه؛ حتى لا يؤثر عليهم بما يمتلكه من قوة الشخصية، و بما منحه اللّه إياه من العلم،

1- البحار ج 49/ 139، و مسند الإمام الرضا ج 1/ 77، 78، و عيون أخبار الرضا ج 2/ 153.
2- شرح ميمية أبي فراس ص 204، و البحار ج 49/ 290، و عيون أخبار الرضا ج 2/ 239.
3- كشف الغمة ج 3/ 92، و مسند الإمام الرضا ج 1/ 187، و عيون أخبار الرضا ج 2/ 219.

و العقل، و الحكمة. و يريد أن يحدّ من ذلك النفوذ له، الذي كان يتزايد باستمرار، سواء في خراسان، أو في غيرها ...

و أيضا ... أن لا- يمارس الإمام أي نشاط لا يكون له هو دور رئيس فيه؛ و خصوصا بالنسبة لرجال الدولة؛ إذ قد يتمكن الإمام (ع) من قلوبهم؛ و من ثم من تدبير شي ء ضد النظام القائم، دون أن يشعر أحد ...

و الأهم من ذلك كله: أنه كان يريد عزل الإمام (ع) عن شيعته، و مواليه، و قطع صلاتهم به، و ليقطع بذلك آمالهم، و يشتت شملهم، و يمنع الإمام من أن يصدر إليهم من أوامره، ما قد يكون له أثر كبير على مستقبل المأمون، و خلافته.

و بذلك يكون أيضا قد مهد الطريق للقضاء على الإمام (ع) نهائيا، و التخلص منه بالطريقة المناسبة، و في الوقت المناسب ...

و قد قال المأمون إنه: «يحتاج لأن يضع من الإمام قليلا قليلا، حتى يصوره أمام الرعية بصورة من لا يستحق لهذا الأمر. ثم يدبر فيه بما يحسم عنه مواد بلائه ...» كما سيأتي ...

و قد قرأنا آنفا أنه: «كان لا يصل إلى الرضا إلا من أحب (أي هشام بن إبراهيم)، و ضيق على الرضا؛ فكان من يقصده من مواليه، لا يصل إليه».

كما أن الرضا نفسه قد كتب في رسالة منه إلى أحمد بن محمد البزنطي، يقول: «و أما ما طلبت من الإذن علي؛ فان الدخول إلي صعب، و هؤلاء قد ضيقوا علي في ذلك الآن؛ فلست تقدر الآن، و سيكون إن شاء اللّه ...» (1).2.

1- رجال المامقاني ج 1/ 79، و عيون أخبار الرضا ج 2/ 212.

كما أننا نرى أنه عند ما وصل إلى القادسية، و هو في طريقه إلى مرو، يقول لأحمد بن محمد بن أبي نصر: «اكتر لي حجرة لها بابان: باب إلى الخان، و باب إلى خارج؛ فانه استر عليك ...» (1).

و لعل ذلك هو السبب في طلبه من الإمام (ع)، و من رجاء بن أبي الضحاك: أن يمرا عن طريق البصرة، فالأهواز إلخ ... كما سيأتي:

و لا نستبعد أيضا أن يكون عزل الإمام عن الناس، هو أحد أسباب إرجاع الإمام الرضا عن صلاة العيد مرتين (2) ... و للسبب نفسه أيضا فرق عنه تلامذته، عند ما أخبر أنه يقوم بمهمة التدريس، و حتى لا يظهر علم الإمام، و فضله ... إلى آخر ما هنالك من صفحات تاريخ المأمون السوداء ...

الهدف الرابع:

اشارة

إن المأمون في نفس الوقت الذي يريد فيه أن يتخذ من الامام مجنا يتقي به سخط الناس على بني العباس، و يحوط نفسه من نقمة الجمهور ...

يريد أيضا؛ أن يستغل عاطفة الناس و محبتهم لأهل البيت- و التي زادت

1- بصائر الدرجات ص 246، و مسند الإمام الرضا ج 1/ 155.

2- هذه القضية معروفة و مشهورة؛ فراجع: الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص 246، 247، و مطالب السئول، لمحمد بن طلحة الشافعي، طبعة حجرية ص 85، و إثبات الوصية للمسعودي ص 205، و معادن الحكمة ص، 180، 181، و نور الأبصار ص 143، و شرح ميمية أبي فراس ص 165، و إعلام الورى ص 322، 323، و روضة الواعظين ج 1/ 271، 272، و اصول الكافي ج 1/ 489، 490، و البحار ج 49/ 135، 136، 171، 172، و عيون أخبار الرضا، و ارشاد المفيد، و أعيان الشيعة، و كشف الغمة، و غير ذلك ... و لسوف يأتي في فصل: خطة الإمام، و غيره من الفصول، ما يتعلق بذلك إن شاء اللّه تعالى.

و نمت بعد الحالة التي خلفتها الحرب بينه و بين أخيه- و يوظف ذلك في صالحه هو، و صالح الحكم العباسي بشكل عام ...

أي أنه: كان يهدف من وراء لعبته تلك، و التي كان يحسب أنها سوف تكون رابحة جدا- إلى أن يحصل على قاعدة شعبية، واسعة، و قوية. حيث كان يعتقد و يقدر: أن نظام حكمه سوف ينال من التأييد، و القوة، و النفوذ، بمقدار ما كان لتلك الشخصية من التأييد، و النفوذ و القوة ... و إذا ما استطاع في نهاية الأمر أن يقضي عليها، فإنه يكون قد امن خطرا عظيما، كان يتهدده من قبلها، بمقدار ما كان لها من العظمة و الخطر ...

إن المأمون قد اختار لولاية عهده رجلا يحظى بالاحترام و التقدير من جميع الفئات و الطبقات، و له من النفوذ، و الكلمة المسموعة، ما لم يكن لكل أحد سواه في ذلك الحين. بل لقد كان الكثيرون يرون: أن الخلافة حق له، و ينظرون الى الهيئة الحاكمة على أنها ظالمة له و غاصبة لذلك الحق:

يقول الدكتور الشيبي، و هو يتحدث عن الرضا (ع): «إن المأمون جعله ولي عهده، لمحاولة تألف قلوب الناس ضد قومه العباسيين، الذين حاربوه، و نصروا أخاه (1) ...».

و يقول: «... و قد كان الرضا من قوة الشخصية، و سمو المكانة:

أن التف حوله المرجئة، و أهل الحديث، و الزيدية، ثم عادوا إلى مذاهبهم بعد موته ...» (2).4.

1- الصلة بين التصوف و التشيع ص 223، 224 ... و نحن لا نوافق الدكتور الشيبي على أنه كان يريد التقوي بذلك على العباسيين، كما اتضح، و سيتضح إن شاء اللّه ...
2- المصدر السابق ص 214.

و كذلك هو يقول- و هو مهم فيما نحن بصدده-: «... إن الرضا لم يكن بعد توليته العهد إمام الشيعة وحدهم، و إنما مرّ بنا:

أن الناس، حتى أهل السنة، و الزيدية، و سائر الطوائف الشيعية المتناحرة ... قد اجتمعت على إمامته، و اتباعه، و الالتفاف حوله ...» (1).

و هذا كما ترى تصريح واضح منه بهدف المأمون، الذي نحن بصدد بيانه ...

و يقول محمد بن طلحة الشافعي مشيرا إلى ذلك، في معرض حديثه عن الإمام الرضا (ع): «... نما إيمانه، و علا شأنه، و ارتفع مكانه، و كثر أعوانه، و ظهر برهانه، حتى أحله الخليفة المأمون محل مهجته، و أشركه في مملكته ...» (2).

و تقدم أنه (ع) كان- باعتراف المأمون- «الأرضى في الخاصة، و العامة ...» و أن كتبه كانت تنفذ في المشرق و المغرب، حتى إن البيعة له بولاية العهد، لم تزده في النعمة شيئا ... و أنه كان له من قوة الشخصية ما دفع أحد أعدائه لأن يقول في حقه للمأمون: «هذا الذي بجنبك و اللّه صنم يعبد دون اللّه» إلى آخر ما هنالك، مما قدمنا «غيضا من فيض منه».

كما و تقدم أيضا قول المأمون في رسالته للعباسيين: «... و إن تزعموا:

أني أردت أن يؤول إليهم عاقبة و منفعة (يعني للعلويين)؛ فإني في تدبيركم، و النظر لكم، و لعقبكم، و أبنائكم من بعدكم ...»، و أيضا عبارته التي كتبها المأمون بخط يده في وثيقة العهد؛ فلا نعيد ...

و هكذا ... فما على العباسيين إلا أن ينعموا بالا، و يقروا عينا؛ فإن المأمون كان يدبر الأمر لصالحهم و من أجلهم ... و ليس كما يقوله8.

1- المصدر السابق ص 256.

2- مطالب السئول ص 84، 85، و قريب منه ما في: الاتحاف بحب الأشراف ص 58.

الدكتور الشيبي، و غيره من أنه أراد أن يحصل على التأييد الواسع؛ ليقابل العباسيين، و يقف في وجههم.

إشارة هامة لا بد منها:

هذا ... و يحسن بنا أن نشير هنا: إلى ما قاله ابن المعتز في الروافض.

و القاء نظرة فاحصة على السبب الذي جعلهم مستحقين لهذه الحملة الشعواء منه ... فهو يقول:

لقد قال الروافض في علي مقالا جامعا كفرا و موقا

زنادقة أرادت كسب مال من الجهال فاتخذته سوقا

و أشهد أنه منهم بريّ و كان بأن يقتلهم خليقا

كما كذبوا عليه و هو حي فأطعم ناره منهم فريقا

و كانوا بالرضا شغفوا زماناو قد نفخوا به في الناس بوقا

و قالوا: إنه رب قديرفكم لصق السواد به لصوقا (1) و هذه الأبيات تعبر عن مدى صدمة ابن المعتز، و خيبة أمله في الروافض، الذين ضايقه جدا امتداد دعوتهم في طول البلاد الاسلامية، و عرضها. و خصوصا في زمن الرضا. و الذي لم يجد شيئا يستطيع أن يتنقص به إمامهم الرضا (ع) سوى أنه كان اسود اللون؛ و أن الروافض قالوا: إنه رب قدير ... و سرّ حنقه هذا على الروافض ليس هو إلا عقيدتهم في علي (ع)- التي كان يراها خطرا حقيقيا على القضية العباسية- و التي تتلخص بأنه (ع): يستحق الخلافة بالنص. و هذه العقيدة و المقالة هي التي جعلتهم يستحقون من ابن المعتز أن يجمع لهم بين

1- ديوان ابن المعتز ص 300، 301، و الأدب في ظل التشيع ص 206.

و صـفي الكفر و الزندقة، و اتهامه لهم، بأنهم يقصدون بذلك كسب المال من الجهال. ثم يتهمهم بأنهم قد قالوا بنفس هذه المقالة في علي الرضا (ع)؛ فقالوا: إنه الإمام الثابت إمامته بالنص، و شـهّروا بـذلك، حتى علم به عامة الناس، و نفخوا به في الناس بوقا ... و حتى لقد التف حوله أهل الحديث، و الزيدية، بل و المرجئة، و أهل السنة، على حد تعبير الشيبي، و قالوا: بإمامة أبيه، ثم بإمامته ..

و بديهي ... أن لا يرتاح ابن المعتز، الذي كان في صـميم الاسرة العباسية لهذا الامتداد للتشيع، و لمقالة الروافض، حيث إن ذلك يعني أن الأئمة الذين هم بين الرضا، و علي أمير المؤمنين عليهما السلام، كلهم تثبت إمامتهم بالنص ...

و لقد بلغ من حنقه عليهم، بسـبب ذلك الامتداد الواسع لعقيدتهم- و خصوصا في زمان الرضا- أن دفعه إلى أن يخلط عن عمد، أو عن غير عمد بين عقيدة الروافض هذه، و بين عقيدة الغلاة، حيث أضاف إلى مقالة الروافض تلك مقالة اخرى، هي: القول بألوهية علي (ع).

و إذا كنـا واثقين من أن الفرق الشـاسع بين عقيـدة الروافض، و عقيـدة الغلاـة، لم يكن ليخفى على مثل ابن المعتز، بل على من هو أقل منه بمراتب، فإننا سوف ندرك بما لا مجال معه للشك:

أنه يقصـد بهـذا الخلط المعتمـد: التشنيع على الروافض، و تهجين عقيـدتهم، إذ أنه يقصد ب «الروافض»،- حسـبما هو صـريح كلامه- خصوص القـائلين بإمامة الرضـا، و إمامـة علي أمير المؤمنين، و من بينهمـا. و هو يعلم و كـل أحـد يعلم: أنه ليس فيهم من يقول بـالوهية أحدهما، أو ألوهيتهما، أو ألوهية غيرهما من أئمة أهل البيت عليهم السلام.

و أخيرا ... فإن قول و اعتراف ابن المعتز هذا- و هو من نعلم-

لخير دليل على مدى تحرر الشيعة في زمن الرضا، و اتساع نفوذهم، و على أن شخصية الرضا (ع)، كانت قد استقطبت قطاعا واسعا، إن لم نقل: أنه القطاع الأكبر من الامة الاسلامية، في طول البلاد و عرضها، في تلك الفترة من الزمن، و قد تقدم بعض ما يدل على ذلك، فلا نعيد.

الهدف الخامس:

هذا ... و نستطيع أن نقول أيضا: إنه كان يريد أن يقوي من دعائم حكمه، حيث قد أصبح الحكم يمتلك شخصية تعنو لها الجباه بالرضا و التسليم. و لقد كان الحكم بأمس الحاجة الى شخصية من هذا القبيل ...

في مقابل أولئك المتزلفين القاصرين، الذين كانوا يتجمعون حول الحكم العباسي، طلبا للشهرة، و طمعا بالمال، و الذين لم يعد يخفى على أحد حالهم و مآلهم ... و على الأخص بعد أن رأى فشلهم في صد حملات علماء الملل الاخرى، و الذين كانوا قد ضاعفوا نشاطاتهم، عند ما رأوا ضعف الدولة، و تمزقها، و تفرقها الى جماعات و أحزاب ...

نعم ... لقد كان الحكم يحتاج إلى العلماء الاكفاء، و الأحرار في تفكيرهم، و في نظرتهم الواعية للانسان و الحياة، و لم يعد بحاجة الى المتزلفين، و الجامدين، و الانهزاميين، و لهذا نراه يستبعد أصحاب الحديث الجامدين، الذين كان أكثرهم في الجهة المناوئة له، يشدون من أزرها، و يقيمون أودها ... و يقرب المعتزلة: كبشر المريسي، و أبي الهذيل العلاف و أضرابهما. و لكن الشخصية العلمية، التي لا يشك أحد في تفوقها على جميع أهل الأرض علما و زهدا، و ورعا و فضلا الخ ... كانت منحصرة في الامام الرضا (ع)، باعتراف من نفس المأمون، كما قدمنا، و لهذا فقد كان الحكم يحتاج إليها أكثر من احتياجه لأية شخصية اخرى، مهما بلغت.

ص: 221

الهدف السادس:

و لعل من الأهمية بمكان بالنسبة إليه، أنه يكون في تلك الفترة المليئة بالقلاقل و الثورات، قد أتى الامة بمفاجئة مثيرة، من شأنها أن تصرف أنظار الناس عن حقيقة ما يجري، و ما يحدث، و عن واقع المشاكل التي كان يعاني الحكم و الامة منها، و ما أكثرها ...

و قد عبر ابراهيم بن المهدي، عن دهشة بني العباس في أبياته المتقدمة ...

حتى لقد ذهل- على حدّ قوله- الحواضن عن بنيها! و صد الثدي عن فم الصبي!!» و بعد هذا ... فلسنا بحاجة إلى كبير عناء، لإدراك مدى دهشة غيرهم:

ممن رأوا و سمعوا بمعاملة العباسيين لأبناء عمهم. و لسوف ندرك مدى عظمة دهشتهم تلك إذا ما لا حظنا: أنهم كانوا سياسيا أقل وعيا و تجربة من مثل ابراهيم بن المهدي، الذي عاش في أحضان خلافة. كان بمرأى و مسمع من الأعيب السياسة، و مكر الرجال ...

الهدف السابع:

اشارة

هذا ... طبيعي بعد هذا: أنه قد أصبح يستطيع أن يدعي، بل لقد ادعى بالفعل- على ما في وثيقة العهد-: أن جميع تصرفاته، و أعماله، لم يكن يهدف من ورائها، إلا الخير للامة، و مصلحة المسلمين، و حتى قتله أخاه، لم يكن من أجل الحكم، و الرئاسة، بقدر ما كان من أجل خير المسلمين، و المصلحة العامة، يدل على ذلك: أنه عند ما رأى أن خير الامة، إنما هو في اخراج الخلافة من بني العباس كلية، و هم الذين ضحوا الكثير في سبيلها، و قدموا من أجلها ما يعلمه كل أحد- عند ما رأى ذلك- و أن ذلك لا يكون إلا باخراجها إلى ألد أعدائهم،

ص: 222

سارع إلى ذلك، بكل رضى نفس، و طيبة خاطر ... و ليكون بذلك قد كفر عن جريمته النكراء، و التي كانت أحد أسباب زعزعة ثقة الناس به، ألا و هي: قتله أخاه الأمين، العزيز على العباسيين و العرب ...

و ليكون بذلك، قد ربط الامة بالخلافة، و كسب ثقتها فيها، و شد قلوب الناس، و أنظارهم إليها؛ حيث أصبح باستطاعتهم أن ينتظروا منها أن تقيم العدل، و ترفع الظلم، و أن تكون معهم، و في خدمتهم، و تعيش قضاياهم. و ليكون لها من ثم من المكانة و التقدير، ما يجعلها في منأى و مأمن من كل من يتحينون بها الفرص، و يبغون لها الغوائل ...

و يدل على ذلك- عدا عما ورد في وثيقة العهد- ما ورد من أن المأمون كتب إلى عبد الجبار بن سعد المساحقي، عامله على المدينة: أن اخطب الناس، و ادعهم إلى بيعة الرضا؛ فقام خطيبا؛ فقال:

«يا أيها الناس، هذا الأمر الذي كنتم فيه ترغبون، و العدل الذي كنتم تنتظرون، و الخير الذي كنتم ترجون، هذا علي بن موسى، بن جعفر، بن محمد، بن علي؛ بن الحسين؛ بن علي بن أبي طالب:

ستة آباؤهم ما هم من أفضل من يشرب صوب الغمام (1) و قد أكد ذلك بحسن اختياره؛ إذ قد اختار هذه الشخصية، التي تمثل- في الحقيقة- أمل الامة، و رجاءها، في حاضرها، و مستقبلها.

و تكون النتيجة- بعد ذلك- أنه يكون قد حصل على حماية لكل تصرف يقدم عليه في المستقبل، و كل عمل يقوم به ... مهما كان غريبا، و مهما كان غير معقول؛ فإن على الامة أن تعتبره صحيحا و سليما،ه.

1- العقد الفريد ج 3/ 392، طبع مصطفى محمد بمصر سنة 1935 و «ما» في البيت زائدة ... و لا يخفى ما في البيت، و قد أثبتناه، كما وجدناه.

لا بد منه، و لا غنى عنه، و إن لم تعرف ظروفه، و دوافعه الحقيقية.

بل و حتى مع علمها بها؛ فان عليها أن تؤوّل ما يقبل التأويل، و إلا ...

فإن عليها أن تدفن رأسها في التراب، و تتناسى ما تعلم ... أو أن تعتبر نفسها قاصرة عن إدراك المصالح الحقيقية الكامنة في تلك التصرفات الغريبة، و أن ما أدركته و لو كان حقا- لا واقع له، و لا حقيقة وراءه و يدل على ذلك بشكل واضح ابيات ابن المعتز الآتية ص 305/ 306، يقول ابن المعتز:

و أعطاكم المأمون حق خلافةلنا حقها لكنه جاد بالدنيا

ليعلمكم أن الّتي قد حرصتمواعليها و غودرتم على اثرها صرعى

يسير عليه فقدها غير مكثركما ينبغي للصالحين ذوى التقوى و على كل حال؛ فإنه يتفرع على ما ذكرناه:

أولا: إنه بعد أن أقدم على ما أقدم عليه؛ فليس من المنطقي بعد للعرب أن يسخطوا عليه، بسبب معاملة أبيه، أو أخيه، و سائر أسلافه لهم؛ فإن المرء بما كسب هو، لا بما كسب أهله، و لا تزر وازرة وزر أخرى ...

و كيف يجوز لهم أن يغضبوا بعد، و هو قد أرجع الخلافة إليهم، بل و إلى أعرق بيت فيهم. و عرفهم عملا: أنه لا يريد لهم، و لغيرهم، إلا الصلاح و الخير ...

و ليس لهم بعد حق في أن ينقموا عليه معاملته القاسية لهم، و لا- قتله أخاه، و لا أن يزعجهم، و يخيفهم تقريبه للايرانيين، و لا جعله مقر حكمه مروا إلى آخر ما هنالك ... ما دام أن الخلافة قد عادت إليهم، على حسب ما يشتهون، و على وفق ما يريدون ...

و من هنا ... فلا يجب أن نعجب كثيرا؛ حين نراهم: قد تلقوا بيعة الرضا بنفوس طيبة، و قلوب رضية ... حتى أهل بغداد نرى أنهم قد تقبلوها إلى حد كبير؛ فقد نص المؤرخون- و منهم الطبري و ابن مسكويه- على أن بعضهم وافق، و البعض الآخر- و هم أنصار بني

العباس- رفض. و هذا يدل دلالة واضحة: على أن بغداد، معقل العباسيين الأول، كانت تتعاطف مع العلويين إلى درجة كبيرة ...

بل و نص المؤرخون، على أن: ابراهيم بن المهدي، المعروف بابن شكلة، الذي بويع له في بغداد غضبا من تولية الرضا للعهد: لم يستطع أن يسيطر إلا على بغداد، و الكوفة و السواد (1)، بل و حتى الكوفة قد استمرت الحرب قائمة فيها على ساق و قدم أشهرا عديدة بين أنصار المأمون، و عليهم الخضرة، و أنصار العباسيين و عليهم السواد (2).

و ثانيا: و أما الايرانيون عامة، و الخراسانيون خاصة، و المعروفون بتشيعهم للعلويين؛ فقد ضمن المأمون استمرار تأييدهم له، و ثقتهم به؛ بعد أن حقق لهم غاية أمانيهم، و أغلى أحلامهم، و أثبت لهم عملا، حبه لمن يحبون، و ودّه لمن يودّون ... و أن لا ميزة عنده لعباسي على غيره، و لا لعربي على غيره، و أن الذي يسعى إليه، هو- فقط خير الامة، و مصلحتها؛ بجميع فئاتها، و مختلف طبقاتها، و أجناسها ...

ملاحظة هامة:

إن من الجدير بالملاحظة هنا: أن الرضا (ع) كان قد قدم إلى إيران قبل ذلك. و الظاهر أنه قدمها في حدود سنة 193 ه.، أي في الوقت المناسب لوفاة الرشيد؛ فقد ذكر الرضي المعاصر للمجلسي في كتابه: ضيافة الإخوان: أن عليا الرضا (ع) كان مستخفيا في قزوين في دار داود بن سليمان الغازي أبي عبد اللّه، و لداود نسخة يرويها عن الرضا (ع)، و أهل قزوين يروونها عن داود، كاسحاق بن محمد، و علي بن مهرويه (3).

1- راجع البداية و النهاية ج 10/ 248، و غيره من كتب التاريخ. و زاد أحمد شلبي في كتابه: التاريخ الإسلامي و الحضارة الإسلامية ج 3/ 105- زاد على ذلك: المدائن أيضا.

2- راجع: الكامل لابن الأثير ج 5/ 190، و البداية و النهاية ج 10/ 248، و غير ذلك.

3- راجع كتاب: ضيافة الاخوان مخطوط في مكتبة المدرسة الفيضية في قم، في ترجمة أبي عبد اللّه القزويني، و علي بن مهرويه القزويني.

و قال الرافعي في التـدوين: «و قد اشـتهر اجتياز علي بن موسـى الرضا بقزوين. و يقال: إنه كان مسـتخفيا في دار داوود بن سـليمان الغازي، روى عنه النسخة المعروفة، و روى عنه اسحاق بن محمد، و علي بن مهرويه، و غيرهما.

قال الخليل: و ابنه المدفون في مقبرة قزوين، يقال: إنه كان ابن سنتين، أو أصغر ...» (1) انتهى كلام الرافعي.

و المراد بالخليل في كلامه، هو الخليل بن عبد اللّه بن أحمد بن إبراهيم الخليلي، القزويني، و هو الحافظ المشهور، مصنف كتاب الارشاد، و كتاب تاريخ قزوين، الذي فرغ من تأليفه حوالي سنة أربعمائة هجرية، و كانت وفاته سنة 446 ه.

الهدف الثامن:

اشارة

لقد كان من نتائج اختياره الإمام، و البيعة له بولاية العهد- التي كان يتوقعها-: أن أخمد ثورات العلويين في جميع الولايات و الامصار.

و لعله لم تقم أية ثورة علوية ضد المأمون- بعد البيعة للرضا، سوى ثورة عبد الرحمن بن أحمد في اليمن. و كان سببها- باتفاق المؤرخين- هو فقط: ظلم الولاة و جورهم، و قد رجع إلى الطاعة بمجرد الوعد بتلبية مطالبه ...

بل لا بد لنا أن نضيف الى ذلك:

أ-:

إنه ليس فقط أخمد ثوراتهم ... بل لقد حصل على ثقة

1- التدوين قسم 2 ورقة 235 مخطوط في مكتبة (دفتر تبليغات اسلامي) في قم، في ترجمة علي الرضا ...

الكثيرين منهم، و من والاهم، و شايعهم، و الخراسانيون منهم، و يشير المأمون إلى هذا المعنى في رسالته، التي أرسلها إلى عبد اللّه بن موسى؛ حيث يقول:

«... ما ظننت أحدا من آل أبي طالب يخافني؛ بعد ما عملته بالرضا» و الرسالة مذكورة في أواخر هذا الكتاب ... كما أنه كتب للعباسيين في بغداد في رسالته، التي أشرنا إليها غير مرة، يقول لهم:

إنه يريد بذلك أن يحقن دماءهم، و يذود عنهم؛ باستدامة المودة بينهم، و بين العلويين ...

ب:

بل و نزيد هنا على ما تقدم: أنه قد بايعه منهم و من أشياعهم من لم يكن بعد قد بايعه، و هم قسم كبير جدا، بل لقد بايعه اكثر المسلمين، و دانوا له بالطاعة، بعد أن كانوا مخالفين له ممتنعين عن بيعته، حسبما قدمناه ...

و هذه دون شك هي إحدى امنيات المأمون، بل هي أجل امنياته و أغلاها.

ج:

قال ابن القفطي في معرض حديثه عن عبد اللّه بن سهل ابن نوبخت:

«... هذا منجم مأموني، كبير القدر في صناعته، يعلم المأمون قدره في ذلك. و كان لا يقدم إلا عالما مشهودا له، بعد الاختبار ...

و كان المأمون قد رأى آل أمير المؤمنين، علي بن أبي طالب متخشّين، متخفين، من خوف المنصور، و من جاء بعده من بني العباس. و رأى العوام قد خفيت عنهم أمورهم بالاختفاء؛ فظنوا ما يظنونه بالانبياء، و يتفوهون بما يخرجهم عن الشريعة، من التغالي ...

فأراد معاقبة العامة على هذا الفعل ...

ثم فكر: أنه إذا فعل هذا بالعوام زادهم إغراء به؛ فنظر نظرا دقيقا، و قال: لو ظهروا للناس، و رأوا فسق الفاسق منهم، و ظلم الظالم، لسقطوا من أعينهم، و لا نقلب شكرهم لهم ذما …

ثم قال: إذا أمرناهم بالظهور خافوا، و استتروا، و ظنوا بنا سوءا، و إنما الرأي: أن نقدم أحدهم، و يظهر لهم إماما، فإذا رأوا هذا أنسوا، و ظهروا، و أظهروا ما عندهم من الحركات الموجودة في الآدميين؛ فيحقق للعوام حالهم، و ما هم عليه، مما خفي بالاختفاء؛ فإذا تحقق ذلك أزلت من أقمته، و رددت الأمر إلى حالته الاولى …

و قوي هذا الرأي عنده، و كتم باطنه عن خواصه … و أظهر للفضل ابن سهل: أنه يريد أن يقيم إماما من آل أمير المؤمنين علي صلوات اللّه عليه.

و فكر هو و هو، فيمن يصلح، فوقع إجماعهما على الرضا؛ فأخذ الفضل بن سهل في تقرير ذلك، و ترتيبه و هو لا يعلم باطن الأمر.

و أخذ في اختيار وقت لبيعة الرضا؛ فاختار طالع السرطان، و فيه المشتري الخ» (1).

ثم ذكر أن عبد اللّه بن سهل أراد اختيار المأمون؛ فأخبره أن البيعة لا تتم إذا وقعت في ذلك الوقت؛ فهدده المأمون بالقتل إن لم تقع البيعة في ذلك الوقت بالذات، لأنه سوف يعتبر أنه هو الذي أفسد عليه ما كان دبره الخ …

و ابن القفطي هنا، لا يبدو أنه يعتبر الإمام الرضا (ع) من أولئك الذين يريد المأمون إظهار تفاهاتهم للناس، و لكنه يوجه نظره إلى بقية2.

1- تاريخ الحكماء ص 221، 222.

العلويين في ذلـك ... و نحن إن كنـا لاـ نسـتبعد من المـأمون ما ذكره ابن القفطي هنا لكننا لا نسـتطيع أن نعتبر أن هـذا كان من الأسـباب الرئيسـية لـدى المأمون، إذ لا نعتقـد أن المأمون كان من السذاجة بحيث يجهل أن بقية العلويين لـم يكونوا- إجمالا- على الحال التي كان يريد أن يظهرهم عليها للناس، و أنهم كانوا أكثر تدينا و التزاما من أي فئة اخرى على الإطلاق ...

هذا ... و لسوف نرى أن أحمد أمين المصري يأخذ برأي ابن القفطي هذا. لكنه ينظر فيه إلى خصوص أئمة أهل البيت (ع)، كما سيأتي بيانه، و بيان مـدى خطله و فساده في الفصل التالي. و فيه دلالـة على أن الفضل كان مخـدوعا، و على أن المأمون لـم يكن مخلصا فيما اقدم عليه ...

د-:

إنه لا بـد لنا من الإشارة هنا إلى أن اكثر ثورات العلويين، التي قامت ضـد المأمون- قبل البيعـة للرضا (ع) طبعا- كانت من بني الحسن، و بالتحديـد من أولئك الـذين يتخـذون نحلـة الزيدية؛ فأراد المأمون أن يقف في وجههم، و يقضـي عليهم، و على نحلتهم تلك نهائيا، و إلى الأبد؛ فأقدم على ما أقدم عليه من البيعة للرضا (ع) بولاية العهد ...

هذا ... و قد كانت نحلة الزيدية هذه- شائعة في تلك الفترة، و كانت تزداد قوة يوما عن يوم، و كان للقائمين بها نفوذ واسع، و كلمة مسموعة، حتى إن المهدي قد استوزر يعقوب بن داود، و هو زيدي، و آخاه، و فوضه جميع امور الخلافة (1).

و على حد تعبير الشبراوي: «... فولاه الوزارة، و صارت الأوامر كلها بيديه؛ و استقل يعقوب حتى حسده جميع أقرانه ...» (2).

1- البداية و النهاية ج 10/ 147، و غيره من كتب التاريخ؛ فراجع فصل: مصدر الخطر على العباسيين.
2- الاتحاف بحب الأشراف ص 112.

بل كان «لا ينفذ للمهدي كتاب إلى عامل؛ فيجوز، حتى يكتب يعقوب إلى أمينه و ثقته بانفاذه ...» (1).

و قد بلغ من نفوذ يعقوب هذا ... أن قال فيه بشار بن برد أبياته المشهورة، التي قدمناها، و التي يقول فيها: «إن الخليفة يعقوب ابن داود».

و قد سعي بيعقوب هذا إلى المهدي: و قيل له: «... إن الشرق و الغرب في يد يعقوب، و أصحابه؛ و إنما يكفيه أن يكتب إليهم؛ فيثوروا في يوم واحد؛ فيأخذوا الدنيا ...» (2).

و ذلك لأنه قد: «أرسل يعقوب هذا إلى الزيدية، و أتى بهم من كل أوب، و ولاهم من امور الخلافة في المشرق و المغرب كل جليل، و عمل نفيس، و الدنيا كلها في يديه ...» (3).

و إذا ما عرفنا أن معاوني يعقوب إنما كانوا هم: متفقهة الكوفة، و البصرة، و أهل الشام (4) ... فإننا نعرف أن الاتجاه الزيدي سوف يؤثر كثيرا، و كثيرا جدا على الثقافة العامة، و الاتجاهات الفكرية في ذلك العصر- كما حدث ذلك فعلا ... حتى لقد صرح ابن النديم بأن:

«أكثر علماء المحدثين إلا قليلا منهم، و كذلك قوم من الفقهاء، مثل:

سفيان الثوري، و سفيان بن عيينة كانوا من الشيعة الزيدية ...» (5).

و قد صرح المؤرخون أيضا: بأن أصحاب الحديث جميعهم، قد3.

1- الطبري ج 10/ 486، و الكامل لابن الأثير ج 5/ 60، و مرآة الجنان ج 1/ 418.
2- الكامل لابن الأثير ج 5/ 66، 67.
3- الطبري ج 10/ 508، طبع ليدن، و الوزراء و الكتاب للجهشياري ص 158، و الكامل لابن الأثير ج 5/ 66.
4- الطبري، طبع ليدن ج 10/ 486.
5- الفهرست لابن النديم ص 253.

خرجوا مع ابراهيم بن عبد اللّه بن الحسن، أو أفتوا بالخروج معه (1).

و على كل حال ... فإن ما يهمنا بيانه هنا: هو أن المأمون كان يريده

ص: 231

1- مقاتل الطالبيين ص 377، و غيرها من الصفحات، و غيرها من الكتب ... و يرى بعض أهل التحقيق: أن المقصود هو جميع أصحاب الحديث في الكوفة ... و لكن الظاهر أن المراد: الجميع مطلقا، كما يظهر من مراجعة مقاتل الطالبيين و غيره ... و الأمر الذي تجدر الإشارة إليه هنا: هو أن فرقة من الزيدية، و فرقة من أصحاب الحديث، قد قالوا بالإمامة على النحو الذي يقول به الشيعة الإمامية، عند ما جعل المأمون «الرضا عليه السلام» وليا لعهده. لكنهم بعد وفاة الرضا عليه السلام رجعوا عن ذلك: قال النوبختي في فرق الشيعة ص 86: «... و فرقة منهم تسمى «المحدثة» كانوا من أهل الارجاء، و أصحاب الحديث، فدخلوا في القول بامامة موسى بن جعفر، و بعده بامامة علي بن موسى، و صاروا شيعة؛ رغبة في الدنيا و تصنعا. فلما توفي علي بن موسى عليه السلام رجعوا إلى ما كانوا عليه ... و فرقة كانت من الزيدية الأقوياء، و البصراء، فدخلوا في إمامة علي بن موسى (ع)، عند ما أظهر المأمون فضله، و عقد بيعته؛ تصنعا للدنيا، و استكانوا الناس بذلك دهرا. فلما توفي علي بن موسى (ع) رجعوا إلى قومهم من الزيدية ...» و قد تقدم قول الشيبي: إنه قد التف حول الرضا (ع) «المرجئة، و أهل الحديث، و الزيدية، ثم عادوا إلى مذاهبهم بعد موته ...» و غير ذلك ... و الذي نريد أن نقوله هنا هو: أن «الارجاء دين الملوك»، على حد تعبير المأمون (على ما نقله عنه في ضحى الاسلام ج 3/ 326)، نقلا عن طيفور في تاريخ بغداد ... و في البداية و النهاية ج 10/ 276: أن المأمون قال للنضر بن شميل: ما الارجاء؟. قال: «دين يوافق الملوك، يصيبون به من دنياهم، و ينقصون به من دينهم» قال: صدقت الخ ... و ليراجع كتاب بغداد ص 51. و عمدة القول بالارجاء (القديم) هو: المغالاة في الشيخين، و التوقف في الصهرين؛ فالارجاء و التشيع، و خصوصا القول بامامة موسى بن جعفر، و ولده علي الرضا على طرفي نقيض و من هنا كانت المساجلة الشعرية بين المأمون المظهر لحب علي و ولده، و ابن شكلة المرجي، يقول المأمون معرضا بابن شكلة: إذا المرجي سرك أن تراه يموت لحينه من قبل موته فجدد عنده ذكرى علي و صل على النبي و آل بيته

أما ابن شكلة فيقول معرضا بالمأمون:

إذا الشيعي جمجم في مقال فسرك أن يبوح بذات نفسه

فصل على النبي و صاحبيه وزيريه و جاريه برمسه راجع: مروج الذهب ج 3/ 417، و الكنى و الألقاب ج 1/ 331.

و بعد هذا ... فانه لمن غرائب الامور حقا، الانتقال دفعة واحدة من القول بالارجاء إلى التشيع، بل الى الرفض (و هو الغلو في التشيع حسب مصطلحهم، و الذي يتمثل بالقول بامامة الأئمة الاثني عشر عليهم السلام). و أغرب من ذلك العودة إلى الارجاء بعد موت علي الرضا عليه السلام ...

و هذا ان دل على شي ء؛ فانما يدل على مدى تأثير السياسة و المال في هؤلاء الذين أخذوا على عاتقهم- بادعائهم- مسئولية الحفاظ على الدين و الذود عن العقيدة؛ فانهم كانوا في غاية الانحطاط الديني، يتلونون- طمعا بالمال و الشهرة- ألوانا؛ حتى إن ذلك يحملهم على القول بعقيدة، ثم القول بضدها، ثم الرجوع الى المقالة الاولى، إذا رأوا أن الحاكم يرغب في ذلك، و يميل إليه، و لهذا سموا ب «الحشوية» يعني: أتباع و حشو الملوك، و أذناب كل من غلب، و يقال لهم أيضا (و هم في الحقيقة أهل الحديث): «الحشوية، و النابتة، و الغثاء، و الغثر ...» على ما في كتاب: تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص 80.

و راجع أيضا فرق الشيعة، و رسالة الجاحظ في بني أميّة، و غير ذلك ...

بل لقد أطلق عليهم المأمون نفسه لفظ «الحشوية» في مناقشته المشهورة للفقهاء و العلماء المذكورة في العقد الفريد و البحار، و عيون أخبار الرضا و غير ذلك ...

و قال عنهم الزمخشري في مقام استعراضه للمذاهب و النحل، و معتنقيها:

و إن قلت من أهل الحديث و حزبه يقولون تيس ليس يدري و يفهم و يقابل كلمة «الحشوية» كلمة «الرافضة» التي شاع اطلاقها على الشيعة الإمامية.

و معناها في الأصل: جند تركوا قائدهم؛ فحيث إن الشيعة لم يكونوا قائلين بامامة أولئك المتغلبين، سموهم ب «الرافضة»؛ و لذا جاء في تاريخ اليعقوبي ج 2 ص 161:

أن معاوية كتب إلى عمرو بن العاص:

«أما بعد ... فانه قد كان من أمر علي و طلحة و الزبير ما قد بلغك؛ فقد سقط إلينا مروان في رافضة أهل البصرة الخ ...». و مثل ذلك ما في وقعة صفين لنصر بن مزاحم ص 34. فالمراد بكلمة رافضة هنا هو ذلك المعنى اللغوي الذي أشرنا إليه؛ فسمي الشيعة بالرافضة؛ لأنهم- كما قلنا- رفضوا الانقياد لأولئك الحكام المتغلبين ...

يقول السيد الحميري على ما جاء في ديوانه و غيره- يهجو بعض من اتهمه بالرفض ليقتله المنصور:

أبوك ابن سارق عنز النبي و أمك بنت أبي جحدر

و نحن على رغمك الرافضون لأهل الضلالة و المنكر و لكن قد جاء في الطبري، مطبعة الاستقامة ج 6 ص 498، و البداية و النهاية ج 9 ص 330، و مقدمة ابن خلدون ص 198، و مقالات الاسلاميين ج 1 ص 130، و غاية الاختصار ص 134: أن سبب تسمية الشيعة ب «الرافضة» هو أنهم عند ما تركوا نصرة زيد بن علي في سنة 122 ه. قال لهم زيد: رفضتموني، رفضكم اللّه. و هذا كذب راج على بعض الشيعة أيضا حيث ذكروا و ذكر الطبري في نفس الصفحة المشار إليها آنفا: أن التسمية كانت من المغيرة بن سعيد، لما رفضته الشيعة ... و كانت قضيته سنة 119 ه.

و لكن الحقيقة هي أن التسمية بالرافضة كانت قبل سنتي 122 ه. و 119 ه. فقد جاء في المحاسن للبرقي ص 119 طبع النجف، باب الرافضة: أن الشيعة كانوا يشكون إلى الباقر المتوفى سنة 114 أن الولاة قد استحلوا دماءهم و أموالهم باسم: «الرافضة» الخ ...

و جاء في ميزان الاعتدال طبع سنة 1963 م. ج 2 ص 584 بعد ذكره لاسناد طويل أن الشعبي المتوفى سنة 104 ه. قال لأحدهم: «ائتني بشيعي صغير، اخرج لك منه رافضيا كبيرا» ...

و في كتاب: روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار ص 40، أن الشعبي قال:

«أحبب آل محمد و لا تكن رافضيا، و أثبت وعيد اللّه، و لا تكن مرجئيا ...».

بل لدينا ما يدل على أن تسمية الشيعة ب «الرافضة» كان قبل سنة المائة؛ فقد جاء في المحاسن و المساوي للبيهقي ص 212، طبع دار صادر و أمالي السيد المرتضى ج 1 ص 68 هامش: أنه لما أنشد الفرزدق أبياته المشهورة في الامام زين العابدين، المتوفى سنة 95 ه قال عبد الملك بن مروان المتوفى سنة 86 ه للفرزدق: «أ رافضي أنت يا فرزدق؟!». و على كل حال: فان ذلك كله قد كان قبل قضيتي زيد و المغيرة ابن سعيد بزمان بعيد ...

أن يقضـي على الزيدية، و يكسر شوكتهم بالبيعة للامام الرضا (ع) بولاية العهد؛ و لهذا نرى أنه قد طبق اللقب، الذي طالما دعا إليه الزيدية، و اعترف به العباسـيون، بـل و دعوا إليه في بـدء دعوتهم و دولتهم، ألا و هو لقب: «الرضا من آل محمـد»، طبقه على علي ابن موسـى (ع)؛ فسـماه: «الرضا من آل محمد» (1). فأصـبحت بذلك حجته قوية على الزيدية، بل لم يعد لهم حجة أصـلا. و أصـبح يستطيع أن ينام قرير العين، إذ قـد أصبح «الرضا من آل محمد» موجودا، فالدعوة إلى غيره سـتكون لا معنى لها البتة. و لسوف تكون مرفوضة من الناس جملة و تفصيلا. و كان ذلك بطبيعة الحال السبب الرئيسي في إضعاف الزيدية، و كسر شوكتهم، و شلّ حركتهم ...

و الـذي ساهم إلى حـد كبير في اضـعافهم، و شل حركتهم، هو اختياره الإمام (ع) بالـذات، حيث إنه الرجل الذي لا يمكن لأحد كائنا من كـان أن ينكر فضـله، و علمه، و تقواه، و سائر صـفاته و مزاياه، التي لم تكن لأحـد في زمانه على الاطلاق، فليس لهم بعـد طريق للاعتراض عليه: بأن الذي اختاره لولاية عهده، و الخلافة من بعده، ليس أهلا..

ص: 234

1- راجع: الفخري في الآداب السلطانية، ص 217، و ضحى الاسلام ج 3 ص 294، و البداية و النهاية ج 10 ص 247، و الطبري، و ابن الأثير، و القلقشـندي، و أبو الفرج، و المفيـد و كل من تعرض من المؤرخين لولايـة العهـد ... بل لقد صـرح نفس المأمون بذلك في وثيقة ولاية العهد، و هذا يكفي في المقام ... و لقد قال دعبل: أيا عجبا منهم يسـمونك الرضاو يلقاك منهم كلحة و غضون و هناك نصوص اخرى مفادها: أنه سـمي الرضا؛ لرضا أعدائه، و أوليائه به. و عزا الشـيبي في كتابه: الصلة بين التصوف و التشيع ص 138:- عزا- رضا أعدائه به إلى قوة شخصيته عليه السلام ... أما نحن فنقول: إنه ليس من اليسير أبدا، أن تنال شخصية رضا كل أحد، حتى أعدائها ... اللهم إلا إذا كان هناك سر إلهي، اختصت به تلك الشخصية، دون غيرها من سائر بني الانسان ...

لما أهّله له. و لو أنهم ادعوا ذلك لما صدقهم أحد، و لكانت الدائرة حينئذ في ذلك عليهم، و الخسران لهم دون غيرهم.

فذلكة لا بد منها:

هذا ... و لا يسعنا هنا إلا أن نشير إلى أن المأمون، لم يخترع اسلوبا جديدا للتصدي للزيدية، و الحد من نفوذهم، و كسر شوكتهم: ببيعته للرضا (ع)؛ إذ أنه كان قد استوحى هذه الفكرة من سلفه المهدي، الذي كان قد استوزر يعقوب بن داود الزيدي، ليحد من نشاط الزيدية، و يكسر شوكتهم. و كان قد نجح في ذلك إلى حد ما: إذ لا يحدثنا التاريخ عن تحركات زيدية خطيرة ضد المهدي، بعد استيزاره ليعقوب، و تقريبه للزيدية، كتلك الأحداث التي حدثت ضد المنصور، و خصوصا ثورة محمد و ابراهيم ابني عبد اللّه ...

كما يلاحظ أن تقريب العباسيين للزيدية في عصر المهدي، و تسليطهم على شئون الدولة و إداراتها، لم يؤثر في الوضع العام أثرا يخشاه العباسيون، و ذلك بلا شك مما يشجع المأمون على الاقدام على ما كان قد عقد العزم عليه، بجنان ثابت و إرادة راسخة ...

يضاف إلى ذلك: أن سهولة إبعاد العباسيين لهم عن مراكز القوة، و مناصب الحكم على يد المهدي نفسه، الذي نكب يعقوب بن داود، الوزير الزيدي، حيث لم تصاحبه ردة فعل، و لا نتج عنه أية حادثة تذكر ضد العباسيين، لا حقيرة، و لا خطيرة ... هو الذي شجع المأمون على أن يستوحي نفس الفكرة، و يلعب نفس اللعبة، و يتبع نفس طريقة المهدي. في مواجهتهم، و كسر شوكتهم، بالبيعة للرضا (ع) بولاية العهد بعده.

و على كل حال، فان هذا اسلوب قديم اتبعه العباسيون في دعوتهم الاولى أيضا، حيث بايعوا للعلويين، و أظهروا أن الدعوة لهم و باسمهم …

ثم كانت النتيجة هي ما يعلمه كل أحد، حيث انقلبوا عليهم يوسعونهم قتلا و عسفا، و تشريدا عند ما خافوهم، و لم يعودوا بحاجة إليهم …

٥-:

أضف إلى ما تقدم أن المأمون كان يعلم قبل أي شخص آخر بطبيعة العلاقات التي كانت قائمة بين الأئمة (ع)، و بين الزيدية، حيث إنها كانت على درجة من السوء و التدهور. و كان عدم التفاهم، و الانسجام فيما بينهم واضحا للعيان … حتى لقد شكى الائمة (ع) منهم، و صرحوا: بأن الناس قد نصبوا العداوة لشيعتهم، أما الزيدية فقد نصبوا العداوة لهم أنفسهم (1)، و في الكافي رواية مفادها: إنه (ع) قال إنهم قبل أن يصلوا إلى الحكم كانوا لا يطيعونهم فكيف تكون حالهم معهم لو أنهم وصلوا إلى الحكم و تبوعوا كرسي الرئاسة.

ص: 236

1- راجع: الوافي للفيض ج 1 ص 143، باب: الناصب و مجالسته … هذا … و لا يمنع ذلك ما ورد عنهم عليه السلام من أن خروج الزيدية و غيرهم على الحكام يدرءوا به عنهم، و عن شيعتهم: فقد جاء في السرائر قسم المستطرفات ص 476 أنه: «ذكر بين يدي أبي عبد اللّه من خرج من آل محمد (ص)؛ فقال عليه السلام: لا أزال أنا و شيعتي بخير ما خرج الخارجي من آل محمد إلخ …». و ذلك لأن اصطدامهم مع الحكام كان يصرف أنظار الحكام إليهم، و يفسح المجال أمام أهل البيت و شيعتهم إلى حد ما. و لم يكن هناك مجال لاتهام الأئمة و شيعتهم بالتواطؤ معهم، مع ما كان يراه الحكام من عدم الانسجام الظاهر بين الأئمة و بين الزيدية، و غيرهم من الثائرين و سلبية كل فريق منهما تجاه الآخر … و أخيرا … فلا بد لنا هنا من الاشارة إلى أن ثورات العلويين، سواء على الحكم الاموي، أو الحكم العباسي، قد ساهمت في أن يبقى حق العلويين في الحكم محتفظا بقوته و حيويته في ضمير الامة، و وجدانها. و لم تؤثر عليه حملات القمع و التضليل، التي كان الحكم القائم آنذاك يمارسها ضدهم، و ضد هذا الحق الثابت لأهل البيت عليهم السلام بالنص.

و قـد رأينا: أن عبد اللّه بن الحسن، عند ما جاء يعرض على الإمام الصادق (ع) كتاب أبي سـلمة، الذي يدعوه فيه للقدوم إلى الكوفة، لتكون الدعوة له، و باسمه؛ فنهاه الإمام (ع) عن ذلك- رأيناه- ينازع الإمام الصادق الكلام؛ حتى قال له:

«و اللّه، ما يمنعك من ذلك الا الحسد إلخ ...» و قد انصرف عبد اللّه آخر الأمر مغضبا (1).

و رأينا أيضا أنه في موقف آخر له مع الإمام الصادق (ع) يتهمه بنفس هـذه التهمـة، و يصـمه بعين هذه الوصـمة، و ذلك عند ما أرادوا البيعة لولده محمد، و أبدى الإمام (ع) رأيه في ذلك ... ذلك الرأي الذي كشفت الأيام عن صحته و سداده (2).

بل لقد كان عيسى بن زيد يقول لمحمد بن عبد اللّه: «... من خالفك من آل أبي طالب، فأمكني أضرب عنقه ...» (3) و قد تجرأ عيسى هذا أيضا على الإمام الصادق بكلام لا نحب ذكره ...

و أما موقف محمد بن عبد اللّه نفسه مع الإمام الصادق (ع)، فأشـهر من أن يذكر، حيث إنه سـجن الإمام (ع)، و استصـفى أمواله، و أسمعه كلاما قاسيا، لا يليق بمقام الإمام و سنه (4).8.

ص: 237

1- راجع: مروج الذهب ج 3 ص 354، 355، و غيره من المصادر.
2- الصواعق المحرقة ص 121، و ينابيع المودة للحنفي ص 332، 361، و مقاتل الطالبيين ص 255، 256، 270، و غير ذلك ... و في هـذا الأخير: أن عبد اللّه ابن الحسن لم يرض باسـتدعاء الامام، و لا وافق عليه، عند ما أرادوا البيعة لولده محمد، و بعد أن أقنعوه، و حضـر الامام، جرى بينهما ما جرى ...
3- قاموس الرجال ج 7 ص 270.
4- قاموس الرجال ج 7 ص 270، و ج 8 ص 242، 243، و البحار ج 47 ص 284، 258.

إلى آخر ما هنالك مما يدل على كرههم، و حقدهم على الائمة (ع)، أو بالاخرى حسدهم لهم ...

و المأمون ... كان يعلم بـذلك كله، و يدركه كل الإدراك، و لهذا فإننا لا نسـتبعد أنه- و هو الداهية الدهياء- قد أراد أيضا في جملة ما أراد: أن يوقع الفتنـة بين آل علي أنفسـهم. أي: بين الأئمـة، و المتشـيعين لهم، و بين الزيديـة، و يقف هو في موقف المتفرج المـتربص، حتى إذا أضعف كل واحد من الفريقين الفريق الآخر، و لم يعد فيهما بقية ... انقض هو عليهما، و قضى عليهما بأهون سبيل ...

بل إن بعض الباحثين يرى: أنه أراد من لعبته هذه: «... ضربا للثائرين العلويين من إخوة علي بن موسى بأخيهم (1)...».

و لو اننا استبعدنا كل ذلك، فلا أقل- كما قلنا- من أن حجته أصبحت قوية على الزيدية، و على كل من يدعو إلى «الرضا من آل محمد»، و لم يعد يخشى أحدا منهم، بعد أن أصبح «الرضا من آل محمد موجودا ...

الهدف التاسع:

كما أنه ببيعته للامام الرضا (ع) بولايـة العهـد، و قبول الإمام (ع) بـذلك ... يكون قـد حصل على اعتراف من العلويين، على أعلى مسـتوى بشرعية الخلافة العباسية، و لقد صرح المأمون بأن ذلك كان من جملة أهدافه، حيث قال: «... فأردنا أن نجعله ولي عهدنا، ليكون دعاؤه لنا، و ليعترف بالملك و الخلافة لنا ...» و سنتكلم حول تصريحات المأمون

1- هو الدكتور كامل مصطفى الشيبي في كتابه: الصلة بين التصوف و التشيع ص 219.

هذه بنوع من التفصيل في فصل: مع بعض خطط المأمون، و غيره إن شاء اللّه تعالى ...

نعود إلى القول: إن تصريح المأمون هذا يعطينا: أن قبول الإمام بأن يكون ولي عهد المأمون، إنما يعني بالنسبة للمأمون: أن الإمام يكون قد أقر بأن الخلافة ليست له دون غيره، و لا في العلويين دون غيرهم. و أنه كما يمكن أن يكون هو جديرا بها، و أهلا لها، كذلك غيره يمكن أن يكون كذلك ... و ليتمكن المأمون بذلك من محاربة العلويين بنفس السلاح الذي بأيديهم، و ليصير- من ثم- من الصعب استجابة الناس لهم، إذا دعوا لأية ثورة ضد حكم اعترفوا هم بشرعيته، و أيدوه، و تعاونوا معه من قبل، و على أعلى مستوى و من أعظم شخصية فيهم ...

بل لقد كان يريد أن يحصل من العلويين على اعتراف بأن الحكم حق للعباسيين فقط. أما هم، فليس لهم فيه أدنى نصيب. و ما فعله المأمون- من إسناد ولاية العهد لواحد منهم، ما كان إلا تفضلا و كرما، و من أجل أن يجمع شمل البيتين العلوي و العباسي، و تصفو القلوب و يمحو ما كان من أمر الرشيد و غيره من أسلافه مع العلويين ...

و لقد حاول المأمون أن ينتزع من الإمام اعترافا بأن الخلافة حق للعباسيين، شفاها أيضا فكانت النتيجة عكس ما أراد المأمون، و ذلك عند ما عرض بالمن على الإمام بأن جعله ولي عهده، فأجابه الإمام (ع):

بأن هذا الأمر لم يزده في النعمة شيئا، و أنه و هو في المدينة كانت كتبه تنفذ في المشرق و المغرب.

كما أن المأمون قد قال لحميد بن مهران، و جمع من العباسيين:

«... و ليعتقد فيه المفتونون به، بأنه ليس مما ادعى في قليل، و لا

كثير، و أن هذا الأمر لنا دونه ...» و لسوف يأتي الكلام عن هذه التصريحات إن شاء اللّه كما قلنا ...

و بعد ... فإنه لا يكون من المبالغة في شيء لو قلنا: إن حصول المأمون على اعتراف من العلويين، و من الإمام الرضا (ع) خاصة، بشرعية خلافته، و خلافة، بني أبيه أخطر على العلويين من الاسلوب الذي انتهجه أسلافه من أمويين و عباسيين ضدهم،: من قتلهم، و تشريدهم، و سلب أموالهم، إلى غير ذلك مما هو معروف و مشهور ...

الهدف العاشر:

يضاف إلى ذلك، أنه يكون قد حصل على اعتراف ضمني من الإمام بشرعية تصرفاته، طيلة فترة ولاية العهد، و ليعطي الناس- من ثم- الصورة التي يريدها عن الحكم و الحاكم، و ليؤكد للملإ أجمع: أن الحاكم هذا هو سلوكه، و هذه هي تصرفاته: من كان، و مهما كان، و إذن فليس لهم بعد حق في أن يتطلعوا إلى حكومة أحد على أن بها شيئا جديدا. و لا أن ينظروا إلى جهة على انها يمكن أن يكون بها المنقذ لهم، و المخرج من الظلمات إلى النور، حتى و لو كانت تلك الجهة هي آل بيت نبيهم، فإنه من الطبيعي أن يتبع السياسيون أساليب، و يتكلموا بأشياء كثيرة، ينسونها بمجرد وصولهم إلى الحكم، و تسلمهم لأزمّة السلطة، فإن تلك لا تعدو كونها تكتيكات، و وعودا انتخابية، يحتاجون إليها في ظروف معينة، ثم يستغنون عنها ... كما كانت الحال في وعود المأمون، التي أشرنا إليها فيما تقدم ...

و هكذا ... فيكون سكوت الإمام في فترة ولاية العهد، عن تصرفات الهيئة الحاكمة، دالا على رضاه بها، و يعتبر إمضاء لها ... و بعد هذا ...

فلا يجب أن يكون من العسير على الناس أن يتصوروا طبيعة و ماهية حكم الإمام، و كل من يقدر له أن يصل إلى الحكم و السلطان، سواء من العلويين، أو من غيرهم ...

و إذا كانت الصورة واحدة، و الجوهر واحد، و الاختلاف إنما هو فقط في الاسم و العنوان، فليس لهم بعد حق، أو على الأقل ما الداعي لهم، لأن يطلبوا حكما أفضل، أو حكاما أعدل، فانه طلب لغير موجود، و سعي وراء مفقود ...

الهدف الحادي عشر:

اشارة

هذا ... و بعد أن يكون المأمون قد حصل على كل ما قدمناه، و حقن دماء العباسيين، و استوثقت له الممالك، و لم يعد هناك ما يعكر صفو حياته (1). و قوي مركزه، و ارتفع بالخلافة من الحضيض المهين، الذي أوصلها إليه أسلافه إلى أوج العظمة، و التمكن و المجد. و أعطاها من القوة و المنعة، و وهبها من الحياة في ضمير الامة و وجدانها ما هي بأمس الحاجة إليه .. و لتتمكن من ثم من الصمود في وجه أية عاصفة، و إخماد أية ثورة، و مقاومة كل الأنواء، و ذلك هو حلمه الكبير، الذي طالما جهد في تحقيقه- إنه بعد أن يكون قد حصل على كل ذلك و سواه مما قدمناه:

ص: 241

1- لقد صرح الذهبي في الجزء الأول من كتابه «العبر»، بأنه في سنة 200 ه. استوثقت الممالك للمأمون ... و هذه هي نفس السنة التي اتي فيها بالامام عليه السلام من المدينة إلى مرو ... و لكن اليافعي في مرآة الجنان ج 2 ص 8 و شذرات الذهب ج 2 ص 5: قد جعل ذلك في سنة 203: أي في السنة التي تخلص فيها المأمون من الامام الرضا عليه السلام بواسطة السم الذي دسه إليه ... و في اليعقوبي ج 2 ص 452 طبع صادر: أنه في السنة التي غادر فيها المأمون خراسان: «لم تبق ناحية من نواحي خراسان يخاف خلافها».

يكون قد أفسح لنظام حكمه المجال- تلقائيا- لتصفية حساباته مع خصومه، أيا كانوا، و بأي وسيلة كانت، و بهدوء، و راحة فكر و اطمئنان إن اقتضى الأمر ذلك.

كما أنه يكون قد مهد الطريق لتنفيذ الجزء الثاني- و لعله الأهم- من خطته الجهنمية، بعيدا عن الشبهات، و دون أن يتعرض لتهمة أحد، أو شك من أحد ... ألا و هو: القضاء على العلويين بالقضاء على أعظم شخصية فيهم. و ليكون بذلك قد قضى نهائيا، و إلى الأبد، على أكبر مصدر للخطر، يمكن أن يتهدده، و يتهدد خلافته و مركزه ...

إنه يريد زعزعة ثقة الناس بهم، و استئصال تعاطفهم معهم، و ليحوله- إن استطاع- إلى كره و مقت، بالطرق التي لا تمس العواطف و المشاعر، و لا تثير الكثير من الشكوك و الشبهات ...

يظهر ذلك في محاولاته إسقاط الإمام اجتماعيا، و الوضع منه قليلا قليلا، حتى يصوره أمام الرعية بصورة من لا يستحق لهذا الأمر، و ليدبر فيه في نهاية الأمر بما يحسم عنه مواد بلائه ... كما صرح لحميد بن مهران، و جمع من العباسيين، و سنتكلم بنوع من التفصيل عن محاولات المأمون هذه، التي باءت كلها بالفشل الذريع، و عادت عليه بالخسران؛ لأن الإمام (ع) كان قد أحبطها عليه، بل لقد كان لها من النتائج العكسية بالنسبة إليه ما جعله يتعجل بتصفية الإمام جسديا، بعد أن أشرف هو منه (ع) على الهلاك ... بالطريقة التي حسب أنها سوف لا تثير الكثير من الشكوك و الشبهات ...

ملاحظة لا بد منها:

و من الامور الجديرة بالملاحظة هنا: أن المأمون كان يقدر أن مجرد

ص: 242

جعـل ولايـة العهـد للإمام، سوف يكون كافيا لتحطيمه اجتماعيا، و إسـقاطه نهائيا من أعين الناس؛ حيث يظهر لهم بالعمل- لا بالقول: أن الإمام رجل دنيا فقط، و أن تظاهره بالزهـد و التقوى ما هو إلا طلاء زائف، لا واقع له، و لا حقيقة وراءه ... و لسوف تكون النتيجة هي تشويه سمعة الإمام (ع)، و زعزعة ثقة الناس به؛ و ذلك بسبب الفارق الكبير بالسن، بين الخليفة الفعلي، و بين ولي عهده؛ إذ أن ولي العهد لا يكبر الخليفـة الفعلي بسـنتين، أو ثلاثة، أو خمسة، لا ... بل اكثر من ذلك بكثير، إنه يكبره ب «22» سـنة، و إنه لمن الامور غير الطبيعية أبدا: أن يقبل ولاية العهد، و هو يكبر الخليفة الفعلي بهذا المقدار الكبير من السنين، و لسوف يكون قبوله لها- مع هذا الفارق بينهما- موجبا لجعله عرضة لشكوك الناس، و ظنونهم، و لسوف يتسـبب بوضع علامات استفهام كبيرة حوله ... كما كان الحال. بالنسبة لسؤال محمد بن عرفة، و كلام الريان المتقـدم ... و لسوف يفسـر (1) ذلك من أولئك الـذين لا يـدركون حقيقـة ما يجري، و ما يحدث،- و ما أكثرهم- بتفسـيرات تنسـجم مع رغائب المأمون، و أهدافه. لأنهم سوف يرون أن زهده (ع) بالدنيا، ليس إلا سـتارا تختفي وراءه مطامعه فيها، و حبه المسـتميت لها، حتى إنه ليطمع أن يعيش إلى ما بعد الخليفة الفعلي، الذي هو أصغر من ولده، و يصل إلى الحكم ... و باختصار نقول:».

ص: 243

1- و لكنا، مع ذلك نجد: أن قسما من أصحاب الرضا عليه السلام، ممن كانوا يراقبون الأحداث بوعي و دراية، كانوا يدركون لوايا المأمون و أهـدافه هذه ففي البحار؛ ج 49 ص 290، و عيون أخبـار الرضا ج 2 ص 239: أنه قد سـئل أبو الصـلت: «كيف طابت نفس المأمون بقتل الرضـا مع إكرامه و محبته له، و مـا جعل له من ولايـة العهـد بعـده؟! فقال: إن المأمون كان يكرمه و يحبه لمعرفته بفضـله، و جعل له ولاية العهد من بعده، ليري الناس أنه راغب في الدنيا؛ فلما لم يظهر منه إلا ما ازداد به فضلا عندهم، و محلا في نفوسهم، جلب عليه إلخ ...».

إنه يريد أن: «... يعتقد فيه المفتونون به بأنه: ليس مما ادعى في قليل و لا كثير ...» حسبما صرح به هو نفسه ... و على حد قول الإمام نفسه، الذي كان يدرك خطة المأمون هذه: «... أن يقول الناس:

إن علي بن موسى، لم يزهد في الدنيا، بل زهدت الدنيا فيه؛ أ لا ترون كيف قبل ولاية العهد طمعا بالخلافة؟! ...».

كما سيأتي ...

و عن الريان قال: «دخلت على الرضا؛ فقلت: يا ابن رسول اللّه، إن الناس يقولون: إنك قبلت ولاية العهد، مع إظهارك الزهد في الدنيا؟!!، فقال (ع): قد علم اللّه كراهتي ...» (1) و قد أشرنا إلى سؤال محمد بن عرفة، و كلام الريان فيما تقدم.

و على أي شي ء يبكي المأمون، و من أجل أي شي ء يشقى و يتعب، و يسهر الليالي، و يتحمل المشاق ... إلا على هذا ... إن هذا هو أجل أمنياته و اغلاها ...

سؤال و جوابه:

قد يدور بخلد القارئ أن ما ذكرناه هنا: فيما يتعلق بالفارق الكبير بالسن، ينافي ما تقدم من أن المأمون كان يريد الحصول على قاعدة شعبية، و الارتقاع بالخلافة من الحضيض الخ ...

و لكن الحقيقة هي: أنه لا ـ منافاة هناك ... و يمكن للمأمون أن يقصد كل ذلك من البيعة، لأن مقدار التفاوت بالسن بين الامام (ع) و المأمون، لم يكن مما يعرفه الكثيرون، و لا مما يلتفت إليه عوام الناس في بادئ

1- علل الشرائع ص 238، و البحار ج 49 ص 130، و أمالي الصدوق ص 44، 45.

الأـمر؛ لأنهم يأخـذون الامور على ظواهرها، و لا يتنبهون إلى مثل ذلك، إلا بعـد تنبيه و تـذكير؛ فللوهلـة الاولى تجوز عليهـم الخدعـة، و يقـدرون خطوة المأمون هـذه، و تنتعش الآمال في نفوسـهم بالحياة الهنيئة السـعيدة، تحت ظل حكم بدا أنه يتخذ العدل ديدنا، و الانصاف طريقة ...

ثم ... و بعـد أن يجند المأمون أجهزة إعلامه، من أجل تسـميم الأفكار، يجد أن نفوس الناس مهيأة و مسـتعدة لتقبل ما يلقى إليها. و يكون لـديه- باعتقاده- من الحجـج ما يكفي لاسـقاط الامام، و زعزعـة ثقـة الناس به. و لا يؤثر ذلك بعد ذلك على الحكم؛ فإن الحكم يكون قد اسـتنفذ أغراضه من البيعة، و حصل على ما يريد الحصول عليه منها ... هذا و لا بد لنا هنا من ملاحظة أن المأمون و أجهزة إعلامه كانوا في مقابل وصم الامام بالرغبـة بالـدنيا و التفاني في سبيلها ... يشـيعون بين الناس عن المأمون عكس ذلك تماما؛ فيطلب المأمون من وزيره أن يشـيع عنه الزهد، و الورع و التقوى (1) ... و أنه لا يريـد مما أقدم عليه الا الخير الامة و مصـلحتها؛ حيث قد اختار لولاية عهده أفضل رجل قدر عليه، رغم أن ذلك الرجل هو من ذلك البيت الذي لا يجهل أحد موقفه من حكم العباسـيين، و موقف العباسـيين منه كما يتضح ذلك من وثيقة ولاية العهد، و غيرها.

رأي الناس فيمن يتصدى للحكم:

لعل من الواضح أن كثيرا من الناس كانوا يرون- في تلك الفترة من الزمن- لقصـر نظرهم، و قلة معرفتهم: أن هناك منافاة بين الزهد و الورع، و التقوى، و بين المنصب، و أنهما لا يتفقان، و لا يجتمعان.

1- تاريخ التمدن الاسـلامي ج 4 ص 261. الحياة السياسـية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملي 246 رأي الناس فيمن يتصـدى للحكم: ..... ص : 245

و قد رأينا الكثيرين يمتنعون عن تولي المناصب للحكام، لما يرونه من المنافاة المشار إليها.

و لعل سر فهمهم هذا: هو أنهم كانوا قد اعتادوا من الحكام التجاوز على الحقوق، و الدماء، و الأموال، و على أحكام الدين، و النواميس الانسانية، بشكل عام. و الزهد و الورع لا يتلائم مع ذلك كله، و لا ينسجم معه ...

و لكن الحقيقة هي: أن لا منافاة بينهما أبدا؛ فإن الحكم إذا كان وسيلة لا يصال الخير إلى الآخرين، و رفع الظلم عنهم، و إشاعة العدل، و اقامة شريعة اللّه تعالى؛ فيجب السعي إليه، و العمل من أجله، و في سبيله ... بل إذا لزم من ترك السعي إليه، تضييع الحقوق، و انهيار صرح العدل، و الخروج على أحكام الدين؛ فإن ترك السعي هذا، يكون هو المنافي للزهد و الورع و التقوى ...

و لقد قاد النبي (ع) الامة، و قبله قادها سليمان بن داود، و غيره، و بعده الإمام علي بن أبي طالب، و ولده الحسن، ثم الحسين، و هكذا ...

و حال هؤلاء في الزهد و الورع، لا يحتاج إلى مزيد بيان، و اقامة برهان. بل لم يكن على ظهرها أزهد، و لا أتقى، و لا أفضل، و لا أورع منهم، عدوهم يعرف منهم ذلك تماما كما يعرفه منهم صديقهم ...

فعدا عن الأنبياء الذين كانوا القمة في الورع و الزهد و التقوى، نرى الإمام علي (ع) قمة في ذلك أيضا؛ و قد رقع مدرعته حتى استحيا من راقعها، و كان راقعها هو ولده «الإمام الحسن (ع)» (1). و كانة.

ص: 246

1- راجع: الدرة النجفية ص 303، طبعة حجرية.

يصلي في بيت المال ركعتين شكرا للّه، بعد فراغ المال منه. و كان يقول: «إليك عني يا دنيا غري غيري، أبي تعرضت؟!! إلخ ...»

و هو الـذي قال فيه عدوه معاوية: «لو كان له بيتان: بيت من تبر، و آخر من تبن؛ لأنفق تبره قبل تبنه ...» (1) ... إلى غير ذلك مما لا مجال لنا لتتبعه و استقصائه ...

العلويون يدركون نوايا المأمون:

إن نوايا المأمون تجاه العلويين، و محاولاته لإسـقاطهم اجتماعيا، و ابتزازهم سياسـيا ... حتى إذا أخفق في ذلك راح يختلهم واحدا فواحدا، كلما و اتاه الظرف، و سنحت له الفرصة ... لم يكن العلويون يجهلونها، بل كانوا يدركونها كل الإدراك، و لم تكن تخدعهم تلك الشعارات و الأساليب المبهرجـة ... و حسـبنا هنا أن نذكر في مقام التدليل على هذا: أن المأمون كتب لعبد اللّه بن موسـى، بعد وفاة الرضا، يعده بأنه يجعله ولي عهده، و يقول له: «ما ظننت أن أحدا من آل أبي طالب يخافني بعد ما عملته بالرضا» ...

فأجابه عبد اللّه يقول: «وصل إليّ كتابك، و فهمته، تختلني فيه عن نفسي ختل القانص، و تحتال علي حيلة المغتال، القاصد لسفك دمي.

و عجبت من بـذلك العهـد، و ولايته لي بعدك، كأنك تظن: أنه لم يبلغني ما فعلته بالرضا؟! ففي أي شـيء ظننت أني أرغب من ذلك؟ أ في الملك الـذي غرتـك حلاـوته؟! ... إلى أن يقول: أم في العنب المسـموم الـذي قتلت به الرضـا؟!». و يقول له أيضا- و الظاهر أنه نص آخر للرسالة-: «هبني لا ثأر لي عندك، و عند آبائك المسـتحلين لدمائنا الآخذين حقنا، الذين جاهروا في أمرنا، فحذرناهم. و كنت ألطف حيلة منهم؛ بما استعملته من الرضا بنا، و التستر لمحننا، تختل واحدا،

1- ترجمة الامام علي (ع) من تاريخ ابن عساكر، بتحقيق المحمودي ج 3 ص 58- 60.

فواحدا منا الخ ...» (1).

و لا بد من ملاحظة: منافاة وعده هذا لعبد اللّه بن موسى بأن يجعل له ولاية العهد ... للرسالة التي أرسلها إلى العباسيين في بغداد، فور وفاة الرضا (ع)، و يعدهم فيها بأن يجعل ولاية العهد فيهم، و سنشير إلى رسالته لهم في فصل: مع بعض خطط المأمون إن شاء اللّه و على كل حال ... فإننا نستطيع أن نفهم من هذه الرسالة التي لعبد اللّه بن موسى أمورا، نشير إلى بعضها:

أولا: إن المأمون كان قد جعل ولاية العهد وسيلة لختل الشخصيات التي كان يخشاها، و الغدر بها؛ إذ أن من المقبول و الطبيعي- كما يرى البعض- أن يكون ولي العهد هو الذي يتآمر، و يدبر للتخلص من الخليفة الفعلي، ليختصر المسافة، و يصل إلى الحكم، الذي ينتظر الوصول إليه، و الحصول عليه بفارغ الصبر. و ليس من الطبيعي، و لا من المقبول أن يتآمر الخليفة على ولي عهده، إلا إذا كان يريد أن يجعل الخلافة لمن هو أعز عليه منه، و هذا ما نفاه المأمون عن نفسه في أكثر من مناسبة.

و هكذا ... فان النتيجة تكون: هي أن الخليفة الفعلي يكون آخر من يتهم في ولي العهد، إذا ما راح ضحية التآمر و الاغتيال، و عرف الناس ذلك. و هذا بلا شك من جملة ما كان يريده المأمون، و يسعى إليه ...

ثانيا: إن المأمون رغم الصعوبات التي واجهها في فترة تولية الرضا (ع) العهد ... يبدو أنه كان يعتبر نفسه منتصرا و ناجحا في لعبته تلك، و لذلك نرى أنه قد حاول تكرار نفس اللعبة مع عبد اللّه بن..

1- مقاتل الطالبيين للاصفهاني ص 628، إلى ص 631، و سنورد الرسالة في أواخر هذا الكتاب إن شاء اللّه ...

موسى. و لكن يقظة هذا الأخير، الذي كانت ظروفه تختلف عن ظروف الإمام (ع) قد فوتت عليه الفرصة، و أعادته. بخفي حنين.

كما أننا لا نستبعد أن المأمون قد أراد بالاضافة إلى ذلك التستر على غدره بالرضا (ع)، بعد أن كان قد افتضح و اشتهر، رغم محاولاته الجادة للتستر و الكتمان ...

ثالثا: ما تقدمت الاشارة إليه من أن إكرامه للعلويين، و الرضا بهم، و التستر لمحنهم، ما كان منه إلا ضمن خطة مرسومة، و إلا سياسة منه و دهاء، من أجل أن يأمن العلويون جانبه، و يطمئنوا إليه، كما يدل عليه قوله لعبد اللّه بن موسى: «ما ظننت أحدا من آل أبي طالب يخافني بعد ما عملته بالرضا». و قد قدمنا أنه أشار إلى ذلك أيضا في كتابه للعباسيين؛ فلا نعيد ...

رابعا: أنه لم يستطع أن يخفي عن العلويين- كما لم يستطع أن يخفي عن غيرهم- غدره بالإمام الرضا (ع)، و سمه له بالعنب، و كذلك غدره بغيره من العلويين. و سر ذلك واضح؛ فان جميع الدلائل و الشواهد كانت متوفرة على ذلك، كما سيأتي بيان جانب من ذلك في فصول هذا الكتاب بنوع من التفصيل.

موقف الامام في مواجهة مؤامرات المأمون:

لقد رأينا كيف أن المأمون أراد من لعبته تلك، التغلب على المشاكل التي كان يواجهها، و الاستفادة منها في تقوية دعائم خلافته، و خلافة العباسيين بشكل عام ... و السؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: ما هو موقف الإمام (ع) نفسه من لعبة المأمون تلك، و خططه، و أهدافه؟، و هل أفسح المجال للمأمون ليحقق كل ما يريد تحقيقه، و يصل إلى ما

كان يريد الوصول إليه؟ ... و هل كانت لديه خطط من نوع معين، و أهداف معينة كان يسعى من أجل الوصول إليها، و الحصول عليها؟! ...

الحقيقة هي: أن الإمام (ع) قد استطاع، بما اتبعه من خطة حكيمة، و سلوك مثالي: أن يضيع على المأمون كافة الفرص، و يجعله يبوء بالخيبة و الخسران، و يمنى بالفشل الذريع، حتى لقد أشرف المأمون منه على الهلاك، و بدا الارتباك واضحا في كل تصرفاته، و أقواله، و أفعاله ... و سيأتي في الفصول الآتية في القسمين: الثالث، و الرابع بيان بعض ما يتعلق بذلك إن شاء اللّه.

المأمون في قفص الاتهام:

و هكذا ... و بعد أن اتضحت الاسباب الحقيقية للبيعة، و بعد أن عرفنا بعض الظروف و الملابسات، التي أحاطت بهذا الحدث الهام، فاننا نستطيع أن نضع المأمون، و نواياه، و أهدافه، في قفص الاتهام، و لا يمكن أن نصدق- بعد هذا- أبدا، أي ادّعاء سطحي، يحاول أن يصور لنا حسن نية المأمون من البيعة، و سلامة طويته، و لا سيما و نحن نرى كتابه للعباسيين في بغداد فور وفاة الرضا، و كذلك سلوكه المشبوه مع الرضا (ع) من أول يوم طلب منه فيه الدخول في هذا الأمر، و حتى إلى ما بعد وفاته، كما سيأتي بيانه في الفصول الآتية ... و كذلك كتابه لعبد اللّه بن موسى المتقدم ...

و الأدهى من ذلك كله رسالته للسري، عامله على مصر، التي «يخبره فيها بوفاة الرضا، و يأمره بأن تغسل المنابر، التي دعي عليها لعلي بن موسى، فغسلت ...» (1).

1- الولاة و القضاة للكندي ص 170.

و كـذلك لا يمكن أن نصـدق بحسن نيته بالنسـبة لأي واحد من العلويين، الآخرين ... كما أشـرنا إليه في رسالته لعبد اللّه بن موسـى، التي يـذكر فيها: أنه راح يختلهم واحـدا فواحـدا ... و أيضا عند ما نرى أنه يمنعهم من الدخول عليه، بعد وفاة الرضا، و يأخذهم بلبس السواد (1) ... بل و يأمر ولاته و أمراءه بملاحقتهم، و القضاء عليهم، كما سيأتي ...

مع المأمون في وثيقة العهد:

و يحسن بنا هنا: أن نقف قليلا مع وثيقة العهد، التي كتبها المأمون للامام (ع) بخط يده؛ فلقد ضمنها المأمون إشارات هامة، رأى أنها تخدم أهدافه السياسية من البيعة و حيث اننا قد تحدثنا، و لسوف نتحدث في مطاوي هذا الكتاب عن بعض فقراتها ... فلسوف نقتصر هنا على:

أولا: إننا نلاحظ: أنه يؤكـد كثيرا على نقطتين: الاولى: أنه منطلق في هـذه البيعة من طاعة اللّه، و إيثاره لمرضاته، الثانية: أنه لا يريد بذلك إلا مصلحة الامة، و الخير لها ...

و سر ذلك واضح: فهو يريد أن يذهب باستغراب و استهجان الناس؛ الذين يرون الرجل الذي قتل حتى أخاه من أجل الحكم- يرونه الآن- يتخلى عن هـذا الحكم لرجل غريب، و لمن يعتبر زعيما لأخطر المنافسـين للعباسـيين ... كما أنه يريـد بـذلك أن يكتسب ثقة الناس به، و بنظام حكمه.

وعـدا عن ذلـك فهو يريـد أن يطمئن العلويين و الناس إلى أن ذلك لا ينطوي على لعبـة من أي نوع، بل هو أمر طبيعي فرضـته طاعـة اللّه و مرضاته، و مصلحة الامة، و الصالح العام ...

1- الكامل لابن الأثير، طبع دار الكتاب العربي ج 5 ص 204.

و ثانيا: نراه يجعل العباسيين و العلويين في مرتبة واحدة؛ و ذلك لكي يضمن لأهل بيته حقا في الخلافة كآل علي.

و ثالثا: يلاحظ: أنه يعطي خلافته صفة الشرعية؛ حيث يربطها بالمصدر الأعلى (اللّه)، و على حسب منطق الناس هذا تام و صحيح؛ لأنهم بمجرد أن يعمل أحد عملا يؤدي إلى المناداة بواحد على أنه خليفة، و يصير مقبولا لدى الناس ... إنهم بمجرد ذلك يصيرون يعتبرونه خليفة اللّه في أرضه، و حجته على عباده ...

و هو أيضا تام و صحيح حسب منطق العباسيين، الذين يدعون الخلافة بالارث عن طريق العباس بن عبد المطلب، حسبما تقدم بيانه ...

و لهذا نلاحظ أنه يقدم عبد اللّه بن العباس على علي بن أبي طالب!! مع أن عبد اللّه تلميذ علي ... و ليس ذلك إلا من أجل إثبات هذه النقطة، و جعل حق له بالخلافة، بل و جعل نفسه الأحق بها ... هذه الخلافة التي هي منصب إلهي، وصل إليه بالطريق الشرعي، سواء على حسب منطق الناس في تلك الفترة، أو على حسب منطق العباسيين ...

و في هذا إرضاء للعباسيين، و تطمين لهم، كما أنه في نفس الوقت تطمين لسائر الناس، الذين كانوا غالبا- يرون الخلافة بالكيفية التي أشرنا إليها و قد أكد لهم هذا التطمين باستشهاده بقول عمر؛ حيث أثبت لهم: أنه لا يزال على مذهبه، و على نفس الخط الذي هم عليه ...

و رابعا: إننا نراه في نفس الوقت الذي يؤكد فيه مذهبه، و وجهة نظره بتلك الأساليب المتعددة و المختلفة المشار إليها آنفا- نراه في نفس الوقت- يدعي: أنه إنما يجعل الخلافة للرضا (ع)، لا من جهة أنها حق له، و لا من جهة النص عليه، حسبما يدعيه الرضا، بل من جهة أنه أفضل من قدر عليه ... و هذا أمر طبيعي جدا، و ليس إقرارا بمقالة

الرضا ... و كما ينطبق الآن على الرضا، يمكن أن ينطبق غـدا على غيره، عنـد ما يوجـد من له فضل، و أهلية ... و هذا دون شك ضـربة لما يدعيه الرضا و يدعيه آباؤه من الحق في الخلافة، و من النص، و غير ذلك ...

هذا ...

و لسوف يـأتي في فصـل: خطـة الإمام، شـرح ما كتبه الإمام (ع) على ظهر الوثيقـة، و لنرى من ثم كيف نسف الإمام كل ما بناه المأمون، و صيره هباء اشتدت به الريح في يوم عاصف ...

كلمة أخيرة:

و أخيرا: فاننا مهما شككنا في شي ء، فلسنا نشك في أن المأمون كان قد درس الوضع دراسة دقيقة، قبل أن يقدم على ما أقدم عليه.

و أخـذ في اعتباره كافة الاحتمالات، و مختلف النتائج، سواء مما قدمناه، أو من غيره، مما أخفته عنا الايدي الأثيمة، و الأهواء الرخيصة ... و إن كانت لعبته تلك لم تؤت كل ثمارها، التي كان يرجوها منها؛ و ذلك بسبب الخطة الحكيمة التي كان الإمام (ع) قد اتبعها.

و لعمري: «... إن بيعته للامام لم تكن بيعة محاباة؛ إذ لو كانت كذلك لكان العباس ابنه، و سائر ولده، أحب إلى قلبه، و أجلى في عينه ...». على حد تعبير المأمون في رسالته للعباسيين، التي سوف نوردها في أواخر هذا الكتاب إن شاء اللّه تعالى.

أسباب البيعة لدى الآخرين:

أحمد أمين المصري، و أسباب البيعة:

و على ضوء ما تقدم، نستطيع أن نلقي نظرة على ما ذكره بعض المؤرخين، و الباحثين، مما جعلوه أسبابا لأخذ البيعة للامام (ع) بولاية العهد؛ و لنرى- من ثم- أنها لا تقوى على الصمود أمام النقد التاريخي الواعي و الدقيق؛ إذ أنها على الغالب: إما لا تعتمد على سند تاريخي أصلا، أو تعتمد على ما لا يصلح للاعتماد عليه ...

و لعل الدكتور أحمد أمين المصري، قد جمع كلا الناحيتين فيما جعله- بنظره- أسبابا للبيعة، حيث نلاحظ: أن بعض ما ذكره ليس له أي سند تاريخي، بل التاريخ على اختلاف أهوائه، و اتجاهاته يدحضه، و يكذبه ... و البعض الآخر قد اعتمد فيه على ما لا يصح الاعتماد عليه؛ و لذا فلا يكون من التجني عليه القول: إن ما ذكره كان سطحيا، أو بوحي من تعصب مذهبي رخيص ...

و ما ذكره يرجع إلى أسباب أربعة، رأى أنها صالحة، كلا أو بعضا، لأن تكون سببا لأخذ البيعة للرضا بولاية العهد ... و نلخصها بما يلي:

ص: 254

1- إن المأمون قد أراد بذلك: أن يصلح بين البيتين، العلوي، و العباسي، و يجمع شملهما؛ ليتعاونا على ما فيه خير الامة، و صلاحها.

و تنقطع الفتن، و تصفو القلوب.

2- إنه كان معتزليا، على مذهب معتزلة بغداد، يرى أحقية علي (ع) و ذريته بالخلافة؛ فأراد أن يحقق مذهبه ...

3- إنه كان تحت تأثير الفضل و الحسن بني سهل الفارسيين، و الفرس يجري في عروقهم التشيع؛ فما زالا يلقنانه آراءهما، حتى أقرها، و نفذها ...

4- «إنه رأى أن عدم تولي العلويين للخلافة، يكسب أئمتهم شيئا من التقديس؛ فإذا ولوا الحكم ظهروا للناس، و بان خطؤهم، و صوابهم، فزال عنهم هذا التقديس ...» (1).

هذا ... و قد ادعى في كتابه: «المهدي و المهدوية»: أن هؤلاء الأئمة كانوا يرتكبون الآثام في الخلفاء، فأراد المأمون: أن يظهرهم، ليعرفهم الناس على حقيقتهم ...

كان ذلك ما يراه أحمد أمين يصلح- كلا أو بعضا- سببا للبيعة ...

آراء أحمد أمين في الميزان:

و نحن بدورنا، و إن كنا نعتقد أن فيما قدمناه، و ما سيأتي كفاية في تفنيد هذه المزاعم و اسقاطها، إلا أننا نرى لزاما علينا أن نشير بايجاز إلى بعض ما يشير إلى ضعفها و وهنها، معتمدين في بقية ما يرد عليها على ذكاء القارئ، و تنبهه، و وعيه ... فنقول:

1- ضحى الاسلام ج 3 ص 295.

أما ما ذكر أولا: فقد كفانا هو نفسه مؤونة الكلام فيه، حيث قد اعترف بأن المأمون لو كان يرمي إليه لكان في منتهى السطحية و السذاجة ...

و أما ما جعله سببا ثانيا: فلعله لا يقل عن سابقه في الضعف و الوهن، و لا سيما بملاحظة ما قدمناه في الفصلين السابقين، من الظروف التي كان المأمون يعاني منها، و أيضا ملاحظة ما سيأتي من سلوك المأمون المشبوه، مع الإمام (ع)، و معاملته السيئة للعلويين، و كل من يتشيع لهم، و يتعاطف معهم ... و على الأخص إذا لاحظنا: أن المأمون لم تكن عقيدته هي المنطلق له في مواقفه السياسية، بل كان ينطلق مما يراه يخدم مصالحه الخاصة، و يؤكد وجوده في الحكم، و قد قدمنا أنه كان تارة يتحرج من تنقص الحجاج بن يوسف، و تارة يصف الصحابة، ما عدا الإمام علي (ع) ب «الملحدين»، و يصف الخليفة الثاني عمر بن الخطاب ب «جعل»، إلى آخر ما هنالك من الشواهد و الأدلة، مما لا نرى ضرورة لاعادته.

و لعل الأهم من ذلك كله: أن تفضيل المعتزلة- معتزلة بغداد- عليا (ع) على جميع الصحابة، لم يكن واضحا بعد في تلك الفترة، و إنما بدأه بشر بن المعتمر حسبما سيأتي بيانه في فصل خطة الإمام ...

و عليه فهذا الوجه لا يستقيم، على جميع الوجوه و التقادير.

و أما ما جعله سببا ثالثا؛ فسيأتي الكلام عليه بنوع من التفصيل ...

و لكننا نستغرب منه جدا، بل و نأسف كل الأسف، لما طلع به علينا؛ بما جعله سببا رابعا: من أن عدم تولي الأئمة للحكم يكسبهم شيئا من التقديس؛ فأراد أن يولي الإمام الرضا العهد؛ ليزول عنهم ذلك التقديس- و قد أشرنا سابقا إلى أنه استوحى هذه الفكرة من ابن القفطي في تاريخ الحكماء ...

و ليس واضـحا تماما من هـم «الأئمـة»، الـذين يقصـدهـم أحمد أمين في عبارته تلك. و إذا ما كان يقصد الأئمة الاثني عشـر، حيث إنه في معرض الحـديث عن أحـدهم، و هو الإمـام الرضـا ... بـل أعلن ذلـك صـراحة في عبـارته الاـخرى، التي أوردهـا في كتـابه: «المهـدي و المهدوية»- إذا كان كذلك-، فاننا نرى: أن لنا كل الحق في أن نتساءل:

هل عثر أحمد أمين لهؤلاء الأئمة، أو لواحد منهم على ما يتنافى مع التقديس، على مدى تاريخهم الطويل؟! و هل يستطيع أن يثبت عليهم أدنى شي ء يمس كرامتهم، و يتنافى مع مروءتهم، و يخالف دينهم و رسالتهم؟! ...

و لمـا ذا تظهر تفاهات غيرهم، و أخطاؤهم، رغم اجتهادهم و تفانيهم في سترها، و اخفائها ... و لا تظهر أخطاء هؤلاء الأئمـة، رغم اجتهاد الناس في الافتراء عليهم، و التعرف على أية نقيصة أو خطاء منهم إن كان؟!!.

و متى كان هؤلاء الأئمة مستورين عن الناس، منفصلين عنهم، حتى استطاعوا أن يحصلوا على هذا التقديس؟!!.

و هل كل شخصية لا تصل إلى الحكم يقدسها الناس؟!!.

و هل كل شخصية تصل إلى الحكم لا يقدسها الناس؟!!.

و هل التقديس مقصور على الشخصية المستورة، و لاحظ للشخصية الظاهرة منه؟!!.

و هل أثر وصول الإمام علي (ع) للحكم طيلة أكثر من أربعة أعوام على تقديس الناس له؟!.

و هل يستطيع أحمد أمين أن يذكر لنا خطأ واحدا، ارتكبه الإمام علي (ع)، طيلة فترة حكمه؟! رغم أن معاوية و سواه، ممن كانوا معادين للإمام (ع)، ما كانوا يألون جهدا في الصاق التهم به، و الافتراء عليه؟!!.

و أما عن الإمام الرضا (ع):

فمتى كان مستورا عن الناس، بعيدا عنهم؟!!.

و هل تتفق دعواه باستتار الأئمة- و الرضا منهم- عن الناس، مع ما اعترف به المأمون نفسه للإمام الرضا (ع)، فيما كتبه بخط يده في وثيقة العهد، حيث يقول: «... و قد استبان له [أي للمأمون] ما لم تزل الأخبار عليه متواطية، و الألسن عليه متفقة، و الكلمة فيه جامعة، و لما لم يزل يعرفه به من الفضل: يافعا، و ناشئا، و حدثا، و مكتهلا الخ ...».

فهل يعقل: أن إنسانا من هذا النوع يكون مستترا عن الناس، بعيدا عنهم، و لا يعيش فيما بينهم، منذ حداثة سنه إلى أوان اكتهاله؟!.

و مع ذلك ... فأي خطأ يستطيع أحمد أمين، أن يسجله على الإمام الرضا (ع) طيلة الفترة التي عاشها مع المأمون، رغم محاولاته الجادة- و هو الحاكم المطلق- من أجل أن يضع من الامام (ع) قليلا قليلا، و يصوّره أمام الرعية بصورة من لا يستحق لهذا الأمر، على حد تعبير نفس المأمون؟!.

و هل لم يقرأ أحمد أمين أقوال كبار علماء أهل السنة، و أئمتهم، و تصريحاتهم الكثيرة جدا حول أئمة أهل البيت (ع)، و الإمام الرضا منهم بالذات؛ ليعرف مقدار عظمتهم، و طهارتهم، و نزاهتهم التي لا يشك، و لا يرتاب، و لا يناقش فيها أحد؟! ...

و أخيرا ... هل زال ذلك التقديس عن الإمام الرضا، عند ما ظهر للناس؟! أم أن الأمر كان على عكس ذلك تماما؟!! ...

هذه بعض الأسئلة التي نوجهها للاستاذ: «أحمد أمين»، و لكل من يرى رأيه، و يذهب مذهبه ... و إننا لعلى يقين من أنها سوف لن تجد لدى هؤلاء الجواب المقنع و المفيد ... و إنما ستواجه عنتا و عنادا صاعقين، يبتزان منهم كل غريبة، و يظهران الكثير من الترهات العجيبة ... و لكن ليطمئن بالهم، و تهدأ ثائرتهم؛ فإننا سوف لن نستغرب عليهم مثل هذه الترهات، و لن نعجب لمثل تلك الافتراءات؛ فما تلك إلا: «شنشنة أعرفها من أخزم» ...

رأي غريب آخر في البيعة:

هذا ... و يرى بعض المؤلفين: أن المأمون كان في بيعته للرضا (ع) واقعا تحت تأثير القوات المسلحة، و أنها هي التي أجبرته على ذلك، حيث كان القسم الكبير من قوادها، و زعماء فرقها يميلون إلى العلويين، و قد شرطوا عليه: أنهم لا يفتحون نار الحرب ضد الأمين إلا إذا جعل الرضا ولي عهده؛ فأجابهم إلى ذلك (1) ...

و أقول: ليت هذا المؤلف ذكر لنا اسم ذلك المؤرخ، الذي نقل له هذا الاشتراط من أولئك القواد على المأمون، و الذي تنافيه تصريحات المأمون نفسه، و سلوكه مع الإمام (ع)، حتى قبل أن يصل إلى مرو، و كذلك سائر مواقفه معه، و التي تكشف عن حقيقة دوافعه و نواياه إلى آخر ما هنالك مما قدمنا و سيأتي شطر منه.

1- هذا ما ذكره الشيخ القرشي في كتابه: حياة الامام موسى بن جعفر ج 2 ص 387.

و أحسب أن هذا المؤلف يشير بما ذكره هنا إلى ما ذكره جرجي زيدان في روايته: «الأمين و المأمون» ص 203، طبع دار الاندلس، فقد ذكر أن الفضل بن سهل قد اشترط على المأمون ذلك. و احتمل ذلك أيضا في كتابه: تاريخ التمدن الإسلامي، المجلد الثاني جزء 4 ص 439. و كأن مؤلفنا يريد أن يقول: إن المأمون كان مضطرا إلى إجابتهم: إما خوفا من انتقاضهم عليه، أو رغبة في القضاء على أخيه الأمين، أو للسببين معا ... و لكن هذا الاشتراط كما قلنا، ليس له أي سند تاريخي يدعمه، بل الشواهد التاريخية كلها على خلافه، سيما و نحن نرى الفضل بن سهل و أخاه يمانعان في عقد البيعة للرضا. و ما ذكره «زيدان»، لا يصلح شاهدا تاريخيا، بعد أن كان روائيا، لا يلتزم بالحقائق التاريخية ... و بعد أن لاحظنا: أنه يتعمد التضليل في كتابه:

تاريخ التمدن الإسلامي ...

و أحسب أن هذا هو عين الاتهام الموجه للفضل بن سهل في أمر البيعة؛ بأنه هو المدبر لها، و القائم بها. لكنه صيغ بنحو آخر فيه الكثير من الايهام و الابهام ...

و فريق آخر يرى:

و هناك بعض الباحثين يرى: أن من جملة الأسباب الهامة للبيعة: هو أن المأمون أراد أن يحذر العباسيين من مغبة المخالفة له، و الاستمرار في ذلك. و أن يرغمهم، و يدفعهم إلى الوقوف إلى جانبه؛ بدافع من خوفهم من انتقال الخلافة عنهم إلى خصومهم العلويين. و أن ينتقم منهم بسبب خلعهم له من ولاية العهد، و تأييدهم أخاه الأمين عليه، و تشجيعهم له

ضده. كما أنه يكون بذلك قد جمع المزيد من المؤيدين له، ليستطيع مقابلتهم، و الوقوف في وجههم، و ينتقم منهم (1).

و لكنه رأي لا تمكن المساعدة عليه:

لأن منطق الأحداث، و واقع ظروف المأمون يأبيان كل الاباء أن يكون هذا سببا منطقيا للبيعة ... و قد قدمنا في الفصلين السابقين البيان الكافي و الوافي لما يتعلق بهذا الموضوع ... هذا بالإضافة إلى أن ذلك لا يتلائم مع ما هو معروف عن المأمون، من الدهاء و السياسة، و هل يمكن أن يقدم المأمون على خلق و إثارة مشاكل هو في غنى عنها؟ و على الأخص في تلك الفترة من الزمن، التي كانت طافحة بالمشاكل، كان العصيان فيها معلنا في أكثر مناطق الدولة، و مهددا به من كل جانب و مكان؟!!.

إن الحقيقة هي: أن المأمون في تلك الفترة بالذات، كان بحاجة إلى أن يكتسب ثقة و حب أي إنسان كان. فضلا عن ثقة و حب أهل بيته، و عشيرته: العباسيين ...

ثم ... و هل يمكن أن يلجأ المأمون للانتقام منهم، الى هذا الاسلوب العاجز، بعد أن خضعوا له و انقادوا لأمره، و سلموا بالأمر الواقع، بعد مقتل الأمين؟!.

و لما ذا لا يقدر: أنهم سوف يقابلونه بالمثل، و يقومون في وجهه؛ ثأرا لكرامتهم، و دفاعا عن وجودهم؟! ...

و لما ذا يعطيهم الفرصة لابراز عضلاتهم ضده، و يجعلهم يفكرون في

1- الصلة بين التصوف و التشيع ص 219، و الامام الصادق و المذاهب الأربعة ج 2 جزء 4 ص 492، و التربية الدينية للفضلي ص 100، الطبعة الخامسة، و غير ذلك ...

تحدي سـلطته، و هتك حرمته؟! ... حيث رأيناهم قد خلعوا المأمون؛ بسـبب بيعته للإمام (ع)، و بايعوا لإبراهيم بن المهدي، في أواخر ذي الحجة، من نفس السنة التي بويع فيها للإمام (ع) بولاية العهد.

و أخيرا ... أ لم يكن باسـتطاعة المأمون أن يصـفي حساباته مع خصومه الضـعفاء جـدا، الذين كاد يلتهمهم المد العلوي و يقضـي عليهم، بأساليب أخرى، أقل إثارة، و أشد نكاية؟!! ...

و لقد أشـرنا، و لسوف نشـير الى ما قاله المأمون لحميد بن مهر و جمع من العباسيين ... بل و يكفينا هنا: أن نلقي نظرة على ما قاله المأمون للعباسـيين في كتـابه المعروف لهم، يقول المـأمون: «... فـإن تزعموا أني أردت أن يؤول إليهم (يعني للعلويين) عاقبـة و منفعـة، فـإني في تدبيركم، و النظر لكم، و لعقبكم، و ابنائكم من بعدكم ...» و كذلك ما كتبه بخط يده في وثيقة العهد ... إلى آخر ما هنالك مما لا مجال لنا هنا لتتبعه ...

فتلخص أن ما ذكر هنا، لا يمكن أن ينسجم مع ما يقال عن حنكة المأمون، و دهائه السياسي ...

الفضل في قفص الاتهام:

و أخيرا ... فإن بعض المؤلفين، كأحمد أمين في كلامه المتقدم، و جرجي زيدان (1) و أحمد شلبي (2)، و غيرهم. و بعض المؤرخين كابن الأثير في الكامل، طبعة ثالثة ج 5 ص 123، و ابن الطقطقي في:

ص: 262

1- تاريخ التمدن الاسلامي، المجلد الثاني جزء 4 ص 439.

2- التاريخ الاسلامي و الحضارة الاسلامية ج 3 ص 320.

الفخري في الآداب السلطانية ص 217، و غيرهما ... يرون أن الفضل بن سهل كان العامل الرئيسي في لعبة «ولاية العهد» هذه، و أن المأمون كان في ذلك واقعا تحت تأثير الفضل، الذي كان يتشيع.

و يرى آخر: أن سبب إشارة الفضل على المأمون بذلك، هو أنه أراد أن يمحو ما كان من أمر الرشيد في العلويين (1) ...

الفضل بري ء من كل ما نسب إليه:

أما نحن فإننا بدورنا نستطيع أن نؤكد على ما يلي:

إن ما بأيدينا من النصوص التاريخية يابى عن نسبة التشيع للفضل، بل و حتى عن نسبة إشارته على المأمون بهذا الأمر، فضلا عن كونه المدبر له، و القائم به ... اللهم إلا أن تكون مؤامرة اشترك الرجلان معا في وضع خطوطها العريضة، آخذان في اعتبارهما ظروفهما، و مصالحهما الشخصية، ليس إلا ...

بل إن بعض النصوص تفيد أن الفضل كان عدوا للامام (ع)، حيث إنه كان من صنائع البرامكة (2)، أعداء أهل البيت (ع). و أنه لم يكن حتى راغبا في البيعة للرضا (ع)، و أنه و أخاه قد مانعا في عقد العهد للرضا (3)؛ فكيف يكون هو المشير على المأمون بالبيعة له ... بل لم يكن

1- البحار ج 49 ص 132، و عيون أخبار الرضا ج 2 ص 147، نقلا عن: البيهقي عن الصولي ...
2- البحار ج 49 ص 143، 113، و عيون أخبار الرضا ج 2 ص 166، و ص 226.
3- مقاتل الطالبيين ص 563، و الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص 270، و نور الأبصار للشبلنجيّ ص 142، و كشف الغمة ج 3 ص 66، و روضة الواعظين ج 1 ص 269، و البحار ج 49 ص 145، و ارشاد المفيد ص 310، 311، و غير ذلك ...

يعلم أن المأمون يريـد عقـد البيعـة له إلا بعـد وصوله إلى خراسان و احضار المأمون له، و اعلامه بأنه يريـد عقد البيعة له على ما في مقاتل الطالبيين ص 562 و الطبري و غيرهما. و إن كان ربما يناقش في ذلك بمنافاته لرسالة الفضل التي ارسلها إلى الإمام و هو في المدينة و التي أوردها الرافعي في التدوين.

و ذلك ما يقوي أنه كان متآمرا على الإمام مع المأمون كما نصت عليه تلك الرسالة بأن ذلك عن اتفاق بينه و بين المأمون فراجعها.

و لو أنه كان ممن يتشيع للإمام (ع)، فكيف يمكن أن يتآمر عليه، و يحاول أن يجعل للمأمون ذريعـة للاقدام على التخلص منه (ع)، و ذلك عند ما ذهب إلى الرضا، و حلف له بأغلظ الأيمان، ثم عرض عليه قتل المأمون، و جعل الأمر إليه. (1)

لكن الإمام بسـبب وعيه و تيقظه قـد ضـيع عليه و على سـيده هذه الفرصة، حيث أدرك للتوّ أنها دسـيسة و مؤامرة، فزجر الفضل و طرده، ثم دخل من فوره على المأمون، و أخبره بما كان من الفضل، و أوصاه أن لا يأمن له ...

و بـذلك يكون الإمام (ع) قـد ضـيع على المأمون و الفضل فرصة تنظيم اتهام له بما لم يكن- كما أنه يكون قد شـكك المأمون في اخلاص الفضل له.

و عاد الفضل من مهمته تلك بخفي حنين، يجر هو و سيده أذيال الخيبة، و الخزي، و الخسران ...

أما إذا كان الفضل قد أقدم على ذلك من دون علم المأمون- كماد.

1- و ان كنا لا نسـتبعد أن يكون قـد أقدم على ذلك من دون علم المأمون؛ و بدافع من حقده الدفين على الامام عليه السـلام، و حسده له؛ يريد بذلك تمهيد السبيل لقتله؛ ليخلو له الجو، و ليفعل من ثم ما يشاء و حسبما يريد.

هو غير بعيد- فليس ذلك إلا بدافع من حقده الدفين على الإمام (ع)، و حسده له، يريد بذلك تمهيد الطريق لمقتله، ليخلو له الجو، و ليفعل من ثم ما يشاء، و حسبما يريد ...

و أيا ما كانت الحقيقة، فإن النتيجة ليست سوى الخزي و العار، و الخيبة القاتلة بالنسبة للفضل في هذه القضية ...

و يا ليته كان قد قنع بذلك ... و لكنه استمر في تحريض المأمون على التخلص من الإمام (ع)، حتى إن بعض المؤرخين يرى: أن المأمون لم يقتل الإمام إلا بتحريض من الفضل بن سهل!!! ...

و بعد ... فهل يمكن أن تنسجم دعوى تشيعه مع إشارته على المأمون بارجاع الإمام عن صلاة العيد، و ذلك حتى لا تخرج الخلافة منه؟! ...

كما سنشير إليه إن شاء اللّه.

و أيضا ... مع إظهاره العداوة الشديدة للإمام (ع) و حسده له على ما كان المأمون يفضله به، على حد تعبير الريان بن الصلت؟!! (1).

و كذلك مع اصطناعه هشام بن إبراهيم الراشدي، و جعله عينا للمأمون على الإمام، ينقل إليه حركاته و سكناته، و يمنع الناس من الوصول إليه حسبما تقدم؟!!.

و لو أن الفضل كان ممن يتشيع للإمام، لكان يجب أن يعد من أعظم البلهاء، إذ كيف لا يلتفت لأمر المأمون المؤكد لرسله: أن لا يمروا بالإمام عن طريق الكوفة و قم، لئلا يفتتن به الناس. ثم إلى تهديداته له بالقتل، إن لم يقبل ما يعرضه عليه، ثم إلى جلبه العلماء و المتكلمين3.

1- مسند الامام الرضا ج 1 ص 78، و البحار ج 49 ص 139، و عيون أخبار الرضا ج 2 ص 153.

من أقاصي البلاد، من أجل افحام الإمام، و اظهار جهله و عجزه، إلى آخر ما هنالك، من صفحات تاريخ المأمون السوداء.

ثم نرى أنه هو بنفسه يشارك في ذلك كله، و سواه، و يعمل من أجله حتى لقد شارك في التهديد للامام، إن لم يقبل ما يعرضه عليه المأمون ...

و إذا كان نفوذه قد بلغ حدا يجعل المأمون يتنازل عن عرشه- الذي قتل من أجله أخاه- لرجل غريب، فلما ذا لا يعمل هذا النفوذ من أجل أن يمنع المأمون عن ذلك السلوك اللاإنساني، الذي انتهجه مع الإمام، ابتداء من حين وجود الإمام في المدينة، و إلى آخر لحظة عاشها معه، و بعد ذلك إلى ما شاء اللّه ...

هذا كله من جهة ...

موقف الإمام من الفضل ينفي نسبة التشيع له:

و من جهة ثانية ... لو كان للفضل فضل في مسألة البيعة للإمام (ع)، أو كان ممن يتشيع له، لم يكن من اللائق من الرضا (ع)، أن يخبر المأمون بما عرضه عليه الفضل من قتل المأمون، و جعل الأمر إليه ... و لا من المناسب أن يوصيه بأن لا يأمن له، و يخبره بغشه و كذبه، و أنه يخفي عنه حقيقة ما يجري في بغداد، و غيرها (1) ...

و لا من اللائق منه أيضا: أن يعامله تلك المعاملة، التي لا يعامل بها المحبون المخلصون، و التي كان فيها الكثير من الخشونة، و الاحتقار و الامتهان، فقد قدمنا أنه عند ما ذهب إليه الفضل يطلب منه كتاب

1- تاريخ الطبري، طبع ليدن ج 11 ص 1025.

الامـان، لم يسـأله عن حـاجته إلاـ بعـد ساعـة من وقوفه، ثم أمره بقراءة الكتـاب، فقرأه- و كان كتابا في اكبر جلـد- و هو واقف، لـم يأذن له بالجلوس ...

و كـذلك لـم يكن من اللائق منه: أن يزري عليه عنـد المأمون، فقـد ذكر المؤرخون: أنه «... كان يـذكر ابني سـهل عنـد المأمون، و يزري عليهما، مما دفعهما إلى السعاية به، و كان يوصيه أن لا يأمن لهما» (1).

إلى آخر ما هنالك مما لا يصدر من اى انسان عادي آخر في حق من يتشيع له، فضـلا عمن يتسبب في جعله وليا لعهد الخلافة الإسلامية للامة بأسرها.

و المأمون نفسه يستنكر ذلك:

و من جهـة ثالثـة ... فقـد كفانا المأمون نفسه مؤونة الحديث عن دور الفضل بن سـهل في هذه القضـية ... و لا شك أن «عند جهينة الخبر اليقين».

فقد قدمنا في الفصل السابق: أن الريان بن الصـلت- و كان من رجال الحسن بن سـهل (2)!!- عنـد ما رأى أن القواد و العامة قد أكثروا في بيعة الرضا، و أنهم يقولون: «إن هذا من تدبير الفضل» ... قال للمأمون ذلك، فأجابه المأمون: «... و يحك يا ريان!! أ يجسـر أحد أن يجي ء إلى خليفة قد استقامت له الرعية، و القواد، و استوت الخلافة، فيقول

1- مقاتل الطالبيين ص 565، 566، و إعلام الورى ص 325، و كشف الغمة ج 3 ص 71، و روضة الواعظين ج 1 ص 276، و البحار ج 49، و إرشاد المفيد، و أعيان الشيعة، و غير ذلك ...

2- صرح بأنه من رجاله في كتاب: البحار ج 49 ص 133، و عيون أخبار الرضا ج 2 ص 149.

له: ادفع الخلافة من يدك إلى غيرك؟! أ يجوز هذا في العقل؟!! ... الخ» لا ... أبدا ... لا يمكن أن نتصور، و لا يجوز في العقل: أن يأتي وزير ملك إليه، و يطلب منه التنازل عن عرشه، و يسلمه إلى رجل غريب، و هو يعلم أن ذلك الملك، قد قتل أخاه، و غيره، و هدم البلاد، و أهلك العباد، من أجل ذلك العرش ... هذا مع علمه أنه سوف لا يكون له هو في دولة ذلك الرجل الجديد الغريب، أي شأن، أو دور يذكر. أو على الأقل لن يكون له من النفوذ، و السلطة و الطول، ما كان له مع ذلك الملك الأول. بل سوف يكون كأي فرد عادي آخر، محكوما لا حاكما، بكل ما لهذه الكلمة من معنى ... اللهم إلا أن يكون قد تآمر مع ذلك الملك الأول، لتنفيذ خطة معينة، قد رسماها معا من قبل، و عملا على أن تكون الامور في نهاية الأمر في صالحهما، و من أجل تعزيز نفوذهما و سلطتهما ...

أما حصيلة هذه الجولة:

و هكذا ... تأبى الأحداث، و يأبى المنطق أن يكون للفضل في هذه القضية شيء، إلا عن طريق التآمر و التواطؤ مع سيده المأمون، أفعى الدهاء و السياسة، بعد دراسة دقيقة مشتركة للوضع، و تقييم عام له ...

اتفقا على أثره على خطة للتخلص من المشاكل التي كانت تعترض سبيلهما، و تشكل- إلى حدّ ما- خطرا على وجودهما في الحكم، و تفردهما بالسلطة ... و بذلك فقط نستطيع أن نفسر قول ابراهيم بن العباس في مدح الفضل في جملة أبيات له:

و إذا الحروب غلت بعثت لهارأيا تفل به كتائبها

رأيا إذا نبت السيوف مضى عزم به فشفى مضاربها

ص: 268

أجرى إلى فئة بدولتهاو أقام في أخرى نوادبها (1) و لعل الفضل كان مخدوعا!.

و لكن أ لا يحتمل قريبا: أن يكون الفضل مخدوعا في هذه المرة على الأقل؟ و أنه هو أيضا راح ضحية تآمر و تضليل من نفس سيده:

المأمون؟! ..

الحقيقة أن ذلك أمر محتمل جدا، لأننا نرى في النصوص التاريخية، ما يشير لنا بوضوح إلى أن الفضل لم يكن سوى لعبة بيد المأمون، و أنه قد جازت عليه حيلته في بادئ الأمر، بادّعائه: أنه إنما يوليه العهد، لأنه يريد خير الامة و مصلحتها. أو لأنه يريد أن يفي بنذره (أي أنه نذر إن ظفر بأخيه الأمين؛ فلسوف يسلم الخلافة لرجل غريب!!) ..

و قد تقدم أن ابن القفطي يرى أن الفضل لم يكن عارفا بسر القضية، و لا عالما بواقع الأمر .. و لعلنا نستطيع: أن نستدل على ذلك بقوّة بمانعة الفضل و أخيه الحسن في هذا الأمر ..

كما أننا رأينا المأمون: يرفض أن يطلب من الإمام (ع) كتاب الأمان للفضل، بحجة أن الإمام كان قد اشترط: أن لا يتدخل في شي ء من أمور الدولة و شئونها (2).

ثم نرى المأمون نفسه يطلب من الإمام: أن يولي فلانا، أو أن يكتب إلى فلان بكذا، أو أن يساعده في إدارة شئون الخلافة، أو أن8.

1- الأغاني ط ساسي ج 9 ص 31- 32.
2- أعيان الشيعة ج 4 قسم 2 ص 139، و عيون أخبار الرضا ج 2 ص 162، و البحار ج 49 ص 168، و مسند الإمام الرضا ج 1 ص 88.

يصلي بالناس، إلى غير ذلك من الامور .. مع أن ما كان يريده الفضل من الإمام، لم يكن له من الأهمية مثل ما كان يطلبه منه المأمون ..

و على كل فقد يجوز للمأمون- حتى مع الشرط- ما لا يجوز لغيره بدونه ..

الفضل يقع في الشرك

: و اخيرا .. فلا يسعنا في ختام هذا الفصل إلا أن نقول:

مسكين الفضل بن سهل، لقد استطاع المأمون أن يبرئ ساحة نفسه، من كل الذنوب العظيمة و الخطيرة التي ارتكبها، و أن يجعل هذا الوزير المسكين، الذي كان عدوا للامام، و الذي لم يشعر إلا و هو في الفخ، هو المسئول عن أكثر جرائمه و موبقاته، بل و عنها جميعا، حتى البيعة للرضا (ع)، بل و حتى عن قتل أخيه الأمين!! و لقد أدرك الفضل أنه قد وقع في الشرك، و لكن .. بعد فوات الأوان، و لذا نراه يمتنع عن الذهاب إلى بغداد، لأنه يعرف ما سوف يواجهه من مشاكل و أخطار، و ما سوف يتعرض له من مؤامرات، و حاول بكل وسيلة أن يقنع المأمون بالعدول عن رأيه، و بيّن له صراحة أنه هو المتهم بالبيعة للرضا، و بقتل الأمين، فلقد قال له:

«.. يا أمير المؤمنين، إن ذنبي عظيم عند أهل بيتك، و عند العامة، و الناس يلومونني بقتل أخيك المخلوع، و ببعة الرضا، و لا آمن السعاة و الحساد، و أهل البغي أن يسعوا بي، فدعني أخلفك بخراسان الخ ..» (1).

ص: 270

1- أعيان الشيعة ج 4 قسم 2 ص 139، و عيون أخبار الرضا ج 2 ص 162، و مسند الامام الرضا ج 1 ص 87، و البحار ج 49 ص 167.

و لكن أنى له أن يتركه المأمون، الذي كان يريد التخلص منه، من أجل أن ترضى عنه بغداد، مضافا إلى أنه هو أيضا كان يخشاه و يخافه ..

فلقد كان قد أعدّ العدة، و أحكم الخطة في أمره، و لم يبق إلا التنفيذ (كما سيأتي بيانه) ..

و بعد أن يئس الفضل من اقناع المأمون، حاول أن يحتاط لنفسه ما أمكنه ذلك، فطلب منه أن يكتب له كتاب ضمان و أمان، فاستجاب المأمون لهذا الطلب، و كتب له كتابا (1)، يسمى كتاب الحياء و الشرط يظهر بوضوح الدور الذي لعبه الفضل في تشييد صرح خلافة المأمون، و توطيد سلطانه.

و نلاحظ: أن المأمون قد كتب للفضل كل ما يريد، بل و زاد على ما كان يتوقعه الفضل الشي ء الكثير، إذ لم يكن يرى في ذلك أي ضرر عليه، ما دام أنه قد أحكم الخطة، و دبر له النهاية.

و كما رسم و دبر .. كانت النهاية!! ..

لما ذا الاصرار على اتهام الفضل

: و هكذا .. فإننا بعد كل ما تقدم، لا نرى مجالا للإصرار على نسبة التشيع للفضل، أو القول: بأن المأمون كان واقعا في أمر البيعة تحت تأثيره، و خاضعا لارادته، فقد يكون الفضل قد أعطي أكثر مما يستحقه من النفوذ و القدرة .. و لعل إصرار أولئك أو هؤلاء على اتهام الفضل بذلك، حتى و إن أنكره المأمون نفسه، و كذبته جميع الوقائع و الأحداث- لعله- يرجع إلى حرصهم على أن لا يتهم المأمون- السلطة- بما

1- الكتاب موجود في: البحار ج 49 ص 160، 162، و عيون أخبار الرضا ج 2 ص 157، 159، و أوعز إليه اليعقوبي في تاريخه ج 2 ص 451 طبع صادر

لا ـ يحبون اتهامه به، كالتشيع، و الحب لآل علي (ع)، أو ليبرءوا ساحته من هذه التهمة، لو فرض وجودها فعلا .. أو لعل لأنهم لم يكونوا على درجة من الوعي تؤهلهم لإدراك حقيقة ظروف المأمون، و أهدافه من البيعة ..

هذا .. و قد رأينا: أن العباسيين في بغداد، بمجرد وصول نبأ البيعة لهم، يتهمون الفضل بن سهل بتدبيرها (1) .. مع أنهم لم يكونوا قد اطلعوا بعد على حقيقة الأمر و واقع القضية، و ما ذلك إلا لما قلناه، و ليبقوا على علاقاتهم مع المأمون، و ليبقى باب الصلح معه في المستقبل مفتوحا .. و كذلك ليحافظوا على شخصية المأمون، حتى لا تلصق بها تهمة، يعلمون هم أكثر من غيرهم- و أهل البيت أدرى بما فيه- ببراءته منها، ألا و هي تهمة: الحب لعلي، و آل بيته ..

و لعله أيضا لهذه الاسباب نفسها جعلوا المأمون لعبة في يد الفضل، و أنه لا يملك معه من الأمر شيئا، حتى لقد قالوا عنه: إنه مسجون و مسحور (2). و إن كان لا شاهد لهذه الدعوى أصلا إلا البيعة للرضا (ع)، و لولاها لكان العكس عندهم هو الصحيح فعلا ..

جميل .. و جميل جدا .. فلقد أصبح المأمون لعبة بيد الفضل، و إن كانت جميع الدلائل و الشواهد متظافرة على العكس من ذلك .. و لو لم يكن ذلك يكفي لتبرئة المأمون، فهم على استعداد لاتهامه بعقله، كما قد حدث ذلك بالفعل، فذلك عندهم خير من اتهامه بالحب لآل علي، و التشيع لهم ....

1- فقد اتهموا الفضل بذلك بمجرد وصول رسالة الحسن بن سهل إليهم، يخبرهم فيها بأمر البيعة .. راجع: الطبري ج 11 ص 1013، طبع ليدن و تجارب الامم ج 6 ص 436 و غير ذلك من كتب التاريخ.

2- راجع: البداية و النهاية ج 10 ص 248، و الطبري ج 11، و غير ذلك ..

احتمال وجيه جدا

: على أننا لا نستبعد كثيرا .. أن يكون المأمون نفسه قد شجع و غذى هذه التبريرات و التمويهات، و خصوصا بعد مقتل الفضل، ليبرئ نفسه أمام العباسـيين، و ليشوه الفضل .. كما أننا لا نشك أبـدا في أن كثيرا مما يـذكر عن الأمين هو في عداد الخرافات و الأساطير، التي شـجعها المأمون و حزبه، لأن الأمين كان هو المغلوب، و المأمون كان هو الغالب .. و للغالب القدرة، بل و الحق أيضا- في نظر قاصري النظر- في أن يشوه المغلوب، و يصوره بالصورة التي يريد ..

و يدلنا على أن المأمون هو المسـئول عن ذلك، ما رواه الحصـري في زهر الآداب من: «أنه لما خلع المأمون أخاه الأمين، و وجه بطاهر ابن الحسـين لمحاربته، كان يعمل كتبا بعيوب أخيه، تقرأ على المنابر بخراسان الـخ ..» (1). و طبيعي بعـد ذلك: أن على الكتاب و المؤرخين الذين ما كانوا أحرارا، و لا يعتمدون النزاهة في كتاباتهم: أن يؤرخوا كما يريد المأمون، و أن يكتبوا ما يمليه عليهم، لا ما هو حق و واقع ..

يرونه بام أعينهم. أو تحكم به- إن كانت- ضمائرهم ..

و أخيرا .. و إذا تحقق أن الفضل بري ء من تهمة التشيع، و تهمة تدبير أمر البيعة الاعلى نحو التآمر، فلا يعني ذلك أنه بري ء مما هو أشنع من ذلك و أقبح «فكل إناء بالذي فيه ينضح» ..

ص: 273

1- راجع: امراء الشعر العربي في العصر العباسي ص 86، نقلا عن: زهر الآداب ج 2 ص 111، تحقيق زكي مبارك، و طبع دار الجيل ج 2 ص 464.

القسم الثّالث أضواء على الموقف:

اشارة

1- عرض الخلافة، و رفض الإمام ..

2- قبول ولاية العهد بعد التهديد ..

3- مدى جدية عرض الخلافة ..

4- موقف الإمام ..

5- خطة الإمام ..

ص: 275

عرض الخلافة، و رفض الامام (ع)

نصوص تاريخية

: تحدثنا كتب التاريخ: أن المأمون كان قد عرض الخلافة على الإمام أولا .. (1) لكنه (ع) رفض قبولها أشد الرفض، و بقي مدة يحاول اقناعه بالقبول؛ فلم يفلح .. و قد ورد أن محاولاته هذه، استمرت في مرو وحدها اكثر من شهرين و الإمام عليه السلام يأبى عليه ذلك (2).

بل لقد ورد أنه (ع) كان قد أجاب المأمون بما يكره؛ فقد:

قال المأمون للإمام: «.. يا ابن رسول اللّه، قد عرفت فضلك، و علمك، و زهدك، و ورعك، و عبادتك؛ و أراك أحق بالخلافة مني ..».

1- كما نص عليه في البداية و النهاية ج 10 ص 250، و الفخري في الآداب السلطانية ص 217، و غاية الاختصار ص 67، و ينابيع المودة للحنفي ص 384، و مقاتل الطالبيين، و غير هؤلاء كثير. و سنشير في آخر هذا الفصل إلى طائفة منهم أيضا .. لكن السيوطي قال في تاريخ الخلفاء: «... حتى قيل: أنه همّ أن يخلع نفسه، و يفوض الأمر إليه ..» أما رفضه لذلك؛ فهو أشهر من أن يذكر كما سيأتي ...

2- عيون أخبار الرضا ج 2 ص 149، و البحار ج 49 ص 134، و ينابيع المودة و غير ذلك.

فقال الإمام (ع): «.. بالزهد بالدنيا أرجو النجاة من شر الدنيا، و بالورع عن المحارم أرجو الفوز بالمغانم، و بالتواضع في الدنيا أرجو الرفعة عند اللّه ..

قال المأمون: فاني قد رأيت أن أعزل نفسي عن الخلافة، و أجعلها لك، و أبايعك؟! ..

فقال الإمام (ع): إن كانت هذه الخلافة لك؛ فلا يجوز أن تخلع لباسا ألبسكه اللّه، و تجعله لغيرك، و إن كانت الخلافة ليست لك؛ فلا يجوز أن تجعل لي ما ليس لك (1).

قال المأمون: لا بد لك من قبول هذا الأمر!! فقال الإمام (ع): لست أفعل ذلك طائعا أبدا ..

فما زال يجهد به اياما، و الفضل و الحسن (2) يأتيانه، حتى يئس من قبوله ..

و خرج ذو الرئاستين مرة على الناس قائلا: وا عجبا!! و قد رأيت عجبا!! رأيت المأمون أمير المؤمنين يفوض أمر الخلافة إلى الرضا.د.

1- عبارة تاريخ الشيعة ص 51، 52، هكذا: «... إن كانت الخلافة حقا لك من اللّه، فليس لك أن تخلعها عنك، و توليها غيرك. و إن لم تكن لك؛ فكيف تهب ما ليس لك ..» و هذه أوضح و أدل.

2- لا ندري ما الذي أوصل الحسن بن سهل إلى مرو، مع أنه كان آنئذ في العراق، و لعل ذكر الحسن اشتباه من الراوي. و احتمل السيد الأمين في أعيان الشيعة ج 4 قسم 2 ص 120: أن يكون المأمون قد استدعى الحسن بهذه المناسبة إلى خراسان؛ فلما تم أمر البيعة عاد إلى بغداد.

و رأيت الرضا يقول: لا طاقة لي بذلك، و لا قدرة لي عليه .. فما رأيت خلافة قط كانت أضيع منها (1).8.

1- راجع في جميع هـذه النصوص بالاضافـة إلى ما تقدم: روضة الواعظين ج 1 ص 267، 268، 269، و إعلام الورى ص 320، و علل الشرائع ج 1 ص 236، و ينابيع المودة ص 384، و أمالي الصدوق ص 42، 43، و الإرشاد ص 310، و كشف الغمة ج 3 ص 65، 66، 87، و عيون أخبـار الرضا ج 2 ص 149، 140، و المناقب ج 4 ص 363، و الكافي ج 1 ص 489، و البحار ج 49، ص 129، 134، 136، و معادن الحكمة، و تاريخ الشيعة، و مثير الأحزان ص 261، و شرح ميمية أبي فراس ص 164، 165، و غاية الاختصار ص 68.

قبول ولاية العهد بعد التهديد

مع محاولات المأمون لاقناع الإمام

: الذي يبدو من ملاحظة كتب التاريخ و الرواية، هو: أن محاولات المأمون لاقناع الامام بما يريد، كانت متعددة، و متنوعة. و أنها بدأت من حين كان الإمام (ع) لا يزال في المدينة؛ حيث كان المأمون يكاتبه، محاولا إقناعه بذلك؛ فلم ينجح، و علم الإمام أنه لا يكف عنه ..

ثم أرسل رجاء بن أبي الضحاك، و هو قرابة الفضل و الحسن ابني سهل (1)؛ فأتى بالإمام (ع) من المدينة الى مرو رغما عنه .. و بذل المأمون في مرو أيضا محاولات عديدة، استمرت أكثر من شهرين. و كان يتهدد الإمام بالقتل، تلويحا تارة، و تصريحا أخرى، و الإمام (ع) يأبى قبول ما يعرضه عليه .. إلى أن علم أنه لا يمكن أن يكف عنه، و أنه لا محيص له عن القبول؛ فقبل ولاية العهد مكرها، و هو باك حزين- على حد تعبير الكثيرين-، و كانت البيعة له في السابع من شهر رمضان، سنة (201 ه-.)، كما يتضح من تاريخ ولاية العهد ..

ص: 280

1- و قيل: أنه عمهما. و قد كان رجاء هذا من قواد المأمون. و قد ولاه المأمون خراسان مدة، لكنه أساء السيرة؛ فعزله ..

بعض ما يدل على عدم رضا الإمام (ع)

: و النصوص الدالـة على عـدم رضا الإمام (ع) بهـذا الأمر كثيرة، و متواترة؛ فقـد قال أبو الفرج: «.. فأرسـلهما (يعني الفضل و الحسن ابني سهل) إلى علي بن موسـى؛ فعرضا ذلك (يعني ولاية العهد) عليه، فأبى؛ فلم يزالا به، و هو يأبى ذلك، و يمتنع منه .. إلى أن قال له أحدهما: إن فعلت ذلـك، و إلا ـ فعلنـا بـك و صـنعنا، و تهـدده، ثم قال له أحـدهما: «و اللّه، أمرني بضـرب عنقك، إذا خالفت ما يريـد»!!. ثم دعا به المأمون، و تهدده؛ فامتنع، فقال له قولا شبيها بالتهديد، ثم قال له: «إن عمر جعل الشورى في ستة، أحدهم:

جدك، و قال: من خالف فاضربوا عنقه، و لا بد من قبول ذلك ..» (1)!!

و يروي آخرون: أن المأمون قال له: «.. يا ابن رسول اللّه، إنما تريـد بـذلك (يعني بما أخبره به عن آبائه من موته قبله مسـموما) التخفيف عن نفسك، و دفع هذا الأمر عنك؛ ليقول الناس: إنك زاهد في الدنيا ..

فقال الرضا: و اللّه، ما كذبت منذ خلقني ربي عز و جل، و ما زهدت في الدنيا للدنيا؛ و إني لأعلم ما تريد؟!! ..

فقال المأمون: و ما أريد؟! قال: الأمان على الصدق؟

قال: لك الأمان.

قال: تريد بذلك أن يقول الناس: إن علي بن موسى لـم يزهد في

ص: 281

1- مقاتل الطالبيين ص 562، 563، و قريب منه ما في ارشاد المفيد ص 310 و غير ذلك.

الـدنيا، بل زهدت الدنيا فيه؛ أ لا ترون: كيف قبل ولاية العهد طمعا في الخلافة؟! فغضب المأمون، و قال له: «إنك تتلقاني أبدا بما أكرهه. و قد آمنت سطوتي، فباللّه أقسم: لئن قبلت ولاية العهد، و إلا أجبرتك على ذلك؛ فإن فعلت، و إلا ضربت عنقك ..» (1).

و قال الإمام الرضا (ع) في جواب سؤال الريان له، عن سرّ قبوله لولاية العهد:

«.. قـد علم اللّه كراهتي لذلك؛ فلما خيرت بين قبول ذلك و بين القتل، اخترت القبول على القتل. ويحهم .. إلى أن قال: و دفعتي الضـرورة إلى قبول ذلك، على إجبار و اكراه، بعد الاشراف على الهلاك إلخ ...» (2).

و قال في دعاء له: «.. و قد اكرهت و اضطررت، كما أشرفت من عبد اللّه المأمون على القتل، متى لم أقبل ولاية العهد ..».

و قال في جواب أبي الصلت: «و أنا رجل من ولد رسول اللّه (ص)9.

1- راجع في ذلك: مناقب آل أبي طالب ج 4 ص 363، و أمالي الصدوق ص 43، و عيون أخبار الرضا ج 2 ص 140، و علل الشرائع ج 1 ص 238، و مثير الأحزان ص 261، 262، و روضة الواعظين ج 1، ص 267، و البحار ج 49 ص 129، و غير ذلك. و في تاريخ الشيعة ص 52: أنه بعـد أن عرض عليه الخلافـة، و أجابه بالجواب المتقدم في الفصل السابق، قال له: «... إذن، تقبل ولاية العهد. فأبى عليه الامام أشد الإباء؛ فقال له المأمون: «.. ما استقدمناك باختيارك، فلا نعهد إليك باختيارك. و اللّه، إن لم تفعل ضربت عنقك ..».

2- علل الشـرائع ج 1 ص 239، و روضـة الواعظين ج 1 ص 268، و أمالي الصـدوق ص 72، و البحار ج 49 ص 130، و عيون أخبار الرضا ج 2 ص 139.

أجبرني على هذا الأمر و اكرهني عليه ..».

بـل لقـد أعرب عن عـدم رضاه في نفس ما كتبه على ظهر وثيقـة العهـد، و أنه يعلم بعـدم تماميـة هـذا الأمر، و إنما يفعل ذلك امتثالا لأمر المأمون، و إيثارا لرضاه ...

أما الباحثون و غيرهم فيقولون

: أما الباحثون، فلعلنا لا نكاد نعثر على باحث يتعرض لهذا الأمر ينسى أن يؤكد على رفض الإمام (ع) لهذا الأمر، و استيائه منه ..

يقول أحمد أمين: «.. و الزم الرضا بذلك، فامتنع، ثم اجاب ..» (1).

و قال القندوزي: إنه قبل ولاية العهد، و هو باك حزين (2) ..

و قال المسعودي: «.. فألح عليه، فامتنع، فأقسم؛ فأبر قسمه الخ ..» (3).

و على كل حال: فإن النصوص التاريخية الدالة على عدم رضاه (ع) بهذا الأمر، و أنه مكره مجبر عليه كثيرة جدا (4). و تضارعها كثرة

ص: 283

1- ضحى الاسلام ج 3 ص 294.

2- ينابيع المودة ص 284.

3- إثبات الوصية ص 205.

4- و إنه و إن كـان سـيمر معنـا نصوص اخرى تـدل على ذلك .. إلا أننا نحيل القارئ على بعض مظان وجودها؛ فراجع: ينابيع المودة ص 384، و مثير الأحزان ص 261، 262، 263، و كشف الغمـة ج 3 ص 65، و أمالي الصـدوق ص 68، 72، و البحار ج 49 ص 129، 131، 149، و علل الشرائع ج 1 ص 237، 238، و إرشاد المفيد ص 191، و عيون أخبار الرضا ج 1 ص 19، و ج 2 ص 139، 140، 141، 149، و إعلام الورى 320، و الخرائج و الجرائح، و غير ذلك ..

أقوال الباحثين، الذين تعرضوا لهذا الموضوع؛ و لذا فليس من اليسير الاحاطة بها و استقصاؤها في مثل هذه العجالة ..

و لهذا .. فإننا نكتفي هنا بهذا القدر؛ حيث إن المجال لا يتسع لأكثر من ذلك ..

ص: 284

مدى جدية عرض الخلافة

عرض الخلافة ليس جديًا ..

: مر معنا أن المأمون كان قد عرض أولا الخلافة على الإمام، و أنه ألح عليه بقبولها كثيرا، سواء و هو في المدينة، أو بعد استقدامه إلى مرو، و أنه تهدده فلم يقبلها. فلما يئس من قبوله الخلافة، عرض عليه ولاية العهد، فامتنع أيضا. و لم يقبل إلا بعد أن تهدده بالقتل، و عرف الجدّ في ذلك التهديد!!.

و هنا سؤال لا بد من الاجابة عليه، و هو:

هل كان المأمون جادا في عرضه الخلافة على الامام؟! ..

و يتفرع على الاجابة على هذا السؤال سؤال آخر، و هو:

إذا لم يكن المأمون جادا في عرضه ذاك؛ فما ذا ترى سوف يكون موقف المأمون، لو أن الامام قبل أن يتقلد الخلافة، و يضطلع بشئونها؟!.

و من أجل استيفاء الجواب عن هذين السؤالين، لا بد لنا من الإسهاب في المقال، بالقدر الذي يتسع لنا به المجال فنقول:

ص: 285

الاجابة على السؤال الأول

: أما عن السؤال الأول، فان الحقيقة هي: أن جميع الشواهد و الدلائل تدل على أنه لم يكن جادا في عرضه للخلافة:

و قد قدمنا أننا لا يمكن أن نتصور المأمون الحريص على الخلافة حرصه على نفسه، و الذي قتل من أجلها أخاه، و أتباعه، بل و حتى وزراءه هو و قواده؛ و غيرهم. و أهلك العباد، و خرب البلاد، حتى لقد خرب بغداد بلد آبائه، و أزال كل محاسنها- لا يمكن أن نتصور- المأمون، الذي فعل كل ذلك و سواه من أجل الحصول على الخلافة ... يتنازل عنها بهذه السهولة، بل و مع هذا الالحاح و الإصرار منه، لرجل غريب، ليس له من القربى منه ما لأخيه، و لا من الثقة به ماله بقواده، و وزرائه!!.

أم يعقل أن تكون الخلافة أعز من هؤلاء جميعا، و الرضا فقط هو الأعز منها؟!! ..

و هل يمكن أن نصدق، أو يصدق أحد: أن كل ذلك، حتى قتله أخاه، كان في سبيل مصلحة الامة و من أجلها، و لكي يفسح المجال أمام من هو أجدر بالخلافة، و أحق بها من أخيه، و منه؟!! ..

و كيف يمكن أن نعتبر اصراره الشديد على الامام، و الذي استمر أشهرا عديدة، قبل استقدامه إلى مرو و بعده، و الذي انتهى به إلى حد تهديده إياه بالقتل- كيف يمكن أن نعتبره رفقا منه بالامة، و حبا لها، و غيرة على صالحها .. مع أننا نسمعه من جهة ثانية هو نفسه يصرح:

بأن نفسه لم تسخ بالخلافة، عند ما عرضها على الامام؟!! (1).

و إذا لم تسخ نفسه بالخلافة؛ فلما ذا يهدده بالقتل إن لم يقبلها؟!!.

1- قاموس الرجال ج 10 ص 371، و غيبة الشيخ الطوسي ص 49.

و كيف يمكن أن نوفق بين تهديداته تلك، و جدية عرضه للخلافة ..

و بين قوله: إنه لم يقصد إلا أن يوليه العهد؛ ليكون دعاء الإمام له، و ليعتقد فيه المفتونون به الخ .. ما سيأتي؟!!.

و إذا كان قد نذر أن يوليه «الخلافة»، لو ظفر بأخيه الأمين، حسبما ورد في بعض النصوص التاريخية؛ فلما ذا، و كيف جاز له الاكتفاء بتوليته العهد؟!!.

و كيف استطاع إجباره على قبول ولاية العهد، و لم يستطع إجباره على قبول الخلافة؟! و أيضا .. و لما ذا بعد أن رفض الإمام (ع) العرض، لا يتركه و شأنه؟

و أين هي أنفة الملوك، و عزة السلطان؟!!.

و إذا كان يأتي به من المدينة ليجعله خليفة المسلمين، و يرفع من شأنه؛ فلما ذا يأمره و يؤكد عليه في أن لا يمر عن طريق الكوفة و قم، حتى لا يفتتن به الناس؟!!.

و أيضا .. هل يتفق ذلك مع إرجاعه للإمام (ع) عن صلاة العيد مرتين، لمجرد أنه جاءه من ينذره بأن الخلافة سوف تكون في خطر؛ لو أن الإمام (ع) وصل إلى المصلى؟!! .. حتى لقد خرج هو بنفسه مسرعا، و صلى بالناس، رغم تظاهره بالمرض، و رغم زعمه، أنه:

كان يريد من الإمام أن يصلي بالناس؛ من أجل أن تطمئن قلوبهم على دولته المباركة- على حد تعبيره- بسبب مشاركة الإمام (ع) في ذلك ..

و أيضا .. هل يتفق عرضه الخلافة على الإمام، و تنازله عنها له، ثم توليته العهد، و بكاؤه عليه حين وفاته، و بقاؤه على قبره ثلاثة أيام، حسبما سيأتي بيانه .. هل يتفق كل ذلك، مع كتابته لعامله على

مصر: يأمره بغسل المنابر التي دعي عليها للامام (ع)؛ فغسلت؟!! (1).

و بعد .. و إذا كان الإمام (ع) حجة اللّه على خلقه، و أعلم أهل الأرض على حد تعبير المأمون؛ فلما ذا يفوض عليه نظرية لا يراها مناسبة، و يتهدده، و يتوعده على عدم قبولها، و الاخذ بها؟!..

و أخيرا .. هل يتفق ذلك كله، مع ما أشرنا، و لسوف نشير إليه، من ذلك السلوك اللاإنساني مع الإمام (ع)، قبل البيعة، و بعدها، في حياة الإمام، و حين وفاته، و بعدها .. و كذلك سلوكه مع العلويين، و إخوة الإمام الرضا (ع) بالذات. ذلك السلوك الذي يترفع حتى الاعداء عن انتهاجه، و الالتزام به.

إلى آخر ما هنالك مما عرفت، و ستعرف جانبا منه في هذا الكتاب إن شاء اللّه تعالى ..

المأمون يرتبك في تبريراته

: و لعل من الامور الجديرة بالملاحظة هنا: أن المأمون لم يكن قد حسب حسابا للأسئلة التي سوف تواجهه في هذا الصدد؛ و لذا نرى أنه كان مرتبكا جدا في تبريراته لما أقدم عليه؛ فهو تارة يعلل ذلك بأنه:

1- و لا ـ منافاة بينهما في نظر المأمون؛ فانه لم يكن يخشى من ردة الفعل في مصر؛ لأنها بالاضافة إلى بعدها، لم تكن من المناطق الحساسة في الدولة، و لم تكن أيضا شديدة التعاطف مع العلويين؛ فهي إذن مأمونة الجانب .. و ما كان يخشى منه قد أمنه؛ بتظاهره أمام الملأ بالحزن الشديد على الامام عليه السلام؛ حيث يكون بذلك قد طمأنهم، و أبعد التهمة عن نفسه في المنطقة التي يخشى منها في الوقت الحاضر .. و إلى أن تصل أخبار مصر إلى هذه المناطق الحساسة؛ فانه يكون قد تجاوز المرحلة الخطيرة، و لم يعد يخشى شيئا على الإطلاق ..

أراد مكافأة علي بن أبي طالب في ولده!! (1).

و أخرى: بـأن ذلـك كان منه حرصا على طاعـة اللّه، و طلب مرضاته؛ و لما يعلمه من فضل الرضا، و علمه، و تقاه .. و أنه أراد بـذلك الخير للامة، و مصلحة المسلمين!! (2).

و ثالثة: بأنه أراد أن يفي بنذره: أنه إن أظفره اللّه بالمخلوع يعني أخاه الأمين الذي قتله- أن يجعل ولاية العهد في أفضل آل أبي طالب!!. (3)

بل و رابعة: بأنه أراد أن يجعله ولي عهده؛ ليكون دعاؤه له، و ليعتقد فيه المفتونون به إلخ (4) .. ما سيأتي تفصيله ..

مع تبريرات المأمون تلك

: و من الواضح أن تلك العلل و التبريرات، و سواها، مما كان يتعلل

1- الفخري في الآداب السـلطانية ص 219، و البحار ج 49 ص 312، و تاريخ الخلفاء للسـيوطي ص 308، و التذكرة لابن الجوزي ص 356، و شذرات الذهب، لابن العماد ج 2 ص 3، و غير ذلك ..

2- صرح بذلك في وثيقة العهد. و في الفخري في الآداب السلطانية ص 217، قال: «كان المأمون قد فكر في حال الخلافة بعده، و أراد أن يجعلها في رجل يصلح لها، كذا زعم ..» .. و في البداية و النهاية ج 10 ص 247 قال: «إن المأمون رأى عليا الرضا خير أهل البيت، و ليس في بني العباس مثله: في علمه، و دينه؛ فجعله ولي عهده من بعده» و مثل ذلك كثير ...

3- الفصول المهمـة لابن الصـباغ المالكي ص 241، و مقاتـل الطالبيين ص 563، و اعلاـم الورى ص 320، و البحـار ج 49 ص 143، 145، و أعيان الشيعة ج 4 قسم 2 ص 112، و عيون أخبار الرضا، و ارشاد المفيد، و غير ذلك ..

4- لكن هذا الكلام لم يكن إلا لخصوص العباسيين، كما عرفت و ستعرف!!!.

به المأمون؛ كانت مفتعلة قبل أوان نضـجها. و لعله لما أشـرنا إليه من أنه لـم يكن قد حسب حسابا لهذه الاسئلة التي واجهته، كانت أجوبته متناقضـة، متضـادة، من موقف لآـخر، و من وقت لآـخر .. حتى إن التنـاقض يبـدو في التبرير الواحـد، إذ تراه مرة يقول: «إنه نـذر أن يجعل الخلافة في ولد علي». و أخرى يقول: «إنه نذر أن يجعل ولاية العهد فيهم». و ثالثة: يضيف إليهم آل العباس .. و هكذا ..

و لو لاـ خوف النـاس منه، و من بطشه لوجـدنا الكثيرين يسـألونه: إنه إذا صـح: أنه نـذر الخلافـة لولـد علي، فلمـا ذا قبل منه و اكتفى بولاية العهد؟!، إذ قد كان عليه أن يجبره على قبول الخلافة، كما أجبره على قبول ولاية العهد .. و إذا صح أنه نذر له ولاية العهد؛ فلما ذا عرض عليه الخلافة، و أصر عليه بقبولها.

و إننا و إن لم نجـد لهـذه الأسـئلة، و سواها أثرا فيما بأيدينا من كتب التاريخ. إلا أننا رأينا الشواهد الكثيرة الدالة على أن الناس كانوا يشـكون كثيرا في نوايـا المـأمون و أهـدافه ممـا أقـدم عليه. و حسـبنا هنا: ما رواه لنا الصولي، و القفطي، و غيرهما من قضـية عبـد اللّه بن أبي سـهل النوبختي المنجم؛ حيث أراد اختبار ما في نفس المأمون؛ فأخبره أن وقت البيعة للامام (ع) كان غير صالح؛ فأصر المأمون على إيقاع البيعة في ذلك الوقت، و تهـدده بالقتل إن حـدث تغيير في الوقت و الموعـد، و قـد تقـدمت القصة بكاملها تقريبا في فصل سابق، و قد ذكرها غير واحد من المؤلفين (1)...

1- تاريخ الحكماء ص 222، 223، و فرج المهموم في تاريخ علماء النجوم ص 142، و أعيان الشيعة ج 4 قسم 2 ص 114، و البحار ج 49 ص 132، 133، و عيون أخبار الرضا ج 2 ص 147، 148، و غير ذلك ...

الامام يدرك أهداف المأمون من عرض الخلافة

: و لعلنا نستطيع أن نجد فيما قدمناه في هذا الكتاب ما يفسر لنا موقف الإمام (ع) من المأمون .. ذلك الموقف الذي لم يكن يتسم بالمهادنة، أو الموافقة أصلا. بل كان قاسيا و عنيفا في مقابل عرض المأمون للخلافة عليه، كما ألمحنا إليه في باب: «عرض الخلافة، و رفض الإمام».

و ما ذلك ... إلا لأنه كان يعلم أنها لعبة خطيرة، تحمل في طياتها الكثير من المشاكل و الأخطار، و سواء بالنسبة إليه (ع)، أو بالنسبة إلى العلويين، أو بالنسبة إلى الامة بأسرها ..

و لقد كان (ع) يدرك: أن المأمون كان يرمي من وراء هذا العرض إلى أن يعرف حقيقة نوايا الامام (ع)، و يستظهر دخيلة نفسه، حتى إذا ما رآه راغبا فيها رغبة حقيقية، سقاه الكأس، التي سقاها من قبل لمحمد بن محمد بن يحيى بن زيد، صاحب أبي السرايا، و من بعد لمحمد بن جعفر، و طاهر بن الحسين، و غيرهم، و غيرهم .. و انه كان يريد أن يجعل ذلك ذريعة لفرض ولاية العهد، و تمهيدا لإجباره على قبولها؛ لأن ما يحقق له مآربه، و يوصله إلى غاياته، التي تحدثنا عن جانب منها في فصل: ظروف البيعة .. هو قبول الإمام لولاية العهد، لا الخلافة .. كما أن هذا هو الذي يمكن أن يكون ممهدا لتنفيذ الجزء التالي من خطته، ألا و هو القضاء على العلويين بالقضاء على أعظم شخصية فيهم.

و من ثم .. و بعد كل ما تقدم .. تكون النتيجة هي: أن المأمون لم يكن جادا في عرضه للخلافة، و إنما فقط كان جادا في عرضه لولاية العهد ..

ص: 291

و يبقى هنا سؤال

: «لو أن الإمام قبل عرض الخلافة؛ فما ذا ترى سوف يكون موقف المأمون؟!».

و الجواب

أولا:

انه قد يمكن الاقتناع بالجواب هنا لو قيل:

بديهي أن المأمون كان قد أعد العدة لأي احتمال من هذا النوع ..

و قد كان يعلم أنه يستحيل على الإمام، خصوصا في تلك الظروف:

أن يقبل عرض الخلافة، من دون إعداد مسبق لها، و تعبئة شاملة لجميع القوى، و في مختلف المجالات، و لسوف يكون قبوله لها بدون ذلك عملا انتحاريا، لا مبرر له، و لا منطق يساعده ..

إذ من البديهي أن الإمام الذي كان يعلم كم كان للقائد الحقيقي، و المصلح الواعي، من أثر في حياة الامة، و في مستقبلها. و كيف يمكن أن تتحد في ظله قدرات الامة- أفرادا و جماعات- و امكاناتها المادية، و الفكرية و غيرها في طريق صلاحها، و اصلاحها .. و يعلم أيضا: كيف يكون الحال، لو كان القائد فاسدا، حتى بالنسبة لما يبدو من تصرفاته في ظاهره صحيحا و سليما ..

إن الإمام الذي كان يعلم ذلك و سواه- و بصفته القائد الحقيقي للامة، لو حكم؛ فلا بد له أن يقيم دولة الحق و العدل، و يحمل الناس على المحجة، و يحكم بما أنزل اللّه، كما حكم جده محمد (ص)، و أبوه علي (ع) من قبل .. و حكمه هذا سوف يكون مرفوضا جملة و تفصيلا؛ لأن الناس، و إن كانوا عاطفيا مع أهل البيت عليهم السلام؛ إلا أنهم حيث لم يتربوا تربية إسلامية صحيحة، و صالحة، إذا أراد العلويون، أو غيرهم حملهم على المحجة؛ فلسوف لا ينقادون لهم بسهولة، و لا يطيعونهم بيسر. و لسوف يكون الحكم بما أنزل اللّه غريبا على أمة اعتادت

على حياة خلفاء بني العباس، و من قبلهم بني أمية المليئة بالانحرافات و الموبقات.

أولئك الخلفاء الذين كانوا في طليعة المستهترين، و المتحللين من كل قيود الدين و الانسانية، و الذين كانوا يتساهلون في كل شي ء، ما دام لا يضر بوجودهم في الحكم .. نعم .. في كل شي ء على الاطلاق، حتى في الدين و أحكامه، و الأخلاق، و المثل العليا؛ و ما ذلك إلا لأنهم لم يكن همهم إلا الحكم، و التسلط، و امتصاص دماء الشعوب، و لا يهمهم- بعد- أن يفعل الناس ما شاءوا، ليتستروا بالدين، ليكفروا باللّه، ليتحللوا من الأخلاق و الفضائل الانسانية، ليأكل بعضهم بعضا، ليكونوا أنعاما سائمة، أو ليكونوا و حوشا ضارية؛ فان ذلك كله لا يضر.

و الذي يضر فقط هو: أن يتعرضوا للحكم، و يفكروا بالسلطان، كيفما كان التعرض، و أيا كان التفكير ..

و إذا كان الإمام علي (ع)، عند ما أراد أن يحكم بما أنزل اللّه تعالى، قد لاقى ما لاقى مما لا يجهله أحد .. رغم ما سمعته الامة من فم النبي (ص) مباشرة في حقه، و قرب عهدها به .. فكيف بعد أن مرت عشرات السنين، و أصبح الانحراف عادة جارية، و سنة متبعة، و اتخذ نحوا من الاصالة في حياة الامة، و روحها، و أصبح- للأسف- جزءا لا يتجزأ من كيانها و واقعها ..

و أيضا .. إذا كان أبو مسلم قد قتل ست مائة ألف نفس صبرا، عدا مئات الالوف الاخرى، التي ذهبت طعمة للسيوف في المعارك ..

و إذا كانت ثورة أبي السرايا قد كلفت المأمون «200» ألف جندي، من جنوده هو ..

و إذا كان العصيان ما انفك يظهر من كل جانب و مكان، رغم أن

الحكم كان أولا و آخرا ينسجم مع أهواء الناس، و مصالحهم الشخصية ..

فهل يمكن مع هذا .. ان لا يتعرض الإمام (ع) لعصيان أصحاب الأهواء- و ما أكثرهم-، و الكيد من قبل الأعداء، الذين سوف يزيد عددهم. و تتضاعف قوتهم، عند ما يحاول الامام (ع) ان يفرض عليهم حكما ما اعتادوه، و سلوكا ما ألفوه؟! ..

إن من الواضح: ان الناس و ان كانت قلوبهم معه، الا ان سيوفهم سوف تنقلب لتصير عليه، كما انقلبت على آبائه و أجداده من قبل، و ذلك عند ما لا ينسجم حكمه (ع) مع رغائبهم، و أهوائهم، و انحرافاتهم ..

حيث إن الإمام (ع) إذا أراد أن يحكم، فلسوف يواجه- بطبيعة الحال- تلك العناصر القوية، ذات النفوذ، و أولئك المستأثرين بكل الاموال و الاقطاع، من أصحاب الأطماع، و المصالح الشخصية، وجها لوجه .. إذ أننا لا يمكن أن ننتظر من حكومة الإمام، التي هي على الفرض حكومة الحق، و العدل: أن تقرهم على ما هم عليه، فضلا عن أن توفر لهم الحماية لتصرفاتهم المشبوهة، و غير المنطقية، بل حتى و لا الاخلاقية أيضا ..

إن حكومة الإمام (ع)، إذا أرادت أن تقوم بعمل أساسي في سبيل استئصال كل جذور الانحراف و الفساد .. فان عليها أولا، و قبل كل شيء، أن تقوم بقطع أيدي أولئك الغاصبين لاموال الامة، و المتحكمين بقدراتها. و إبعاد كل أولئك الذين كانوا يستغلون مناصبهم، التي وصلوا إليها عن طريق الظلم، و الغطرسة، و الابتزاز- يستغلونها- لمآربهم الشخصية، و انحرافاتهم اللاأخلاقية ..

ثم .. قطع أعطيات ذلك الفريق من الناس، الذين كانوا يعيشون على حساب الأمة، و يأكلون خيراتها .. ثم لا يقومون في مقابل ذلك بأي عمل، أو نشاط يذكر ..

و أيضا .. منع المحسوبيات، و الوساطات، من أصحاب الوجاهات، الذين كانت تسيرهم الروح القبلية، و يهيمن عليهم الشعور الطبقي في دولة الأطماع و المزايدات، أو دولة التهديد، و العسف، و الارهاب.

يضاف إلى ذلك كله .. أنه إذا أراد الإمام (ع) أن ينطلق في كل نصب و عزل من مصلحة الامة، لا من مصلحة الحاكم و القبيلة؛ فطبيعي أن يؤدي ذلك إلى إثارة القبائل ضده، و يؤلبهم عليه .. فزعماء القبائل سواء كانوا عربا أو فرسا كانوا يلعبون دورا هاما في انجاح اية ثورة و قيام أية دعوة و استمرار و نجاح أي حكم.

و بعد كل ذلك؛ فإن من الطبيعي إذن: أن يستفحل الصراع بينه، و بين العناصر القوية، ذات النفوذ، من أصحاب الأهواء، و المصالح الشخصية، و أولئك الذين يعتمل في نفوسهم طموح كبير، نحو زبارج الدنيا، و بهارجها .. و ذلك عند ما يعطي القيمة الحقيقية لهؤلاء جميعا، و يجعلهم في المستوى الذي يجب أن يكونوا فيه، و يحدّد و يقيّم لهم واقعهم الذي لن يرضوا أبدا بتحديده و تقييمه. و على الأقل لن تساعده تلك العناصر على تصحيح الوضع، و إقرار النظام .. هذا إن لم تكن هي العقبة الكأداء، التي تحول بينه و بين ما يصبو إليه، و تمنعه من تحقيق ما يريد ..

يضاف إلى ذلك كله: أن القيادة القبلية كانت قد فسدت آنذاك، و اعتاد رؤساء القبائل على نكث العهود و المواثيق التي يعطونها؛ فكانوا يؤيدون هذه الدعوة، و هذا القائم بها، إلى أن يجدوا من يستفيدون منه، و يغدق عليهم أكثر من الأموال، و يخصهم بما يفضل ما يخصهم به ذاك من المناصب. و كان للقيادات القبلية دور كبير في إنجاح أية دعوة، و انتصار أية ثورة ..

و بعد .. فإنه إذا كان الإمام (ع) لن يحابي أحدا على حساب دينه و رسالته .. و إذا كان- من الجهة الأخرى- مركزه ضعيفا في الحكم ..

و إذا كان ليس لديه القوة و القدرة الكافية لمواجهة مسئولياته كاملة.

فلسوف ينهار حكمه و سلطانه أمام أول عاصفة تواجهه، و لن يستطيع أن يبقى محتفظا بوجوده في الحكم، أو على الأقل بمركز يخوله أن يفرض الحكم الذي يريد على المجتمع، بجميع فئاته، و مختلف طبقاته ..

إلا أن يكون حاكما مطلقا، لا تحد سلطته حدود، و لا تقيدها قيود، و أنى له بذلك.

و بعد كل ما تقدم؛ فان النتيجة تكون، أن الامام (ع)، و إن كان يمتلك القدرة على الاصلاح، لكن الامة لم تكن لتتحمل مثل هذا الإصلاح، خصوصا و أن الحكام- بوحي من مصالحهم الخاصة- كانوا قد أدخلوا في أذهان الناس صورا خاطئة عن الحكم، و عن الحكام، الذين يفترض فيهم ان يقودوا الامة في مسيرها إلى مصيرها ..

هذا كله .. لو فرض- جدلا- سكوت العباسيين و المأمون عنه، مع أن من المؤكد أنهم سوف يعملون بكل ما لديهم من قوة و حول، من أجل تقويض حكمه، و زعزعة سلطانه ..

و إذا كان يستحيل على الإمام (ع)، في تلك الفترة على الأقل:

أن يتسلم زمام السلطة إلا أن يكون حاكما مطلقا كما قدمنا .. فمن الواضح أن سؤالا من هذا النوع لا مجال له بعد. و لن يكون في تجشم الاجابة عليه كبير فائدة، أو جليل أثر.

و لكن .. مع ذلك، و حتى لا نفرض على القارئ وجهة نظر معينة؛ إذ قد يرى أن من حقه أن يفترض- و إن أبى واقع الأحداث مثل هذا الافتراض- أنه كان على الإمام (ع): أن يجاري، و يداري في بادئ الأمر؛ من أجل الوصول إلى أهداف فيها خير الامة و مصلحتها؛ من أجل ذلك .. نرى لزاما علينا أن نجاريه في هذا الافتراض، و نتجه إلى الإجابة على ذلك السؤال بنحو آخر؛ فنقول:

و ثانيا:

إنه إذا كان المأمون في تلك الفترة هو الذي يمتلك القدرة و السلطان .. و إذا كانت كل أسباب القوة و المنعة متوفرة لديه بالفعل؛

فإنه سوف يسهل عليه- إذا لم يكن حكم الإمام (ع) على وفق ما يشتهي، و حسبما يريد-: أن يأخذ على ذلك الحكم: (الذي يرى نفسه، و يرى الناس أنه مدين للمأمون) أقطار الأرض، و آفاق السماء. و لن يصعب عليه تصفيته، و التخلص منه من أهون سبيل؛ حيث إنه حكم لا يزال، و لسوف يسعى المأمون لأن يبقيه في المهد، يستطيع المأمون أن ينزل به الضربة القاصمة القاضية متى شاء، دون أن تعطى له الفرصة لحشد قدراته، و تجميع قواه في أي من الظروف و الأحوال ..

و هكذا .. فإن النتيجة تكون: أن الإمام (ع) سوف يكون بين خيارين لا ثالث لهما: فاما أن يحاول تحمل المسئولية الحقيقية، بكل أبعادها، و تبعاتها، باعتباره القائد الحقيقي للامة، و يقدم على كل ما تقدمت الاشارة إليه من اصلاحات جذرية في جميع المجالات، و على مختلف المستويات؛ مما سوف يكون من نتائجه أن يعرض نفسه للهلاك؛ حيث لا يستطيع الناس؛ و المأمون و اشياعه تحمل ذلك، و الصبر عليه، و يكون له و لهم كل العذر في تصفيته، و التخلص منه.

و إما أن لا- يتحمل مسئولية الحكم، و لا يأخذ على عاتقه قيادة الامة، و إنما تكون مهمته، و ما يأخذه على عاتقه هو فقط تنفيذ إرادات المأمون، و أشياعه من المنحرفين. و يكون هو الواجهة التي يختفي وراءها الحكام الحقيقيون، المأمون و من لف لفه ..

و واضح أن نتيجة ذلك سوف تكون أعظم خطرا على الإمام، و على العلويين، و على الامة بأسرها، و أشد فداحة من نتيجة الخيار السابق؛ حيث يكون قد قضى بذلك على كل آمال الامة، و كل توقعاتها.

و ذلك هو كل ما يريده المأمون، و يسعى من أجل الحصول عليه، بكل ما أوتي من قوة و حول ..

و ثالثا:

إن من الواضح: أن عرض المأمون التنازل عن الخلافة للامام (ع)، لا يعني أبدا أن المأمون سوف لا يحتفظ لنفسه بأيّ من

الامتيازات؛ التي تضمن له- في نظره- نصيبا من الأمر (1). و لسوف يرى الناس كلهم أن له كل الحق في ذلك ..

كما أن ذلك لا يعني أنه سوف لا يعود له نفوذ في الاوساط ذات النفوذ و القوة. بل إنني أعتقد أنه سوف يكون في تلك الحال أقوى بكثير منه في غيرها؛ حتى إن المنصب للإمام (ع)، قد يكون شكليا، و مركزه صوريا، لا حول له فيه و لا قوة ..

و حينئذ .. و إذا كان المأمون سوف يبقى له نفوذ و قوة، و إذا كان سوف يشترط لتنازله عن الخلافة للامام، ما يضمن له استمرار تلك القوة، و ذلك النفوذ، بل و عودة الخلافة له في نهاية الأمر .. فلسوف لا يصعب عليه كثيرا أن يدبر- و هو الداهية الدهياء- في الإمام (ع) بما يحسم عنه مواد بلائه، على حد تعبير المأمون ..

و ليطمئن- من ثم- خاطره، و يهدأ باله؛ حيث يكون قد حقق كل ما كان يصبو و يطمح إلى تحقيقه. كما أنه يكون قد اصبح يمتلك اعترافا من العلويين بشرعية خلافته .. بل يكون العلويون على يد أعظم شخصية فيهم، هم الذين رفعوه على العرش و سلموا إليه أزمّة الحكم و السلطان .. إلى آخر ما هنالك مما قدمناه، و لا نرى ضرورة لاعادته ..

و في النهاية

: و الآن .. و بعد أن ألقينا نظرة سريعة على مدى جدية المأمون، في عرضه للخلافة على الإمام (ع)، و تحدثنا عن الوضع الذي سوف ينتج لو أن الإمام قبل ذلك العرض .. فإن من الطبيعي أن نتطلع لنعرف ما هو موقف الإمام من تلك اللعبة- لعبة ولاية العهد- و ما هي خطته في مواجهة ما يعلمه من خطط المأمون، و أهدافه الشريرة ...

فإلى الفصل التالي، و الذي بعده ...

ص: 298

1- كأن يشترط أن يكون هو الوزير، أو ولي العهد مثلا.

موقف الامام (ع):

سؤال يطرح نفسه:

هل يعقل أن رجلا تعرض عليه الخلافة، أو ولاية العهد، بل ما هو أقل منهما بمراتب؛ و يعرف جدية العرض، ثم يرفض ذلك رفضا قاطعا، ثم يهدد، فلا يقبل إلا بما هو أبعد منالا، و أقل احتمالا- بالنسبة إلى سنه- و بشروط تبعده كل البعد عن مسرح السياسة و الحكم، و تجعل من كل شي ء مجرد إجراءات شكلية، لا أثر لها ...

هل يعقل أن رجلا من هذا القبيل- يسلم من أن ينسب إلى ما لا يرضى أحد بأن ينسب إليه؟!! ... اللهم إلا إذا كان هناك ما هو أعظم، و أدهى و أخطر من ذلك المنصب، و إلا إذا علم أنه سوف يدفع ثمن ذلك غاليا، و غاليا جدا، ألا و هو نفسه التي بين جنبيه!! ...

و الامام ... الذي نعرف، و يعرف كل أحد: أنه ذلك الرجل الجامع لكل صفات الفضل و الكمال: من العلم، و العقل، و الحكمة، و الدراية، و التقى، شهد له بذلك أعداؤه و محبوه، على حد سواء- هذا الامام ...

قد رفض كلا عرضي المأمون: الخلافة، و ولاية العهد ... رفضهما رفضا

باتا و قاطعا، و لم يقبل ولاية العهد إلا على كره و اجبار منه، و إلا و هو باك حزين، و عاش بعد ذلك في ضـيق شديد، و محنة عظيمة، حتى إنه كان يدعو اللّه بالفرج بالموت!! ...

و عليه ... أ فلا يكفي موقف الامام هـذا، و سائر مواقفه من مختلف تصـرفات المأمون، لأن يضع علامـة اسـتفهام كبيرة حول طبيعيـة هـذا الحدث؟! ...

أ لم يكن من الواجب أن يكون الامام (ع) مستبشرا مبتهجا كل الابتهاج لما سيؤول إليه أمره. و مدافعا عن المأمون، و نظام حكمه، و مناصرا له، بكل ما أوتي من قوة و حول؟! ...

ثم أ لا يفهم من ذلك كله: أنه (ع) كان يدرك ما يكمن وراء قبوله لأي من العرضين من مشاكل، و ما ينتظره من أخطار؟! ...

و أن ذلك ليس إلا شركا يقصد ايقاعه به، و من بعده كل العلويين، و شيعتهم للقضاء عليه و عليهم، و إلى الابد!!! ...

و إذا كان الامام (ع) يعرف الحقيقة، كل الحقيقة ... فهل يمكن أن نتصور أن يكون راضـيا بأن يجعله المأمون وسيلة لأغراضه، و آلة لتحقيق مآربه و أهدافه؟!! و لا سيما إذا لاحظنا أنه يعرف أكثر من أي انسان آخر ما لتلك اللعبة من عواقب سيئة، و ما تحمله في طياتها من آثار، ليس عليه هو، و على العلويين، و المتشيعين لهم فحسب ... و إنما على الامة بأسرها إن حاضرا، و إن مستقبلا!! ...

هذا كله عدا عن أن هذه اللعبة سوف تكون بمثابة قطع الطريق عليه في أي تحرك يقوم به، و أي نشاط إصلاحي يمارسه؛ حيث لم يعد

يستطيع أن يكون في المستقبل قائدا للحركة المضادة للمأمون، و نظام حكمه، القائم على غير أساس شرعي، و منطقي سليم (1) ...

لا يرضى الإمام (ع)، و لا يقتنع المأمون:

لا ... لا يمكن أن يرضى الإمام بذلك، و خصوصا بعد أن تلقى العلم عن آبائه الصادقين، عن النبي (ص) الذي لا ينطق عن الهوى: بأن ذلك شي ء لا يتم، و أوضح ذلك بما كتبه على وثيقة العهد الآتية بخط يده، حيث قال: «و الجفر و الجامعة يدلان على ضد ذلك، لكنني امتثلت أمر أمير المؤمنين ...».

لا ... لا يمكن أن يرضى ببيعة يعلم أنها لا تتم له، و إنما تخدم مصالح آخرين. و تحقق لهم مآربهم، على حساب الدين، و الامة؛ و لهذا رفض بشدة و عنف، و أصر عليه المأمون بشدة و عنف أيضا ...

و لم يكن ليقنع المأمون شي ء، بعد أن كان يرى أن القضية بالنسبة إليه قضية مصير و مستقبل. و هو مستعد لأن يضحي بكل شي ء في سبيل مصيره و مستقبله، كما ضحى بأخيه و أشياعه من قبل ..

و إنه إذا تأكد لديه رفض الإمام (ع) القاطع، و تصور ما سوف تؤول إليه حاله نتيجة لذلك الرفض؛ فلسوف لا يألو جهدا، و لا يدخر

1- و في كتاب: الامامة للشيخ محمد حسن آل ياسين ص 86، قال إنه عليه السلام وافق على فكرة ولاية العهد؛ لتكون فترة امتحان و تجربة للمأمون ... و لا يخفى ما فيه؛ فان كل الدلائل و الشواهد كانت تشير إلى أن الامام عليه السلام كان يعلم بحقيقة نوايا المأمون و أهدافه، و لم تكن ثمة حاجة إلى امتحان و تجربة، كما اتضح و سيتضح إن شاء اللّه تعالى ...

وسعا في الانتقام لنفسه من الإمام (ع)، و من كل من تصل إليه يده، ممن له به (ع) أية صلة أو رابطة ...

هي قضية مصير:

و بأوضح بيان نقول: إنه لم يكن امتناع الإمام (ع) عن قبول ولاية العهد بالذي يثني المأمون عما كان قد عقد العزم عليه؛ لأن الاسباب التي كانت تدعوه لذلك لم تكن تسمح له أبدا بالاصغاء لهذا الرفض؛ فهي تحتم عليه أن يفعل ذلك، مهما كلفه الأمر، و مهما كانت النتائج.

و لم يكن لديه مانع من تنفيذ تهديداته، لو علم أنه لا سبيل إلى تنفيذ ما يصبو إليه، و الحصول على ما يريد الحصول عليه؛ فالقضية بالنسبة إليه هو المتعطش إلى الحكم و السلطة قضية مصير و مستقبل، لا يمكن المساومة معها، و لا مجال لغض النظر و التساهل فيها ...

و إذا كان قد قتل أخاه من أجل الملك و في سبيله؛ فأي مانع يمنعه من قتل الرضا (ع) من أجل الملك أيضا، و في سبيله ... أم يعقل أن يكون الرضا أعز عليه من أخيه، و سائر من قتل من وزرائه هو، و قواده، و أشياعه؟!؟ ...

و لسوف لا نستغرب على المأمون- بعد قتله أخاه- الاقدام على أي تصرف في سبيل الملك، حتى الاقدام على قتل الرضا (ع)، بعد أن كان أبوه الرشيد قد أملى عليه درس «الملك عقيم»، و قال له:

«و اللّه، لو نازعتني أنت هذا الأمر؛ لأخذت الذي فيه عيناك؛ فإن الملك عقيم ...» (1).

ص: 302

1- شرح ميمية أبي فراس ص 73، و البحار ج 48 ص 131، و قاموس الرجال ج 10 ص 370، و عيون أخبار الرضا ج 1 ص 91، و ينابيع المودة ص 383، مع بعض تحريف لها، و غير ذلك ...

و لم يكن ليخفى عليه أيضا قول موسى بن عيسى، عند ما رأى عبادة الحسين بن علي و أصحابه، في وقعة فخ: «... هم و اللّه، اكرم عند اللّه، و أحق بما في أيدينا منا، و لكن الملك عقيم. و لو أن صاحب هذا القبر (يعني النبي (ص))، نازعنا الملك ضربنا خيشومه بالسيف ...» (1).

و المنصور أيضا قد قرر هذه القاعدة بالذّات حينما اعترض عليه سليمان بن مهران الاعمش على قتله أولاد علي (ع) (2).

و هذا الدرس قد أخذه الكل عن عبد الملك بن مروان؛ فإنه عند ما قتل مصعب بن الزبير بكى، و قال: «لقد كان أحب الناس إليّ، و أشدهم مودة لي، و لكن الملك عقيم؛ ليس أحد يريده من ولد و لا والد إلا كان السيف» (3).

بل و حتى نفس أخيه الأمين، عند ما لم يعد له نجاة من براثن أخيه المأمون، نراه يتذكر هذه القاعدة، فيقول: «هيهات، الملك عقيم، لا رحم له ...» (4).

و لقد عمل المأمون بهذه القاعدة؛ فقتل أخاه، و أعطى الذي جاءه برأسه مليون درهم، بعد أن سجد شكرا للّه، و نصب الرأس على خشبة ليلعنه الناس، إلى آخر ما مر تفصيله ...

و إذا كانت القضية بالنسبة إلى المأمون قضية مصير و مستقبل و قضية ملك و سلطان؛ فطبيعي إذن أن نراه يخاطر بالخلافة (و ان كنا قدمنا أن ذلك كان منه سياسة و دهاء من أجل التمهيد لفرض ولاية العهد)،5.

1- مقاتل الطالبيين ص 453، و ثمرات الأعواد 199، 200، و شرح ميمية أبي فراس ص 74.

2- مناقب الخوارزمي ص 208.

3- شرح النهج للمعتزلي ج 3 ص 296، و طبقات ابن سعد ج 5 ص 168، و البداية و النهاية ج 8 ص 316.

4- تتمة المنتهى ص 185.

و أقـدم على التخلي عن ولايـة العهد، مع أن العباس ابنه و سائر ولده كانوا أحب إلى قلبه، و أجلى في عينه من كل أحد، على حد تعبيره في رسالته للعباسيين ...

و لقـد قـدمنا الشـرح الكـافي و الوافي لحقيقـة الظروف و الأسـباب، التي دعت المـأمون إلى ذلك، و التي هي دون شك كافيـة لأن تجعل المأمون يقدم على أي عمل- و لو كان انتحاريا- من أجل انقاذ نفسه و خلافته، و العباسـيين ... حتى و لو كان ذلك الشـي ء هو قتل الإمام (ع) ... و لقد أخبر الإمام كرّات، و مرات: أنه لم يقبل إلا بعد أن اشرف من المأمون على الهلاك ...

مبررات قبول الإمام لولاية العهد:

و لقد قبل الإمام (ع) ولاية العهد، و لكن ... بعد أن عرف أن ثمن رفضه لها لن يكون غير نفسه التي بين جنبيه. هذا عدا عما سوف يتبع ذلك من تعرض العلويين، و كل من يتشـيع لهم إلى أخطار هم في غنى عنها ... و لو فرض أنه كان له هو (ع) الحق- في مثل هـذه الظروف- في أن يعرض نفسه للهلاك، فلن يكون له حق أبدا في أن يعرض غيره من شيعته و محبيه، و العلويين أجمع إلى الهلاك أيضا ...

هـذا ... عـدا عن أنه (ع) كان عليه أن يحتفظ بحياته، و حياة شـيعته و محبيه؛ لأن الامة كانت بأمس الحاجة إلى وعيهم و إدراكهم؛ ليكونوا لها قدوة و منارا، تهتدي، و تقتدي به، في حالكات المشاكل، و ظلم الشبهات ...

نعم ... لقـد كـانت الامـة بـأمس الحاجـة إلى الإمام (ع)، و إلى من رباهم الإمام؛ حيث كان قـد غزاها في ذلك الوقت تيار فكري، و ثقافي غريب، من الزندقة و الالحاد، و شاعت فيها الفلسفات و التشكيكات

بالمبادئ الإلهيـة الحقـة؛ فكان على الإمام (ع) أن يقف، و يقوم بواجبه، و ينقذ الامة، و لقد كان ذلك منه بالفعل؛ فلقد قام بواجبه، و أدى ما عليه، على أكمل وجه، رغم قصر المدة التي عاشها بعد البيعة نسبيا؛ و لهذا نقرأ في الزيارة الجوادية؛ «... السلام على من كسرت له و سادة والده أمير المؤمنين؛ حتى خصم أهل الكتب، و ثبت قواعد الدين ...» (1)

و المراد بذلك: الإمام الرضا (ع) ...

و لو أنه (ع) رفض ولايـة العهد، و عرض نفسه، و شـيعته، و محبيه للهلاك فلسوف لا يكون لموته؛ و موتهم أدنى أثر في هذا السبيل، بل كان الاثر عكسيا، و خطيرا جدا ...

أضف إلى ذلك: أن قبول الإمام بولاية العهد، معناه اعتراف من العباسـيين عملا، مضافا إلى القول: بأن العلويين لهم حق في هذا الأمر، بل إنهم هم الأحق فيه، و أن الناس قد ظلموهم حقهم هذا.

و أن ظلم الناس لهم ليس معناه عدم ثبوت ذلك الحق لهم ...

و قد رأينا ابن المعتز يهتم في الاستدلال على أن جعل المأمون الرضا وليا للعهد، لا يعني أن الحق في الخلافة كان للرضا و العلويين، دون المـأمون و العباسـيين؛ و أنه انمـا أعطاهم ذلك عن طريق التقوى و الورع، و ليثبت لهم أن الخلافـة التي ثاروا من أجل الوصول إليها و قتلوا انفسهم في سبيلها لا تساوي عنده جناح بعوضه، فهو يقول:

و أعطاكم المأمون حق خلافةلنا حقها لكنه جاد بالدنيا

ليعلمكم أن التي قد حرصتم عليها و غودرتم على اثرها صرعى 3.

1- البحار ج 102 ص 53.

يسير عليه فقدها غير مكثركما ينبغي للصالحين ذوي التقوى

فمات الرضا من بعـد ما قد علمتم و لاذت بنا من بعده مرة أخرى (1) و أيضـا ... حتى لا يتناساهم الناس، و يقطعوا آمالهم بهم. و حتى لا يصـدق النـاس مـا يشـاع عنهم من أنهم مجرد علمـاء فقهـاء، لاـ يهمهم العمل لما فيه خير الامـة. و لا يفكرون في الخروج إلى المجتمع بصـفتهم رواد صلاح و اصلاح و لعل إلى ذلك كله، يشير الإمام (ع) في قوله لمحمد ابن عرفة، عند ما سأله عن قبوله بولاية العهد؛ فقال له: «يا ابن رسول اللّه، ما حملك على الدخول في ولاية العهد؟!!» ... فأجابه الإمام (ع): «ما حمل جدي على الدخول في الشورى ...» (2).

هـذا بالإضافـة إلى أنه يكون في فترة ولاية العهد قد أظهر المأمون على حقيقته أمام الناس، و عرّفهم بواقع و اهداف كل ما أقدم عليه، و أزال كل شبهة و لبس في ذلك. كما قد حدث ذلك بالفعل ...

هل الإمام راغب في هذا الأمر:

و لكن هـذا كله و سواه، لا يعني أن الإمام (ع) كان راغبا في أي من الخلافـة، أو ولايـة العهد؛ فإن ما ذكرناه لا يبرر ذلك؛ حيث إنه لا يعدو عن أن يكون من الفوائد التي كان يمكن الحصول على بعضها

1- مناقب ابن شهرآشوب ج 4 ص 365. و ديوان ابن المعتز ص 22- 23 و ان اهتمام ابن المعتز الواضح بقضـية الرضا مع المأمون، كما يظهر من شـعره هنا، و الذي قدمناه مع التعليق عليه في فصل: ظروف البيعة ... يدلنا على أن هذه القضـية كان لها في الامة صدى واسعا، و آثارا هامة، لم يكن بوسع ابن المعتز التغاضي عنها، و السكوت عليها.

2- راجع: مناقب آل أبي طالب ج 4 ص 364، و معادن الحكمة ص 192، و عيون أخبار الرضا ج 2 ص 140، و البحار ج 49 ص 140 .141

من دون الـدخول في هـذا الأمر. و البعض الآخر لا يساوي في أهميته و خطره، ما سوف يجره الدخول في هذا الأمر من مآس و مشاكل، و ما سوف يترتب عليه من آثار سيئة و خطيرة.

و قـد قـدمنا في الفصـل السـابق البيـان الكـافي و الوافي، لمـا سوف يعترض طريق الإمام (ع) من عقبات في الحكم؛ لو أنه كان قبل عرض الخلافة، و كيف ستكون النهاية له، و لنظام حكمه ...

و هو يوضح لنا أيضا حقيقة حاله، و نظام حكمه لو أنه قبل ولاية العهد أيضا؛ إذ أنه (ع) كان يعلم: أن وصوله للخلافة، و تسلمه لأزمة الحكم و السلطان تعترضه عقبات صعبة، و أهوال عظيمة، لن يكون من اليسير التغلب عليها، و تجاوزها.

فلقد كان يعلم- كما أظهرت الأحداث و الوقائع بعد ذلك- أنه لن يسلم من دسائس المأمون و أشياعه، بحيث يبقى محتفظا بحياته، أو على الأقل بمركزه، إلى ما بعـد وفاة المأمون، و لـم يكن يشك في أن المأمون سوف يقـدم على كل غريبـة؛ من أجل التخلص منه، و تصـفيته، إن جسديا، و ان معنويا ...

بل ... و حتى لو أن المأمون لم يقـدم على أي عمل، فإن آماله بالبقاء على قيـد الحياة إلى ما بعـد وفاة المأمون، و هو بهـذه السن المتقدمة، بالنسـبة لسن المأمون ... كانت ضـعيفة جدا، لا تبرر له الاقدام على قبول مثل هذا الأمر، إلا إذا كان يريد أن يعطي الناس انطباعا عن نفسه، بأنه لم يزهـد بالـدنيا، و إنما الـدنيا هي التي زهدت فيه، كما كان يريد المأمون!!! و مع غض النظر عن كل ذلك ... فإنه لو قدر له البقاء على قيد الحياة إلى ما بعد وفاة المأمون، فلسوف يصـطدم بتلك العناصر القوية ذات النفوذ، و التي لن ترضى عن سلوكه في الحكم بصورة عامة، و فوق

ذلك كله، لسوف يصطدم بمؤامرات العباسيين، و أشياعهم، و الذين كانوا على استعداد لأن يعملوا المستحيل للحيلولة بينه و بين ذلك، و لو تمكن من ذلك؛ فلسوف لا يدخرون وسعا، و يجندون كل ما لديهم من طاقة و قوة و حول؛ من أجل زعزعة حكمه، و تقويض سلطانه، و خلق المشاكل الكثيرة له؛ لتضاف إلى ذلك الركام الهائل من المشاكل التي كانت تواجه الحكم ...

إنهم سوف لا يمكنونه من قيادة الامة قيادة صالحة، و سليمة و حكيمة؛ و ليمنى- من ثم- بالفشل الذريع، و الخيبة القاتلة ...

و لسوف يجدون هناك مرتعا خصبا لمؤامراتهم، و دسائسهم في تلك الدولة المترامية الأطراف، الطافحة بالمشاكل، و ذلك عند ما يجدون أن الإمام (ع) لن يرضى إلا أن يحكم بحكم جدّيه محمد (ص) و علي (ع).

و أن الناس بمختلف فئاتهم و طبقاتهم سوف لا يكونون مستعدين لتقبل حكم كهذا. و لا أن ينقادوا لحاكم يريد منهم ذلك، و يخضعوا لارادته، بعد أن كانوا قد اعتادوا على حياة الخلفاء الامويين، و العباسيين، المليئة بالانحرافات و الموبقات ...

اللهم إلا أن يقوم الإمام (ع) في فترة ولاية العهد، أو بداية حكمه باعداد مسبق، و تعبئة عامة و شاملة، على جميع المستويات، و في مختلف المجالات ... و لن يفسح العباسيون، و المأمون، و أشياعهم له المجال للقيام بذلك الاعداد، و تلك التعبئة مهما كلفهم ذلك من تضحيات.

فالسلبية اذن هي الموقف الصحيح:

و بعد كل ما تقدم: فإن من الطبيعي أن لا يفكر الإمام (ع) في الوصول إلى الحكم عن مثل هذا الطريق الملتوي، و المحفوف بالأخطار، و الذي لن يحقق له أي هدف من أهدافه. بل على العكس: سوف يكون

موجبا للقضاء عليه، وعلى كل آماله، و كل العلويين، و المتشيعين لهم، و يحقق فقط آمال الآخرين، و أهـدافهم ... و لسوف يكون إقدامه على عمل من هذا النوع عملا انتحاريا، لا مبرر له، و لا منطق يساعده.

لا بد من خطة لمواجهة الموقف:

و أخيرا ... و إذا كان لم يكن للرضا (ع) خيار في قبول ولاية العهد ...

و إذا كان لا يمكن أن يقبل بأن يجعل وسيلة لتحقيق أهداف، و آلة يتوصل بها إلى مآرب يمقتها، و يكرهها كل الكره؛ لعلمه بما سوف يكون لها من آثار سيئة و خطيرة، على حاضر الامة، و مستقبلها، و على مستقبل هذا الدين. و كذلك لا يمكنه أن يسكت، و يظهر بمظهر الموافق، و المؤيد، و المساعد ...

فان كل ما يمكن له أن يفعله- بعد هذا- هو أن يضع خطة، يستطيع بها مواجهة مؤامرات المأمون، و إحباط مخططاته؛ حتى لا يزداد الوضع سوءا، و الطين بلة ...

فإلى الحديث عن خطته هذه في الفصل التالي ...

ص: 309

خطة الامام (ع)

انحراف الحكام:

إن أدنى مراجعة لتاريخ الحكام آنذاك- العباسيين و الامويين على حد سواء- لكفيلة بأن تظهر بجلاء مدى منافاة تصرفات أولئك الحكام، و سلوكهم، و حياتهم لمبادئ الاسلام و تعاليمه ... الاسلام، الذي كانوا يستطيلون على الناس به، و يحكمون الامة- حسب ما يدّعون- باسمه، و في ظله ... حتى لقد اصبح الناس، و الناس على دين ملوكهم، يتأثرون بذلك، و يفهمون خطأ: أن الاسلام لا يبتعد كثيرا عما يرون، و يشاهدون؛ مما كان من نتائجه شيوع الانحراف عن الخط الاسلامي القويم. بنحو واسع النطاق، ليس من السهل بعد السيطرة عليه، أو الوقوف في وجهه ...

العلماء المزيفون و عقيدة الجبر:

و لقد ساعد على ذلك، و زاد الطين بلة، فريق من أولئك الذين اشتريت ضمائرهم، ممن يتسمّون، أو بالأحرى سماهم الحكام ب «العلماء»؛ حيث إنهم قاموا يتلاعبون بمفاهيم الاسلام، و تعاليمه؛

ص: 310

لتوافق هوى، و تخدم مصالح أولئك الحكام المنحرفين، الذين أغدقوا عليهم المال، و غمروهم بالنعمة.

حتى إن أولئك المأجورين قد جعلوا عقيدة الجبر- الواضح لكل أحد زيفها و سخفها- من العقائد الدينية الاسلامية!!.؛ من أجل أن يسهلوا على أولئك الحكام استغلال الناس، و لكي يوفروا لهم حماية لتصرفاتهم تلك، التي ينـدى لها جبين الانسان الحر ألما و خجلا؛ إذ أنهم يكونون بذلك قد جعلوا كل ما يصدر منهم هو بقضاء من اللّه و قدره؛ و لذا فليس لأحد الحق في أن ينكر عليهم أي تصرف من تصرفاتهم، أو أي جناية من جناياتهم ...

و كان قد مضى على ترويجهم هذه العقيدة المبتدعة- حتى زمان المأمون- أكثر من قرن و نصفا، أي من أول خلافة معاوية، بل و حتى قبل ذلك أيضا ... بزمان طويل!!

عقيدة الخروج على سلاطين الجور:

كما أنهم- أعني هؤلاء العلماء- قد جعلوا الخروج على سلاطين الجور و الفساد موبقة من الموبقات، و عظيمة من العظائم ...

و قد جرحوا بذلك عددا من كبار العلماء: مثل الإمام أبي حنيفة و غيره؛ بحجة أنه: «يرى السيف في أمة محمد» (1) ...

ص: 311

1- راجع: نظرية الامامة، للدكتور أحمد محمود صبحي، و غيره ... و في تاريخ بغداد ج 5 ص 274: أنه قيل لأبي مسهر: كيف لم تكتب عن محمد بن راشد؟! قال: «كان يرى الخروج على الأئمة» ... و في طبقات الحنابلة لأبي يعلى ج 3 ص 58، في مقام ترجيح سفيان على حسن بن حي، كان من جملة ما جرحه به أنه: «كان يرى السيف». و مثل ذلك كثير لا نرى حاجة لاستقصائه.

بل لقد جعلوا عدم جواز الخروج هذا من جملة العقائد الدينية، كما يظهر من تتبع كلماتهم (1).

أما عقائد التشبيه، و قضية خلق القرآن، فلعلها أشهر من أن تذكر، أو تحتاج إلى بيان.

و الذي زاد الطين بلة:

يضاف إلى ذلك كله غرور الحكام، الذي لا مبرر له، و كذلك من لف لفهم، الذين كانوا يحكمون الامة باسم الدين ...

و كذلك غفلة الناس، و عدم إدراكهم لحقيقة ما يجري و ما يحدث، و للواقع المزري، الذي كان قائما آنذاك ...

و أيضا ... و هو الأهم من كل ذلك- ابتعادهم؛ بسعي من الهيئات الحاكمة، عن أهل بيت النبوة، و معدن الرسالة ...

كل ذلك ... قد أدى بالفعل إلى انحلال الدولة داخليا، و تمزيق أوصالها ... كما و أنه قد أسهم إسهاما كبيرا في ابعاد الناس عن تعاليم السماء، و شريعة اللّه ... الأمر الذي لم يكن يعني إلا نهاية الحكم الإسلامي،

ص: 312

1- حسبما صرح به أحمد بن حنبل في رسالة «السنة»، و هي عقائد أهل الحديث، و السنة. و قد أوردها أبو يعلى في طبقات الحنابلة ج 1 ص 26. و صرح بذلك أيضا الأشعري في مقالات الاسلاميين ج 1 ص 323، و في الإبانة ص 9. و قد علل ذلك في نظرية الامامة ص 417 بقوله: «... ذلك أنها: إن كانت بلوى من اللّه عقابا لهم؛ فما ثورتهم برادة عقاب اللّه، و إن كانت محنة للمسلمين؛ فما هم برادي قضاء اللّه»!!. و في كتاب السنة قبل التدوين ص 467، نقل عن ابن خزيمة، في وصفه الطاعنين على أبي هريرة، قوله: إنهم إما معطل جهمي ... «و إما خارجي يرى السيف على امة محمد، أو قدري، اعتزل الاسلام، و أهله الخ ...» ...

وردة الناس إلى الجاهلية الجهلاء ... الأمر الذي لم يكن يرهب الحكام كثيرا؛ لأن الإسلام الذي يريدون، و الدين الذي ينشدون، هو ذلك الـذي يسـتطيعون أن يتسـلطوا على الامـة، و يسـتأثروا بقدراتها و امكاناتها في ظله. و يمهد لهم السبيل لاسـتمرار هم في فرض نفوذهم و سيطرتهم، و لو كان ذلك على حساب جميع الشرائع السماوية، و كل المفاهيم الانسانية ...

إن أولئـك الحكـام، ما كانوا يفكرون إلا في وسائل بقائهم و اسـتمرارهم في الحكـم، و إلا في شـئونهم و مصالحهـم الخاصـة بهـم. أما الامة المسـلمة، و أما الإسـلام، فلم يكن لهما لـديهم أية قيمة، أو شأن يذكر، إلا في حدود ما يسـتطيعون الافادة منهما في بقائهم و وجودهم في الحكم و السلطة ...

الأئمة في مواجهة مسئولياتهم:

و في هذا الوسط الغريب: من غفلة الناس، و من سيرة الحكام، و المتسمين بالعلماء و سلوكهم ... كان الأئمة عليهم السلام يؤدون واجبهم في نشر تعاليم السماء، و يكافحون، و ينافحون عنها، بقدر ما كانت تسمح لهم ظروفهم، التي كانت في ظل سلطان أولئك المنحرفين قاسية إلى حد بعيد.

و أما عن الامام الرضا بالذات:

و قـد سـنحت للامـام الرضا (ع) فرصـة لفترة وجيزة، كان الحكام منشـغلين فيها بأمور تهمهم ... للقيام بواجبه في توعيـة الامـة، و تعريفها بتعاليم الإسـلام. و ذلك في الفترة التي تلت وفاة الرشـيد، و حتى قتل الأمين. بل نستطيع أن نقول: إنها امتدت- و لو بشكل محدود- حتى وفاة الإمام (ع) في سنة (203). الأمر الذي كان من نتيجته ازدياد

نفوذه (ع)، و اتساع قاعدته الشعبية؛ حتى لقد كانت كتبه تنفذ في المشرق و المغرب. و كان هو الأرضى في الخاصة و العامة، حسما ألمحنا إليه من قبل.

الخطة الحكيمة:

و عند ما أراد المأمون أن ينفذ خطته في البيعة له بولاية العهد، و عرف الرضا: أن لا مناص له من قبول ذلك، كان من الطبيعي أن يعد (ع) العدة، و يضع خطة لمواجهة خطط المأمون، و احباط أهدافه الشريرة، و التي كان أهونها القضاء على سمعة الامام (ع)، و تحطيمه معنويا و اجتماعيا.

و لقد كانت خطة الإمام هذه في منتهى الدقة و الإحكام. و قد نجحت أيما نجاح في إفشال المؤامرة، و تضييع كثير من أهدافها، و جعل الامور في صالح الإمام (ع)، و في ضرر المأمون ... حتى لقد ضاع رشد المأمون (بل و رشد أشياعه أيضا)، و هو أفعى الدهاء و السياسة، و لم يعد يدري ما يصنع، و لا كيف يتصرف ...

مواقف لم يكن يتوقعها المأمون:

اشارة

و لعلنا نستطيع أن نسجل هنا بعض المواقف للامام (ع)، التي لم يكن المأمون قد حسب لها حسابا، و التي كانت ضمن خطة الإمام (ع) في مواجهة مؤامرات المأمون ...

الموقف الأول:

اننا نلاحظ أن الإمام (ع) قد رفض دعوة المأمون، و هو في المدينة

و لم يقبل إلا بعد أن علم أنه لا يكف عنه ... بل إن بعض النصوص تشير إلى أنه قد حمل إلى مرو بالرغم عنه، لا باختياره ...

و ما ذلك إلا ليعلم المأمون: أن حيلته لم تكن لتجوز عليه، و أنه (ع) على علم تام بأبعاد مؤامرته و أهدافها ... كما أنه بذلك يثير شكوك الناس و ظنونهم حول طبيعة هذا الحدث، و سلامة النوايا فيه.

الموقف الثاني:

اشارة

إنه رغم أن المأمون كان قد طلب من الإمام (ع)- و هو في المدينة- أن يصطحب معه من أحب من أهل بيته في سفره إلى مرو ...

انه رغم ذلك ... نلاحظ: أنه (ع) لم يصطحب معه حتى ولده الوحيد الإمام الجواد (ع)، مع علمه بطول المدة، التي سوف يقضيها في هذا السفر، الذي سوف يتقلد فيه زعامة الامة الإسلامية، حسب ما يقوله المأمون ... بل مع علمه بأنه سوف لن يعود من سفره ذاك، كما تؤكد عليه كثير من النصوص التاريخية ...

شكوك لها مبرراتها:

و نرى أننا مضطرون للشك في نوايا المأمون و اهدافه من وراء طلبه هذا «أن يصطحب الامام (ع) من شاء من أهل بيته إلى مرو» ...

بعد أن رأينا: أنه لم يرجع أحد ممن ذهب مع محمد بن جعفر الى مرو، و لا رجع محمد بن جعفر نفسه، و لا رجع محمد بن محمد بن زيد، و لا غير هؤلاء، كما سيأتي بيانه في الفصل التالي و غيره ...

فلعل الامام (ع)، بل إن ذلك هو المؤكد، الذي تدل عليه

تصريحاته و تصرفاته حين تأهب للسفر – لعله– قد فطن لنوايا المأمون هذه؛ فضيع الفرصة عليه، و أعاد كيده إليه ...

الموقف الثالث:

سلوكه في الطريق، كما وصفه رجاء بن أبي الضحاك (1)، حتى اضطر المأمون لأن يظهر على حقيقته، و يطلب من رجاء هذا: أن لا يذكر ما شاهده منه لأحد؛ بحجة أنه لا يريد أن يظهر فضله إلا على لسانه (2)، و لكننا لم نره يظهر فضله هذا، حتى و لو مرة واحدة؛ فلم يدّع أحد أنه سمع شيئا من المأمون عن سلوك الامام (ع)، و هو في طريقه إلى مرو. و أما رجاء، فلعله لم يحدث بذلك إلا بعد أن لم يعد في ذلك ضرر على المأمون، و بعد أن ارتفعت الموانع، و قضي الأمر ...

الموقف الرابع:

اشارة

موقفه في نيشابور، الذي لم يكن أبدا من المصادفة. كما لم يكن ذكره للسلسلة التي يروي عنها من المصادفة أيضا؛ حيث أبلغ الناس في ذلك الموقف، الذي كانت تزدحم فيه أقدام عشرات بل مئات الالوف (3)– أبلغهم–: «كلمة لا إله إلا اللّه حصني؛ فمن دخل

1- راجع: البحار ج 49 من ص 91 حتى 95، و عيون أخبار الرضا ج 2 ص 181 فما بعدها. و هو كلام معروف لا ترى أننا بحاجة لتكثير مصادره هنا ...

2- البحار ج 49 ص 95، و عيون أخبار الرضا ج 2 ص 183.

3- و ذلك يدل على مدى تعاطف الناس مع أهل البيت، و محبتهم لهم. الأمر الذي كان يرعب المأمون و يخيفه ... حتى لقد كان يحاول كبت عواطف الناس هذه، و هذا هو السبب في منع الامام من المرور عن طريق الكوفة و قم، كما سيأتي ...

حصني أمن من عذابي (1)» ... الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملي 317 الموقف الرابع: ..... ص : 316

ه الكلمة ... التي عد أهل المحابر و الدوى، الذين كانوا يكتبونها؛ فانافوا على العشرين الفا ... هذا على قلة من كانوا يعرفون القراءة و الكتابة آنذاك، و عدا عمن سواهم ممن شهد ذلك الموقف العظيم ...

«. و نلاحظ: أنه (ع)- في هذا الظرف- لم يحدثهم عن مسألة فرعية، ترتبط ببعض مجالات الحياة: كالصوم، و الصلاة، و ما شاكل. و لم يلق عليهم موعظة تزهدهم في الدنيا، و ترغبهم في الآخرة، كما كان شأن العلماء آنذاك ...

كما أنه لم يحاول أن يستغل الموقف لاهداف شخصية؛ أو سياسية، كما جرت عادة الآخرين في مثل هذه المواقف ... مع أنه يتوجه إلى مرو؛ ليواجه أخطر محنة تهدد وجوده، و تهدد العلويين، و من ثم الامة بأسرها.

و انما كلم الناس باعتباره القائد الحقيقي، الذي يفترض فيه: أن يوجه الناس- في ذلك الظرف بالذات- إلى أهم مسألة ترتبط بحياتهم، و وجودهم، إن حاضرا، و إن مستقبلا. ألا و هي مسألة:

التوحيد ... التوحيد: الذي هو في الواقع الأساس للحياة الفضلى، بمختلف جوانبها، و إليه تنتهي، و عليه و به تقوم ...

التوحيد: الذي ينجي كل الامم من كل عناء و شقاء و بلاء. و الذي إذا فقده الانسان؛ فإنه يفقد كل شي ء في الحياة حتى نفسه ...

مدى ارتباط مسألة الولاية بمسألة التوحيد:

هذا ... و لأنه قد يكون الكثيرون ممن شهدوا ذلك الموقف لم يتهيأ

ص: 317

1- قد ذكرنا بعض مصادر هذه القضية في فصل: «شخصية الامام الرضا» فمن أراد فليراجع ...

لهم سماع كلمة الإمام (ع)؛ لانشغالهم مع بعضهم بأحاديث خاصة؛ أو لتوجههم لامور جانبية أخرى، كما يحدث ذلك كثيرا في مناسبات كهذه ...

نرى الإمام (ع) يتصرف بنحو آخر؛ حيث إنه عند ما سارت به الناقة، و في حين كانت أنظار الناس كلهم، و قلوبهم مشدودة إليها ...

نراه يخرج رأسه من العمارية؛ فيسترعي ذلك انتباه الناس، الذين لم يكونوا يترقبون ذلك منه. ثم يملي عليهم- و هم يلتقطون أنفاسهم؛ ليستمعوا إلى ما يقول- كلمته الخالدة الاخرى:

«بشروطها؛ و أنا من شروطها».

لقد أملى الإمام (ع) كلمته هذه عليهم، و هو مفارق لهم؛ لتبقى الذكرى الغالية، التي لا بد و أن يبقى لها عميق الأثر في نفوسهم (1) ...

لقد أبلغهم (ع) مسألة أساسية أخرى، ترتبط ارتباطا وثيقا بالتوحيد، ألا و هي مسألة: «الولاية» ...

و هي مسألة بالغة الأهمية، بالنسبة لأمة تريد أن تحيا الحياة الفضلى، و تنعم بالعيش الكريم؛ إذ ما دامت مسألة القيادة الحكيمة، و العادلة، و الواعية لكل ظروف الحياة، و شئونها، و مشاكلها- ما دامت هذه..

1- و يلاحظ: أن هذه الكلمة قد صيغت بنحو لا بد معه من الرجوع إلى الكلمة الاولى، و معرفتها. و بعد ... فما أشبه موقفه عليه السلام هنا بموقف النبي (ص) في غدير خم؛ حيث إنه (ص) كان أيضا قد أبلغ المسلمين مسألة الولاية، في ذلك الموقف الحاشد، و في المكان الذي لا بد فيه من تفرق الناس عنه (ص)، و ذهاب كل منهم إلى بلده، و لعل إرجاع المتقدمين، و حبس المتأخرين يشبهها إخراج الامام عليه السلام رأسه من العمارية ... يضاف إلى ذلك: أن موقفه (ص) كان آخر مواقفه العامة في حياته إلى آخر ما هنالك من وجوه الشبه بين الواقعتين. و لعلنا نجد تشابها بين هذه الواقعة، و بين قضية إرجاع أبي بكر عن تبليغ آيات سورة براءة، ثم إرسال علي مكانه ...

المسألـة- لم تحـل؛ فلسوف لاـ يمكن إلا أن يبقى العالم يرزح تحت حكم الظلمـة و الطواغيت، و الـذين يجعلون لأنفسـهم صـلاحيات التقنين و التشريع الخاصة باللّه، و يحكمون بغير ما أنزل اللّه؛ و ليبقى العالـم- من ثم- يعاني الشقاء و البلاء، و يعيش في متاهات الجهل، و الحيرة، و الضياع ...» (1).

و إننا إذا ما أدركنا بعمق مـدى ارتباط مسألـة: «الولايـة» بمسألـة «التوحيد»؛ فلسوف نعرف: أن قوله (ع): «و أنا من شـروطها» لـم تمله عليه مصـلحته الخاصة، و لا قضاياه الشخصية ... و لسوف ندرك أيضا: الهدف الذي من أجله ذكر الإمام (ع) سلسلة سند الرواية، الأمر الذي ما عهـدناه، و لا ألفناه منهم عليهم السـلام، إلا في حالات نادرة؛ فإنه عليه السـلام قـد أراد أن ينبه بذلك على مدى ارتباط مسألة القيادة للامة بالمبدإ الأعلى ...

الإمام ولي الأمر من قبل اللّه، لا من قبل المأمون:

وعـدا عن ذلك كله ... فإننا نجـد أن الإمام (ع)، حتى في هذا الموقف، قد اهتبل الفرصة، و أبلغ ذلك الحشد الذي يضم عشـرات بل مئات الالوف: أنه الإمام للمسلمين جميعا، و المفترض الطاعة عليهم، على حد تعبير القندوزي الحنفي، و غيره ... و ذلك عند ما قال لهم:

«و أنا من شروطها».

و بـذلك يكون قد ضـيع على المأمون أعظم هدف كان يرمي إليه من اسـتقدام الإمام (ع) إلى مرو. ألا و هو: الحصول على اعتراف بشـرعية خلافته، و خلافة بني أبيه العباسيين ...

1- قد استرشدنا في بعض ما ذكرناه هنا بما ذكره بعض المؤلفين، في كتابه: «يادبود هشتمين امام» (فارسي).

إذ أنه قد بين للناس بقوله: «و أنا من شروطها»: أنه هو بنفسه من شروط كلمة التوحيد، لا من جهة أنه ولي الأمر من قبل المأمون، أو سيكون ولي الأمر أو العهد من قبله؛ و إنما لأن اللّه تعالى جعله من شروطها.

و قد أكد (ع) على هذا المعنى كثيرا، و في مناسبات مختلفة، حتى للمأمون نفسه في وثيقة العهد كما سيأتي، و أيضا في الكتاب الجامع لاصول الاسلام و الأحكام، الذي طلبه منه المأمون؛ حيث كتب فيه أسماء الأئمة الاثني عشر عليهم السلام، مع أن عددا منهم لم يكونوا قد ولدوا بعد، كما أنه ذكر أسماءهم في احتجاجه على العلماء و المأمون في بعض مجالسهم العلمية، و في غير ذلك من مواقفه الكثيرة (ع) ...

الإمام يبلغ عقيدته لجميع الفئات:

و أخيرا ... لا بد لنا في نهاية حديثنا عن هذا الموقف التاريخي من الاشارة إلى أنه كان من الطبيعي أن يضم ذلك الحشد العظيم، الذي يقدر بعشرات، بل بمئات الالوف:

1- حشدا من أهل الحديث و اتباعهم، الذين جعلوا صلحا جديدا بين الخلفاء الثلاثة، و بين عليّ (ع) في معتقداتهم، بشرط أن يكون هو الرابع في الخلافة و الفضل. و لفقوا من الأحاديث في ذلك ما شاءت لهم قرائحهم؛ حتى جعلوه إذا سمع ذكرا لأبي بكر يبكي حبا، و يمسح عينيه ببرده (1).

و جعلوه أيضا ضرابا للحدود بين يدي الثلاثة: أبي بكر، و عمر،

1- تاريخ الخلفاء ص 120، و غيره.

و عثمان (1)، كما تنبأ هو نفسه (ع) بذلك (2). إلى غير ذلك مما لا يكاد يخفى على الناظر البصير، و الناقد الخبير ...

2- و حشدا من أهل الإرجاء، الذين ما كانوا يقيمون وزنا لعلي، و عثمان. بل كانت المرجئة الاولى لا يشهدون لهما بإيمان، و لا بكفر ...

3- و أيضا ... أن يضم حشدا من أهل الاعتزال، الذين أحاطوا بالمأمون، بل و يعد هو منهم، و الذين تدرجوا في القول بفضل عليّ (ع) حسبما اقتضته مذاهبهم و مشاربهم؛ فقد كان مؤسّسا نحلة الاعتزال:

واصل بن عطاء، و عمرو بن عبيد، لا يحكمان بتصويبه في وقعة الجمل مثلا، و لكن أتباعهما تدرّجوا على مر الزمان في القول بفضله؛ فقد شكك أبو الهذيل العلاف في أفضليته على أبي بكر، أو القول بتساويهما في الفضل. و لكن رئيس معتزلة بغداد: بشر بن المعتمر، قد جزم بأفضليته على الخلفاء الثلاثة، و لكنه قال بصحة خلافتهم ... و قد تبعه جميع معتزلة بغداد، و كثير من البصريين ...

و إذا كان ذلك الحشد الهائل يضم كل هؤلاء، و غيرهم ممن لم نذكرهم ... فمن الطبيعي أن تكون كلمة الإمام هذه: «و أنا من شروطها» ضربة موفقة و دامغة لكل هؤلاء، و إقامة للحجة عليهم جميعا، على اختلاف أهوائهم، و مذاهبهم ...

و يكون قد بلغ بهذه الكلمة: «و أنا ...» صريح عقيدته، و عقيدة!.

ص: 321

1- تاريخ الخلفاء ص 119، 120، و المحاسن و المساوي ج 1 ص 79 طبع مصر. و الفتوحات الاسلامية لدحلان ط مصطفى محمد ج 2 ص 368.

2- فقد قال بعد أن ضرب الوليد بن عقبة الحد، لشربه الخمر: «لتدعوني قريش بعد هذا جلادها». الغدير ج 8 ص 121. و قد صدقت نبوءته، صلوات اللّه و سلامه عليه؛ فقد جعلوه- كما ترى- ضرابا للحدود بين يدي الثلاثة!!!.

آبائه الطاهرين (ع) في أعظم مسألة دينية، تفرقت لاجلها الفرق في الاسلام، و سلت من أجلها السيوف. بل لقد قال الشهرستاني:

«... و اعظم خلاف بين الامة خلاف الامامة؛ إذ ما سل سيف في الاسلام على قاعدة دينية مثلما سل على الامامة في كل زمان ...» (1).

و بعد كل ما قدمناه ... لا يبقى مجال للقول: إن قوله هذا:

«و أنا ...» لا ينسجم مع ما عرف عنه (ع) من التواضع البالغ، و خفض الجناح؛ إذ ليس ثمة من شك في أن للتواضع و خفض الجناح موضع آخر. و أنه كان لا بد للامام في ذلك المقام، من بيان الحق الذي يصلح به الناس أولا و آخرا، و يفتح عيونهم و قلوبهم على كل ما فيه الخير و المصلحة لهم، إن حاضرا، و إن مستقبلا، و إن جزع من ذلك قوم، و حنق آخرون ...

تعقيب هام و ضروري:

و مما هو جدير بالملاحظة هنا، هو أن أئمة الهدى عليهم السلام كانوا يستعملون التقية في كل شي ء إلا في مسألة أنهم عليهم السلام الأحق بقيادة

1- الملل و النحل، ج 1 ص 24. و قال الخضري في محاضراته ج 1 ص 167: «... و الخلاصة: أن مسألة الخلافة الاسلامية و الاستخلاف، لم تسر مع الزمن في طريق يؤمن فيه العثار. بل كان تركها على ما هي عليه، من غير حل محدد ترضاه الامة، و تدفع عنه سببا لاكثر الحوادث التي أصابت المسلمين، و أوجدت ما سيرد عليكم من أنواع الشقاق و الحروب المتواصلة، التي قلما يخلو منها زمن، سواء كان ذلك بين بيتين، أو بين شخصين ...» انتهى. و أقول: إذن ... كيف جاز للنبي (ص) أن يترك الامة هكذا هملا، ثم لا يضع حلا لأعظم مشكلة تواجهها، مع أن شريعته كاملة و شاملة، و قد بين فيها كل ما تحتاجه الامة، حتى أرش الخدش.

الامة، و خلافة النبي (ص). مع أنها لا شي ء أخطر منها عليهم، كما تشير إليه عبارة الشهرستاني الآنفة، و غيرها.

و ذلك يدل على مدى ثقتهم بأنفسهم، و بأحقيتهم بهذا الأمر ...

فنرى الإمام موسى (ع) يواجه ذلك الطاغية الجبار هارون بهذه الحقيقة، و يصارحه بها، أكثر من مرة، و في أكثر من مناسبة (1) ...

بل لقد رأينا الرشيد نفسه يعترف بأحقيتهم تلك في عدد من المناسبات على ما في كتب السير و التاريخ ...

و لقد نقل غير واحد (2) أنه: عند ما وقف الرشيد على قبر النبي (ص)، و قال مفتخرا: السلام عليك يا ابن عم. جاء الإمام موسى (ع)، و قال:

السلام عليك يا أبة. فلم يزل ذلك في نفس الرشيد إلى أن قبض عليه.:

و عند ما قال له الرشيد: أنت الذي تبايعك الناس سرا؟! أجابه الإمام (ع): أنا إمام القلوب، و أنت إمام الجسوم (3) ...

و أما الحسن، و الحسين، و أبوهما؛ فحالهما في ذلك أشهر من أن يحتاج إلى بيان ...

بل إن أعظم شاهد على مدى ثقتهم بأحقية دعواهم الإمامة ما قاله الإمام الرضا (ع) للقائل له: إنك قد شهرت نفسك بهذا الأمر، و جلست مجلس أبيك؛ و سيف هارون يقطر الدم؟!! ...2.

ص: 323

1- راجع: الصواعق المحرقة، و ينابيع المودة، و وفيات الاعيان، و البحار، و قاموس الرجال، و غير ذلك ...
2- البداية و النهاية ج 10 ص 183، و الكامل لابن الاثير ج 6، ص 164 ط صادر، و الصواعق المحرقة ص 122، و الاتحاف بحب الاشراف ص 55، و مرآة الجنان ج 1 ص 395 و أعيان الشيعة، و ينابيع المودة، و غير ذلك ...
3- الاتحاف بحب الاشراف ص 55، و الصواعق المحرقة ص 122.

فأجابه الإمام (ع): «جرأني على هذا ما قال رسول اللّه (ص):

إن أخذ أبو جهل من رأسي شعرة؛ فأشهد أني لست بنبيّ ... و أنا أقول لكم: إن أخذ هارون من رأسي شعرة؛ فاشهدوا أني لست بإمام ...» (1).

و في هذا المعنى روايات عديدة (2) ...

و لكنهم عليهم السلام قد انصرفوا بعد الحسين (ع) عن طلب هذا الأمر بالسيف ... إلى تربية الامة، و حماية الشريعة من الانحرافات التي كانت تتعرض لها باستمرار؛ و لأنهم كانوا يعلمون: أن طلب هذا الأمر من دون أن يكون له قاعدة شعبية قوية و ثابتة، و واعية، لن يؤدي إلى نتيجة، و لن يقدّر له النجاح، الذي يريدونه هم، و يريده اللّه ... و لكنهم- كما قلنا- ظلوا عليهم السلام يجاهرون بأحقيتهم بهذا الأمر، حتى مع خلفاء وقتهم، كما يظهر لكل من راجع مواقفهم و أقوالهم في المناسبات المختلفة ...

الموقف الخامس:

رفضه (ع) الشديد لكلا عرضي المأمون: الخلافة، و ولاية العهد، و إصراره على هذا الرفض الذي استمر أشهرا، و هو في مرو نفسها، حتى لقد هدده المأمون اكثر من مرة بالقتل ...

و بذلك يكون قد مهد الطريق ليواجه المأمون بالحقيقة؛ حيث قال له صراحة: إنه يريد أن يقول للناس: إن علي بن موسى لم يزهد بالدنيا، و إنما الدنيا هي التي زهدت فيه؛ و ليكون بذلك قد أفهم المأمون أن

1- المناقب لابن شهر اشوب ج 4 ص 339، و عيون أخبار الرضا ج 2 ص 213.
2- راجع: البحار ج 49، و روضة الكافي، و عيون أخبار الرضا، و إرشاد المفيد، و غير ذلك.

حيلته لم تكن لتجوز، و أن زيفه لا ينطلي عليه، و لذا فان عليه أن يكف في المستقبل عن كل مؤامراته و مخططاته ... و ليكون المأمون بعد هـذا غير مطمئن لأي عمل يقدم عليه، و ضـعيف الثقة بكل الحيل و المؤامرات التي يحوكها. هذا بالاضافة إلى أن الناس سوف يشـكون في طبيعية هذا الأمر، و سلامة نوايا المأمون فيه ...

الموقف السادس:

و لم يكتف الامام (ع) بـذلك كله ... بل كان لا يـدع فرصـة تمر إلا و يؤكـد فيها على أن المأمون قد اكرهه على هذا الأمر، و أجبره عليه، و هدد بالقتل إن لم يقبل ...

يضـاف إلى ذلـك ... أنه كـان يخبر الناس في مختلف المناسـبات: أن المأمون سوف ينكث العهـد، و يغـدر به ... حتى لقـد قال في نفس مجلس البيعة للمستبشـر: «لا تستبشـر؛ فانه شـي ء لا يتم». بل لقد كتب في نفس وثيقة العهد ما يدل على ذلك دلالة واضحة، كما سيأتي بيانه في الموقف الثامن ...

هذا عدا عن أنه كان يصرح بأنه لا يقتله إلا المأمون، و لا يسمه إلا هو، حتى لقد واجه نفس المأمون بهذا الأمر ...

بل إنه لم يكن يكتفي بمجرد القول، و إنما كانت حالته على وجه العموم في فترة ولاية العهد تشـير إلى عدم رضاه بهذا الامر، و إلى أنه مكره مجبر عليه ...

حيث إنه كان على حـد تعبير الرواة: «في ضـيق شديـد، و محنـة عظيمـة» و «لم يزل مغموما مكرويا حتى قبض»، و «قبل البيعة، و هو باك حزين» و كان كما يقول المدائني: «إذا رجع يوم الجمعة من

الجامع، و قد أصابه العرق و الغبار، رفع يديه و قال: «اللهم إن كان فرجي مما أنا فيه بالموت؛ فعجل لي الساعة (1)...».

إلى آخر ما هنالك، مما لا يمكن استقصاؤه في مثل هذه العجالة ...

و واضح أن كل ذلك سوف يؤدي إلى عكس النتيجة، التي كان يتوخاها المأمون من البيعة؛ و خصوصا إذا ما أردنا الملائمة بين مواقفه هذه، و موقفه في نيشابور، و موقفه في صلاتي العيد في مرو.

الموقف السابع:

اشارة

إنه (ع) كان لا يدع فرصة تمر إلا و يؤكد فيها على أن المأمون لم يجعل له إلا ما هو حق له، و أنه لم يزد بذلك على أن أرجع الحق إلى أهله، بعد أن كانوا قد اغتصبوه منهم، بل و اثبات أن خلافة المأمون ليست صحيحة و لا شرعية ...

أما ما يتعلق بصحة خلافة المأمون:

فنلاحظ: أنه (ع) حتى في كيفية البيعة يشير- على ما صرح به كثير من المؤرخين- إلى أن المأمون، الذي يحتل عنوة مجلس رسول اللّه (ص)، يجهل حتى كيفية ذلك العقد الذي خوّله- بنظره- أن يكون في ذلك المجلس الخطير؛ حيث إنه (ع): «... رفع يده؛ فتلقى بظهرها وجه نفسه، و بطنها وجوههم؛ فقال له المأمون: ابسط

1- البحار ج 49 ص 140، و عيون أخبار الرضا ج 2 ص 15.

يدل للبيعة؛ فقال له: إن رسول اللّه هكذا كان يبايع؛ فبايعته الناس ...» (1).

و نظير ذلك أيضا: ما روي من أن المأمون قد أمر الناس: أن يعودوا للبيعة من جديد، عند ما أعلمه الإمام (ع): بأن كل من كان قد بايعه، قد بايعه بفسخ البيعة إلا الشاب الأخير ... و هاج الناس بسبب ذلك، و عابوا المأمون على عدم معرفته بالعقد الصحيح و الكيفية الصحيحة للبيعة و هذه القضية مذكورة في العديد من المصادر أيضا (2).

و أما أن الخلافة حق للامام (ع) دون غيره:

فلعله لا يكاد يخفى على من له أدنى اطلاع على حياة الإمام (ع) و مواقفه و قد تحدثنا آنفا عن موقفه في نيشابور، و هو في طريقه إلى مرو، و كيف أنه (ع) جعل نفسه الشريفة و الاعتراف بامامته شرطا لكلمة التوحيد، و الدخول في حصن اللّه الحصين ...

و أشرنا أيضا إلى أنه قد عدد الأئمة الشرعيين، و هو أحدهم في عديد من المناسبات و المواقف حتى فيما كتبه للمأمون ...

بل لقد المح إلى ذلك أيضا بل لقد ذكره صراحة فيما كتبه على حاشية وثيقة العهد بخط يده.

كما أن من الامور الجديرة بالملاحظة هنا خطاب الإمام (ع) حينما بويع له بولاية العهد، و هو ما يلي:

1- راجع: المناقب ج 4 ص 369، 364 و البحار ج 49 ص 144، و علل الشرائع، و مقاتل الطالبيين، و نور الابصار، و نزهة الجليس، و عيون أخبار الرضا.

2- راجع: على سبيل المثال: شرح ميمية أبي فراس ص 204.

«... إن لنا عليكم حقا برسول اللّه، و لكم علينا حق به؛ فإذا أنتم أديتم لنا ذلك وجب علينا الحق لكم ...».

و لم يؤثر عنه في ذلك المجلس غير ذلك ... و هو معروف و مشهور بين أرباب السير و التاريخ ...

و من الواضح أن اقتصاره على هذه الكلمة في ذلك المجلس الذي يقتضي إيراد خطبة طويلة، يتعرض فيها لمختلف المواضيع، و على الأقل لشكر المأمون على ما خصه به من ولاية العهد بعده- إن اقتصاره على هذا- يعتبر أسلوبا رائعا لتركيز المفهوم الذي يريده الإمام (ع) في أذهان الناس، و إعطائهم الانطباع الحقيقي عن البيعة، و عن موقفه منها، و من جهاز الحكم، في نفس مجلس البيعة، حتى لا يبقى هناك مجال للتكهن بأن: الإمام كان يرغب في هذا الأمر، ثم حدث ما أوجب غضبه و سخطه، و قد يكون له الحق في ذلك و قد لا يكون ...

يضاف إلى كل ذلك أنه (ع) قال لحميد بن مهران، حاجب المأمون:

«... و أما ذكرك صاحبك (يعني المأمون، و المأمون جالس)، الذي أجّلني؛ فما أحلني إلا المحل الذي أحله ملك مصر ليوسف الصديق (ع)، و كانت حالهما ما قد علمت ...».

كما أنه (ع) قد قال أكثر من مرة و في اكثر من مناسبة: «إن من أخذ برسول اللّه؛ لحقيق بأن يعطي به»، و ذلك عند ما عرض له المأمون بالمن عليه بأن جعله ولي عهده، و في غير هذه المناسبة أيضا ...

المأمون يعترف بأحقية آل علي بالأمر:

و لعل من أعظم المواقف الجديرة بالتسجيل هنا موقفة (ع) مع المأمون،

عند ما حاول هذا أن يحصل منه (ع) على اعتراف بأن العباسيين و العلويين سواء بالنسبة لقرباهم من النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلّم؛ و ذلك من أجل أن يثبت- بزعمه- أن له و لبني أبيه حقا في الخلافة؛ فكانت النتيجة: أن نجح الإمام (ع) في انتزاع اعتراف من المأمون بأن العلويين هم الأقرب ...

و تكون النتيجة- على حسب منطق المأمون، و منطق أسلافه كما قدمنا- هي: أن العلويين هم الأحق بالخلافة و الرئاسة، و أنه هو، و آباءه غاصبون، و معتدون ...

فبينما المأمون و الرضا (ع) يسيران؛ إذ قال المأمون:

«... يا أبا الحسن، إني فكرت في شي ء؛ فنتج لي الفكر الصواب فيه: فكرت في أمرنا و أمركم، و نسبنا و نسبكم؛ فوجدت الفضيلة فيه واحدة، و رأيت اختلاف شيعتنا في ذلك محمولا على الهوى و العصبية ...

فقال له أبو الحسن الرضا (ع): إن لهذا الكلام جوابا، إن شئت ذكرته لك، و إن شئت أمسكت ...

فقال له المأمون: إني لم أقله إلا لأعلم ما عندك فيه ...

قال له الرضا (ع): أنشدك اللّه يا أمير المؤمنين، لو أن اللّه تعالى بعث نبيه محمدا (ص)؛ فخرج علينا من وراء أكمة من هذه الآكام، يخطب إليك ابنتك، كنت مزوجه إياها؟ ...

فقال: يا سبحان اللّه، و هل أحد يرغب عن رسول اللّه (ص)؟!.

فقال له الرضا (ع): أ فتراه كان يحل له أن يخطب إليّ؟ ...

قال: فسكت المأمون هنيئة، ثم قال:

«أنتم و اللّه، أمس برسول اللّه رحما ...» (1).0

1- كنز الفوائد للكراجكي ص 166، و الفصول المختارة من العيون و المحاسن ص 15، 16، و البحار ج 49 ص 188، و مسند الامام الرضا عليه السلام ج 1 ص 100.

و كانت هذه ضـربة قاضـية و قاصمة للمأمون. لـم يكن قد حسب لها أي حساب. و لـم يكن ليتمكن في مقابل ذلك من أي عمل ضد الإمام (ع)؛ بعد أن كان هو الجاني على نفسه؛ ف «على نفسها جنت براقش».

و بعد كل ذلك فقد قدمنا قول ابن المعتز:

و أعطاكم المأمون حق خلافةلنا حقها، لكنه جاد بالدنيا و خلاصة الأمر:

انه (ع) لـم يكن يدخر وسعا في إحباط مسعى المأمون، و تضييع الفرصة عليه، و إفهام الناس أنه مكره على هذا الأمر، مجبر عليه ...

و التأكيـد على أن المأمون لـم يجعل له إلا ما هو حق له؛ و لـذا فلا يمكن أن يعتبر قبوله بولايـة العهـد اعترافا بشـرعية الخلافة العباسـية، أو بشرعية أي تصرف من تصرفاتها. كما أنه إذا كان ذلك حقا للامام قد اغتصبه الغاصبون، و اعتدى عليه فيه المعتدون؛ فليس للمأمون حق في أن يعرض له (ع) بالمن عليه، بما جعل له من ولاية العهد ...

و كـذلك ليس للمأمون بعد: أن يدعي العدل و الانصاف، فضـلا عن الايثار و التضـحية في سبيل الآخرين؛ بعد أن فضح الإمام اهدافه من لعبته تلك، و عرف كل أحد أنها لم تكن شريفة و لا سليمة ...

الاكذوبة المفضوحة:

و بعد ... فقد ذكر بعض أهل الأهواء، كابن قتيبة، و ابن عبد ربه، واقعة خيالية، غير تلك التي ذكرناها آنفا و هي:

أن المأمون قال لعلي بن موسى: علام تدعون هذا الأمر؟! ...

قال: «بقرابة علي و فاطمة من رسول اللّه (ص) ...»

فقال المأمون: «إن لم تكن إلا القرابة، فقد خلف رسول اللّه (ص) من هو أقرب إليه من علي، أو من هو في قعدده. و إن ذهبت إلى قرابة فاطمة من رسول اللّه (ص)؛ فإن الأمر بعدها للحسن، و الحسين؛ فقد ابتزهما علي حقهما، و هما حيان، صحيحان، فاستولى على ما لا حق له فيه ...».

فلم يحر علي بن موسى له جوابا (1) ... انتهى ...

و هي واقعة مزيفة و مجعولة من أجل التغطية على الواقعة الحقيقية، التي جرت بينهما، و التي تنسجم مع كل الأحداث و الوقائع، و جميع الدلائل و الشواهد متظافرة على صحتها، ألا و هي تلك التي قدمناها آنفا ...

و الدليل على زيف هذه الرواية: أنها لا توافق نظرة أئمة أهل البيت و رأيهم في الخلافة و مستحقها؛ لأنهم يرون- كما تدل عليه تصريحاتهم المتكررة، و أقوالهم المتضافرة-: أن منصب الإمامة لا يكون إلا بالنص.

و أما الاستدلال بالقرابة؛ فقد قلنا في الفصل الأول من هذا الكتاب:

أن أول من التجأ إليه أبو بكر، ثم عمر. ثم الامويون، فالعباسيون، ثم أكثر، إن لم يكن كل مطالب بالخلافة ... و أنه إذا كان في كلام الأئمة و شيعتهم ما يفهم منه ذلك، فإنما اقتضاه الحجاج مع خصومهم.

و بعد ... فهل يخفى على الإمام (ع) ضعف و وهن هذه الحجة؛ مع أننا نراه يصرح في أكثر من مناسبة بأن القرابة لا تجدي و لا تفيد- كما سنشير إليه- و انه لا بد في الإمام من جدارة و أهلية في مختلف الجهات، و على جميع المستويات.

و لقد كان على المأمون- لو صحت هذه الرواية- أن يغتنمها فرصة،..

1- راجع: عيون الاخبار ج 2 ص 140، 141، طبع مصر سنة 1346، و العقد الفريد ج 5 ص 102، و ج 2 ص 386، طبع دار الكتاب العربي ...

و يعلنهـا على الناس جميعا، و يشـهّر بالإمام (ع)؛ ليسـقطه- و من ثم ... يسـقط العلويين كلهم من أعين الناس ... و يسـلبهم و إلى الابد السـلاح الذي كانوا يحاربونه و يحاربون آباءه به ... مع أن ذلك هو ما كان يبحث عنه المأمون ليل نهار، و يدبر المكايد، و يعمل الحيل، من أجله، و في سبيله ...

وعدا عن ذلك كله ... كيف يمكن أن تنسـجم هذه الرواية مع مواقف الإمام، و تصريحاته المتكررة حول مسألة الامامة، و بأي شي ء تثبت، و حول أوصاف الإمام و وظائفه، و التي لو أردنا استقصاءها لاحتجنا إلى عشرات الصفحات؟!!.

و كـذلك ... مع احتجـاج الإمـام (ع) على العلمـاء و المأمون في اكثر من مناسـبة بالنص، و أيضا مع موقفه (ع) في نيشابور؟! اللهم إلا أن يكون أعلم أهل الأرض- باعتراف المأمون قد نسي حجته، و حجة آبائه، و كل من ينتسب إليهم، و يذهب مذهبهم ...

تلك الحجة- التي عرفوا و كل المتشـيعين لهم بها على مدى الزمان- نسـيها- في تلك اللحظة فقط؛ لأن المأمون هو الذي يسأل، و الرضـا هو الذي يجيب!!!.

و بعد؛ فهل يستطيع أن يشك في ذلك أحد ... و هو يرى رسالة الرضا، التي كتبها للمأمون تلبية لطلبه، و جمع له بها أصول الاسلام، و التي صرح فيها بالنص على علي (ع). بل و ذكر فيها الائمة الاثني عشر، الذين نص عليهم النبي (ص) كلهم بأسمائهم، حتى من لم يكن قد ولد بعد منهم؟!. و هذه الرسالة مشهورة و قد أوردها و استشهد بها غير واحد من المؤرخين و الباحثين (1) ...8.

ص: 332

1- و كان آخرهم الـدكتور أحمد محمود صـبحي في كتابه: نظرية الامامة ص 388، و قـال: إنها من المخطوطات الموجودة في دار الكتب المصرية تحت رقم 1258.

و فيها يصف الإمام (ع) أئمة الهدى أدق وصف، و أروعه، و أوفاه ...

بل إن المأمون نفسه كان يرى وجوب نصب الإمام من قبل اللّه كالنبي، كما يتضح من مناظرته الشهيرة لعلماء وقته، التي أوردها غير واحد من كتب التاريخ، و الأدب، و الرواية، و ذكرها في العقد الفريد أيضا قبل ذكره لهذه الرواية المفتعلة. و إن كان قد تصرف فيها (أي في المناظرة)؛ فحرف فيها، و حذف منها الكثير ... و أشار إليها أيضا أحمد أمين في ضحى الإسلام ج 2 ص 57، و غيره ...

فلما ذا لا يلزمه الإمام بمقالته التي كان يلزم نفسه بها؟!. أم يمكن أن لا يكون مطلعا على مقالة المأمون هذه، التي سار ذكرها في الآفاق؟!.

و يحسن بنا هنا أن ننبه إلى أن الاختلاف في نقل مثل هذه القضايا، حسب أهواء الناقلين لم يكن بالأمر الذي يخفى على أحد؛ فقد رأينا:

أن جواب أحمد بن حنبل في المحنة بخلق القرآن، يرويه كل من الشيعة، و المعتزلة، و أهل السنة بصور ثلاثة مختلفة. و مناظرة هشام لأبي الهذيل العلاف يروي المعتزلة أن الغلبة فيها كانت لأبي الهذيل، بينما يروي الشيعة، و يؤيدهم المسعودي (1) أن الغلبة فيها كانت لهشام. إلى غير ذلك من عشرات القضايا بل المئات ...

و لكن الأمر هنا مختلف تماما؛ إذ أن مختلق الرواية هنا قد غفل عن أن روايته المفتعلة تتنافى كليا مع نظرة الأئمة عليهم السلام و رأيهم في الخلافة و مستحقها ... و يبدو أنه لم يكن مطلعا على الآراء المختلفة الشائعة آنذاك في مسألة الإمامة؛ و لذا نراه ينسب إلى الإمام (ع) رأيا لا يقول به، و لا يقره. و إنما هو يناسب رأي الشيعة الزيدية القائلين بإمامة ولد علي (ع) من فاطمة؛ بشرط أن يكون بليغا، شجاعا، عادلا مجتهدا، 1.

1- مروج الذهب ج 4 ص 21.

يخرج بالسيف ضد كل ظلم و انحراف إلخ ... و بأن إمامة علي (ع) قد ثبتت بالوصف و الإشارة إليه، لا بالتصريح و النص عليه (1).

كما أنه غفل عن أن الذين كانوا يحتجون بالقرابة و الإرث هم العباسيون، الذين كانوا إلى عصر المهدي- كما قدمنا- يدّعون انتقال الخلافة إليهم عن طريق علي (ع)، و محمد بن الحنفية، و في عصر المهدي عدلوا عن ذلك؛ لما يتضمنه من اعتراف للعلويين. و رأوا أن يجعلوا إمامتهم عن طريق العباس و أبنائه ... و حاولوا تقوية هذه النحلة بكل وسيلة، و بذلوا من أجلها الأموال الطائلة للعلماء و الفقهاء، و الشعراء.

و لم يكن لتخفى على أحد أبيات مروان بن أبي حفصة المتقدمة:

هل تطمسون من السماء نجومهاأو تسترون إلخ ...

و لا قوله:

أنى يكون و ليس ذاك بكائن لبني البنات وراثة الأعمام و قد أجابه جعفر بن عفان المعاصر له. على هذا البيت بقوله:

ما للطليق و للتراث و إنماصلى الطليق مخافة الصمصام (2) و كيف يخفى كل ذلك على الإمام (ع)، خصوصا بعد أن كان الجدل في هذا الموضوع قائما على قدم و ساق في زمن هارون، بل و في زمن المأمون كما يظهر من قول ابن شكلة المتقدم:

فضجت أن تشد على رءوس تطالبها بميراث النبي ك.

ص: 334

1- مقدمة ابن خلدون ص 197 ر 198.
2- مقتل الحسين للمقرم ص 119، و الاغاني ج 9 ص 45، طبع ساسي، و الادب في ظل التشيع ص 201، و ضحى الاسلام ج 3 ص 313، و قاموس الرجال ج 2 ص 393، و غير ذلك.

و من قول القـاسم بن يوسف و هي قصـيدة طويلـة فلتراجع (1) إلى غير ذلـك ممـا لا مجال لتتبعه و اسـتقصائه ... و بعـد كل تلك الوقائع الشـهيرة التي حدثت قبل خلافة المأمون، و اثناءها بالنسـبة لدعوى العباسيين هذه؛ فلا يمكن أبدا أن تجري المحاورة بين أعلم أهل الأرض (باعتراف المأمون) و بين المأمون أعلم خلفاء بني العباس على هذا النحو من السذاجة و البساطة ... اللهم إلا إذا كان أعلم أهل الأرض، لا يرى و لا يسمع، أو أنه كان يعيش في غير هذا العالم، أو في سرداب تحت الأرض ...

و اللهم إلا إذا كان القائل: ما للطليق و للتراث إلـخ ... أعلم بالحجـة للـدعوى التي يدعيها أعلم أهل الأرض من مدعي الدعوى نفسه ... و هل لـم يكن يحسن أن يقول للمأمون- لو سلم أنه احتج بالقرابة-: إن قرابة العباس لا تفيده؛ بعد أن تخلى عنها يوم الانذار. و بعد أن كان من الظالمين، الـذين حرمهم اللّه من عهـده، حيث قال تعالى: «لا ينال عهـدي الظالمين». و بعـد أن ترك الهجرة معه (ص). و بعد أن حارب النبي (ص) يوم بـدر. و بعـد جهله بالدين و احكامه؛ و لقد قال سـبحانه: «أ فمن يهدي إلى الحق أحق أن يتّبع، أمّن لا يهدّي إلا أن يهدى، فما لكم كيف تحكمون ...» (2). إلى آخر ما هنالك ...

و أخيرا ... و بعد أن لم يبق مجال للشك في زيف هذه الرواية و افتعالها ...

فإننـا نرى أن لنـا كل الحق في أن نسـجل هنا: أنه لم يخف علينا، و نأمل أن لا يخفى على أحـد سـرّ ذكر ابن عبـد ربه هـذه الروايـة المزيفة المفتعلـة، بعد ذكره لرواية احتجاج المأمون على علماء وقته في أفضـلية علي (ع) على جميع الخلق، و التي تصـرف فيها ما شاء له حقده و نصبه،5.

ص: 335

1- الاوراق للصولي ص 180. و قد تقدم شطر منها في بعض فصول هذا الكتاب.
2- يونس آية 35.

الحذف و التحريف؛ فإنه- على ما يبدو- ليس إلا من أجل التشويش على تلك، و إبطال كل أثر لها، ظلما للحقيقة، و تجنيا على التاريخ ...

الموقف الثامن:

اشارة

و أعتقد أنه أعظمها أثرا، و أعمها نفعا، و هو ما كتبه (ع) على وثيقة العهد، التي كتبها المأمون بخط يده ...

فإننا إذا ما رجعنا إليه نجد: أن كل سطر فيه، بل كل كلمة لها مغزى عميق، و دلالة هامة، تلقي لنا ضوءا كاشفا على خطته (ع) في مواجهة مؤامرات المأمون، و خططه، و أهدافه ...

فلقد كان يعلم: أن هذه الوثيقة ستقرأ في مختلف الأقطار الإسلامية؛ و لذلك نراه (ع) قد اتخذها وسيلة لإبلاغ الامة الحقيقة كل الحقيقة، و تعريفها بواقع نوايا و أهداف المأمون. و أيضا تأكيد حق العلويين، و كشف المؤامرة التي تحاك ضدهم ...

فبينما نراه (ع) يبدأ كلامه- فيما كتبه في الوثيقة المشار إليها- بداية غير طبيعية، و لا مألوفة في مناسبات كهذه حيث قال: «الحمد للّه الفعال لما يشاء، و لا معقب لحكمه، و لا راد لقضائه ...» ... لا يأتي بعدها بما يناسب المقام، و يتلائم مع سياق الكلام، من تمجيد اللّه، و الثناء عليه على أن ألهم أمير المؤمنين!! هذا الأمر ... بل نراه يأتي بعبارة غريبة، و غير متوقعة؛ ألا و هي قوله: «يعلم خائنة الأعين، و ما تخفي الصدور الخ ...».

أ فلا توافقني- قارئي العزيز- على أنه (ع) يريد أن يوجه أنظار الناس إلى أن الأمر ينطوي على خيانة مبيتة، و أن هناك صدورا تخفي غير ما تظهر؟!. ثم ... أ لا توافقني على أن هذه العبارة تعريض بالمأمون

نفسه؛ من أجل تعريف الناس بحقيقة نواياه و أهدافه؟!. هذا مع علمه (ع) بأن هذه الوثيقة سوف ترسل إلى مختلف أقطار العالم الاسلامي؛ لتقرأ على الملأ العام، كما حدث ذلك بالفعل ...

و إذا ما وصلنا إلى فقرة أخرى، مما كتبه (ع) على وثيقة العهد؛ فإننا نراه يقول: «... و صلاته على نبيه محمد خاتم النبيين، و آله الطيبين الطاهرين ...» فإننا إذا لاحظنا: أنه لم تجر العادة في الوثائق الرسمية في ذلك العهد بعطف «الآل» على «محمد»، ثم توصيفهم ب «الطيبين الطاهرين»- نعرف أن هذا ليس إلا ضربة أخرى للخليفة المأمون، و هجوم آخر عليه؛ حيث إنه يتضمن التأكيد على طهارة أصل الإمام (ع)، و سنخه، و محتده؛ و على أن الآل قد اختصوا بهذه المزية، و ليس لكل من سواهم، حتى الخليفة المأمون، مثل هذا الشرف، و لا مثل تلك المزية ...

ثم نراه (ع) يعقب ذلك بقوله: «... إن أمير المؤمنين ..... عرف من حقنا ما جهله غيره ...» ...

فما هو ذلك الحق الذي جهله الناس كلهم، حتى بني العباس، فيما عدا المأمون؟! ...

فهل يمكن أن تكون الامة الاسلامية قد انكرت أنهم (ع) ابناء بنت رسول اللّه (ص)؟!!. أ ليس ذلك منه (ع) إعلان للامة بأسرها بأن المأمون لم يجعل له إلا ما هو حق له، و أنه لم يزد بذلك على أن أرجع الحق إلى أهله، بعد أن كان قد اغتصبه منهم الغاصبون، و اعتدى عليهم به المعتدون؟! ... بل أ ليس ذلك ضربة للمأمون نفسه، و أن خلافته ليست شرعية، و لا صحيحة؛ لأنه كآبائه مغتصب لحق غيره؟!.

نعم ... إن الحق الذي جهله الناس هو حق الطاعة. و لم يكن

الإمام (ع) يتقي المأمون، و لا غيره من رجال الدولـة، في إظهار هـذا الحق، و بيان أن خلافـة الرسول (ص) إنما كانت في علي (ع)، و ولده الطاهرين، و أنه يجب على الناس كلهم طاعتهم، و الانقياد لهم. و قـد اعلن (ع) ذلك في نيشابور كما قدمنا ... و رأيناه يصـرح به، و يطلب من الناس أن يعلم شاهدهم غائبهم به، في محضـر من رجال الدولة في خراسان، ففي الكافي: بسـنده عن محمد بن زيد الطبري قال: كنت قائما على رأس الرضا (ع) بخراسان، و عنده عدة من بني هاشم، و فيهم إسـحاق بن موسـى بن عيسى العباسي؛ فقال: «يا إسحاق، بلغني أن الناس يقولون: إنا نزعم: أن الناس عبيـد لنا!!. لا و قرابتي من رسول اللّه (ص) ما قلته قط، و لا سـمعته من آبائي قاله، و لا بلغني عن أحد من آبائي قاله، و لكنني أقول: الناس عبيد لنا في الطاعة، موال لنا في الدين؛ فليبلغ الشاهد الغائب ...» (1).

و سـتأتي الاشارة إلى هذه الرواية مرة أخرى في الفصل الآتي .. و ليتأمّل في عبارته الأخيرة. فليبلغ إلخ ... و ليلاحظ أيضا أنه اختار لتوجيه خطابه:

اسـحاق بن موسـى بن عيسـى العباسـي!!! و في الكافي أيضا بسنده عن معمر بن خلاد قال: سأل رجل فارسي أبا الحسن (ع)، فقال: طاعتك مفترضة؟. فقال: نعم. قال:

مثل طاعة علي بن أبي طالب (ع)؟. قال: نعم (2).

و المراد بأبي الحسن هو الرضا (ع)؛ لأنه هو الذي كان في خراسان، و هو الذي يروي عنه معمر بن خلاد كثيرا ... و مثل ذلك كثير لا مجال لتتبعه .....

1- الكافي ج 1 ص 187، و أمالي المفيد ص 148 ط النجف و أمالي الطوسي ج 1 ص 21، و مسند الامام الرضا عليه السلام ج 1 ص 96.

2- الكافي ج 1 ص 187؛ و الاختصاص 278، و مسند الامام الرضا ج 1 ص 103 عنه ...

و يقول (ع) في وثيقة العهد، بعد تلك العبارة مباشرة: «... فوصل أرحاما قطعت، و آمن أنفسا فزعت، بل أحياها و قد تلفت، و أغناها إذ افتقرت».

فهو كما ترى ... في حين يشكر المأمون، و يكتب تحت اسمه: «بل جعلت فداك» (حسب رواية الإربلي فقط)، لا ينسى أن يشوب ذلك بالازراء ضمنا على آبائه العباسيين. و يذكر بما اقترفوه في حق العلويين، حيث كانوا يلاحقونهم تحت كل حجر و مدر، و يطلبونهم في كل سهل و جبل، كما قدمنا ...

هذا ... و لا بأس أن نقف قليلا عند قوله: «و انه جعل إلى عهده، و الامرة الكبرى- إن بقيت- بعده ...».

فإننا لا نكاد نتردد في أنه (ع) يشير بقوله: «إن بقيت بعده» إلى ذلك الفارق الكبير بالسن بينه (ع)، و بين المأمون. و أنه يعتمد توجيه الأنظار إلى عدم طبيعية هذا الأمر، و إلى عدم رغبته فيه.

و إنه كان يريد أن يعرف الناس بأنه يتوقع في أن لا يدخر المأمون وسعا من أجل التخلص منه، و لو بالاعتداء على حياته (ع)، فيما لو سنحت له الفرصة لذلك، بعد أن يكون قد حقق كل ما كان يريد تحقيقه، و وصل إلى ما كان يطمح إلى الوصول إليه؛ حيث لا بد حينئذ أن «يحل العقدة التي أمر اللّه بشدها». و لا بد أيضا أن تنكشف خيانته للملإ، و يظهر ما يخفيه في صدره، على حد تعبيره (ع) ...

و إلا فما هو الداعي له (ع) لاقحام هذا الشرط- إن بقيت- في أثناء مثل هذا الكلام ...

و إننا إذا نظرنا بعمق إلى قوله بعد ذلك: فمن حل عقدة أمر اللّه بشدها، و فصم عروة أحب اللّه إيثاقها ...». و تأملنا قوله السابق:

يعلم خائنة الأعين، و ما تخفي الصدور. و قوله اللاحق: لكنني امتثلت أمر أمير المؤمنين، و آثرت رضاه ... فلسوف نعرف: أنه (ع) يعرض هنا بالمأمون نفسه، و يقول للناس جميعا: إنه لا يشك في أن المأمون سوف ينقض العهد، و يحل العقدة.

و يلاحظ هنا أيضا: أنه وصف هذه العقدة بأنها مما أمر اللّه بشده، و أحب إيثاقه ... و هذا لعله لا يختلف عما كان (ع) يردده، و يؤكد عليه كثيرا، و نص عليه آنفا، و هو أن المأمون لم يجعل له إلا الحق الذي جهله غيره، و اغتصبه هو و آباؤه، منه (ع) و من آبائه ...

و إذا ما وصلنا إلى قوله (ع): «... بذلك جرى السالف، فصبر منه على الفلتات، و لم يعترض بعدها على العزمات، خوفا من شتات الدين، و اضطراب حبل المسلمين، و لقرب أمر الجاهلية الخ ...».

فإننا نراه كأنه يستشهد لاطاعته المأمون، و عدم اصراره على الرفض الموجب لتعريض نفسه، و العلويين، و شيعته للهلاك، و الاضطهاد- يستشهد لذلك- بما جرى لسالفه: و هو أمير المؤمنين علي (ع)، حيث صبر على الفلتات (1) التي كانت من خلفاء عصره، و لم يعترض (ع) على ما كانوا قد عقدوا العزم عليه، من المضي قدما في مخططاتهم، التي كانت تستهدف إبعاده عن مسرح السياسة، و تكريس الأمر الواقع، و تثبيته، لأنه يخدم مصالحهم، و يرضي مطامحهم ...

- لم يعترض علي (ع) على ذلك- لأنه خاف من شتات الدين،..

1- و من المحتمل جدا أنه عليه السلام: يشير إلى تعبير عمر- كانت بيعة أبي بكر فلتة إلخ-. و لكنه عمم الكلام بحيث يشمل غير بيعة أبي بكر أيضا؛ باعتبار أن بيعة عمر و عثمان، و معاوية و غيرها، كانت أيضا من الفلتات، أو باعتبار تفرعها على بيعة أبي بكر التي كانت فلتة ...

و اضطراب حبل المسلمين؛ و لقرب أمر الجاهلية ... و هذا مما قد نص عليه علي (ع) نفسه في أكثر من مورد، و أكثر من مناسبة؛ قال (ع):

«... و أيم اللّه، لو لا مخافة الفرقة بين المسلمين، و أن يعود الكفر، و يبور الدين، لكنا على غير ما كنا لهم عليه ...»، و يقول: «إن اللّه لما قبض نبيه، استأثرت علينا قريش بالأمر، و دفعتنا عن حق نحن أحق به من الناس كافة؛ فرأيت أن الصبر على ذلك أفضل من تفريق كلمة المسلمين، و سفك دمائهم؛ و الناس حديثوا عهد بالاسلام، و الدين يمخض مخض الوطب، يفسده أدنى و هن، و يعكسه أدنى خلف ...» (1).

و هكذا تماما كان الحال بالنسبة للإمام الرضا (ع)، حفيد علي، و وارثه؛ و الذي كان زمانه لا يبعد حال الناس فيه عن حال الجاهلية، فإنه آثر أن يصبر على هذه المحنة، خوفا من شتات الدين، و اضطراب حبل المسلمين؛ و ذلك بتعريض نفسه، و شيعته، و العلويين للهلاك، أو على الأقل للاضطهاد، الأمر الذي سوف تكون له أسوأ النتائج على الدين و الامة، كما قلنا ...

و إذا ما قرأنا بعد ذلك قوله (ع): «... و قد جعلت اللّه على نفسي،- إن استرعاني على المسلمين، و قلدني خلافته- العمل فيهم عامة، و في بني العباس بن عبد المطلب خاصة، بطاعة اللّه، و سنة رسوله (ص) ...» ... فإن ما يسترعي انتباهنا هو تنصيصه على بني العباس خاصة و أنه سوف يعمل فيهم بطاعة اللّه، و رسوله ... «فلا يسفك دما حراما، و لا يبيح فرجا و لا مالا، إلا ما سفكته حدوده، و أباحته فرائضه إلخ ...».

فإن هذا التنصيص إنما هو في مقابل «الأرحام التي قطعت، و فزعت،ك.

ص: 341

1- راجع شرح النهج للمعتزلي ج 1 ص 307، 308 و غير ذلك.

و تلفت، و افتقرت ...، من العلويين، على يد بني العباس، الذين فعلوا بهم، أكثر من فعل بني أميّة معهم، حسبما قدمنا ...

و تعهده و التزامه بأن يعمل في المسلمين عامة، و في بني العباس خاصة، بطاعة اللّه، و سنة رسوله ... هو التزام بنفس الخط الذي التزم به علي (ع)، و تعهد بانتهاجه. الأمر الذي كان سببا في ابعاده عن الخلافة في الشورى، و اضطلاع عثمان بها. بل كان ذلك هو السبب في ابعاده عنها، بالنسبة لما قبل ذلك أيضا، و ما جرى بعده.

و عليّ (ع) هو نفس ذلك الذي استشهد به آنفا، و بيّن أنه صبر على الفلتات، و لم يعترض على العزمات خوفا من شتات الدين إلخ ...

و الالتزام بخط علي (ع) لن يرضي المأمون، و العباسيين، و الهيئة الحاكمة. و لن يكون في مصلحتهم، حسبما المحنا إليه في فصل: جدية عرض الخلافة ...

كما أننا لا نستبعد كثيرا: أنه (ع) يريد أن ينبه على مدى التفاوت بين المنطلقات لسياسات أهل البيت، و منطلقات سياسات خصومهم، التي عرفت جانبا منها في القسم الأول من هذا الكتاب ...

و من هنا نعرف السر في قوله (ع): «... و أن أتخير الكفاة جهدي و طاقتي ...». فإنه إشارة إلى أنه (ع) سوف ينطلق في كل نصب و عزل- تماما كالإمام علي (ع)- من مصلحة الامة، و على وفق رضا اللّه، و تعاليم رسوله. لا من مصالح شخصية، أو اعتبارات سياسية، أو قبلية، أو غير ذلك من الاعتبارات، التي لا يعترف بها الاسلام، و لا يقيم لها وزنا ...

و إذا ما قرأنا قوله (ع): «... و إن أحدثت، أو غيرت، أو بدلت، كنت للغير مستحقا، و للنكال متعرضا، و أعوذ باللّه من سخطه إلخ ...».

ص: 342

فإننا نـدرك للتوّ أنه (ع) يريد ضـرب العقيدة، التي كان قد شـجعها الحكام، و روّج لها علماء السوء ... من أن الخليفة، بل مطلق الحاكم في منأى و مأمن من أي مؤاخذة، أو عقاب، مهما اقترف من جرائم، و أتاه من موبقات؛ فهو فوق القانون، و لا يجوز لأحد الخروج، أو الاعتراض عليه، في أي من الظروف و الأحوال، حتى و لو رمى القرآن بالنبل، و قتل ابن بنت رسول اللّه، فضـلا عما عـدا ذلك من الجرائم و الموبقات ...

و الإمام ... الـذي يعرف كيف كانت سـيرة المأمون، و سائر خلفاء بني العباس، و من لف لفهم، و التي عرفت فيما تقدم طرفا منها، و الذين كانوا يتمتعون بهذه الحصانة الزائفة ... قد أراد أن يوجه ضـربة قاضـية لهم جميعا، حتى للمأمون، و أشـياعه، و كل من كان من الطواغيت و الظلمـة على شاكلتهم، و يبين لهم، و للملإ أجمع: أن الحاكم حارس للنظام و القانون، و لا يمكن أن يكون فوق النظام و القانون؛ و لذا فلا يمكن أن يكون في منأى عن العقاب و القصاص، لو ارتكب أي جريمة، أو اقترف أية عظيمة.

فالمأمون، و آباؤه، و أشـياعهم، كانوا يضـحون بكل شي ء في سبيل أنفسهم، و مصالحهم الشخصية، و يقترفون كل عظيمة في سبيل تدعيم حكمهم، و تقويـة سـلطانهم ... أما الامام (ع) فهو مسـتعد لأن يقدم نفسه- إن اقتضـى الأمر- للعقاب و النكال، عند صدور أية مخالفة، و حصول أي تجاوز عما يرضي اللّه تعالى، و عن سنة رسوله ...

و بعد كل ما تقدم ... نراه يعبر عن عدم رضاه بهذا الأمر، و عدم تهالكه عليه؛ لعلمه بعدم تماميته له؛ و يقول بصـريح العبارة: إنه أمر لا يتم؛ لأن «... الجفر و الجامعة يدلان على ضد ذلك ...». كما أن في هذا تنويه مهمّ منه (ع) بذكر الركن الثاني من أركان إمامة أئمة

أهل البيت عليهم السلام، و هو أن اللّه تعالى اختصهم بأمور غيبية، و علوم لدنية، منعها عن سائر الناس.

و هذان الكتابان: الجفر، و الجامعة، هما من الكتب التي أملاها رسول اللّه (ص) على علي أمير المؤمنين (ع)، و كتبها بخط يده. و قد أظهر الأئمة عليهم السلام بعض هذه الكتب التي بخط علي (ع)، و باملاء الرسول (ص) لعدة من كبار شيعتهم، و استشهدوا بها في موارد عديدة في الأحكام (1) ...

و في الحقيقة ... إن الامام (ع)، و إن قبل ولاية العهد مكرها من المأمون ... و لكنه يريد بكلامه هذا، و استشهاده بالجفر و الجامعة أن يقول له، و لكل من كان على شاكلته بصريح العبارة: «... قد انبأنا اللّه بأخباركم، و سيرى اللّه عملكم، و رسوله، و المؤمنون، و ستردون إلى عالم الغيب و الشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون، و يجزيكم على ظلمكم و بغيكم علينا، و انتهاككم الحرمات منا، و لعبكم بدمائنا و أعراضنا، و أموالنا ...».

ثم نراه يترقى في صراحته، حيث يقول: «... لكنني امتثلت أمر أمير المؤمنين، و آثرت رضاه ...». أي أنه لو لم يقبل بهذا الأمر لتعرض لسخط المأمون ... و الكل يعلم ما ذا كان يعني سخط أولئك الحكام، الذين كانوا لا يحتاجون إلى أي مبرر لاقترافهم أي جريمة، و اقدامهم على أي عظيمة ...

و أخيرا ... و رغم أن المأمون قد تقدم منه (ع)، و طلب منه أن يشهد اللّه، و الحاضرين على نفسه ... نراه يأبى أن يكون المأمون، و لا أي من الحاضرين شاهدا على نفسه، و لا جعل لهم على نفسه سبيلا؛ لأنه..

1- راجع: كتاب مكاتيب الرسول ج 1 من ص 59 حتى ص 89، فقد اسهب القول حول هذه الكتب، و استشهادات الأئمة بها، و غير ذلك ...

كان يعلم بما كانت تكنه صدورهم، و تضطرم به قلوبهم عليه. بل جعل اللّه فقط شهيدا عليه، و استعان بالآية الكريمة، التي تقطع الطريق على كل أحد، و تكتفي باللّه شهيدا، حيث قال: «و أشهدت اللّه على نفسي (و كفى باللّه شهيدا) ...».

و إذا كان لا بد من كلمة:

و إذا كان لا بد في نهاية المطاف من كلمة؛ فاننا نقول: إن أولئك الذين عاشوا في تلك الفترة، و وقفوا على الظروف و الملابسات التي اكتنفت هذا الحدث التاريخي الهام- إن هؤلاء و لا شك- كانوا أقدر منا على فهم جميع ما كان يرمي إليه الامام (ع) من كل كلمة، كلمة، مما كتبه على وثيقة العهد ...

و إذا كان هناك من يرى: أن بعض الفقرات تحتمل غير ما قلناه ...

فاننا نرى: أن كون بعض الفقرات الاخرى لا يحتمل غير ما قلناه، و أيضا بما أن ما ذكرناه هو الذي يساعد على الجو العام، الذي توحي به النصوص التاريخية الكثيرة جدا، و التي قدمناها و سيأتي شطر منها- إن ذلك- هو ما يجعلنا نجزم بأن ما فهمناه هو بعض ما كان يرهي إليه (ع) مما كتبه على وثيقة العهد ...

ملاحظات هامة:

إن من الامور الغريبة حقا أن نرى نفس الخليفة يكتب وثيقة العهد- الطويلة جدا!!- بخط يده ... و أغرب منه أنه تقدم إلى الامام (ع)، و قال له: «اكتب خطك بقبول هذا العهد. و أشهد اللّه و الحاضرين عليك،

بما تعده في حق اللّه و رعاية المسلمين (1) ...».

و هذا إن دل على شـي ء، فإنما يدل على مدى أهمية هذا الأمر بالنسبة إلى المأمون، و أنه يريد تطويق هذا الموضوع من جميع جهاته، و إن اسـتلزم ذلك كل تلك الامور؛ و إلا ... فما هو الـداعي لأن يكتب له العهد بخط يده!!! ثم أن يتقدم إليه بنفسه!!! ... ثم ما الداعي لأن يطلب من الإمام ذلك!!!.

هـذا ... و لا بأس أيضا بملاحظـة تعبير المأمون ب «قبول»!!!. ثم ملاحظة أنه طلب منه أن يكتب هذا القبول ب «خط يده»!!!. ثم طلب منه أن يشهد اللّه و الحاضرين على نفسه!!!.

حقا ... إنها للعبقرية السياسية:

و على كل حال ... فلا شك أن المحاورات السياسـية تعتبر من الصـنائع المسـتظرفة؛ و ذلك لما تتضـمنه من تعريضات و كنايات، حسبما تفرضه الاتجاهات السياسية، التي يلتزم بها المتحاورون ...

و لذا ... نلاحظ أنه (ع) ... و إن كان يضمن كلامه الشكر للمأمون، بل و يكتب تحت اسمه- حسب رواية الاربلي فقط-: بل جعلت فداك ...

و لكن يبطن كلامه، و يضمنه تعريضات عميقة؛ بلهجة معتدلة، لا عنف فيها، و ذلك يعني: أن الإمام (ع) لم يتنازل عن مبدئه، و لا حاد عن نهجه، الـذي اختطه لنفسه، بوحي من رسالة اللّه، و تعاليم محمد (ص)، و خطى جده علي (ع) ... لـم يحد عنه قيد شـعرة، و لا هادن فيه، و لا حابى أحدا، حتى في هذا الموقف ...

1- مآثر الانافة ج 2 ص 332.

و لعمري ... لو كـان مـا كتبه الإمام الرضا (ع) على وثيقـة العهـد من شـخص عادي آخر، لكان يقال عنه الشـي ء الكثير تعظيما و تبجيلا؛ حيث إنه لم يضل عن خطته التي اختطها لنفسه، و لا حاد عن نهجه قيـد أنملة ... مع أن المأمون كان قد فاجأه بطلب الكتابة على الوثيقة، و لم يكن هو مستعدا، و لا متوقعا لذلك؛ لأن العادة لم تكن قد جرت على ذلك ...

و هذا و لا شك مما يزيد من عظمة الإمام، و يعلي من شأنه، و يستدعي المزيد من التعظيم و التبجيل له ...

و لكن الحقيقة هي: أنه- و هو الإمام المعصوم- غني عن كل تلكم التقريظات، و عن ذلكم التعظيم و التبجيل ...

الموقف التاسع:

اشارة

شروطه (ع) على المأمون لقبول ولاية العهد، و هي:

«أن لا يولي أحدا، و لا يعزل أحدا، و لا ينقض رسـما، و لا يغير شـيئا مما هو قائم، و يكون في الأمر مشـيرا من بعيد (1)»؛ فأجابه المأمون إلى ذلك كله!!!.

و في ذلك تضييع لجملة من أهداف المأمون ... إذ أن:

1- الفصول المهمة، لابن الصباغ المالكي ص 241، و نور الابصار من ص 143، و عيون أخبار الرضا ج 1 ص 20، و ج 2 ص 183، و مواضع اخرى، و مناقب آل أبي طالب ج 4 ص 363، و علل الشرائع ج 1، ص 238، و إعلام الورى ص 320، و البحار ج 49 ص 34 و 95، و غيرهـا، و كشف الغمـة ج 3 ص 69، و ارشاد المفيـد ص 310، و أمالي الصـدوق ص 43، و اصول الكـافي ص 489، و روضة الواعظين ج 1 ص 268، 269، و معادن الحكمة ص 180، و شرح ميمية أبي فراس ص 165.

1- السلبية تعني الاتهام:

فإن من الطبيعي أن تثير سلبيته هذه الكثير من التساؤلات لدى الناس، و لسوف تكون سببا في وضع علامات استفهام كبيرة، حول الحكم، و الحكام، و كل اعمالهم و تصرفاتهم؛ إذ أن السلبية إنما تعني: أن نظام الحكم لا يصلح حتى للتعاون معه؛ بأي نحو من أنحاء التعاون؛ و إلا فلما ذا يرفض- حتى ولي العهد- التعاون مع نظام هو ولي العهد فيه، و يأبى التأييد لأي من تصرفاته و أعماله؟!! ...

2- رفض الاعتراف بشرعية ذلك النظام:

و لقد قدمنا: أن من جملة أهداف المأمون هو أن يحصل من الإمام (ع) على اعتراف ضمني بشرعية حكمه و خلافته، كما صرح هو نفسه بذلك «و ليعترف بالملك، و الخلافة لنا».

و الإمام ... بشروطه تلك يكون قد رفض الاعتراف بشرعية النظام القائم، بأي نحو من أنحاء الاعتراف، و لم يعد قبوله بولاية العهد يمثل اعترافا بذلك، و لا يدل على أن ذلك الحكم يمثل الحكم الاسلامي الأصيل ...

هذا ... و قد عضد شروطه هذه، بسلوكه السلبي مع المأمون، و الهيئة الحاكمة، طيلة فترة ولاية العهد، يضاف إلى ذلك تصريحاته المتكررة، التي تحدثنا عنها فيما سبق ...

3- النظام القائم لا يمثل وجهة نظره في الحكم:

و الأهم من كل ذلك: أن شروطه هذه كانت بمثابة الرفض القاطع لتحمل المسئولية عن أي تصرف يصدر من الهيئة الحاكمة. و ليس

للناس- بعد هذا- أن ينظروا إلى تصرفات و اعمال المأمون و حزبه، على أنها تحظى برضى الإمام (ع) و موافقته. و لا يمكن لها- من ثم- أن تعكس وجهة نظره (ع) في الحكم و رأيه في أساليبه، التي هي في الحقيقة وجهة نظر الاسلام الصحيح فيه. الاسلام ... الذي يعتبر الائمة (ع) الممثلين الحقيقيين له، في سائر الظروف، و مختلف المجالات ...

و انطلاقا مما تقدم: نراه (ع) يرفض ما كان يعرضه عليه المأمون، من: كتابة بتولية أو عزل إلى أي إنسان ... و يرفض أيضا: أن يؤم الناس في الصلاة مرتين ... إلى آخر ما سيأتي بيانه.

و في كل مرة كان يرفض فيها مطالب المأمون هذه نراه يحتج عليه بشروطه تلك؛ فلا يجد المأمون الحيلة لما يريده، و تضيع الفرصة من يده.

و لا بد من ملاحظة: أنه عند ما أصر عليه المأمون بأن يؤم الناس في الصلاة، و رأى عليه السلام: انه لا بد له من قبول ذلك- نلاحظ-: أنه اشترط عليه أن يخرج كما كان يخرج جده رسول اللّه (ص)، لا كما يخرج الآخرون ...

و لم يكن المأمون يدرك مدى أهمية هذا الشرط، و لا عرف أهداف الإمام من وراء اشتراطه هذا؛ فقال له و لعله بدون اكتراث: أخرج كيف شئت ... و كانت نتيجة ذلك ... أنه (ع) قد أفهم الناس جميعا:

أن سلوكه و أسلوبه، و حتى مفاهيمه، تختلف عن كل أساليب و مفاهيم و سلوك الآخرين. و أن خطه هو خط محمد (ص)، و منهاجه هو منهاج علي (ع)، ربيب الوحي، و غذي النبوة، و ليس هو خط المأمون و سواه من الحكام، الذين اعتاد الناس عليهم، و على تصرفاتهم و أعمالهم.

و لم يعد يستطيع المأمون، أن يفهم الناس: أن الحاكم: من كان، و مهما كان، هذا هو سلوكه، و هذه هي تصرفاته. و أن كل شخصية:

من و مهما كانت، و إن كانت قبل أن تصل إلى الحكم تتخذ العدل،

و الحرية: و المساواة، و غير ذلك شـعارات لها، إلا أنها عند ما تصل إلى الحكم، لا يمكن إلا أن تكون قاسية ظالمة، مستأثرة بكل شي ء، و مسـتهترة بكـل شـي ء؛ و لـذا فليس من مصـلحة النـاس أن يتطلعوا إلى حكم أفضل مما هو قائم، حتى و لو كان ذلك هو حكم الإمام (ع) المعروف بعلمه و تقواه و فضـله الخ ... فضـلا عن غيره من العلويين أو من غيرهم- لم يعد يستطيع أن يقول ذلك- لأن الواقع الخارجي قد أثبت عكس ذلك تماما؛ إذ قد رأينا: كيف أن الإمام (ع) بشروطه تلك، و بسائر مواقفه من المأمون و نظام حكمه ... يضيع على المأمون هذه الفرصة، و لم تجده محاولاته فيما بعد شيئا. بل إن كثيرا منها كان سوءا و وبالا عليه، كما سيأتي ...

4- لا مجال بعد للمأمون لتنفيذ مخططاته:

و لعـل من الواضـح: أن شـروطه تلك قـد مكنته من أن يقطع الطريق على المأمون، و لا يمكنه من اسـتغلال الظروف لتنفيـذ بقيـة حلقات مؤامرته؛ إذ لم يعد بإمكانه أن يصـر على الإمام أن يقوم بأعمال تنافي و تضـر بقضـيته هو، و قضية العلويين، و من ثم تؤثر على الامة بأسرها ... وعدا عن ذلك فإن هذه الشـروط، قد حفظت له (ع) حياته في حمام سـرخس، حيث كان المأمون قد حاك مؤامرته للتخلص من وزيره و ولي عهده مرة واحدة، كما سـيأتي بيانه ... مما يعني أن سلبيته (ع) مع النظام كانت أمرا لا بد منه؛ إذا أراد أن لا يعرض نفسه إلى مشاكل، و أخطار هو في غنى عنها ... و الذي أمّن له هذه السلبية ليس إلا شروطه تلك، التي جعلت من لعبة ولاية العهد لعبة باهتة مملة لا حياة فيها، و لا رجاء ...

و لعل الأهم من كل ذلك ... أنها ضيعت على المأمون الكثير من أهدافه من البيعة، التي صرح الإمام (ع) أنه كان عارفا بها، و لم يكن له خيار في تحملها، و الصبر عليها، إلى أن يقضي اللّه أمرا كان مفعولا ...

وعدا عن ذلك كله أن تعاونه مع النظام إنما يعني أن يحاول تصحيح السلوك، و تلافي الأخطاء، التي كان يقع فيها الحكم، و الهيئة الحاكمة ...

و ذلك معناه أن ينقلب جهاز الحكم كله ضد الإمام، و يجد المأمون- من ثم- العذر، و الفرصة لتصفيته (ع) من أهون سبيل؛ فشروطه تلك أبعدت عنه الخطر- إلى حد ما- الذي كان يتهدده من قبل المأمون، و أشياعه، و جعلته- كما قلنا- في منأى و مأمن من كل مؤامراتهم و مخططاتهم ...

5- الإمام ... لا ينفذ ارادات الحكم:

و لعل من الأهمية بمكان ... أن نشير إلى أنه (ع) كان يريد بشروطه تلك أن يفهم المأمون: أنه ليس على استعداد لتنفيذ إرادات الحكم، و الحاكم، و لا على استعداد لأن يقتنع بالتشريفات، و الامور الشكلية؛ فإنه ... بصفته القائد و المنقذ الحقيقي للامة؛ لا يمكن أن يرضى بديلا عن أن ينقذ الامة، و يرتفع بها من مستواها الذي أوصلها إليه الطواغيت و الظلمة، الذين جلسوا في مكان رسول اللّه (ص)، و أوصيائه عليهم السلام، و حكموا بغير ما أنزل اللّه ...

إنه يريد أن يخدم الامة، و يحقق لها مكاسب تضمن لها الحياة الفضلى، و العيش الكريم، و لا يريد أن يخدم نفسه، و يحقق مكاسب شخصية على حساب الآخرين؛ و لذلك فهو لا يستطيع أن يقتنع بالسطحيات و الشكليات التي لا تسمن، و لا تغني من جوع ...

6- لا زهد أكثر من هذا:

إنه مضافا إلى أن مجرد رفض الإمام كلا عرضي المأمون: الخلافة، و ولاية العهد، دليل قاطع على زهده فيه ... فإن هذه الشروط كان لها عظيم الفائدة، و جليل الأثر في الاظهار لكل أحد أن الإمام ليس رجل دنيا، و لا طالب جاه و مقام. و ما أراده المأمون من إظهار الإمام على أنه لم يزهد بالدنيا، و إنما الدنيا هي التي زهدت فيه ... لم يكن إلا هباء اشتدت به الريح في يوم عاصف ... و لم تفلح بعد محاولات المأمون و عمله الدائب؛ من أجل تشويه الإمام و النيل من كرامته ...

و لقد قدمنا: أن الإمام (ع) قد واجه نفس المأمون بحقيقة نواياه، و أفهمه أن خداعه لن ينطلي عليه، و لن تخفى عليه مقاصده؛ و لذا فان من الافضل و الأسلم له أن يكف عن كل مؤامراته و مخططاته ... و إلا فإنه إذا ما أراد اجبار الإمام على التعاون معه؛ فلسوف يجد أنه (ع) على استعداد لفضحه، و كشف حقيقته و واقعه أمام الملأ، و افهام الناس السبب الذي من أجله يجهد المأمون ليزج بالإمام (ع) في مجالات لا يرغب، بل و اشترط عليه أن لا يزجّ فيها- كما فعل في مناسبات عديدة- الأمر الذي لن يكون أبدا في صالح المأمون، و نظام حكمه ...

و من هنا رأيناه (ع) يجيب الريان عند ما سأله عن سر قبوله بولاية العهد، و اظهاره الزهد بالدنيا- يجيبه-: ببيان أنه مجير على هذا الأمر، و يذكره بالشروط هذه، و التي تعني أنه قد دخل فيه دخول خارج منه، كما تقدم ...

و هكذا ... و بعد أن كان (ع) سلبيا مع النظام، و بعد رفضه لكلا عرضي المأمون، و بعد أن اشترط هذه الشروط للدخول في ولاية العهد؛ فليس من السهل على المأمون، و لا على أي إنسان آخر أن ينسب

إليه (ع): أنه رجل دنيا فقط، و أنه ليس زاهدا في الدنيا، و إنما هي التي زهدت فيه.

و على كـل حـال: و رغم كـل محاولاـت المـأمون تلك ... فقـد اسـتطاع الإمام (ع)؛ بفضل وعيه، و يقظته، و احكام خطته: أن يبقى القمة الشامخة للزهد، و الورع، و النزاهة، و الطهر، و كل الفضائل الانسانية ...

و إلى الابد.

الموقف العاشر:

اشارة

موقفه (ع) في صلاتي العيد ... ففي إحداهما:

«بعث المأمون له يسأله: أن يصـلي بالناس صـلاة العيـد، و يخطب، لتطمئن قلوب الناس، و يعرفوا فضـله، و تقر قلوبهم على هـذه الـدولة المباركة؛ فبعث إليه الرضا (ع)، و قال: قد علمت ما كان بيني و بينك من الشرط في دخولي في هذا الأمر؛ فاعفني من الصلاة بالناس.

فقال المأمون: إنما أريد بهذا أن يرسخ في قلوب العامة، و الجند، و الشاكرية هذا الأمر؛ فتطمئن قلوبهم، و يقروا بما فضّلك اللّه تعالى به ...

و لم يزل يراده الكلاـم في ذلـك. فلما ألـح عليه قال: يا أمير المؤمنين، إن أعفيتني من ذلك، فهو أحب إليّ، و إن لم تعفني خرجت كما كان يخرج رسول اللّه (ص)، و كما خرج أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) قال المأمون: أخرج كيف شئت ...

و أمر المأمون القواد، و الحجاب، و الناس: أن يبكروا إلى باب أبي الحسن (ع)؛ فقعد الناس لأبي الحسن في الطرقات، و السطوح:

من الرجال، و النساء، و الصبيان، و صار جميع القواد، و الجند إلى بابه (ع)؛ فوقفوا على دوابهم حتى طلعت الشمس ...

فلما طلعت الشمس قام الرضا (ع) فاغتسل، و تعمم بعمامة بيضاء من قطن، و القى طرفا منها على صدره، و طرفا بين كتفيه، و مس شيئا من الطيب، و تشمر. ثم قال لجميع مواليه: افعلوا مثل ما فعلت ...

ثم أخذ بيده عكازة، و خرج، و نحن بين يديه، و هو حاف قد شمر سراويله إلى نصف الساق، و عليه ثياب مشمرة ...

فلما قام، و مشينا بين يديه، رفع رأسه إلى السماء، و كبر أربع تكبيرات؛ فخيل إلينا: أن الهواء و الحيطان تجاوبه. و القواد و الناس على الباب، قد تزينوا، و لبسوا السلاح، و تهيئوا بأحسن هيئة ...

فلما طلعنا عليهم بهذه الصورة: حفاة، قد تشمرنا. و طلع الرضا و وقف وقفة على الباب، و قال: «... اللّه اكبر، اللّه اكبر على ما هدانا، اللّه اكبر على ما رزقنا من بهيمة الانعام، و الحمد للّه على ما أبلانا». و رفع بذلك صوته، و رفعنا أصواتنا ...

فتزعزعت مرو بالبكاء، فقالها: ثلاث مرات؛ فلما رآه القواد و الجند على تلك الصورة، و سمعوا تكبيره سقطوا كلهم عن الدواب إلى الأرض، و رموا بخفافهم، و كان أحسنهم حالا من كان معه سكين قطع بها شرابة جاجيلته و نزعها، و تحفى ... و صارت مرو ضجة واحدة، و لم يتمالك الناس من البكاء و الضجة.

فكان أبو الحسن يمشي، و يقف في كل عشر خطوات وقفة يكبر اللّه أربع مرات؛ فيتخيل إلينا: أن السماء، و الأرض، و الحيطان تجاوبه.

و بلغ المأمون ذلك؛ فقال له الفضل بن سهل ذو الرئاستين: يا أمير المؤمنين: إن بلغ الرضا المصلى على هذا السبيل افتتن به الناس، و خفنا كلنا على دمائنا؛ فالرأي أن تسأله أن يرجع ...

فبعث المأمون إلى الإمام يقول له: إنه قد كلفه شططا، و أنه ما

كان يحب أن يتعبه. و يطلب منه: أن يصلي بالناس من كان يصلي بهم ...

فدعا أبو الحسن بخفه؛ فلبسه، و رجع ...

و اختلف أمر الناس في ذلك اليوم، و لم ينتظم في صلاتهم إلخ ...» (1).

و لقد قال البحري يصف هذه الحادثة و الظاهر أنه يمين بن معاوية العائشي الشاعر على ما في تاج العروس:

ذكروا بطلعتك النبي؛ فهللوالما طلعت من الصفوف و كبروا

حتى انتهيت إلى المصلى لابسانور الهدى يبدو عليك فيظهر

و مشيت مشية خاشع متواضع للّه، لا يزهى، و لا يتكبر

و لو أنّ مشتاقا تكلف غير مافي وسعه لمشى إليك المنبر (2) و مما يلاحظ هنا: أنه في هذه المرة أرسل إليه من يطلب منه أن يرجع. و لكننا في مرة أخرى نراه يسارع بنفسه، و يصلي بالناس، رغم تظاهره بالمرض ...

و على كل حال ... فإننا و إن كنا قد تحدثنا في هذا الفصل، و في فصل: ظروف البيعة و سنتحدث فيما يأتي عن بعض ما يتعلق بهذه الحادثة؛ إلا أننا سوف نشير هنا إلى نقطتين فقط ... و هما:س.

1- قد ذكرنا بعض مصادر هذه الرواية في فصل: ظروف البيعة ... فراجع ...

2- مناقب آل أبي طالب، لابن شهرآشوب ج 4 ص 372. و لكن هذا الشعر ينسب أيضا للبحتري في المتوكل عند ما خرج لصلاة العيد ... و انتحال الشعر، و كذلك الاستشهاد بشعر الآخرين في المواضع المناسبة ظاهرة شائعة في تلك الفترة و من يدري فلعل الشعر للبحتري و نسب للبحري أو لعله للبحري و انتحله أو نسب للبحتري. و لعل البحتري قد صحف و صار: البحري ... و لعل العكس.

1- الأثر العاطفي، و القاعدة الشعبية:

فنلاحظ: أننا حتى بعد مرور اثني عشـر قرنا على هذه الواقعة، لا نملك أنفسنا و نحن نقرأ وقائعها، من الانفعال و التأثر بها؛ فكيف إذن كانت حال أولئك الذين قدر لهم أن يشهدوا ذلك الموقف العظيم؟!!.

و غني عن البيان هنا: أن شأن هذه الواقعة هو شأن واقعة نيشابور، من حيث دلالتها دلالة قاطعة على كل ما كان للرضا من عظمة و تقدير في نفوس الناس و قلوبهم، و على مدى اتساع القاعدة الشعبية له (ع) ...

2- لما ذا يجازف المأمون بارجاعه (ع):

و إذا كان هدف المأمون من الاصـرار على الإمام بأن يصلي بالناس هو أن يخدع الخراسانيين و الجند و الشاكرية، و يجعلهم يطمئنون على دولته المباركـة فإنه من الواضـح أيضا أن إرجاع المأمون للإمام (ع) في مثل تلك الحالـة، و ذلك التجمع الهائل، و تلك الثورة العاطفية في النفوس، كان ينطوي على مجازفة و مخاطرة لم تكن لتخفى على المأمون، و أشـياعه؛ حيث لا بد و أن يثير تصـرفه هذا حنق تلك الجماهير التي كانت في قمة الهيجان العاطفي، و يؤكد كراهيتها له ... و على الأقل لن تكون مرتاحة لتصرفه هذا على كل حال ...

و بعـد هـذا ... فإنه إذا كان المأمون يخشـى من مجرد اقامة الإمام للصـلاة ... فلا معنى لأن يلح عليه هو بقبولها ... و كذلك لا معنى لأن يخشى ذلك الهيجان العاطفي، و تلك الحالة الروحية، التي أثارها فعل الإمام (ع) و تصرفه في هذا الموقف ... فذلك إذن ما لم يكن يخافه و يخشاه ...

فمن أي شي ء خاف المأمون إذن؟! إنه كان يخشى ما هو أعظم

ص: 356

و أبعد أثرا، و أشد خطرا ... إنه خشي من أن الرضا إذا ما صعد المنبر، و خطب الناس، بعد أن هيأهم نفسيا، و أثارهم عاطفيا إلى هذا الحد- خشي- أن يأتي بمتمم لكلامه الذي أورده في نيشابور: «و أنا من شروطها ...» لا سيما و أنه ظهر إليهم على الهيئة التي كان يخرج عليها النبي محمد (ص)، و وصيه علي (ع) و هو أمر جديد عليهم ... مما من شأنه أن يجعل المأمون و أشياعه لا يأمنون بعد على انفسهم، كما ذكر الفضل بن سهل ... و لسوف يحول الامام مروا من معقل للعباسيين و المأمون، و عاصمة، و حصن قوي لهم ضد أعدائهم- من العرب و غيرهم- سوف يحولها إلى حصن لأعداء العباسيين و المأمون، حصن لأئمة أهل البيت ... ففضل المأمون: أن يختار إرجاعه (ع) عن الصلاة، لأنه رأى أن ذلك هو أهون الشرّين و اقل الضررين.

و لقد جرب المأمون الرضا أكثر من مرة، و أصبح يعرف أنه مستعد لأن يعلن رأيه صراحة في أي موقف تؤاتيه فيه الفرصة، و يقتضي الأمر فيه ذلك. و لم ينس بعد موقفه في نيشابور، و لا ما كتبه في وثيقة العهد، و لا غير ذلك من مواقفه (ع)، و تصريحاته في مختلف الأحوال و الظروف ...

الموقف الحادي عشر:

و أخيرا ... فقد كان سلوك الإمام (ع) العام، سواء بعد عقد ولاية العهد له، أو قبلها، يمثل ضربة لكل خطط المأمون و مؤامراته. ذلك السلوك المثالي، الذي لم يتأثر بزبارج الحكم و بهارجه ...

و يكفي أن نذكر هنا ما وصفه به إبراهيم بن العباس، كاتب القوم و عاملهم، حيث قال:

«ما رأيت أبا الحسن جفا أحدا بكلامه قط، و ما رأيته قطع على

أحـد كلامه حتى يفرغ منه، و ما رد أحدا عن حاجة يقدر عليها، و لا مد رجليه بين يدي جليس له قط، و لا اتكأ بين يدي جليس له قط، و لا شتم أحـدا من مواليه و ممـاليكه قط، و لا رأيته تفل قط، و لا رأيته يقهقه في ضـحكه قط، بل كان ضـحكه التبسم. و كان إذا خلا، و نصـبت مائدته أجلس معه على مائدته مماليكه، حتى البواب و السائس.

و كان قليل النوم بالليل، يحيي اكثر لياليه من أولها إلى الصـبح. و كان كثير الصـيام؛ فلا يفوته صيام ثلاثة أيام في الشهر، و يقول: ذلك صوم الـدهر. و كان كثير المعروف و الصدقة في السـر، و اكثر ذلك يكون منه في الليالي المظلمة؛ فمن زعم أنه رأى مثله في فضـله؛ فلا تصدقوه ...» (1).

و هذه الصـفات بلا شك قد أسـهمت اسـهاما كبيرا في أن يكون الإمام (ع) هو الارضـى في الخاصة و العامة، و أن تنفذ كتبه في المشرق و المغرب، إلى غير ذلك مما تقدم ...

الحكم ليس امتيازا و إنما هو مسئولية:

و قـد اعترض عليه بعض أصـحابه؛ عنـد ما رآه يأكل مع خـدمه و غلمانه، حتى البواب و السائس؛ فأجابه (ع): «مه؛ إن الرب تبارك و تعالى واحد، و الام واحدة، و الأب واحد، و الجزاء بالأعمال ...» (2) ...

و قال له أحدهم: أنت و اللّه خير الناس، فقال له الإمام: «لا تحلف يا هذا، خير مني من كان أتقى للّه تعالى، و اطوع له؛ و اللّه ما

1- كلام ابراهيم بن العباس هذا معروف و مشهور، تجده في كثير من كتب التاريخ و الرواية؛ و لذا فلا نرى أننا بحاجة إلى تعداد مصادره.
2- البحار ج 49 ص 101، و الكافي للكليني، و مسند الامام الرضا ج 1 قسم 1 ص 46.

نسخت هذه الآية: «و جعلناكم شعوبا و قبائل لتعارفوا إن اكرمكم عند اللّه اتقاكم ...» (1).

و قال لإبراهيم العباسي: إنه لا يرى أن قرابته من رسول اللّه (ص) تجعله خيرا من عبد أسود، إلا أن يكون له عمل صالح فيفضله به (2).

و قال رجل له: ما على وجه الأرض اشرف منك أبا. فقال:

التقوى شرفتهم، و طاعة اللّه أحظتهم (3).

و ما نريد أن نشير إليه و نؤكد عليه هنا، هو أنه (ع) يريد بذلك أن يفهم الملأ: أن الحكم لا يعطي للشخص- من كان، و مهما كان- امتيازا، و لا يجعل له من الحقوق ما ليس لغيره، و إنما الامتياز- فقط- بالتقوى و الفضائل الاخلاقية ... و كل شخص حتى الحاكم سوف يلقى جزاء أعماله: إن خيرا فخير، و إن شرا فشر؛ و عليه فما يراه الناس من سلوك الحكام، ليس هو السلوك الذي يريده اللّه، و تحكم به النواميس الاخلاقية، و الانسانية. و الامتيازات التي يجعلونها لأنفسهم، و يستبيحون بها ما ليس من حقهم لا يقرها شرع، و لا يحكم بها قانون ...

و بكلمة مختصرة: إن الإمام (ع) يرى: أن الحكم ليس امتيازا، و إنما هو مسئولية ...

و على كل حال ... فان سلوك الامام (ع)، لخير دليل على ما كان يتمتع به من المزايا الاخلاقية، و الفضائل النفسية ... و يكفي أنه لم يظهر منه (ع) طيلة الفترة التي عاشها في الحكم إلا ما ازداد به فضلا بينهم، و محلا في نفوسهم، على حدّ تعبير أبي الصلت. و على حدّ تعبير شخص6.

ص: 359

1- عيون أخبار الرضا ج 2 ص 236، و مسند الامام الرضا ج 1 قسم 1 ص 46.

2- عيون أخبار الرضا ج 2 ص 237.

3- عيون أخبار الرضا ج 2 ص 236. و مسند الامام الرضا ج 1 قسم 1 ص 46.

آخر: أقام بينهم لا يشركهم في مآثم من مآثم الحكم ... بل لقد كان لوجوده أثر كبير في تصحيح جملة من الأخطاء و الانحرافات التي اعتادها الحكم آنئذ ... حتى لقد استطاع أن يؤثر على نفس المأمون، و يمنعه من الشراب و الغناء، طيلة الفترة التي عاشها معه، إلى آخر ما هنالك، مما لسنا هنا في صدد تتبعه و استقصائه ...

و في نهاية المطاف نقول:

و حسبنا هنا ما ذكرنا من الأمثلة، التي نحسب أنها تكفي لأن تلقي ضوءا كاشفا على الخطة التي اتبعها الامام (ع) في مواجهة خطط المأمون و مؤامراته ... تلك الخطة التي كانت تكفي لأن لا تبقى الصورة التي أرادها المأمون في أذهان الناس، و لا مبرر للشكوك لأن تبقى تراود نفوسهم ...

و لقد نجحت تلك الخطة نجاحا أذهل المأمون، و أعوانه، و جعلهم يتصرفون بلا روية، و يقعون بالمتناقضات ... حتى لقد أشرف المأمون منه على الهلاك، حسبما صرح به المأمون نفسه ... و كانت النتيجة أن دبر فيه المأمون بما يحسم عنه مواد بلائه. كما وعد حميد بن مهران، و جماعة من العباسيين ...

ص: 360

القسم الرّابع من خلال الأحداث

اشارة

1- مع بعض خطط المأمون ...

2- كاد المريب أن يقول خذوني

3- ما يقال حول وفاة الإمام ...

4- دعبل و المأمون ...

5- كلمة ختامية ...

ص: 361

مع بعض خطط المأمون

التوجيهات الراضية غير مقبولة:

كل ما تقدم يلقي لنا ضوءا على بعض نوايا المأمون تجاه الإمام (ع)، و على كثير من الأحداث التي اكتنفت ذلك الحدث التاريخي الهام ...

و إننا حتى لو سلمنا جدلا، و غضضنا النظر عن كل تلك الأسئلة، و علامات الاستفهام التي يمكن استخلاصها مما تقدم ... فإننا لا نستطيع- مع ذلك- أن نعتبر البيعة صادرة عن حسن نية، و سلامة طوية.

و لا أن نقبل بالتوجيهات الراضية عن تصرفاته، طيلة فترة ولاية العهد، و بعدها تجاه الإمام، الذي كان يكبر المأمون ب «22» سنة، و الذي كان مجبرا على قبول هذا الأمر، و مهددا بالقتل إن لم يقبل. و لم لا يتركه و شأنه ما دام أنه لا يريد أن يتقلد هذا الشرف الذي تتهافت النفوس عليه، و تزهق الأرواح من أجله؟! ...

نعم ... إننا لا نستطيع أن نسلم بذلك، و نحن نرى منه تلك التصرفات و المواقف المشبوهة، بل و المفضوحة تجاه الإمام (ع)، و التي لا تبقي مجالا للشك في حقيقة نواياه و أهدافه من كل ما أقدم و ما كان عاقدا العزم على الاقدام ...

ص: 363

و هذا الفصل معقود للحديث عن بعض تلك التصرفات، و من أجل بيان تلك الخطط ...

المأمون يفضح نفسه:

و قد تعجب إذا قلنا لك: إن المأمون نفسه يصرح ببعض خططه، التي كانت تصرفاته تدور في فلكها، و يعلن بعض الدوافع، و يبوح ببعض النوايا تجاه الإمام، و بالنسبة لقضية ولاية العهد فإليك ما أجاب به حميد بن مهران، و جمعا من العباسيين، عند ما عاتبوه و لاموه على ما أقدم عليه، من البيعة للرضا (ع)، يقول المأمون:

«... قد كان هذا الرجل مستترا عنا، يدعو إلى نفسه؛ فأردنا أن نجعله ولي عهدنا؛ ليكون دعاؤه لنا؛ و ليعترف بالملك و الخلافة لنا؛ و ليعتقد فيه المفتونون به بأنه ليس مما ادعى في قليل و لا كثير، و أن هذا الأمر لنا دونه.

و قد خشينا إن تركناه على تلك الحال: أن ينفتق علينا منه ما لا نسده، و يأتي علينا ما لا نطيقه ...

و الآن ... فإذ قد فعلنا به ما فعلنا، و أخطأنا في أمره بما أخطأنا، و أشرفنا من الهلاك بالتنويه باسمه على ما أشرفنا؛ فليس يجوز التهاون في أمره. و لكننا نحتاج إلى أن نضع منه قليلا، قليلا، حتى نصوره عند الرعية بصورة من لا يستحق هذا الأمر، ثم ندبر فيه بما يحسم عنا مواد بلائه ...»

ثم طلب منه حميد بن مهران: أن يسمح له بمجادلة الإمام (ع)، ليفحمه، و ينزله منزلته، و يبين للناس قصوره، و عجزه؛ فقال المأمون: «لا شي ء أحب إلي من هذا».

ص: 364

ثم كانت النتيجة عكس ما كان يتوقعه المأمون و العباسيون، و أشياعهم و باءوا كلهم بالفشل الذريع، و الخيبة القاتلة (1) ...

و الذي يعنينا الحديث عنه هنا:

هو قوله: و قد خشينا إن تركناه على تلك الحال ... إلى آخر ما نقلناه عنه آنفا؛ فإنها أوضحت أن المأمون الذي كان يخشى الإمام خشية شديدة، كان يخطط أولا إلى أخذ زمام المبادرة من الإمام، و تحاشي الاصطدام معه ثم كان يخطط بعد ذلك إلى الوضع منه (ع) قليلا قليلا إلى آخر ما تقدم ...

و لا يرد: أن كلام المأمون مع حميد بن مهران ظاهره: أنه لم يكن يريد في بادئ الأمر الحط من الإمام عليه السلام، و إنما بدا له ذلك حين قوي مركز الامام عليه السلام، و استحكم أمره ... لا يرد ذلك ...

لأن كلامه هذا لا ينفي أنه كان يريد من أول الأمر ذلك، بل هو يؤكد ذلك، لأنه يصرح فيه: أنه إنما قدم على ما أقدم عليه، عند ما رأى افتتان الناس به عليه السلام، فأراد أن يعمل عملا يفقد الإمام عليه السلام مركزه، و يقضي على كل نشاطاته، و يذهب بما له من القدرة و النفوذ نهائيا، و إلى الأبد.

و لقد تحدثنا فيما سبق عن بعض تصرفاته التي تدور في فلك خططه تلك مثل: فرضه للرقابة على الامام (ع)، و التضييق عليه؛ فلا يصل إليه إلا من أحب، و عزله عن شيعته و مواليه، و أيضا تفريقه الناس عنه، عند ما أخبر أنه يقوم بمهمة التدريس، و كذلك قضية صلاة العيد، و غير ذلك مما تقدم.

1- راجع: شرح ميمية أبي فراس ص 196، و عيون أخبار الرضا ج 2 ص 170، و البحار ج 49 ص 183، و مسند الامام الرضا ج 2 ص 96 ...

و نزيد هنا بعض الامور الاخرى، التي و إن كان قد سبق الحديث عن بعضها؛ و لكنه كان حديثا من زاوية اخرى، و من أجل استفادة أمور غير الامور التي نحاول استفادتها منها هنا ... و ذلك أمر طبيعي، و لا يكون تكرارا ما دام أن الواقعة الواحدة قد يكون لها دلالات متعددة، و افادات مختلفة ... و لذا فإننا نقول:

لما ذا على البصرة فالأهواز:

إن من جملة الامور التي كانت من جملة خطط المأمون للتأثير على مكانة الإمام (ع) و حتى على معنوياته النفسية ... الطريق الذي أمر رجاء ابن أبي الضحاك (1) قرابة الفضل بن سهل، و الذي كان من قواد المأمون، و ولاته- أمره- بسلوكه، عند ما أرسله ليأتي بالإمام (ع) من المدينة إلى مرو مهما كلفه الأمر ...

فقد أمره: أن يجعل طريقه بالإمام «على البصرة، و الاهواز، ففارس. و حذره كثيرا من المرور على طريق الكوفة، و الجبل، و قم ...» (2).

1- و ذكر أبو الفرج، و المفيد: أن المرسل هو الجلودي، و لكن الصحيح هو الذي ذكرناه ... إذ من الخطأ أن يرسله المأمون لاحضار الرضا عليه السلام؛ لأن ذلك يضر بقضيته، و يفسد عليه ما كان دبره؛ لأنه موجب لسوء ظن الرضا عليه السلام، و العلويين، و سائر الناس، و تنبههم مبكرا لحقيقة الأمر، و واقع القضية ... و ذلك لأن الجلودي هو الذي أمره الرشيد: أن يغير على دور آل أبي طالب، و يسلب نساءهم إلخ ما تقدم ... كما أنه كان عدوا متجاهرا للامام، و قد سجنه المأمون بسبب معارضته للبيعة للرضا عليه السلام بولاية العهد!! و لعل سر خطأهم هو أن الجلودي كان واليا على المدينة من قبل المأمون، حين استقدام المأمون للامام إلى مرو، حسبما جاء في كتاب: الامام الرضا ولي عهد المأمون ص 35.

2- تهذيب التهذيب ج 7 ص 387، و تاريخ اليعقوبي ج 3 ص 176، و ينابيع المودة ص 384، و الخرائج و الجرائح طبعة حجرية ص 236، و اثبات الوصية ص 205 و إعلام الورى ص 320، و عيون أخبار الرضا ج 2 ص 149، 180، و الكافي ج 1 ص 486، و مسند الامام الرضا ج 1 ص 40 و البحار ج 49 ص 91، 92 118 و 134، و كشف الغمة ج 3 ص 65، و غير ذلك كثير.

بل لقد ورد: أن المأمون قد كتب إلى الرضا نفسه، يقول له:

«لا تأخذ على طريق الجبل و قم. و خذ على طريق البصرة، فالأهواز، ففارس ...» (1).

و سر ذلك واضح؛ فإن أهل الكوفة، و قم، كانوا معروفين بالتشيّع للعلويين (2) و أهل البيت. و مرور الامام (ع) من هذين البلدين، و خصوصا الكوفة، التي كانت تعتبر من المراكز الحساسة جدا في الدولة ... سوف0.

ص: 367

1- اصول الكافي ج 1 ص 489، و عيون أخبار الرضا ج 2 ص 149 و 180، و شرح ميمية أبي فراس ص 165، و معادن الحكمة ص 180، و إثبات الوصية للمسعودي ص 204، و مسند الامام الرضا ج 1 ص 73، و البحار ج 49 ص 134.
2- تشيع أهل الكوفة و قم أشهر من أن يحتاج إلى بيان، أو إقامة برهان ... لكننا نورد- مع ذلك- بعض الشواهد، تبصرة للقارئ، فنقول: أما الكوفة: فقد تقدم قول محمد بن علي العباسي أنها و سوادها شيعة علي و ولده ... و في الطبري، و ابن الأثير، و غيرهما تجد قول عبد اللّه بن علي للمنصور، عند ما استشاره في أمر محمد بن عبد اللّه بن الحسن: «... ارتحل الساعة حتى تأتي الكوفة، فاجثم على أكتافهم، فانهم شيعة أهل هذا البيت، و أنصاره الخ ...». و في قضية وفاة السيد الحميري، التي ذكرها المرزباني في كتابه أخبار السيد الحميري دلالة واضحة على تشيع الكوفيين، و انحراف البصريين ... و لأجل ذلك نرى المأمون يستقبل و فدا من أهل الكوفة في منتهى الغلظة و الجفاء، فراجع مروج الذهب ج 3 ص 421. و في البداية و النهاية ج 10 ص 93: أن المنصور قد اعترف بأن لإبراهيم بن عبد اللّه بن الحسن في الكوفة مائة ألف سيف مغمدة، و أعرب عن مخاوفه من تشيع أهل الكوفة للعلويين، و ولائهم لهم ... بل إننا لا نستبعد أن يكون بناء المنصور لبغداد هو من أجل أن يبتعد عن الكوفة، و أهلها، و يأمن على نفسه؛ قال البلاذري في فتوح البلدان ص 405: «أخذ المنصور أهل الكوفة بحفر خندقها. و ألزم كل امرئ للنفقة عليه أربعين درهما. و كان ذاما لهم؛ لميلهم إلى الطالبيين، و إرجافهم بالسلطان ...». و قد تقدم أنه عند ما ذهب إليهم العباس بن موسى، أخو الامام الرضا عليه السلام يدعوهم للبيعة، لم يجبه إلا البعض منهم، و قال له آخرون: «إن كنت تدعو للمأمون، ثم من بعده لأخيك؛ فلا حاجة لنا في دعوتك. و إن كنت تدعو إلى أخيك، أو بعض أهل بيتك، أو إلى نفسك أجبناك ...». و على كل حال ... فقد كانت الكوفة مصدرا لثورات كثيرة على الامويين و العباسيين على حد سواء، تلك الثورات التي كانت كلها تقريبا بقيادة علوي، أو داعية إلى علوي ... و لم ينس المأمون بعد ثورة أبي السرايا التي كادت تغير الموازين، و تقلب ماجريات الأحداث ... إلى غير ذلك مما لا مجال لتتبعه و استقصائه ... و أما تشيع القميين، فذلك أعرف و أشهر. و قضيتهم مع جبة دعبل التي أهداه إياها الامام لا يكاد يجهلها أحد ... و عند ما طلب المأمون من الريان أن يحدث بفضائل علي عليه السلام، و أجاب بأنه لا يحسن شيئا، قال المأمون: «سبحان اللّه!! ما أجد أحدا يعيني على هذا الأمر، لقد هممت أن أجعل أهل قم شعاري و دثاري ...» .... و لعل تشيع أهل قم هذا هو الذي دفع بالمأمون لأن يوجه إليهم عامله علي بن هشام؛ لينكل بهم، و يحاربهم حتى يهزمهم، و يدخل البلد، و يهدم سورها، و يجعل على أهلها مبلغ سبعة ملايين درهم، بدلا من مليونين، و هو ما لم يكن يدفعه أي بلد آخر يضاهي بلدهم في عدد السكان و غير ذلك من المميزات، فكيف بالسبعة ... و مع أنه كان قد خفض الخراج عن السواد، و بعض البلدان الاخرى؛ فلما سمعوا بذلك طالبوا بتخفيض الخراج عنهم أيضا؛ ففعل ذلك ... و كان تخفيضه عنهم بزيادة المليونين إلى سبعة، كما قلنا ... راجع في تفصيل ذلك: الطبري ج 11 ص 1093، و الكامل لابن الأثير ج 5 ص 212، و تاريخ ابن خلدون ج 3 ص 255، و النجوم الزاهرة ج 2 ص 190، و تاريخ التمدن الاسلامي مجلد 1 جزء 2 ص 337، و فتوح البلدان للبلاذري ص 440، و تجارب الامم ج 6 ص 460.

يكون من نتيجته: أن يستقبله أهلها بما يليق بشأنه: من الاجلال، و الاعزاز و التكريم.

و لا شك أن الإمام (ع) سوف يستطيع أن يستقطب المزيد من الناس،

ص: 368

و يؤثر عليهم بمـا حباه اللّه من الفضائل و الكمالات الأخلاقيـة، و بما آتاه اللّه من العلم و الحكمـة، و الورع و التقوى، الـذي سار ذكره في الآفاق، حتى لا يكاد يجهله أحـد ... و إذا كان أهل نيشابور، بل و حتى أهل مرو، معقل العباسـيين و المأمون، قد كان منهم تجاه الإمام ما لا يجهله أحد ...

حتى إنهم كانوا بين صارخ، و باك و متمرغ في التراب إلخ ... و حتى لقد خاف المأمون و أشياعه على دمائهم- إذا كان هؤلاء هكذا- فكيف ترى سوف تكون حالـة أهـل الكوفـة و قم، معقلي العلويين، و المحـبين لأهـل البيت، و المتفـانين فيهم، لو أنهم رأوا الإمـام (ع) بينهـم، و بـالقرب منهم ... يقول الراونـدي في ذلك: «إن المأمون أمر رجاء بن أبي الضـحاك: أن لا يمر بالإمام عن طريق الكوفـة؛ لئلا يفتتن به أهلها ...» (1)!!.

و المأمون لا يريد أن يفتتن الناس بالامام، و إنما الذي يريده هو عكس ذلك تماما ... إنه يريد أن يضع من الامام لا أن يرفع ...

أما أهل البصـرة: فعثمانيـة، يـدينون بالكف، و يقولون: كن عبد اللّه المقتول، و لا تكن عبد اللّه القاتل ... بل لقد كانت البصـرة معقلا مهما للعباسـيين، الذين حرق دورهم زيد النار، ابن الامام الكاظم، كما قدمنا؛ و لهذا نلاحظ: أن دور البصـريين في التشـيع لم يكن يضارع دور غيرهم، لا روائيا، و لا كلاميا ...

و أما ما ربما يحتمله البعض: من أن المأمون كان يأمل أن يخرج من البصـرة، أو غيرها من يخلصه من الإمام (ع) نهائيا ... فلا أرى أنه يتفق مع أهداف و أغراض المأمون، التي كان يرمي إليها من وراء لعبته تلك ...6.

1- الخرائج و الجرائح، طبعة حجرية ص 236.

الإمام يرفض كل مشاركة تعرض عليه:

إنه برغم شروط الإمام على المأمون، و التي أشرنا إليها فيما سبق، فإننا نرى المأمون كل مدة يحاول أن يجري اختبارا للامام، ليعرف حقيقة نواياه، و أنه هل أصبح له طمع بالخلافة، و طموح لها (1)، ليعجل عليه بما يحسم عنه مواد بلائه ... أم لا.

فكان يأتي كل مدة إليه، يطلب منه أن يولي فلانا، أو أن يعزل فلانا، أو أن يصلي بالناس ... بل لقد طلب منه بعد مقتل الفضل أن يساعده في إدارة شئون الخلافة (2) بحجة أنه يعجز وحده أن يقوم بأعباء الحكم، و يدير دفة السلطان!! هذا ... إن لم نقل: أنه كان يريد من وراء ذلك: أن يجعل ذلك ذريعة للقضاء على الإمام، بحجة أنه نقض الشرط، و ليكون بذلك قد قضى على العلويين جميعا، و إلى الأبد.

أو على الأقل كان يريد بذلك: أن يوجد للامام أعداء في الأوساط ذات القوة و النفوذ ...

و أيا ما كانت نوايا المأمون و أهدافه، فإن الإمام (ع) كان يرفض ذلك كله بكل عزم و إصرار، و يذكره بالشروط تلك، و يقول له:

«إن وفيت لي وفيت لك ...» ... و هذا تهديد صريح له من الإمام (ع). و لا نعجب كثيرا- بعد أن اتضحت لنا نوايا المأمون و أهدافه- اذا رأينا المأمون يتحمل هذا التهديد، بل و يخضع له، و يقول: «بل أفي لك»!! ...

ص: 370

1- و ما أشبه الليلة بالبارحة، فقد رأينا الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، يسأل ابن عباس عن علي عليه السلام: إن كان لا يزال يطمح إلى الخلافة، و يأمل فيها ... أم لا!!.

2- الكافي ج 8 ص 151، و كشف الغمة ج 3 ص 68 و 87، و عيون أخبار الرضا ج 2 ص 164 و 166 و 167، و البحار ج 49 ص 144 و 155 و 171، و غير ذلك.

و هكذا ... فقد كان الإمام (ع) يضيع على المأمون ما كان يحسب أنه فرصة مؤاتية له، و لا يمكنه من معرفة ما يريد معرفته، و لا من تنفيذ ما يريد تنفيذه ...

الاختبار لشعبية الإمام (ع):

كما أنه كان كل مـدة يقوم بعملية اختبار لشـعبية الإمام (ع)، و لمدى ما يتمتع به من تأييد في الاوساط الشـعبية، ليعرف إن كان أصـبح (ع) يشكل خطرا حقيقيا؛ ليعجل بالقضاء عليه أم لا ... فكان كل مدة يكلفه بأن يؤمّ الناس بالصلاة للعيد، أو ما شاكل ... و هذا إن دل على شي ء، فإنما يدل على مدى ما يعتمر قلب المأمون من الخوف و الخشـية منه (ع). (راجع: السبب الثالث من فصل البيعة، و الموقف العاشر في فصل: خطة الإمام «ع»).

سؤال ... و جوابه:

و لعلـك تقول: إذا كان المأمون يخشـى الإمام (ع) إلى هـذا الحـد؛ لما يعلمه من نفوذه و مكانته؛ فلما ذا لا يتخلص منه بـذلك الاسـلوب التقليدي الذي انتهجه أسـلافه من الامويين، و العباسـيين، و تبعهم عليه هو فيما بعد، و كذلك من أتى بعده ... و ذلك بأن يدس إليه شـربة من السم، و هو في المدينة، من دون أن يحتاج إلى اشخاصه إلى مرو، و البيعة له بولاية العهد، و تزويجه ابنته، إلى غير ذلك من الامور التي من شأنها أن تعزز من مركز الإمام، و ترفع من شأنه، و توجه إليه الانظار و القلوب، حتى يضـطر في نهايـة الأمر لأن يعود إلى ما جرت عليه عادة أسلافه، و أتباعه!!.

ص: 371

و لكن الجواب على هذا قد اتضح مما قدمناه، فإن المأمون لم يكن يريد في بادئ الأمر موت الامام، و لا كان هو يستطيع أن يفعل ذلك.

و لو أن ذلك كان قد حدث لوقع المأمون في ورطة، لها أول و ليس لها آخر؛ حيث إنه كان بأمس الحاجة إلى حياة الامام (ع)؛ و ذلك لما قدمناه من الأسباب و الظروف التي كانت تحتم على المأمون أن يلعب لعبته تلك، التي و إن كانت تنطوي على مخاطرة جريئة، إلا أنه كان- كما قدمنا- قد رسم الخطة، و أحكم التدبير للتخلص من الامام (ع) بمجرد أن يحقق مآربه، و أهدافه، بالطريقة التي لا تثير شك أحد، و لا توجب تهمة أحد؛ و قد حدث ذلك بالفعل، كما سيمر علينا ...

و أما كتمه لفضائل الإمام (ع):

و من جملة الامور التي كانت تدور في فلك خطة المأمون، التي لخصها بأنه يريد الوضع من الامام قليلا قليلا، حتى يصوره أمام الرعية بصورة من لا يستحق لهذا الأمر- محاولاته كتم فضائل الامام (ع) و مزاياه عن الناس ما استطاع إلى ذلك سبيلا ... و قد تقدم: أنه عند ما سأل رجاء بن أبي الضحاك، الذي تولى إشخاص الرضا (ع) من المدينة إلى مرو، عن حال الرضا (ع) في الطريق؛ فأخبره عما شاهده من عبادته (ع)، و زهده و تقواه، و ما ظهر له من الدلائل و البراهين، قال له المأمون: «... بلى يا ابن أبي الضحاك، هذا خير أهل الأرض، و أعلمهم، و أعبدهم؛ فلا تخبر أحدا بما شهدت منه؛ لئلا يظهر فضله إلا على لساني ...»!!.

و هكذا ... فإن المأمون و إن استطاع أن يمرر الكثير، إلا أنه لم يكن يجد بدا في كثير من الأحيان من أن يظهر على حقيقته و واقعه. و هذا هو أحد تلك المواقف التي مرت و سيمر معنا بعضها، التي اضطر فيها

المأمون لأن يكشف عن وجهه الحقيقي ... و إن كان قد حاول- مع ذلك- أن يتستر بما لا يسمن و لا يغني من جوع.

و لا أعتقد أن المأمون كان يجهل: أن ما يأتي به لم يكن لينطلي كله على أعين الناس، بل كان يعلم ذلك حق العلم، و لكن كما يقولون:

«الغريق يتشبث بالطحلب».

- و لكن ... بالرغم من محاولات المأمون تلك ... فإننا نرى أن فضائل الإمام و مزاياه كانت كالعرف الطيب، لم تزل تظهر، و تنتشر و تذاع ...

بل و لعل محاولات المأمون تلك، التي كانت ترمي للحط من الإمام و اسقاطه، قد أسهمت كثيرا و ساعدت على إظهار فضائله، و شيوعها، كما سيتضح.

الشائعات الكاذبة!!

و كان بالاضافة إلى ما تقدم يحاول ترويج شائعات كاذبة، من شأنها أن تنفر الناس من العلويين عامة، و من الإمام (ع)، و سائر الأئمة عليهم السلام خاصة ...

فهذا أبو الصلت يسأل الإمام (ع)، فيقول: «يا ابن رسول اللّه، ما شي ء يحكيه الناس عنكم؟! ...

قال (ع): ما هو؟! قال: يقولون: إنكم تدّعون: أن الناس لكم عبيد!!.

قال (ع): يا عبد السلام، اذا كان الناس كلهم عبيدنا- على ما حكوه- فممن نبيعهم؟!» إلخ (1).

1- مسند الامام الرضا ج 1 قسم 1 ص 45، و البحار ج 49 ص 170، و عيون أخبار الرضا ج 2 ص 184.

و نرى أنه (ع) يقول- وعنده جماعة من بني هاشم، فيهم إسحاق ابن عيسى العباسي-: «يا إسحاق، بلغني أن الناس يقولون: إنا نزعم: أن الناس عبيد لنا. لا ... وقرابتي من رسول اللّه ما قلته قط، و لا سمعته من آبائي قاله، و لا بلغني عن أحد من آبائي قاله الخ ...».

و قد تقدمت هذه الرواية في فصل: خطة الامام ...

كما أن هشام بن ابراهيم العباسي، الذي وضعه الفضل بن سهل ليراقب الرضا (ع)، و يضيق عليه، كان يشيع عن الرضا (ع): أنه أحل له الغناء، فلما سئل (ع) عن ذلك قال: «كذب الزنديق الخ (1) ...».

بهذه الشائعات الكاذبة، و امثالها أراد المأمون الحط من كرامة الامام و تضعيف مركزه، و زعزعة ثقة الناس به، و بالعلويين بصورة عامة ...

و لكن كما يقولون: حبل الكذب قصير؛ إذ أن أقوال الامام (ع) و أفعاله و جميع جهات سلوكه، سواء قبل توليته للعهد أو بعدها ...

كانت تناقض هذه الشائعات، و تدحضها (2) ... الأمر الذي كان من شأنه..

ص: 374

1- رجال المامقاني ج 3 ص 291، و قاموس الرجال ج 9 ص 309، و وسائل الشيعة ج 12 ص 227، و مسند الامام الرضا ج 2 ص 452، عن رجال الكشي ص 422. و البحار ج 49 ص 263، عن قرب الاسناد ص 198. و كان هشام بن ابراهيم هذا جريئا على المأمون؛ لأنه هو الذي رباه، و شخص إلى خراسان في فتنة ابراهيم بن المهدي، راجع الأغاني ط ساسي ج 9 ص 31. و يسمى: العباسي مع أنه لم يكن عباسيا: إما لأن المأمون ولاه تربية ولده العباس، أو لأنه ألف كتابا في امامة العباس نص على ذلك الكشي ط النجف ص 223 و غيره.

2- و كيف يمكن أن نصدق مثل هذا الذي لا يقره العقل، و لا يقبل به القرآن، على الامام الذي كان يتخذ لنفسه أسلم، و أروع منهج، ألا و هو منهج القرآن، حتى إنه عند ما أنكر رؤية النبي للّه تعالى، و استدل على ذلك بالآيات، و قال له أبو قرة: فتكذب بالروايات؟! قال الامام عليه السلام: إذا كانت الروايات مخالفة للقرآن كذبتها، و ما أجمع المسلمون عليه: أنه لا يحاط به علما، و لا تدركه الابصار، و ليس كمثله شي ء ... راجع: تفسير البرهان طبعة حجرية ص 1057، 1058. نقلا عن الكافي ... و مثل ذلك كثير لا مجال لاستقصائه ...

أن يثير شكوك الناس، و ظنونهم في المأمون نفسه؛ فلم ير بدا من أن يضرب عن هذا الاسلوب صفحا، و يتجه إلى غيره بتخيل أنه أجدى و أكثر نفعا و أقل ضررا!! ...

و بقي في كنانته سهم أخير، كان يحسب أنه سوف يصيب الهدف، و يحقق الغاية: التي هي تشويه سمعة الامام (ع)، و الحط من كرامته ...

ألا و هو:

التركيز على افحام الامام (ع):

فبدأ يجمع العلماء، و أهل الكلام من المعتزلة، و هم أصحاب جدل، و كلام، و استدلال، و تنبه للدقائق من الامور، ليحدق هؤلاء بالرضا (ع) و تجري فيما بينهم و بينه محاورات، و مجادلات، من أجل أن ينقصوا منه مجلسا بعد مجلس، و أن يكسروه في أعظم ما يدعيه هو و آباؤه (ع):

من العلم و المعرفة بآثار رسول اللّه (ص)، و علومه ... و الذي هو الشرط الأعظم لإمامة الإمام، على ما يدعيه الشيعة المفتونون بالرضا (ع)، و بسائر آبائه و أبنائه الأئمة الطاهرين ...

و حتى لا يبقى من ثم مجال لأبي نؤاس لأن يقول فيه عند ما رآه خارجا من عند المأمون:

مطهرون نقيّات ثيابهم تجري الصلاة عليهم أينما ذكروا

من لم يكن علويا حين تنسبه فما له في قديم الدهر مفتخر

اللّه لما برى خلقا فأتقنه صفّاكم و اصطفاكم أيها البشر

فـأنتم الملأ الأعلى و عنـدكم علم الكتاب و ما جاءت به السور (1) هـذه الأبيات التي سارت بها الركبان، و التي هي تعبير صادق عن هـذه الحقيقة التي أشرنا إليها، و التي كانت تقض على المأمون و كل أسلافه و أتباعه مضاجعهم، و تنغص عليهم حياتهم ... و عليه:

و إذا اسـتطاع المأمون أن يظهر للملإ أن الإمام (ع) صفر اليدين مما يدعيه، و يدعيه آباؤه من قبل، فإنه يكون قد قضى على المصدر الأول و الأساس لكل المشاكل، و الاخطار، و ينهار المذهب الشـيعي حينئذ بانهيار فكرة الامامة فيه، التي هي المحور، و الاساس له، و يتحقق من ثم- حلمه الكبير، الذي طالما جهد و شقي من أجل تحقيقه.

و أعتقـد: أنه لو كان تم له ما أراد، فلسوف لا يتعرض بعد هذا للامام (ع) بسوء، و أنه كان سوف يبقي على حياته (ع) إبقاء لحجته، و أنه خال من شرائط الإمامة، و ليأفل من ثم ... نجمه، و نجم العلويين من بعده ... و إلى الأبد .....

1- شهرة هذه الأبيات تغنينا عن ذكر مصادرها، و قد أعطاه عليه السلام ما كان معه، و هو مائة دينار، و البغلة التي كان يركبها ... لكن بعض البـاحثين يرى أن أبـا نؤاس لـم يعش إلى زمان تولي الرضا العهـد، بل مات قبل ذلك بثلاث سـنوات أي في سـنة 198 ه. و من ثم هـو ينكر الحادثة الاخرى، التي تقول: إن البعض لام أبا نؤاس حيث لـم يمدح الامام عليه السـلام، فقال أبياته المشـهورة: «قيل لي أنت أشـعر الناس طرا في فنون إلـخ ...». و لكن الظاهر أن هذا الباحث لم يطلع على عبارة ابن خلكان في وفيات الأعيان، طبع سـنة 1310 ج 1 ص 457؛ فانه قال: «و فيه (أي في الرضا عليه السلام) يقول أيضا- و له ذكر في شذور العقود سنة احدى أو اثنتين و مائتين-: مطهرون نقيات إلخ ...». بل يكفي دلالة على أنه عاش إلى ما بعد ولاية العهد ذكر هذه الأبيات، و تلك له و النص على أنه قد قالها فيه عليه السلام ...

و من أجل ذلك- بكل تأكيد- أخذ يجمع العلماء (1) و يجلبهم من أقاصي البلدان، و يأمرهم بتهيئة أشكل المسائل و أصعبها، و طرحها على الامام (ع) علّه يقطعه عن الحجة، و لو مرة واحدة؛ ليحط بذلك من كرامته، و يشوه سمعته، و يظهر عجزه وعيه، و يرى الناس أن ما يدعيه من العلم و المعرفة بآثار رسول اللّه وعلومه لا حقيقة له، و لا واقع وراءه ...

قال الصدوق عليه الرحمة: «... كان المأمون يجلب على الامام (ع) من متكلمي الفرق، و أهل الأهواء المضلة كل من سمع به؛ حرصا على انقطاع الرضا (ع) عن الحجة مع واحد منهم إلخ ...» (2).

و قال ابراهيم بن العباس: «سمعت العباس يقول: .... و كان المأمون يمتحنه (أي يمتحن الامام (ع)-) بالسؤال عن كل شي ء؛ فيجيبه الجواب الشافي ...» (3).

و قال أبو الصلت: «... فلما لم يظهر منه للناس إلا ما ازداد به فضلا عندهم، و محلا في نفوسهم ... جلب عليه المتكلمين من البلدان؛ طمعا في أن يقطعه واحد منهم؛ فيسقط محله عند العلماء؛ و بسببهم يشتهر نقصه عند العامة؛ فكان لا يكلمه خصم من اليهود، و النصارى، و المجوس، و الصابئين، و البراهمة، و الملحدين، و الدهرية، و لا خصمك.

ص: 377

1- مع أنه هو نفسه قد فرق عن الإمام تلامذته، عند ما أخبروه أنه يقوم بمهمة التدريس، كما أشرنا إليه!! ...

2- مسند الامام الرضا ج 2 ص 105، و البحار ج 49 ص 179، و عيون أخبار الرضا ج 1 ص 191.

3- الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص 237، و إعلام الورى ص 314، و أعيان الشيعة ج 4 قسم 2 ص 107، و يراجع أيضا: مناقب ابن شهرآشوب ج 4 ص 350، و غير ذلك.

من فرق المسلمين المخالفين له إلا قطعه، و الزمه الحجة، و كان الناس الخ ...» (1).

و قال المأمون لسليمان المروزي: «... إنما وجهت إليك لمعرفتي بقوتك، و ليس مرادي إلا أن تقطعه عن حجة واحدة فقط ...» (2).

و تقدم قوله لحميد بن مهران، عند ما طلب منه هذا أن يوليه مجادلته؛ لينزله منزلته: «ما من شي ء أحب إليّ من هذا ...».

بل لقد صرح المأمون نفسه: بأنه كان يريد أن يجعل من جهل الامام- نعوذ باللّه- ذريعة و وسيلة إلى خلعه؛ ليشتهر بين الناس أنه قد خلع بسبب جهله، و قلة معرفته؛ فقد ورد أنه عند ما أخبره الرضا بصفات حمل جاريته، قال المأمون:

«فقلت في نفسي هذه و اللّه فرصة؛ إن لم يكن الأمر على ما ذكر، خلعته؛ فلم أزل أتوقع أمرها إلخ ...» (3).

إلى غير ذلك مما قد امتلأت به كتب الأخبار و السير ...

و حتى مع الامام الجواد قد حاول ذلك:

و لا نستبعد أيضا: أن يكون قد حاول أن يلعب نفس هذه اللعبة مع

1- عيون أخبار الرضا ج 2 ص 239، و مثير الاحزان ص 263، و البحار ج 49 ص 290، و مسند الامام الرضا ج 1 ص 128، و شرح ميمية أبي فراس ص 204.

2- البحار ج 49 ص 178، و عيون أخبار الرضا ج 1 ص 179، و مسند الامام الرضا ج 1 ص 97.

3- الغيبة للشيخ الطوسي ص 49، و عيون أخبار الرضا ج 2 ص 224، و البحار ج 49 ص 307، و مناقب آل أبي طالب ج 4 ص 333 عن الجلاء و الشفاء ... هذا ... و لا بأس بملاحظة قوله: إنها و اللّه فرصة!! ... الدالة على أنه كان يتحين الفرص لذلك.

الإمام الجواد (ع) أيضا، و الذي كان لا يزال صغير السن؛ فأغرى العباسيين بأن يقفوا ذلك الموقف؛ ليفسح المجال ليحيى بن أكثم ليطرح مسائله الصعبة على الإمام الصغير؛ ليعجز عنها، و يظهر للملإ: أن إمام الشيعة طفل صغير، لا يعلم و لا يعقل شيئا، و ان كل ما يدعونه في الامام ما هو إلا زخرف باطل، و ظل زائل ...

و يلاحظ: أنه قام بهذه اللعبة قبل أن يسلم إليه ابنته، التي كان قد عقد له عليها في حياة أبيه الرضا (ع)، و جعل شرط تسليمها أن يغلب يحيى بن اكثم و يجيبه على مسائله!! و معنى ذلك: أنه لو توقف و لو في مسألة واحدة لامتنع عن اعطائه زوجته، و كانت النتيجة هي: أن يشتهر ذلك بين الناس كلهم، و يصبح حديث كل الندوات و المحافل أن سبب عدم تسليمه زوجته هو جهله و عيّه ...

لكن الامام الجواد كان كأبيه قد أعاد على المأمون كيده و مكره، و لا يحيق المكر السيئ إلا بأهله ... و لقد سبقه إلى ذلك المنصور مع الامام الصادق (ع)؛ حيث أمر أبا حنيفة بتهيئة مسائل صعبة يلقيها على الامام؛ لأنه رأى أن الناس قد فتنوا به (1) ... و جرى على منواله في ذلك المعتصم مع الجواد أيضا، و غيره مع غيره ... و كان اللّه هو المؤيد و الناصر و المسدد ...

ملاحظة لا بد منها:

و مما يلاحظ هنا: أننا لا نجد أثرا لهذه المجالس العلمية و المناظرات، الكلامية للمأمون!! بعد موت الإمام (ع)، فبعد أن مات (ع) بسم المأمون، و هدأت ثائرة العلويين و الشيعة، أوصد الباب كليا تقريبا،

1- راجع: البحار ج 47 ص 217.

و انصـرف عن ذلـك نهائيـا ... اللهم إلاـ بعض منـاظرات نـادرة و محـدودة جـدا في بغـداد، لا تقاس بتلك التي كانت تجري في مرو على الاطلاق ...

الإمام يقول: المأمون سوف يندم:

هذا ... و لم يكن من الغريب: أن يعلم الرضا (ع) بمقاصد المأمون، و حقيقة نواياه من مثل هذه التصرفات، و كان (ع) يقول: «... إذا سمع احتجـاجي على أهـل التوراة بتوراتهم، و على أهل الانجيل بإنجيلهم، و على أهل الزبور بزبورهم، و على الصابئين بعبرانيتهم، و على أهل الهرابـدة بفارسـيتهم، و على أهـل الروم بروميتهم، و على أصـحاب المقالاـت بلغـاتهم؛ فإذا قطعت كل صـنف، و دحضت حجته، و ترك مقالته، و رجع إلى قولي، علم المأمون أن الموضع الذي هو بسبيله ليس بمستحق له؛ فعند ذلك تكون الندامة منه ...» (1).

نعم ... إنه سوف يندم كثيرا عند ما يرى: أن كل ما كان يدبره ينقلب عليه، و يؤدي إلى عكس النتيجة التي كان يرجوها منه ... حتى إن الناس كانوا يقولون: «و اللّه، إنه أولى بالخلافة من المأمون. فكان أصحاب الأخبار يرفعون ذلك إليه؛ فيغتاظ و يشتد حسده ...» (2) ...

و هكذا ... فإن هذا القول يعتبر تحقيقا لنبوءة الإمام: من أن المأمون سوف يندم، إذا علم أن الموضع الذي هو بسبيله ليس بمستحق له ...

و لقد علم المأمون، و لكن بعد فوات الأوان بذلك، و بأنه قد ساعد بأعماله تلك على اتساع القاعدة الشعبية للإمام (ع)، و إظهار مزاياه

1- مسند الامام الرضا ج 2 ص 75، و البحار ج 49 ص 175، و عيون أخبار الرضا ج 2 ص 156.
2- كشف الغمة ج 3 ص 87، و عيون أخبار الرضا ج 2 ص 239.

و فضائله، التي كان يجهد المأمون في طمسـها و إخفائها، بل لقد ساعد على ترسـيخ عقيدة الشيعة في نفوسهم، و شد إليها قلوب الكثيرين؛ حيث قـد ثبت بالفعـل: أن الإمـام أعلم أهـل الأرض على الاطلاق و أفضـلهم و أتقـاهم إلى آخر مـا هنالـك من الكمالات و الفضائل الأخلاقية، و لم يعد ذلك مجرد دعوى لا يدعمها دليل، و لا يؤيدها برهان ...

و كان على المأمون أن يتبع أسلوبا جديدا، يضمن له تحقيق غاياته في التخلص من الإمام (ع)، و القضاء عليه اجتماعيا، و نفسيا، بل و حتى جسديا أيضا ...

و بقي في كنانته سهم آخر، ظن أنه سوف يحقق له ما عجز كل ما سواه عن تحقيقه ... ألا و هو:

الاقتراح العجيب:

و كـل قضايـا المأمون تثير عجبا، و هو أن يـذهب الإمام إلى بغـداد، و قبل أن نتكلم عن هـذا الاقتراح العجيب ... يحسن بنا أن نتكلم عن بغداد أولا، و عن موقفها من البيعة للرضا (ع)، و عن ردة الفعل فيها تجاه هذا الفعل الذي أقدم عليه المأمون من دون رضا منها ... فنقول:

موقف بغداد من المأمون و البيعة للرضا (ع):

تعتبر بغداد أهم معقل للعباسيين على الاطلاق و هي عاصمتهم، و حصنهم، الذي يلوذون به، و يلجئون إليه ...

و العباسـيون هم الـذين نقموا على المأمون بسـبب جعل ولايـة العهد للرضا (ع)، و خلعوا المأمون بمجرد سـماعهم لذلك النبأ الذي نزل عليهم نزول

الصاعقة، فشغبوا في بغداد، و أخرجوا الحسن بن سهل منها، و بايعوا لإبراهيم بن المهدي، المعروف: بابن شكلة المغني، الذي كان عاملا للمأمون على البصرة (1)، و الذي كان من ألدّ أعداء الإمام علي بن أبي طالب و ولده ...

و موقف بغداد هذا لم يكن ليخفى على أحد، فكيف يخفى على المأمون، و قد رأينا: أن الإمام نفسه يخبر المأمون: بأن الناس- يعني العباسيين، و مواليهم (2)- ينقمون عليه مكان الإمام منه، و مكان بيعته له بولاية العهد (3).

و الفضل بن سهل أيضا قال للمأمون: «... ثم أحدثت هذا الحدث الثاني إنك جعلت ولاية العهد لأبي الحسن، و أخرجتها من بني أبيك.

و العامة و العلماء، و الفقهاء، و آل عباس، لا يرضون بذلك. و قلوبهم..

ص: 382

1- مشاكلة الناس لزمانهم لليعقوبي ص 28.
2- لأنهم هم فقط الذين كانوا ينقمون ذلك عليه، كما تدل عليه النصوص التاريخية. و لم يشر التاريخ، و لو من بعيد إلى شي ء من ذلك من غيرهم على الاطلاق، بل نص على عكس ذلك كما عرفت، حتى من أهل بغداد أنفسهم ...
3- الطبري ج 11 ص 1025، و ابن خلدون ج 3 ص 249، و الكامل لابن الأثير ج 5، و غير ذلك ... و قال في النجوم الزاهرة ج 2 ص 174: «أنه بسبب ولاية العهد للرضا قامت الفتن، و اضطربت البلاد»، و قريب منه ما في مقدمة ابن خلدون ص 211، و واضح: أن ذلك قول مبالغ فيه ... حيث لم يحدث بسبب البيعة شي ء أصلا إلا في بغداد، و أما سائر البلاد، فقد خمدت الثورات فيها، و استوسقت للمأمون كما نص عليه الذهبي، و غيره حسبما تقدم، و حتى في بغداد نفسها كان أكثرها يؤيد المأمون في ذلك باستثناء العباسيين، و من لف لفهم؛ قال في تاريخ أبي الفداء ج 2 ص 22: «و امتنع بعض أهل بغداد عن البيعة» ... و يتفق المؤرخون: على أن بغداد انقسمت إلى قسمين: قسم يقول: نلبس الخضرة، و نبايع، و قسم يأبى ذلك. إلى أن غلب الممتنعون؛ لأن من بينهم رجال الدولة، و بايعوا لإبراهيم بن المهدي ...

متنافرة عنك، و الرأي: أن تقيم بخراسان، حتى تسكن قلوب الناس على هذا إلخ ...» (1).

و سيأتي أن المأمون قد كتب للعباسيين، بعد وفاة الإمام: أن الأشياء التي كانوا ينقمونها عليه قد زالت ... إلى غير ذلك مما ليس في تتبعه كثير فائدة ...

و أما نصب ابن شكلة:

لقد رضي العباسيون بابن شكلة حاكما عليهم، مع علمهم بانحرافه عن علي، و نصبه، بل لعل هذا هو أحد المرجحات لاختيارهم له ...

و يكفي دلالة على انحرافه عن علي (ع)، و ولده ما تقدم: من أن المأمون كان يظهر التشيع، و ابن شكلة يظهر التسنن (2)، و أنه غير المأمون بتشيعه فقال:

إذا الشيعي جمجم في مقال فسرك أن يبوح بذات نفسه

فصل على النبي و صاحبيه وزيريه و جاريه برمسه و غيره المأمون بنصبه، فقال:

إذا المرجي سرك أن تراه يموت لحينه من قبل موته

فجدد عنده ذكرى علي وصل على النبي و أهل بيته (3) و قال ابراهيم هذا مرة للمأمون: إن عليا ليس من البلاغة في شي ء؛

1- عيون أخبار الرضا ج 2 ص 160، و البحار ج 49 ص 166. و واضح أن من مصلحة الفضل: أن يضخم الأمر و يهول به على المأمون؛ لأنه يريد أن يردعه عن الذهاب إلى بغداد، التي يعرف أنه سوف يتعرض فيها لأهوال و أخطار قد لا يكون له القدرة على تحملها. الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملي 383 و أما نصب ابن شكلة: ..... ص : 383

2- استعمال المسعودي لكلمة «التسنن» هنا يفند ما ادعاه أحمد أمين المصري: من أنه هو المصطنع لهذه الكلمة، و أول من استعملها ... و الظاهر أنه قرأها فيه أو في النجوم الزاهرة، أو وفيات الأعيان ترجمة علي بن الجهم أو غيرها ... ثم نسي.

3- مروج الذهب ج 3 ص 417 و راجع ص 231/ 232 من هذا الكتاب.

حيث إنه رآه في منامه، فسأله مسألة؛ فقال له الإمام (ع): «سلاما سلاما» ... فعند ما أفهمه المأمون: أنه (ع) يشير بذلك إلى قوله تعالى:

«و إذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما» خجل، و ندم على إخباره المأمون بما كان (1) ...

و عن صلاح الدين الصفدي في شرح الجهورية: أنه لما مات ابراهيم ابن المهدي سأل الواثق عن وصيته؛ فوجده قد أمر بمال عظيم: أن يفرق على أولاد الصحابة، إلا أولاد علي (ع)؛ فقال الواثق: «و اللّه، لو لا إطاعة أمير المؤمنين لما وقفت عليه، و لا انتظرت دفنه»، ثم انصرف الواثق و هو يقول: «منحرف عن شرفه، و خير أهله؛ و اللّه، لقد أدليته في قبره كافرا.» (2).

إلى غير ذلك من الدلائل و الشواهد التي يطول بذكرها المقام ...

المأمون ... هو الذي ينقل لنا اقتراحه العجيب:

و لكن رغم موقف بغداد ذاك، و رغم أنه كان يعلم به، و يعلم بكل ما جرى في بغداد بسبب جعله ولاية العهد للرضا نرى المأمون يحاول أن يرسل الامام إلى بغداد، ليكون وجها لوجه مع ألد أعدائه العباسيين، و في نفس معقلهم، و محل قوتهم، و حيث لهم كل النفوذ و السيطرة.

يرسله- وحده!!- و يبقى هو خليفته في خراسان ...

و يرفض الامام، و يصر على الرفض، حتى يئس المأمون من قبوله ...

يقول المأمون: «رحم اللّه الرضا (ع)، ما كان أعلمه، لقد

1- مناقب ابن شهرآشوب ج 3 ص 271، و نزهة الجليس ج 1 ص 403.

2- نزهة الجليس ج 1 ص 404.

أخبرني بعجب. سألته ليلة، و قد بايع له الناس، فقلت: جعلت فداك، أرى لك أن تمضي إلى العراق، و أكون خليفتك بخراسان؛ فتبسم، ثم قال: لا ... لعمري ...» إلى أن يقول المأمون: «فجهدت الجهد كله، و أطمعته في الخلافة، و ما سواها، فما أطمعني في نفسه ...» (1).

و لما ذا هذا العرض:

عجيب إذن!! ... هكذا أصبحت الخلافة رخيصة إلى هذا الحد!! الخلافة ... التي لم يكن يعدلها عنده في الدنيا شيء!!. الخلافة ... التي قتل من أجلها المئات و الالوف!!، و خرب المدن و دك الحصون!! ...

و التي قتل من أجلها أخاه، و من معه، و قواده، و وزراءه!! ... الخلافة هذه ... أصبحت رخيصة إلى حد أنه يبذلها- حسب منطقه- لرجل غريب!!، و في مقابل أي شيء؟! في مقابل أن يذهب إلى العراق!!.!.

و لقد عرفنا الخلافة التي بذلها، لكن ما سواها لم نستطع أن نعرفه بالتحديد!!.

و لما ذا يجهد الجهد كله؟! و لما ذا يبذل الخلافة؟!، و لما ذا يبذل ما سواها؟! لما ذا كل ذلك؟!!. أ ليس هو ذا القوة و السلطان؟!؛ فلم لا يجبر الإمام (ع) على ذلك، كما أجبره على قبول ولاية العهد؟!! ...

أ لم يكن باستطاعته أن يرسله مقيدا مصفدا بالحديد؟!! ... و لما ذا يسمح له بأن يعصيه و يخالف أمره؟! ... أ فلا يعتبر ذلك جريمة يستحق عليها أقسى العقوبات؛ باعتبار أنه يعرض الخليفة و الخلافة، و هيبتهما للخطر؟! ...

1- الغيبة للطوسي ص 48، و مناقب ابن شهرآشوب ج 4 ص 337، و البحار ج 49 ص 58 و 145.

نعم ... إنه يريد أن يذهب الإمام إلى بغداد، و لكنه يريد في نفس الوقت أن يذهب راضيا و غافلا عما يهدف إليه المأمون من وراء ذهابه هذا ... و إلا فإن ذهابه لن يجديه نفعا؛ لأنه قد جرب معه الاكراه و الاجبار من قبل، في قضية ولاية العهد، و رأى أن الإمام قد اتخذ ذلك وسيلة من الوسائل المضادة، من أجل تضييع الفرصة على المأمون ...

كما أن بذله للخلافة لم يكن مجازفة بها؛ لأنه كان مطمئنا إلى أن ما يبذله اليوم سوف يعود إليه غدا ... و بالشكل الأفضل و الأكمل؛ لو أن الإمام (ع) قبل منه ما كان عرضه عليه ...

نعم ... إنه يريد أن يرسله إلى العراق- بغداد- و طلب منه أن يذهب وحده، و يبقى هو خليفة له في خراسان؛ ليواجه المحنة، التي لن يكون له القدرة على تحملها، و الصمود في وجهها ... و يتخلص المأمون منه بذلك من أهون سبيل ...

المأمون يتحرك نحو بغداد بنفسه:

لكن رفض الامام القاطع جعله يفكر في الأمر بنحو آخر؛ فلقد تحرك هو بنفسه نحو بغداد، مصطحبا معه وزيره الفضل بن سهل و ولي عهده الامام الرضا (ع)، الذي كان هو الشجا المعترض في حلق المأمون ...

و لقد كان من الممكن: أن يحتفظ بهما حتى يدخلوا بغداد، فتقوم قائمة بني العباس، و يثورون، و يعصفون، و تعم الفوضى، و يختل النظام ... و قد يتخلص المأمون حينئذ من الامام (ع) على يد من يرتفع به حقده، و يخرجه غضبه عن طوره ...

و إن لم يكن ذلك، و جبنوا عن الإقدام عليه ... و بعد أن يكون الناس قد رأوا أن وجود الامام- و ليس قتل الأمين- هو المانع و العائق

من عودة المياه إلى مجاريها بين المأمون، و بين العباسيين بني أبيه، الذين أصبح يرى الناس: أن لهم- كغيرهم- الحق في الخلافة ... فإن المأمون سوف يجد- من ثم- العذر و المبرر لخلعه من ولاية العهد؛ من أجل أن تستقر البلاد، و تذهب الأحقاد و الإحن، و تعود الامور إلى حالتها الطبيعية بينه و بين بني أبيه، و المحبين و المتشيعين لهم ... و لتكون هذه- و بعد ملاحقتها بحملة دعائية واسعة- ضربة قاضية لسمعة الامام، و طعنة نجلاء في كرامته، سوف يسعد المأمون بها أيّما سعادة ...

لكن المأمون لم يكن يثق بالعباسيين:

لقد كان من الممكن ذلك ... و لكن المأمون لم يكن يثق بالعباسيين، الذين في بغداد، أن يتفهموا حقيقة موقفه، و يدركوا ما ترمي إليه مخططاته ... فقد يثورون ضده هو، و يوصلون إليه ما يسوؤه و يزعجه؛ كما حدث ذلك من قبل ... فهو مع أنه لم يبايع للرضا بولاية العهد، إلا من أجل أن يحقن دماءهم، و مع أنه كان يدبر الأمر ليدوم لهم، و لعقبهم من بعدهم ... إلا أنهم لم يدركوا ذلك رغم أنه كتب إليهم به صراحة ... و استمروا على مناوءته و محاربته ...

و لا كان واثقا من سكوت الامام (ع):

كما أنه كان يخشى أن الامام، الذي رأى المأمون منه العجائب، و الذي أصبح قريبا من العباسيين، و أشياعهم، و قريبا من محبيه و مواليه أيضا- كان يخشى أن يتمكن- من قلب ما يدبره، و يخططه، و جعله وبالا عليه ... و قد تقدم ان أباه موسى (ع) قد أفسد على الرشيد قلوب شيعته، رغم أنه كان في سجونه و تحت نظره و مراقبته الدقيقة ...

ص: 387

كما أنه لم ينس بعد أبدا: أنه قد أفسد عليه جلّ، إن لم يكن كل مؤامراته، و تدبيراته ... بل لقد كان يجعلها كلها في صالحه هو، و دمارا، و وبالا على المأمون مدبرها، و مخططها الحقيقي ...

و قد يكون الامام مستعدا لقبول اقتراح من المأمون بالتنحي عن ولاية العهد. و لكن ذلك و لا شك سوف يعيد الامور إلى سيرتها الاولى. بل سوف يزيد الأمر تعقيدا، و الوضع خطورة عما كان عليه قبل البيعة له (ع) بولاية العهد. و لن يسكت العلويون و لا الخراسانيون، بل حتى و لا العرب عن أمر كهذا. و لن يعيد الامور إلى سيرتها الاولى بيعة أو مناورة أخرى من أي نوع كانت، و على أي مستوى كانت.

كيف يخرج المأمون من المأزق إذن؟!

و هكذا ... و بعد أن رأى المأمون نفسه قد فشل في تحقيق الجزء الأهم من خطته، ألا و هو أن يضع منه (ع) قليلا قليلا، حتى يصوره أمام الرعية بصورة من لا يستحق لهذا الأمر ... بل لقد رأى نفسه يحصد غير ما يزرع، و أن النتائج التي كان يحصل عليها هي تماما عكس ما كان ينتظر و يؤمل؛ و ذلك بسبب وعي الإمام و حنكته، و يقظته ...

و رأى أنه قد حارب الإمام بجميع الاسلحة التي كان يمتلكها، من المكر و الخديعة، و الدهاء إلخ ... لكن أسلحة الإمام كانت أمضى و أقوى من كل ما كان يمتلكه المأمون. و من أين للمأمون علم الامام و زهده، و تقواه و فضله، و فضائله النفسية، و شخصيته الفذة، و سائر صفاته و خصاله الحميدة، صلوات اللّه و سلامه عليه؟ ...

و إذا كان قد تأكد لديه أن محاولاته تلك لم تكن تثمر إلا أن يزداد الامام رفعة بين الناس، و محلا في نفوسهم، و إلا اتساع قاعدته الشعبية

باطّراد. و أنه هو نفسه قد ساعد على اتساعها ... حتى لقد اضطر هو نفسه لأن يستجير بالامام لينقذه من أولئك الذين شغبوا عليه بسبب قتله الفضل ابن سهل ... إلى آخر ما هنالك مما قدمناه ... إذا كان كذلك. فإنه قد أصبح يرى نفسه مستحقا لذلك التأنيب القاسي الذي تلقاه من حميد بن مهران، و جمع من العباسيين؛ حيث قال له حميد: «... ما أخوفني أن يخرج هذا الأمر عن ولد العباس إلى ولد علي، بل ما أخوفني أن يتوصل بسحره إلى إزالة نعمتك، و التوثب على مملكتك. هل جنى أحد مثل جنايتك؟!» ... و قد تقدم جواب المأمون لهم في أول هذا الفصل؛ فلا نعيد ...

و يلاحظ هنا: أن قول حميد بن مهران: «ما أخوفني أن يخرج هذا الأمر عن ولد العباس إلى ولد علي» قد كان بعد البيعة للرضا (ع) بولاية العهد؛ فكأنه كان على علم بخطة المأمون، و أهدافه من البيعة!! ...

نعود فنقول: إنه كما أصبح يرى نفسه مستحقا لذلك التأنيب القاسي أصبح أيضا يرى: أن من الضروري العثور على وسيلة تسهل عليه الخروج من ذلك المأزق الحرج، الذي أوقع نفسه فيه ... حتى لا ينتهي به الأمر إلى تلك النهاية المرعبة، التي كان يخشاها كل الخشية، و تمتلئ نفسه فرقا و رعبا منها ...

فما هي تلك الوسيلة؟!، و أين يجدها؟! و هل يستطيع أن يحصل عليها؟! و كيف؟؟ ...

... و لقد وجد الوسيلة و هي سهلة جدا، و لكنها غير مأمونة العواقب، و هذه الوسيلة هي:

تصفية الإمام (ع) جسديا:

و التدبير فيه- و بسرعة- بما يحسم عنه مواد بلائه ... و واضح:

أن قتـل الإمـام (ع) جهـارا سوف يثير مشاعر العلويين و الشـيعة، سواء من الخراسانيين، أو من غيرهـم، بل هو يثير الامـة بأسـرها. و لسوف يعطيهم، و خصوصا العلويين الفرصة، بل و الحق في القيام بوجه نظام الحكم من جديد ... و بكلمة ... سوف يخسـر المأمون حينئذ كل ما كان يرى نفسه أنه قد ربحه، هذا إن لـم تكن النتيجة أسوأ من ذلك بكثير ...

و أسوأ مما يتصور.

و إذن ... فلا بد للقضاء على الإمام من إعمال الحيلة، و احكام الخطة، و دراستها دراسة كافية و وافية.

قضية حمام سرخس:

و حاول أن يقضـي على الامام (ع)، و الفضل معا، مرة واحدة في حمام سـرخس. و لكن يقظة الامام (ع)، و وعيه قد حال دون ذلك؛ حيث إنه رفض الـذهاب إلى الحمام. و أصـر المأمون بـدوره على ذلك، و أعاد عليه الرقعة مرتين!!. لكن الامام قد بيّن له بيانا قاطعا: أنه لن يدخل الحمام بأي وجه من الوجوه ... كما أنه (ع) قـد حاول أن يدفع المكيدة عن الفضل؛ فقال للمأمون: «و لا أرى للفضل أن يدخل الحمام غدا ...». لكن المـأمون يصـر على أن يـدخل الفضـل الحمام، و يمتنع من تحـذيره؛ حيث قال للامام: «و أما الفضل فهو أعلم و ما يفعله ...» (1).

مقتل الفضل بن سهل:

و نجح المأمون في تنفيذ أحد جزئي مهمته، و فشل في تنفيذ الجزء

1- قـد تقدم بعض مصادر هذا النص في فصل: شخصـية الامام الرضا، عند ذكر التجاء المأمون إلى الرضا (ع) عند ما شـغب عليه الجند، بسبب مقتل الفضل.

الآـخر، و الأهم منها؛ فقـد نجا الامام (ع) بفضل وعيه و يقظته، و وقع الفضل في الشـرك وحـده و قتل بتـدبير من المأمون، فرضـي بـذلك العباسيون. و قتل قتله، فرضي الحسن بن سهل، و الخراسانيون.

و مجمـل قضـية قتـل الفضل هنا: «أن المأمون لما رأى إنكار الناس ببغـداد لما فعله من نقل الخلافـة إلى بني علي، و أنهـم نسـبوا ذلك إلى الفضـل بن سـهل، و رأى الفتنـة قائمـة و لاـ يسـتطيع أن يقتل الفضل جهارا لمكان أخيه الحسن بن سـهل، و كثرة من معه من الرجال (1) فأعمل الفكرة في ذلك، و دس جماعة لقتل الفضل ...

و الذين قتلوا الفضل كانوا خمسة اشخاص من حشم المأمون، أحدهم:

خاله غالب؛ فأخذوا و جي ء بهم إليه؛ فقالوا: أنت أمرتنا بقتله!! ...

فقـال لهـم: أنـا أقتلكم بـاقراركم، و أما ما ادعيتموه: من أني أنا أمرتكم بـذلك؛ فـدعوى ليس لها بينـة. ثم أمر بهم فضـربت أعناقهم، و حمل رءوسهم إلى الحسن أخي الفضل، و أظهر الحزن عليه ...» (2)!! كما أنه قد اقصـى قوما من قواده سماهم الشامتة؛ و اظهر عليه أشد الجزع كمـا نص عليه اليعقوبي. و واضـح أن قتله لقتلـة الفضـل، ثم إرسـاله رءوسـهم إلى الحسن، ثم إظهاره للحزن عليه لخير دليل على دهائه و حنكته السياسية ...

بل ذكر المسعودي، و يظهر ذلك من غيره أيضا: أن المأمون قتل3.

1- راجع لطف التدبير ص 164- 166.
2- راجع في ذلك: الآداب السلطانية ص 218، و تاريخ ابن خلدون ج 3 ص 249، و لطف التدبير ص 164- 166 و مآثر الانافة ج 1 ص 211، و الكامل لابن الأثير ج 5 ص 191 و 192، و الطبري ج 11 ص 1027، و وفيات الأعيان، طبع سنة 1310 ج 1 ص 414، و مرآة الجنان ج 2 ص 7، و اثبات الوصية ص 207. و ليراجع تجارب الامم ج 6 ص 443.

الفضل بن سهل بيده، و أنه باشر قتله بنفسه (1)، و لعله اتهم هؤلاء من أجل أن يبعد التهمة عن نفسه لاسباب سياسية لا تكاد تخفى و من أهمها أن لا يفسد عليه الحسن بن سهل و من معه و الخراسانيين.

و تحسن الاشارة هنا إلى ما قدمناه من عرض المأمون على الفضل أن يزوجه ابنته- على الرغم من استهجان تزويج بنات الخلفاء من غير ذوي قرباهم، فرفض الفضل العرض، و شكر المأمون، و جهد المأمون الجهد كله في اقناعه، فلم يفلح!!. و قال له: لو صلبتني ما فعلته (2).

فإن عرضه هذا، و جهده في اقناعه ما كان إلا شركا منه للتجسس و الايقاع بالفضل على يدها، كما فعل بالجواد و الرضا (ع) ... و عند ما لم يفلح في اقناع الفضل، و فشلت مؤامرته، دبّر قضية حمام سرخس، و نحج في تدبيره ذاك كما عرفنا ...

و قبل أن نمضي في الحديث يحسن بنا أن نشير الى ما ذكره الاصفهاني في أغانيه، فيما يتعلق بمقتل الفضل، حيث قال ما ملخصه: إن ابراهيم ابن العباس الشاعر كان من خواص الفضل بن سهل. و جعله كاتبا لعبد العزيز بن عمران؛ فلما دبر المأمون قتل الفضل، و ندب إليه عبد العزيز ابن عمران. علم ابراهيم بذلك، فأخبر به الفضل، فأظهره للمأمون، و عاتبه عليه ... و بعد قتل المأمون للفضل و لقتلته سأل من أين سقط الخبر للفضل؛ فعرف أنه من جهة ابراهيم؛ فطلبه؛ فاستتر، و تحمل ابراهيم بالناس على المأمون. و جرد في أمره هشام الخطيب المعروف بالعباسي،7.

ص: 392

1- مروج الذهب ج 3 ص 417، و يظهر أيضا من: الفخري في الآداب السلطانية ص 218.

2- الوزراء و الكتاب ص 307.

و كان جريئا على المأمون، لأنه رباه، فلم يجبه المأمون الى ما سأل (1).

إلى آخر ما قال.

ظاهرة قتل الوزراء:

و تحسن الاشارة هنا: إلى أن قتل الوزراء كان ظاهرة شائعة في حياة الخلفاء العباسيين؛ حتى إن أحمد بن أبي خالد الأحول امتنع بعد مقتل الفضل عن قبول اسم «وزير»، مع قبوله بالقيام بكل أعمال الوزير و وظائفه ...

و هنا لطائف و ظرائف تتعلق بهذا المطلب، ليس هنا محل ذكرها ...

و لنعد الآن للحديث عن موقف المأمون فنقول:

لا بد من العودة الى سنة معاوية:

إنه رغم فشل المأمون في قضية حمام سرخس، لم ييأس، و لم يهن في الوصول إلى ما كان يطمح إلى الوصول إليه؛ فاستمر يعمل الحيلة و يدبر المكيدة للإمام (ع).

و كان عليه: أن لا يعرض نفسه للخطأ الذي وقع فيه في قضية الفضل؛ حيث أعلن القتلة في وجهه بأنه هو الذي أمرهم بقتله؛ مما كان سببا في ثورة الجند عليه، و تعرض لخطر عظيم جدا، لو لم يلتجئ الى الامام، الذي أنقذ موقفه، و فرق الناس عنه، كما تقدم ...

و لم ير وسيلة أسهل و أسلم من تلك التي سنها سلفه معاوية، الذي

1- الأغاني ط الساسي ج 9 ص 31.

قدمنا في فصل: آمال المأمون و آلامه: أن المأمون قد ارتضى سيرته، ورد سيرة أبي بكر و عمر و علي و هذه الوسيلة هي: «السم» ...

و دسّ إليه السم في العنب، أو في ماء الرمّان، و مضى الإمام (ع) شهيدا، صابرا محتسبا ... و هذه هي نفس الطريقة التي تخلص بواسطتها، من قبل: من محمد بن محمد، صاحب أبي السرايا، و لا نستبعد أنه قد دبر مثل ذلك في محمد بن جعفر، الذي مات هو الآخر- كالرضا (ع) و الفضل بن سهل- في طريق بغداد (1).

كما و يلاحظ: أنه لما مات محمد بن جعفر نادى منادى المأمون: «ألا لا تسيئن الظن بامير المؤمنين؛ فان محمد بن جعفر جمع بين أشياء في يوم واحد. و كان سبب موته أنه جامع و افتصد، و دخل الحمام فمات» (2) و هكذا ... مات اللذان تكرههما بغداد، في نفس طريق بغداد ... و لم يعد هناك ما يعكر صفو العلاقات بينه، و بين بني أبيه العباسيين و أشياعهم، و أصبح باستطاعته ان يكتب إليهم:

«... إن الأشياء التي كانوا ينقمونها عليه قد زالت، و أنهم ما نقموا عليه إلا بيعته لعلي بن موسى الرضا (ع)، و قد مات؛ فارجعوا إلى السمع و الطاعة، و انه يجعل ولاية العهد في ولد العباس ...» (3).ك.

1- و لعل ابن قتيبة يشير إلى هذا في معارفه طبع سنة 1300 ص 133 حيث يقول: «و ظفر بمحمد بن جعفر، فحمله إلى المأمون مع عدة من أهل بيته، فلم يرجع منهم أحد ...»!!. و لكننا نراه مع ذلك، عند ما يؤتى بجنازة محمد بن جعفر قد نزل بين العمودين، و حمله! و قال: هذه رحم مجفوة منذ مأتي سنة، و صلى عليه و قضى دينه!!! ... بل إننا لا نستبعد أن يكون هو المدبر لشائعة غلبة السوداء على الحسن بن سهل أخي الفضل. و هكذا ... فيكون قد قضى على كل أولئك الذين تكرههم بغداد و تخشاهم، و تخلص منهم واحدا بعد الآخر.

2- تاريخ جرجان ص 404.

3- راجع في ذلك: الطبري ج 11 ص 1030، و البداية و النهاية ج 10 ص 249، و تاريخ الخلفاء ص 307، و ابن الأثير ج 5 ص 193، و الفخري في الآداب السلطانية ص 218، و تاريخ أبي الفداء ج 2 ص 24، و تاريخ ابن خلدون ج 3 ص 250، و النجوم الزاهرة ج 2 ص 173، و تجارب الامم ج 6 ص 444. و غير ذلك.

فرجعوا إليه، و انقادوا له، و لكن بعد التخلص ممن كان يكره و يكرهون، و يخاف و يخافون ...

رجع إلى بغداد، فأطاعته، و انقادت له؛ لأنه قضى على من كانت تخافهم، و تخشاهم، و حقق لها ما كانت ترجوه، و تصبو إليه، و غفرت له قتله أخاه، و نسيته حتى كأنه أمر لم يكن!! ... بل لقد أصبحت ترى أنه أفضل من أخيه الأمين؛ لأنه استطاع أن يثبت أقدام بني أبيه في الحكم و السلطان إلى ما شاء اللّه ...

رجع إلى بغداد، إلى بني أبيه؛ لأن رجوعه إليهم كان ضروريا؛ من أجل أن يرجع إليهم اعتبارهم من جهة ... و لأنهم هم الدرع الواقي له، و الحصن الحصين من جهة أخرى ... هذا بالاضافة إلى أن خلافة لا تكون بغداد مقرا لها ليست في الحقيقة بخلافة ... إلى غير ذلك من أمور و اعتبارات.

نبوءة الإمام (ع) قد تحققت:

هذا ... و كما تنبأ الامام (ع) من قبل بأن أمر البيعة لا يتم، و تنبأ أيضا بأنه يموت و يدفن بخراسان ... لم يكن ليصعب عليه أن يتنبأ بأن المأمون سوف يقدم في النهاية على ما أقدم عليه: من الاعتداء على حياته (ع)، سيما و أنه كان على علم أكثر من أي إنسان آخر بحقيقة نوايا المأمون و أهدافه ... و بالفعل نرى الامام (ع) يصرح بذلك في أكثر من مورد، و أكثر من مناسبة، حتى للمأمون نفسه، كما تقدم ...

و من جهـة أخرى؛ فرغم محاولات المـأمون للتستر على جريمته النكراء تلك خوفا من ثورة الرأي العـام ضـده ... فإنه لم يسـتطع إخفاء الحقيقة، و طمس الواقع بل شاع الأمر، و افتضح المأمون ... بل سيمر معنا أنه هو نفسه قد فضح نفسه ...

الحقد الدفين:

و أخيرا ... فـإن ما أقـدم عليه المأمون من الغـدر بالامام (ع)، و دس السم إليه لخير دليل على فشل المأمون في سياسـته، الفشل المزري و المهين ...

حتى إنه عنـد مـا عجز عن أن ينـال من الامام (ع) حيا، أراد أن ينال منه ميتا؛ بـدافع من حقـده الـدفين، الـذي لم يعـد يسـتطيع أن يتحمل مضاعفاته؛ فكتب إلى السري عامله على مصر، يخبره بوفاة الرضا، و يأمره بغسل المنابر، التي دعي له عليها، فغسلت ... كما تقدم ... و هذا إن دل على شي ء؛ فإنما يدل على أن الحقد كان قد أكل قلبه، و أعمت البغضاء بصره و بصيرته ...

كما أنه يدل على خسّة في النفس، و إسفاف في التفكير، و شعور بالعجز، و بالنقص أيضا ...

ص: 396

كاد المريب أن يقول: خذوني.

و مع غض النظر عن كل ما تقدم:

لسوف نغض النظر هنا عن تصريحات المأمون الدالة على أنه سوف يدبر في الإمام بما يحسم عنه مواد بلائه، و عن تأكيدات الإمام و تصريحاته بأنه سوف يموت شهيدا بسمّ المأمون، حتى لقد واجه نفس المأمون بذلك، لكنه تجاهل الأمر، و غير الحديث (1) ...

و لسوف نغض النظر أيضا عن اعتراف المأمون نفسه بأن الإمام (ع) لم يمت حتف أنفه، و إنما مات مقتولا بالسم. و أن قتلته هما عبيد اللّه، و الحمزة، ابنا الحسن (2)، و اللذان لم يكن بينهما و بين الإمام (ع) ما يوجب ذلك ... بل إن كان لهما دور ما، فإنما هو باشارة من يهمه مثل هذا الأمر ...

بل لقد ورد: أن المأمون رمى بنفسه على الأرض، و جعل يخور كما يخور الثور، و يقول: «ويلك يا مأمون، ما حالك، و على ما

1- راجع: عيون أخبار الرضا ج 2 ص 140، و البحار ج 49 ص 149، و علل الشرائع ج 1 ص 237، و أمالي الصدوق ص 42، 43، و غير ذلك ...

2- راجع: غيبة الشيخ الطوسي ص 49، و البحار ج 49 ص 306.

أقدمت. لعن اللّه فلانا و فلانا، فإنهما أشارا علي بما فعلت ...» (1).

لسوف نغض النظر عن كل ما تقدم، و حتى عن رسالته للسري، عامله على مصر، و التي أشرنا إليها غير مرة ...

و الذي نريده هنا:

و لا نريـد هنا إلا أن نضع بعض علامات الاسـتفهام على بعض تصـرفات المأمون، و أقواله حين وفاة الامام (ع)، حيث رأيناه: قد ارتبك في أمر وفاة الرضا (ع) أشد ما يكون الارتباك ...

الأسئلة التي لن تجد جوابا:

فأول ما يطالعنا من الأسئلة هو أنه:

لما ذا يستر موت الرضا (ع) يوما و ليلة؟! (2).

و لـما ذا يقول للامام، و هو بعـد لم يمت: «... ما أدري أي المصـيبتين علي أعظم: فقـدي إياك، أو تهمـة الناس لي: أني اغتلتك و قتلتك» (3)؟!.

1- إثبات الوصية للمسعودي ص 209.

2- مقاتل الطالبيين ص 567، و كشف الغمة ج 3 ص 72، و روضة الواعظين ج 1 ص 277، و البحار ج 49 ص 309، و إرشاد المفيد ص 316.

3- مقاتـل الطالبيين ص 572، و ارشاد المفيـد ص 316، و عيون أخبـار الرضا ج 2 ص 241، و البحار ج 49 ص 299. و عبارة مقاتل الطالبيين: «و أغلظ من ذلك علي، و أشد: أن الناس يقولون: إني سقيتك سما» ...

و لما ذا يظهر التمارض، بعد أن أكل مع الإمام (ع) العنب (1) ...؟!

و كيف مات الامام (ع) في مرضه من العنب، و لم يمت المأمون منه أيضا؟! ...

و لما ذا يحضر محمد بن جعفر، و جماعة من آل أبي طالب، و يشهدهم على أن الرضا مات حتف أنفه، لا مسموما (2)؟!!.

و لما ذا يبقى على قبره ثلاثة أيام!! يؤتى!! كل يوم برغيف واحد و ملح ليأكله!! ... الأمر الذي لم يفعله حتى عند ما مات أبوه الذي ولد منه، و أخوه الذي قتله، و فعل برأسه ما فعل؟!!.

و هل يمكن أن نصدقه حينما نسمعه يقول: «و قد كنت أؤمل أن أموت قبلك» (3)!!. هذا مع علمه بأن الامام (ع) كان يكبره ب (22) سنة؟!! أم أن وقع المصيبة جعله يتكلم بما لا معنى له، و لا واقع وراءه؟!!.

و لما ذا أيضا: يجبره على أكل العنب بعد امتناع الامام (ع) من أكله، ثم يقول له: «لا بد من ذلك، و ما يمنعك منه، لعلك تتهمنا بشي ء؟!» و بعد أن أكل منه الامام (ع) قام، فقال له المأمون:

إلى أين؟ قال (ع): إلى حيث وجهتني ...» (4)؟!

و لما ذا؟ و لما ذا؟ إلى آخر ما هنالك مما يضيق عنه المقام ...ك.

ص: 399

1- إعلام الورى ص 325، و ارشاد المفيد ص 316، و مقاتل الطالبيين ص 566، و الخرائج و الجرائح طبعة حجرية ص 258، و غير ذلك ...

2- روضة الواعظين ج 1 ص 277، و مقاتل الطالبيين ص 567، و ارشاد المفيد ص 316، و كشف الغمة ج 3 ص 72 و 123، و البحار ج 49 ص 309، و إعلام الورى ص 329.

3- نفس المصادر السابقة باستثناء كشف الغمة.

4- أمالي الصدوق ص 393، و روضة الواعظين ج 1 ص 274، و عيون أخبار الرضا ج 2 ص 243، و إعلام الورى ص 226، و البحار ج 49 ص 301، و غير ذلك.

كاد المريب أن يقول: خذوني:

و بعد ... فهذه بعض الأسئلة، التي تدور حول تصرفات المأمون عند استشهاد الامام (ع) ... تحتاج إلى جواب ... و أنى لها من المأمون الجواب الصحيح، و الصريح. و لكن مواقفه و تصرفاته هذه، هي الجواب الكافي و الشافي، فلقد قيل، و ما أصدق ما قيل: «كاد المريب ان يقول:

خذوني ... كما أن المؤرخين بدورهم قد أجابوا عنها بكل صراحة أحيانا، و باللف و الدوران- لأسباب مختلفة- أحيانا أخرى ...

فإلى الفصل التالي، لنقف على بعض أقوال و مواقف المؤرخين، بالنسبة لسبب وفاة الامام (ع) ...

ص: 400

ما يقال حول وفاة الامام (ع)

ما ذا ترى بعض الفرق في الحكام:

قبل كل شي ء نود أن نشير إلى أمر مهم، كنا قد أشرنا إليه من قبل، و له- إلى حدّ ما- صلة فيما نحن بصدده ... و هو: أن بعض فرق المسلمين ترى: أن الحكام تجب طاعتهم، و لا تجوز مخالفتهم، و القيام ضدهم، و الوقوف في وجههم بحال من الأحوال ...

مهما كانت هويتهم، و أيا كان سلوكهم، حتى و لو أنهم ارتكبوا أعظم المحرمات، و انتهكوا جميع الحرمات ...

أي ... أنهم حتى لو قتلوا الابرياء- و لو كانوا أبناء محمد-، و هدموا الكعبة ... مع ذلك كله- تجب طاعتهم، و لا تجوز مخالفتهم، و لا الوقوف في وجههم ...

هكذا ... تعتقد الفرق الاسلامية- كما قلنا- ... و من المؤسف جدا أن من هؤلاء الفرق: أهل الحديث، و عامة أهل السنة، قبل الامام الاشعري، و بعده. و هو أيضا قائل بهذه المقالة و معتقد بهذه العقيدة ...

و لقد أيدوا هذه العقيدة بمختلف أنواع التأييد، حتى لقد وضعوا في

تأييدها الروايات على لسان النبي (ص)، مع عدم تنبههم إلى أن ذلك ينافي صريح القرآن، و يصادم حكم العقل و الوجدان ...

انعكاسات هذه العقيدة على التراث:

و طبيعي أن ينعكس ذلك إلى حد كبير على كتابهم و مؤرخيهم (1)، و حتى على علمائهم، و فقهائهم أيضا، حيث كان لا بد لهم من التستر على كل هفوات أولئك الحكام، و كل مخازيهم و موبقاتهم، مما كان من نتيجته- بطبيعة الحال- إخفاء كثير من الحقائق، و طمسها، حتى إذا لم يتمكنوا من ذلك، تراهم يحاولون اللف و الدوران، و توجيهها بما لا يسمن و لا يغني من جوع ... هذا إن لم تخولهم غيرتهم، و تدفعهم حميتهم إلى تشويهها، و التغيير و التبديل فيها؛ بحيث تبدو مستهجنة، و غريبة، و لتسقط من ثم عن الاعتبار ... و قد يختلقون في كثير من الأحيان في مقابلها، ما ينسجم مع نظرتهم الضيقة، و تعصبهم المقيت، أو يوافق هوى نفوسهم، و يرضي حكامهم، الذين كانوا يرون أنهم يقربونهم من اللّه زلفى ...

إخفاء كل الحقائق عن الأئمة عليهم السلام:

و لقد أراد الحكام- لسبب أو لآخر- إخفاء كل الحقائق التي ترتبط بالأئمة الأطهار عليهم السلام، أو تشويهها، فكان لهم ما أرادوا، و وجدوا من العلماء، و الكتاب، و المؤرخين، من لا يألوا جهدا، و لا يدخر وسعا من أجل تنفيذ إرادتهم تلك، التي يرون: أنها إرادة اللّه

1- راجع تمهيد الكتاب ...

- حسب عقيدة الجبر التي ابتدعوها- ... حتى إنك قد لا تجد في كثير من الكتب التاريخية، حتى اسم الأئمة الأطهار عليهم السلام. فضلا عن شرح أحوالهم، و بيان نشاطاتهم ...

و ليس ذلك لأنهم عليهم السلام كانوا غير مشهورين، و لا معروفين ...

أو لأنهم ممن لا يعتنى بشأنهم، و لا يلتفت إليهم ... لا ... أبدا. فقد كان ذكرهم يسري في جميع الآفاق في الدولة الاسلامية المترامية الأطراف:

إما حبا و تشيعا، و اما عداء و نصبا ...

و قد ذكر الجاحظ في رسالته: «فضل هاشم على عبد شمس»- و هو الكاتب المعروف في عصره، و بعد عصره ... و حتى الآن، و الذي تعرض في كتبه لمختلف الموضوعات التي شاع التكلم بها في زمانه، و منها موضوع رسالته المشار إليها ... و الذي كان يظهر الحياد في كتاباته، و إن كان المعتزلة- أهل نحلته- مثل الاسكافي و غيره يتهمونه بالنصب و العداء لأهل البيت عليهم السلام، و مما يدل على نصبه و تعصبه: أنه قد ألّف كتابا في نقض فضائل الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) (1)- الجاحظ هذا- يقول في رسالته المشار إليها:

«... و من الذين يعد من قريش، أو من غيرهم، ما بعد الطالبيون في نسق واحد، كل واحد منهم: عالم، زاهد، ناسك، شجاع، جواد، طاهر، زاك، فمنهم خلفاء، و منهم مرشحون: ابن، ابن، ابن، ابن ... هكذا إلى عشرة ... و هم: الحسن بن علي، بن محمد، ابن علي، بن موسى، بن جعفر، بن محمد، بن علي، بن الحسين، ابن علي. و هذا لم يتفق لبيت من بيوت العرب، و لا من العجم إلخ ...» (2).5

1- مروج الذهب ج 3 ص 237.
2- آثار الجاحظ ص 235.

هـذا ... و يجب أن لا ـ يفوتنا هنـا: التنبيه على أن الجاحظ كان في البصـرة، و الامام العسـكري (ع) كان في سامراء، موضوعا تحت الرقابة الشديدة.

و توفي الجاحظ قبل وفاة العسكري بخمس سنين ...

و قد كان عمره (ع) عند ما ألف الجاحظ رسالته في حدود اثنتين و عشرين سنة، لو فرض ان الجاحظ كان قد ألفها في آخر يوم من أيام حياته ...

و لم يكن الامام العسكري اعرف، و لا أشهر من آبائه الطاهرين (ع)، سيما الامام علي، و الحسن، و الصادق، و الرضا عليهم السلام ...

بل كان الأئمـة (ع)، بعـد الرضا (ع)- مع نباهـة شأنهم، و علو أمرهـم- يسـمون: ب «ابن الرضا»، و ذلك يدل على أنه (ع) كان أنبه من أبنائه الطاهرين، فكان يقال ذلك- يعني: ابن الرضا- للجواد، و الهادي بعـده، بل و للعسـكري أيضا (1)، و يؤيد ذلك قول أبي الغوث، اسـلم بن مهموز المنبجي في داليته المعروفة، التي يمدح فيها أئمة سامراء عليهم السلام:

إذا ما بلغت الصادقين بني الرضافحسبك من هاد يشير إلى هاد (2) نعم ... إن هؤلاء الأئمة، الذين كان يسري ذكرهم في الآفاق، قد لا تجد حتى أسـماءهم في كثير من الكتب التاريخيـة ... مع أنـك تجـد ما شاء اللّه: من قصـص المغنين، و الجواري، و الاعراب، بل و حتى قطاع الطرق، مما لا يسمن، و لا يغني من جوع ...3.

1- راجع: قاموس الرجال ج 10 ص 248، و الرسالة التي في آخر ج 11 من قاموس الرجال ص 58.
2- سفينة البحار ج 2 ص 529، و الكنى و الألقاب ج 1 ص 133.

كل ذلك خيانة للحقيقة، و تخليا عن الأمانة، التي أخذوا على أنفسهم أداءها للأجيال التي تأتي بعدهم؛ حيث كان عليهم: أن يصدعوا بالحق، و يظهروا الواقع، مهما كانت الظروف، و أيا كانت الأحوال ...

و إلا ... فيجب أن لا يتصدوا للكتابة، و يبوءوا باثم الخيانة ...

هذا ... و لم يكن المجال مفسوحا أمام شيعة أهل البيت (ع)، ليتمكنوا من إظهار الحقائق كاملة؛ و ذلك بسبب ملاحقة الحكام لهم، و محاولات القضاء عليهم أينما كانوا، و حيثما وجدوا، و بأي ثمن كان ... و من قبلهم القضاء على أئمتهم أئمة الهدى، و قادتهم، القادة إلى الحق ...

و يبقى هنا سؤال:

لما ذا إذن كان يهتم الخلفاء بالعلماء، و يرسلون إليهم يستدعونهم من مختلف الأقطار و الأمصار؟! ... و كيف لا- يتنافى ذلك مع اضطهادهم الأئمة، أئمة أهل البيت، و شيعتهم و مواليهم؟!، و محاولاتهم تصغير شأنهم، و طمس ذكرهم؟!.

سرّ اهتمام الخلفاء بأهل العلم:

و للإجابة على هذا السؤال نقول: إن سرّ اضطهادهم لأهل البيت (ع) يعود: أولا: إلى أن الحق في الحكم كان لأهل البيت، من كل جهة، فالقضاء عليهم معناه القضاء على ذلك الحق، و تكريس الامور لهم، و في صالحهم ...

و ثانيا: إلى أن الأئمة عليهم السلام ما كانوا يؤيدون أولئك الحكام، و لا يرضون عن أعمالهم، و سلوكهم الذي كان يتنافى مع مبادئ الاسلام و تعاليمه ...

ص: 405

و ثالثا: إلى أن الأئمة عليهم السلام بسلوكهم المثالي، و بشخصياتهم الفذة كانوا يشكلون أكبر مصدر للخطر عليهم، و على حكمهم ذاك غير الأصيل ...

إلى غير ذلك من أمور يمكن استخلاصها من الفصول الاولى من الكتاب ...

و أما السبب في تشجيعهم- في تلك الحقبة من الزمن للعلم و العلماء فإنه يعود إلى أهداف سياسية معينة، و في الحدود التي كانت لا تشكل عليهم خطرا في الحكم؛ لأن الحكم كان في نظرهم هو كل شي ء، و ليس قبله و لا بعده شي ء، و كل ما في الوجود يجب أن يكون من أجله، و في خدمته، حتى العلماء و المفكرون ...

و لم يكن جمعهم للعلماء من حولهم، و الاتيان بهم من كل حدب و صوب، إلا:

1- ليكون أولئك العلماء، الذين يمثلون الطليعة الواعية في الامة تحت نظرهم، و سيطرتهم ...

2- ليتمكنوا بواسطتهم من تنفيذ الكثير من مخططاتهم، و الوصول إلى كثير من مآربهم، كما تشهد به الأحداث التاريخية الكثيرة ...

3- ليظهروا للناس بمظهر المحبين للعلم و العلماء؛ ليقوى مركزهم في نفوسهم، و تتأكد ثقتهم بهم؛ إذ كان لا بد لهم، بعد أن تركوا أهل البيت عليهم السلام، من الاستعاضة عنهم بغيرهم، و دفع شكوك و شبهات الناس عن أنفسهم ...

4- محاولة التشويش بذلك على أهل البيت عليهم السلام، و طمس ذكرهم، و اخفاء أمرهم، ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا ... و لكن ...

يأبى اللّه إلا أن يتم نوره ...

و يتفرع على ما سبق:

و إذا تحقق لدينا أنهم إنما كانوا يقدرون العلم و العلماء لاهداف سياسية معينة كما أوضحنا ... فلسوف لا نستغرب إذا رأينا:

أنهم كانوا إذا شعروا بالخطر يتهددهم من قبل أية شخصية، و لو كانت علمية، لا يترددون في القضاء عليها، و التخلص منها، بأي وسيلة كانت ...

قال أحمد أمين: إن المنصور كان «يقرب المعتزلة إذا شاء، و يقرب المحدثين و الفقهاء، ما لم تقض تعاليم أحدهم بشي ء يمس سلطانه؛ فهناك التنكيل ...» (1).

و قال السيد أمير علي: «... كان خلفاء بني العباس يسحقون كل اختلاف معهم في الرأي بصرامة. و حتى الفقهاء المعاصرون كانوا عرضة للعقاب؛ إذا تجرءوا على الافصاح عن رأي لا يتفق و مصلحة الحاكمين ...» (2) ...

و لقد رأينا المنصور يدس السم لأبي حنيفة، و يضيق على الإمام الصادق- الذي لم يبايع لمحمد بن عبد اللّه العلوي-، و ضيق على من تلاه من ذريته، و لا حق تلامذته و محبيه ...

لكنه لم يقتل عمرو بن عبيد، و لا أهانه بل مدحه بقوله:

كلكم يطلب صيدغير عمرو بن عبيد ...

رغم أن عمرا هذا كان قد بايع لمحمد بن عبد اللّه العلوي، و رغم أن مذهبه يفرض عليه الخروج على النظام؛ لأن من أصول المعتزلة الخمسة،

1- ضحى الإسلام ج 3 ص 202، و لا بأس أيضا بمراجعة ج 2 ص 46 و 47.

2- روح الاسلام ص 302.

التي يكون الانسان بها معتزليا هو: الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، و عملا بهذا الأصل كان عمرو هذا قد خرج مع يزيد الناقص سنة 126 ه.

على الوليد بن يزيد- لم يفعل المنصور مع ابن عبيد إلا كل ما يقتضي الاجلال و التكريم بخلاف ما فعله مع أولئك- لأن عمرا- بخلافهم- قد تخلى عن مذهبه، و مالأ النظام، و كان المنصور، و من تبعه من الخلفاء يستفيدون منه، و من أضرابه، و لم يروا بأسا في مبايعته لمحمد لكنهم لما لم يكونوا يستفيدون من أولئك نكلوا بهم، و فعلوا بهم الافاعيل رغم امتناعهم عن مبايعة محمد ... و إلا فما قيمة عمرو هذا عند واحد من تلامذة الصادق، كزرارة، و هشام، و محمد بن مسلم، و أضرابهم (1) ...

عود على بدء:

قلنا: إن الحكام كانوا يريدون- لسبب أو لآخر- اخفاء كل الحقائق التي ترتبط بالأئمة عليهم السلام، أو تشويهما؛ فكان لهم ما أرادوا على أيدي حفنة ممن يطلق عليهم اسم: «علماء»، فتلاعبوا، و دسوا، و شوهوا ما شاءت لهم قرائحهم، و أوحاه لهم تعصبهم المذهبي المقيت ...

و لعلنا لا نعدو الحقيقة إذا قلنا: إن ابن الأثير، و الطبري،

1- يرى البعض: أن الخلفاء كانوا يحاولون القاء أسباب النزاع بين العلماء؛ بهدف صرفهم عن واقع الامة، و عما يجري و يحدث في مخادع الخلفاء، و داخل قصورهم. و لعل ذلك هو السر في عنايتهم بالترجمة، و إدخال الثقافات الغربية إلى البلاد الاسلامية ... و لذا رأينا الكثيرين من المؤرخين غير راضين عن أعمال الترجمة تلك كالمقريزي في النزاع و التخاصم ص 55، و غيره ... و لكل ما ذكرنا شواهد تاريخية كثيرة، ليس هنا محل ذكرها، و لعلنا نوفق لذلك في مجال آخر ...

و أبو الفـداء، و ابن العبري، و اليافعي و ابن خلكان ... كانوا من أولئك الـذين ظلموا الحقيقـة و التاريـخ، بل و أنفسـهم، عند ما أرخوا للامة الاسلامية، و كتبوا في أحوالها، و أوضاعها السالفة، دون أن يراعوا الانصاف و الحيدة فيما أرخوا، و فيما كتبوا ...

و لعل من جملة سقطات هؤلاء الشنيعة، التي لـم يخف على أحد تعصبهم فيها، و انقيادهم للحكام، و الهوى الأعمى في بيانها، قضية:

«كيفية وفاة الإمام الرضا (ع) ...»؛ حيث ذكروا: أن سبب وفاته (ع) هو أنه: «أكل عنبا؛ فأكثر منه؛ فمات ...» (1).

و كأنّ ابن خلدون، الاموي النزعة، يريد أن يتابعهم في ذلك؛ حيث قال في تاريخه: «و لما نزل المأمون مدينة طوس، مات علي الرضا فجأة، آخر صفر من سنة ثلاث و مائتين، من عنب أكله ...» (2).

و لعله نسي ما ذكره هو نفسه من ثورة ابراهيم بن موسى على المأمون لاتهامه اياه بقتل أخيه. كما سيأتي.

ما عشت أراك الدهر عجبا:

و هو كلام عجيب حقا:

فهل يعقل و يتصور أن يصدر هذا العمل من أي إنسان عادي، فضـلا عن الإمام، الذي شـهد بعلمه، و حكمته، و زهده، كل من عرفه، و كل من أتى من المؤرخين على ذكره؟!.

ص: 409

1- الكامل ج 5 ص 150، و الطبري ج 11 ص 1030، و تاريخ أبو الفداء ج 2 ص 23، و مختصر تاريخ الدول ص 134، و مرآة الجنان ج 2 ص 12، و وفيات الأعيان طبع سنة 1310 ه ج 1 ص 321. لكن بعضهم قد حكى سمه بلفظ: قيل ...

2- تاريخ ابن خلدون ج 3 ص 250.

أ فهل يمكن أن يسمح أحد لنفسه أن يصدق بأن شخصا عاقلا، و حكيما، كالإمام (ع)، يسمح لنفسه بالاقدام على الانتحار من كثرة الأكل؟!.

و هل عرف عن الإمام في سابق عهده: أنه كان اكولا، أو نهما إلى هذا الحد؟!، أي إلى حد أنه ينتهي به ذلك إلى قتل نفسه؟! ...

أم أن الزهد و التقوى و العلم، فضلا عن العقل و الحكمة ... تقضي و تحتم عليه أن يأكل هذا المقدار الهائل، الذي من شأنه أن يؤدي بحياته؟!.

أم أن الإمام (ع) قد نسي ما كتبه في رسالته الذهبية، التي كتبها للمأمون، و التي هي من أشهر و أجلّ الوثائق المأثورة عنه؟! ...

أم أنه (ع) لم يكن قد رأى العنب في حياته؛ فأراد أن يغتنم هذه الفرصة الذهبية، لينال أكبر قدر تصل إليه يده؟! ...

لا ... لا هذا، و لا ذاك، و لا ذلك ...

و إنما العصبية المذهبية، و الهوى الأعمى ... هما اللذان فرضا على الإمام (ع) أن يأكل العنب، و يكثر منه، و يموت هذه الميتة ... حتى و لو لم يقبل بها العقل، و يصدق بها الوجدان ...

إن الإمام (ع) لو كان هو الحاكم، و المتسلط لم يمت هذه الميتة، بل كان مات على حسب ما اشتهى، و بالكيفية التي أراد ...

دعك من هؤلاء و أمثالهم؛ فإنني لا أرى: أن كلاما كهذا يستحق من العناية أكثر من ذلك ... بل لا أرى أنه يستحق شيئا من العناية على الاطلاق ...

دعك منه ... و ذره لأهله في سنبله!! ...

و تعال معي لننظر الى ما يقوله الآخرون، ممن أرخو للامة، و تحدثوا عن ماضيها؛ فقد نجد في كلامهم ما ينقع الغلة، و يشفي الغليل ...

قول فريق آخر من المؤرخين:

و إننا بعد القاء نظرة سريعة و عابرة على أقوال المؤرخين في هذا المجال، نستطيع أن نلاحظ: إلى أي حد اضطربت كلماتهم في هذه القضية، و تباينت اتجاهاتهم ...

فعدا عن أولئك القلة الذين تحدثنا عنهم آنفا نرى:

فريقا ثانيا قد أوردوا خبر وفاته مجردا عن بيان السبب، ثم سكتوا، أو عقبوا ذلك بقولهم: «و قيل: إنه مات مسموما» و من هؤلاء اليعقوبي في تاريخه ج 3 ص 80. و إن كان يظهر من عبارته اختيار مسموميته، و ابن العماد في شذرات الذهب، و غيرهم.

و لعل هؤلاء ممن جازت عليهم لعبة المأمون، و انطلت عليهم حيلته، و أقنعتهم الحجج الواهية الآتية التي يسوقها الفريق القائل ببراءة المأمون من دم الرضا (ع) ... أو لعلهم لم يكونوا بصدد بحث هذا الأمر و تمحيصه ...

أو لأنهم لم يستطيعوا أن يصدعوا بالحقيقة؛ لما كانوا يخشونه من سطوة الحكام، و بطشهم. و لم يريدوا أن يحرفوا الكلم عن مواضعه، فآثروا السكوت، و اهمال ذلك، على أمل أن يقيض اللّه من يصدع بالحق و يكشف عن الواقع ... إلى غير ذلك من الاحتمالات، التي قد يجد بعضها شواهد تاريخية كثيرة ...

رأي فريق ثالث في ذلك:

و هناك فريق آخر يرى أنه (ع) مات مسموما، و أن الذي دس إليه السم هم العباسيون ... و هذا هو رأي السيد أمير علي، و أشار إليه

أحمد أمين (1) أيضا ...

و هذا الرأي ليس له أي شاهد أو سند تاريخي إلا ما نقل عن الاربلي انه قال: «فلما رأوا أن الخلافة قد خرجت إلى أولاد علي، سقوا علي بن موسى سما؛ فتوفي بطوس في رمضان» (2). و هو عدا عن أنه كلام مبهم؛ فإن، الشواهد كلها على خلافه ... كما قدمنا و سيأتي ...

و لذا فهو لا يحتاج إلى كبير عناء في رده و تفنيده ...

و رأي آخر يقول:

إنه (ع) مات مسموما من قبل المأمون، و لكن بإشارة الفضل، و اغرائه.

و نرى نحن بدورنا: أن المأمون لم يكن بحاجة إلى حث و اغراء، بعد أن كان يرى أن وجود الإمام (ع) يشكل خطرا محققا عليه، و على كل بني أبيه من بعده. و نحن- و إن كنا لا نستبعد أن يكون هذا الرأي قد جاء بدافع من حب تبرئة المأمون- السلطة- إلا أننا لا نضايق في أن الفضل، الذي قتل قبل الإمام (ع) بمدة!!! كان من الراغبين في التخلص من الإمام، و لا سيما إذا لاحظنا: أنه كان يشكل عقبة كبرى في طريق نفوذه و قوته و سلطانه ... و لكننا لا نوافق على أن المأمون كان لا يريد ذلك، و إنما فعله استجابة لرغبة الفضل، الذي كان قد قتل قبل ذلك بزمان!!! ...

1- روح الاسلام للسيد أمير علي ص 311، 312. و أما أحمد أمين فقد أشار إليه في عبارته الآتية عما قريب بقوله: «فان كان حقا قد سم، يكون سمه أحد غير المأمون؛ من دعاة البيت العباسي».

2- الامام الرضا ولي عهد المأمون ص 102، عن خلاصة الذهب المسبوك ص 142.

و قد تحدثنا في فصل: أسباب البيعة لدى الآخرين، و غيره من الفصول، و سيأتي الحديث بما فيه الكفاية إن شاء اللّه تعالى ...

و رأي فريق خامس يقول:

إنه (ع) قد مات حتف أنفه، و لا يقبل أبدا بأنه (ع) مات مسموما، و يورد لذلك الحجج و البراهين التي رأى أنها كافية للدلالة على أنه (ع) لم يمت مسموما.

و نذكر من هؤلاء سبط ابن الجوزي، حيث قال- بعد أن أورد خبر وفاته، و حكى القيل بأنه دخل الحمام ثم خرج، فقدم له طبق فيه عنب قد أدخلت فيه الابر المسمومة، من غير أن يظهر أثرها، فأكله، فمات- قال بعد ذلك: «و زعم قوم: أن المأمون سمه، و ليس بصحيح؛ فإنه لما مات علي توجع له المأمون، و أظهر الحزن عليه، و بقي أياما لا يأكل طعاما، و لا يشرب شرابا (1)، و هجر اللذات إلخ ...» (2).

لكن عبارة سبط ابن الجوزي هذه تقتضي أنه ينكر أن يكون المأمون هو الذي سمه، و لا ينكر أن يكون (ع) قد مات بسم غير المأمون.

و قد تابعه الاربلي في كشف الغمة على ذلك، محتجا بعين ما احتج به، و أضاف إلى ذلك: أن سمه إياه يتنافى مع اكرامه له، و أنه كان ينبه على علم الرضا، و شرف نفسه و بيته إلخ ...

1- في تاريخ اليعقوبي ج 3 ص 81: أن المأمون بقي ثلاثة أيام مقيما عند قبر الرضا (ع)، يؤتى كل يوم برغيف و ملح؛ فيأكله. ثم انصرف في اليوم الرابع.

2- تذكرة الخواص ص 355.

و أما أحمـد أمين فيقول: إن ذلك بعيـد؛ لأن المؤرخين «يروون حزن المأمون الشديـد عليه، كما يروون أن المأمون بعد موته، و بعد انتقاله إلى بغداد ظل يلبس الخضرة ... إلى أن قال: فإن كان حقا قد سم، يكون قد سمه أحد غير المأمون، من دعاة البيت العباسي ...»

ثم استشـهد لـذلك أيضا بمناظرة المأمون للعلماء في تفضـيل الإمام علي (ع)، و التي ذكرها ابن عبـد ربه في العقد الفريد، و بأنه ظل يظهر العطف على العلويين، رغم كثرة خروجهم عليه (1).

و صاحب كتاب عصـر المأمون يسـتند في اسـتبعاده لـذلك إلى تلك الرعاية التي أظهرها المأمون له، و ذلك الاحترام و التقدير، الذي كان يحيطه به، و خصوصـا بعـد أن توثقت عرى المودة بينهما بالمصاهرة ... و يضـيف إلى ذلك أيضا: أن نفسـية المأمون، و خلقه، يأبيان- على زعمه- عليه ذلك ...

و عقد ولاية العهد له من بعده هو عند هؤلاء الدليل القاطع على حسن نية المأمون، و سلامة طويته ...

و الدكتور أحمد محمود صبحي يرى: أن قضية مسمومية الرضا (ع) هي من مختلقات الشيعة «الذين لم يجدوا تناقضا بين الحظوة التي كان ينالها من المأمون، ثم مبايعته له بولايـة العهـد، و تزويجه أخته (2)، و بين أن يـدس له المأمون السم في العنب، ثم يصـلي عليه، و يـدفنه بجوار قبر أبيه الرشيد؛ فقد أصبح مقدرا على الأئمة منذ الحسن: أن يكون قاتلوهم هم:

الخلفاء، أو بإيعاز منهم ...» (3).7.

ص: 414

1- ضحى الإسلام ج 3 ص 295، 296.
2- قد اتفق المؤرخون تقريبا على أن المأمون قد زوج للرضا عليه السلام «ابنته» و ليس اخته. و لم يذكر أنها اخته إلا شاذ منهم لا يعتد به، و هو الذي يتشبث به الدكتور هنا، و لعله لأنهم رأوا عدم انسجام سن الامام مع سن ابنته آثروا أن يجعلوها اخته ... و أيا كانت الحقيقة فان مقصود المأمون هنا حاصل ...
3- نظرية الإمامة ص 387.

هذه هي الحجج، التي حاول هؤلاء إقامتها على صحة ما ذهبوا إليه، من براءة المأمون من دم الامام (ع).

ملخص ما سبق:

و من أجل التسهيل على القارئ نعود فنوجز ما ذكروه من الأدلة في النقاط التالية:

1- عقده له ولاية العهد من بعده ...

2- إكرامه و تقديره له، و تنبيهه على شرفه، و علمه و فضله، و بيته.

3- تزويجه ابنته، الأمر الذي كان سببا في توثيق عرى المودة بينهما.

4- احتجاجه على العلماء في تفضيل علي (ع) على جميع الخلق ...

5- إظهاره الحزن و التوجع لوفاته، و هجره الطعام و الشراب، و اللذات لذلك.

6- دفنه له بجوار أبيه الرشيد، و صلاته عليه ...

7- بقاؤه بعد وفاته على لباس الخضرة حتى دخل بغداد ...

8- إنه ظل يظهر العطف على العلويين رغم كثرة خروجهم عليه ...

9- إن نفسية المأمون و خلقه يأبيان عليه ذلك ...

10- إن ذلك من مختلقات الشيعة؛ حيث كتب على أئمتهم بعد الحسن أن يموتوا بسم الخلفاء، أو بإيعاز منهم ...

آفة ذلك: هل هو الجهل، أم التعصب:

هـذا ملخص أدلـة ما ذهبوا إليه من عـدم دس المأمون السم للإمام (ع)، و نحسب أن هؤلاء: إما أنهم لم يطلعوا على الحقائق اطلاعا كافيا، يخولهم

إصدار أحكام صائبة، في قضايا هي من أكثر المسائل التاريخية تعقيدا، بل و غموضا و ابهاما، كقضية حقيقة ظروف و علاقات المأمون بالرضا؛ فحكموا على الامور حكما سطحيا، لا يلبث أن ينهزم أمام المنطق السليم و النظر الصائب.

و إما أنهم جروا على ديدن أسلافهم في التعصب على الأئمة (ع)، و المجاراة لأهوائهم، و لخلفائهم في طمس معالم الحقيقة، التي كان يضر أولئك الخلفاء أكثر من غيرهم إظهارها، و معرفة الناس لها ...

نحن ... و ما يقوله هؤلاء:

إن كل ما ذكره هؤلاء لا يمكن أن يمنع المأمون من التدبير في الإمام بما يحسم عنه مواد بلائه ... كما دبر من قبل بوزيره الفضل بن سهل، الذي أراد أن يزوجه ابنته، و كما دبر في قائده الكبير هرثمة بن أعين، الذي قتله فور وصوله إلى مرو، دون أن يستمع لشكواه، أو يصغي إلى دفاعه عن نفسه (1)، و كما دبر فيما بعد بطاهر و أبنائه (2) و غيرهم،

ص: 416

1- هكذا ذكر بعض المؤرخين. و قال ابن خلدون في تاريخه ج 3 ص 245 و 249: إنه حبس، ثم دس عليه المأمون من قتله ... و في معارف ابن قتيبة ص 133 طبع سنة 1300 ه. قال: «... فلما سمع حاتم بن هرثمة ما صنع أبوه كاتب الأحرار هناك، و الملوك، و دعاهم إلى الخلاف؛ فبينما هو على ذلك أتاه الموت؛ فيقال: إن سبب خروج بابك كان ذلك ...». و من يدري فلعل المأمون قد دبر بحاتم بما يحسم عنه مواد بلائه ... كما دبر في الكثيرين قبله و بعده ... و في البداية و النهاية ج 10 ص 246: أن أهل بغداد ثاروا، و أعلنوا العصيان بسبب قتل هرثمة. هذا ... و يقال: إن الفضل بن سهل قد عمل على قتل هرثمة. و لا بأس بمراجعة تاريخ ابن الوردي ج 1 ص 289، و غيره ...

2- في البداية و النهاية ج 10 ص 260، و مرآة الجنان ج 2 ص 36، و وفيات الأعيان ج 1 ص 237، طبع سنة 1310: إن سبب وفاة طاهر هو أن المأمون عند ما ولاه خراسان، أهداه غلاما ليخدمه، و دفع إليه سما لا يطاق، فسمه الخادم في كامخ، فمات من ليلته. و في الفخري في الآداب السلطانية ص 224: أن الذي أهداه الغلام هو أحمد ابن أبي خالد وزير المأمون، ليقتله إذا فارق الطاعة؛ فقتله بأمر من المأمون ... و في تاريخ اليعقوبي ج 3 ص 192: أن المأمون تآمر عليه فقتله ... و المؤرخون متفقون على أن المأمون كان يضمر له الشر و الخيانة ... و النتيجة هي: أن طاهرا يموت- بتدبير من المأمون بهذه الكيفية الغامضة، و يبقى المأمون نفسه بعيدا عن الشكوك و الشبهات.

و غيرهم، ممن كان يختلهم واحدا فواحدا- على حد تعبير عبد اللّه بن موسى في رسالته له- سواء من العلويين أو من غيرهم ...

مع أن هؤلاء كانوا وزراءه و قواده، و لهم من الفضل عليه، و على دولته ما لا يمكن أن يخفى على أحد؛ فإنهم هم الذين وطدوا له دعائم حكمه، و بسطوا نفوذه و سلطانه على البلاد، و أذلوا له العباد، و قامت دولته بأسيافهم، و على أكتافهم ...

لقد ختلهم واحدا فواحدا ... مع أنه كان يظهر لهم من الحب و التقدير ما لا يقل عما كان يظهره للامام ... و حسبنا أن نذكر هنا: أنه قتل أخاه و عمل برأسه ما تقدمت الاشارة إليه من أجل الملك و السلطان فكيف لا يقتل الرضا من أجل الملك و السلطان، أيضا ... ثم يتستر على فعلته بتلك الظواهر التي لا تضره؟! أم يعقل أن يكون الرضا أعز من هؤلاء جميعا ... و حتى أعز عليه من أخيه الذي قتله؟! ...

و أما تظاهره بالحزن و الاسى لوفاة الامام (ع) إلخ ... فما أدري إن كان هؤلاء يريدون من ذلك الأفعى الداهية: أن يظهر الفرح و الاستبشار بموت الامام (ع)!!.

و هل نسوا أنه قتل الفضل ثم تظاهر بالحزن العظيم عليه (1) و تتبع قتلته..

1- التاريخ الاسلامي و الحضارة الاسلامية ج 3 ص 322، و مآثر الانافة ج 1 ص 211. و قد تكلمنا عن كيفية قتل الفضل في ما تقدم فلا نعيد ...

و قتلهم. و أرسل رءوسهم إلى أخيه الحسن بن سهل، ثم تزوج ابنة الحسن هذا؟!. و لكنه عاد فغض من الحسن بن سهل حينما ظفر بابراهيم ابن شكلة، و أسقطه و حجبه و عزله عما كان في يده (1).

و قتل طاهرا ثم أرسل يحيى بن اكثم إلى الرقة، لينوب عنه في تقديم التعازي، لولده عبد اللّه، ثم ولى أبناءه مكانه، ثم غدر بهم واحدا بعد الآخر ...؟! (2).

و قتل محمد بن جعفر، ثم جاء و جمل نعشه، و قال: إن هذه رحم مجفوة منذ مأتي سنة؟! ...

و غيرهم و غيرهم، ممن لا مجال هنا لتتبع أسمائهم و أحوالهم ... أما مواقفه و تصريحاته عند وفاة الإمام، فالظاهر أنهم لم يقيموا لها وزنا، و لا أعارها أي منهم أذنا صاغية، أو قلبا واعيا؟! ...

و كيف يتفق كل ما ذكرناه- و خصوصا ما فعله مع أخيه حيا، أو ميتا، و تخريبه بغداد، و أيضا قتله لسبعة من أخوة الإمام و اضطهاده للعلويين كما سنبينه، و كتابه للسري عامله على مصر يأمره فيه بغسل المنابر إلخ ... كيف يتفق كل ذلك، و سائر أفاعيله التي قدمنا شطرا منها مع خلق المأمون و نفسيته؟! ... و لا يتفق قتله الإمام (ع) مع نفسيته و خلقه الكريم؟!. و هل قتل أولئك مع إظهار المحبة و الاكرام لهم..

1- لطف التدبير ص 166.

2- و لقد كان يؤكد براءته من تلك الجرائم بأساليب مختلفة اخرى، و يرضي جميع الأطراف، فهو يرضي العباسيين بقتل الرضا. و يرضي العلويين باستقدام الجواد- ولد الرضا- من المدينة، و إكرامه إياه. و يقتل الفضل، و يرضي الحسن أخاه، بما ذكرنا، و يقتل طاهرا، و يرضي أبناءه بتوليتهم مكانه، و يبقى يستعين بهم طيلة فترة حكمه تقريبا ... حيث يغدر بهم واحدا واحدا كما ذكرنا، و على هذه فقس ما سواها مما يدل على مدى حنكة المأمون و دهائه السياسي ...

لا يتنافى مع نفسيته و خلقه الكريم؛ و يتنافى قتل الإمام مع الاكرام و المحبة له و للعلويين مع نفسيته و خلقه الكريم أيضا؟! ...

و أيضا هل بعد كل ذلك، يمكن أن يقال: إن مصاهرته للإمام تمنعه من الغدر به، و دس السم إليه؟! و لقد بينا في فصل: ظروف البيعة بعض أهدافه من تزويجه، و تزويج ولده الجواد، و تزويج الفضل أيضا ... و تحدثنا أيضا عن السبب في لباسه الخضرة، و دوافع ولاية العهد، و غير ذلك من أمور.

بل نجرؤ على القول هنا: إن المأمون قد اكره الامام (ع) على هكذا زواج؛ إذ كيف يمكن أن نتصور رجلا حكيما عاقلا، زاهدا في الدنيا ... يقدم و يرغب في زواج طفلة و من هي بالنسبة إليه بمنزلة حفيدته، بل أصغر؛ حيث كان يكبرها بحوالي أربعين سنة ... ثم لا يكون هناك سرّ آخر يكمن وراء مثل هكذا زواج؟!، إلا أن يدعي هؤلاء: أن ذلك يتفق مع العقل و الحكمة، و ينسجم مع زهد الامام في الدنيا، و انصرافه عنها ...

و إذا كان ثمة سرّ آخر يكمن وراء ذلك الزواج، فان ما تجدر الاشارة إليه هنا هو أنه (ع) لم يكن يستطيع التصريح بحقيقة الأمر، و واقع القضية إلى آخر ما قدمناه في فصل: ظروف البيعة.

و أما قوله بتفضيل علي (ع) على جميع الخلق ... فاننا إن لم نقل:

أنه كان من ضمن المخطط، الذي كان قد رسمه للوصول إلى مآربه و أهدافه- كما اتضح في فصل ظروف البيعة ... فاننا- و نحن نرى تباين مواقفه و تصريحاته- نرى أنفسنا مضطرين إلى القول: بأنه لم يكن ينطلق في مواقفه السياسية من مواقف عقائدية ...

و أما إكرامه للعلويين ... فقد تقدم تصريحه في كتابه للعباسيين: بأن ذلك ما كان منه إلا سياسة و دهاء ... و تقدم أنه بعد وفاة الرضا (ع)

قد أخذهم بلبس السواد، و منعهم من الدخول عليه ... و أنه كان يختلهم واحدا فواحدا حسب ما كتب إليه عبد اللّه بن موسى.

و سيأتي بيان أنه قتل سبعة من اخوة الإمام (ع) ... و أنه أمر الولاة و الحكام بالقبض على كل علوي ...

و أما ما ذكره أحمد أمين: من كثرة خروج العلويين عليه ...

فإننا لم نجد، و لم نسمع ذكرا في التاريخ لثورة قامت ضد المأمون، بعد وفاة الرضا (ع) إلا ثورة عبد الرحمن بن أحمد في اليمن، و التي كانت باتفاق المؤرخين بسبب جور العمال، و ظلمهم ... و سوى ثورة إخوة الإمام الرضا (ع) طلبا بثأر أخيهم كما سيأتي ...

و لم يبق ثمة إلا نسبة فكرة اغتيال الرضا (ع) إلى الشيعة ... و أنهم انما اختلقوها و ابتدعوها بدافع من الشعور بالحاجة إلى مثل هذه التزويرات؛ إذ قد كتب إلخ ...

فهي دعوى تكذبها جميع الشواهد و الدلائل التاريخية ... هذا بالاضافة إلى أن السنة قد اتهموا المأمون بهذه التهمة، قبل اتهام الشيعة له بها، و الشيعة إنما يعتمدون في ذلك على كتب أهل السنة، التي استفاضت في اتهام المأمون بذلك، و التي يؤيدها الكثير مما قدمناه في هذا الكتاب، و غيره ...

و هكذا ... يتضح أن كل ما ذكره هؤلاء لا يصلح ما نعا و لا دليلا على أن المأمون لم يكن وراء استشهاد الإمام (ع) ... بل جميع الدلائل و الشواهد متضافرة على خلاف ذلك حسبما فصلناه في الفصلين المتقدمين و غيرهما، و لو لا أن تعداد مواقف المأمون مع الإمام و تصريحاته يستلزم تكرارا نربأ بالقارئ الفطن أن يضطرنا إليه ... لا استطعنا أن نحشد الكثير الكثير من الدلائل و الشواهد، التي تؤكد سوء نية المأمون، و خبث طويته تجاه الإمام (ع) ... فما استند إليه هؤلاء في حكمهم ذاك،

لا يصلح للاستناد إليه، و لا للاعتماد عليه، و إن صيغ بعبارات منمقة، و أساليب مختلفة، فيها الاغراق و المبالغة أحيانا، و يبدو عليها الاتزان و الموضوعية أحيانا أخرى ...

و بعد ... فعلى المكابر: أن يجيب على السؤال التالي:

و إلا ... فاننا نرى: أن لنا كل الحق في توجيه السؤال التالي إلى كل من يكابر، و يصر على براءة المأمون، و حسن نيته، و السؤال هو:

إنه إذا كان قد عرض ولاية العهد. بعد وفاة الرضا (ع) على عبد اللّه بن موسى؛ فلما ذا لم يجعل ولد الرضا «الجواد» وليا لعهده، مع أنه كان زوج ابنته، و ولد ولي عهده، الذي أظهر عليه الحزن و الجزع، و مع أنه كان قد اعترف له بالعلم، و الفضل و التقدم، كما اعترف لأبيه من قبل!!! ...

و لا مجال هنا للإصغاء للقول: بأن الجواد (ع) لم يكن يصلح لولاية العهد، بالنظر لصغر سنه ...، إذ أن جعله وليا للعهد لا يعني تسليمه بالفعل أزمة الحكم و السلطان ... و قد أخذ الخلفاء، حتى أبوه الرشيد، و أخوه الأمين البيعة لمن كانوا أصغر من الجواد سنا، و لمن لم يكن له من العقل و الحكمة و الدراية ما كان للجواد (ع) ...

هذا بالاضافة إلى أن صغر سنه لم يكن ليضره، بعد أن كان من أهل بيت زقوا العلم زقا، و بعد أن شهد المأمون، و اعترف له العباسيون بالعلم و الفضل، بعد ذلك المجلس الذي أجاب فيه يحيى بن اكثم عن مسائله، حيث كان العباسيون قد بذلوا له الأموال الطائلة ليقطعه عن

الحجة!! (1). راجع فصل: مع بعض خطط المأمون لتعرف أهداف المأمون من هذه المناظرة ...

رأي الفريق السادس: الرأي الحق:

و أما ذلك الفريق الذي يرى: أنه (ع) مات مسموما دون شك، و الذين أشار إليهم سبط ابن الجوزي بقوله: «و زعم قوم أن المأمون قد سمه»- أما هؤلاء، فكثيرون:

و يمكننا أن نقول: إن ذلك مما تسالم عليه الشيعة رضوان اللّه عليهم، ما عدا المرحوم الإربلي في كشف الغمة، و نسب ذلك أيضا إلى السيد ابن طاوس، و إلى الشيخ المفيد قدس سره، و لكن ربما يستظهر من المفيد أنه يذهب إلى مسموميته؛ حيث ذكر أنهما- أي المأمون و الرضا- قد اكلا معا عنبا، فمرض الرضا، و تمارض المأمون!! ...

و اتفاق الشيعة على ذلك لخير دليل على أنه (ع) قد قضى شهيدا؛ لأنهم هم أعرف و أخبر بأحوال ائمتهم من غيرهم، و ليس لديهم ما يوجب كتم الحقائق، أو تشويهها. فإذا ما سنحت لهم فرصة لاظهارها أظهروها، دون تكتم على شي ء، أو تشويه لشي ء ...

و من أهل السنة، و غيرهم، طائفة كبيرة من العلماء، و المؤرخين، يعتقدون بأنه (ع) لم يمت حتف أنفه، أو على الأقل يرجحون ذلك، و إن لم يغين كثير منهم من فعل ذلك، أو أمر به ... و نذكر من هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر:

1- راجع الصواعق المحرقة، و الفصول المهمة، لابن الصباغ، و ينابيع المودة للحنفي، و اثبات الوصية للمسعودي، و البحار، و اعيان الشيعة، و إحقاق الحق ج 2 نقلا عن: أخبار الدول للقرماني، و نور الأبصار، و أئمة الهدى للهاشمي، و الاتحاف بحب الأشراف و مفتاح النجا في مناقب أهل العبا إلخ ...

ابن حجر في صواعقه ص 122.

و ابن الصباغ المالكي في الفصول المهمة ص 250 و المسعودي في اثبات الوصية ص 208، و في التنبيه و الاشراف ص 203، و مروج الذهب ج 3 ص 417، و إن كان في مكان آخر من مروجه قد حكى ذلك بلفظ: قيل ...

و القلقشندي في مآثر الانافة في معالم الخلافة ج 1 ص 211.

و القندوزي الحنفي في ينابيع المودة ص 263، و غيرها ...

و جرجي زيدان في تاريخ التمدن الاسلامي المجلد الثاني جزء 4 ص. 44.

قال: «و فكر في بيعته علي الرضا، فأعظم أن يرجع عنها، و خاف إذا رجع أن يثور عليه أهل خراسان، فيقتلوه، فعمد إلى سياسة الفتك، فدس إليه من أطعمه عنبا مسموما، فمات».

و ذكر ذلك أيضا في آخر صفحة من كتابه: الأمين و المأمون.

و أبو بكر الخوارزمي يقول في رسالته: «و سم علي بن موسى الرضا بيد المأمون» و قد تقدم شطر كبير من هذه الرسالة ... و يؤيد قوله هذا بعض ما تقدم بالاضافة إلى عدة روايات ليس هنا محل ذكرها ...

و أحمد شلبي في: التاريخ الاسلامي و الحضارة الاسلامية ج 3 ص 107 يقول: إن ثورة بغداد قد أرغمت المأمون على التخلص من الرضا، و خلع الخضرة إلخ ...

و أبو الفرج الأصفهاني يقول في مقاتل الطالبيين: «و كان المأمون عقد له على العهد من بعده، ثم دس إليه- فيما ذكر- بعد ذلك سما فمات».

و ذكر استشهاده أيضا أبو زكريا الموصلي في تاريخ الموصل 171/ 352.

و ابن طباطبا في الآداب السلطانية ص 218.

و الشبلنجي في نور الابصار ص 176، 177 طبع سنة 1948 يروي ذلك أيضا.

و يروي ابن حجر عن الحاكم في تاريخ نيسابور أنه قال: «استشهد علي بن موسى الرضا بسناآباد» ...

و هو نفسه ينقل عن ابن حبان أنه (ع) مات مسموما بماء الرمان (1).

و السمعاني أيضا في أنسابه ج 6 ص 139، يذهب إلى استشهاده (ع).

و ينقل القندوزي ذلك عن محمد پارسا البخاري في كتاب فصل الخطاب.

كما و ينقله عن اليافعي؛ فراجع ص 385 من ينابيع المودة ...

و في خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في اسماء الرجال ص 278 ينقل ذلك عن سنن ابن ماجة القزويني ...

و ينقل ذلك أيضا عن السلامي في كتابه الذي ألفه في تاريخ خراسان (2).

و عن البيهقي في تاريخ بيهق.

و عارف تامر في كتابه: الامامة في الاسلام ص 125 يقول بذلك أيضا ...

و نقله في احقاق الحق (الملحق) ج 12 ص 346 فصاعدا عن:

النبهاني في جامع كرامات الأولياء ج 2 ص 311.

و عن السيد عباس بن علي بن نور الدين في نزهة الجليس ج 2 ص 65.

و عن المناوي في الكواكب الدرية ج 1 ص 256.

و عن ابن طلحة في مطالب السؤل ص 86 ...6.

ص: 424

1- تهذيب التهذيب لابن حجر ج 7 ص 388، و أعيان الشيعة ج 4 قسم 2 ص 154.

2- راجع: البحار ج 49 ص 143، و عيون أخبار الرضا ج 2 ص 166.

و عن الهاشمي الأفغاني في كتابه: «أئمة الهدى ص 127.

و عن البدخشي في: مفتاح النجا ص 181 (مخطوط).

و عن الجوزجاني الحنفي في: طبقات ناصري ص 113.

و ذكر ذلك أيضا صاحب كتاب عيون الحدائق ص 357.

و أخيرا فقد قال الدكتور كامل مصطفى الشيبي في كتابه: الصلة بين التصوف و التشيع ص 226: «... و مات الرضا مسموما، كما يرى أكثر المؤرخين».

و هذا غيض من فيض ... و حسبنا ما ذكرنا هنا؛ فإننا لو أردنا تتبع ما قيل حول وفاة الإمام، لاحتجنا إلى وقت طويل ...

هذا كله ... بالنسبة إلى أقوال المؤرخين ...

صدى قتل الرضا في نفس زمن المأمون:

و أما إذا راجعنا كتب التاريخ أنفسها؛ فإننا نستطيع أن نقول: إن استشهاد الإمام (ع) بالسم على يد المأمون كان شائعا و معروفا بين الناس في ذلك الزمان، أعني: زمن المأمون نفسه، و متسالما عليه فيما بينهم ...

فلقد تقدم في الفصل السابق: أن المأمون قد اعترف بأن الناس يتهمونه: بأنه قد اغتاله و قتله بالسم!!.

و ورد أيضا أن الخلق عند وفاة الرضا (ع) اجتمعوا و قالوا: إن هذا قتله و اغتاله- يعنون المأمون-، و اكثروا من القول و الجلبة، حتى أرسل إليهم المأمون محمد بن جعفر، عم أبي الحسن يخبرهم:

أن أبا الحسن لا يخرج في ذلك اليوم؛ خوفا من الفتنة (1) ...

1- مسند الامام الرضا ج 1 ص 130، و البحار ج 49 ص 299، 300، و عيون أخبار الرضا ج 2 ص 242.

كما و أن عبد اللّه بن موسى يصرح في رسالته التي أرسلها إلى المأمون بأنه قد بلغه ما فعله بالرضا من اطعامه العنب المسموم، و ستأتي هذه الرسالة بتمامها في أواخر هذا الكتاب ...

و سئل أبو الصلت الهروي: «كيف طابت نفس المأمون بقتل الرضا مع إكرامه إياه و محبته له؟!.» فجاء في آخر جوابه قوله: «فلما أعيته الحيلة في أمره اغتاله؛ فقتله بالسم ...» (1).

فإن هذا السؤال يكشف عن أن ذلك كان معروفا آنذاك بين الناس لكن الناس كانوا في حيرة من ذلك؛ بسبب ما كانوا يرونه من اكرام المأمون للرضا (ع) في الظاهر ...

و عن الطالقاني: «إنه كان متى ظهر للمأمون من الرضا علم و فضل، و حسن تدبير حسده على ذلك، و حقده عليه، حتى ضاق صدره منه؛ فغدر به فقتله».

بل لقد ذكر ابن خلدون: أن سبب خروج إبراهيم ابن الإمام موسى (ع) على المأمون هو أنه اتهم المأمون بقتل أخيه علي الرضا (ع) (2).

و يؤيد ذلك: أنه قد نقل الاتفاق من كل من ترجم لإبراهيم هذا على أنه مات مسموما، و أن المأمون هو الذي دس إليه السم، و قد أنشد ابن السماك الفقيه، حينما ألحده:

مات الإمام المرتضى مسموماو طوى الزمان فضائلا و علوما

قد مات بالزوراء مظلوما كماأضحى أبوه بكربلاء مظلوما 5.

ص: 426

1- عيون أخبار الرضا ج 2 ص 239، و البحار ج 49 ص 290، و مسند الامام الرضا ج 1 ص 128، 129.
2- تاريخ ابن خلدون ج 3 ص 115.

إلى آخر الأبيات (1) ... و ابراهيم هـذا هو الـذي كان قـد خرج على المأمون في اليمن قبل ذلك أيضا. كما أن المأمون قـد دس السم إلى أخية زيد ابن موسى (2)، الذي كان قد خرج عليه قبلا بالبصـرة، و إن كان اليعقوبي يذكر أن المأمون قد عفا عن زيد و ابراهيم (3) ... لكن من الواضـح أن عفوه عنهمـا في الظاهر بسـبب خروجهما عليه في البصـرة و اليمن، لا ينافي أنه دس إليهما السم بعـد ذلك بأعوام؛ بسـبب مطالبتهما بدم أخيهما الرضا (ع).

كما أن بعض المصادر التاريخيـة تـذكر: أن «أحمـد بن موسـى» أخا الامام الرضا ... لما بلغه غـدر المأمون بأخيه الرضا، و كان آنـذاك في بغداد، خرج من بغداد للطلب بثأر أخيه، و كان معه ثلاثة آلاف من العلوية. و قيل: اثنا عشر ألفا ...

و بعـد وقائع جرت بينه و بين «قتلغ خان»، الـذي أمره المأمون فيهم بأمره، و الذي كان عاملا للمأمون على شـيراز ... استشـهد أصـحابه، و استشهد هو، و أخوه «محمد العابد» أيضا (4) ...ك.

ص: 427

1- حياة الامام موسى بن جعفر ج 2 ص 408، و البحار ج 48 ص 278 باختصار. و لكن في وفيات الأعيان ج 1 ص 491 و صفة الصفوة ج 3 ص 177 و الكنى و الألقاب ج 1 ص 316، و مرآة الجنان ج 1 ص 393، و الطبري في أحداث سنة 183: أن وفاة محمد بن السماك كانت سنة 183 ه. و أما وفاة ابراهيم فهي إما سنة 210، أو سنة 213؛ فلا يمكن أن يكون ابن السماك هو المتولي لحده، فضلا عن أن ينشد الشـعر المذكور ... اللهم إلا أن يكون ابن السـماك اثنين، أحدهما الفقيه، و الآخر: القصاص، أو لعل هناك تصحيف عمدي، أو عفوي من الراوي ...

2- البحار ج 48 ص 315، و كذا هامش ص 386 منه و شرح ميمية أبي فراس ص 178 و عمدة الطالب ص 221. و حياة الامام موسى بن جعفر.

3- مشاكلة الناس لزمانهم ص 29.

4- راجع: كتاب قيام سادات علوي ص 169 (فارسي)، و أعيان الشيعة ج 10 من المجلد 11 ص 286، 287، نقلا عن كتاب: الانساب، لمحمـد بن هارون الموسوي النيشابوري. و راجع أيضا: مدينة الحسـين (السلسـلة الثانية) ص 91، و البحار ج 8 ص 308، و حياة الامام موسى بن جعفر ج 2 ص 413 و فرق الشيعة هامش ص 97 عن بحر الأنساب ط بمبئي و غير ذلك.

و أيضا ... فإن شرطة المأمون قد قتلوا «هارون بن موسى» أخا الرضا؛ حيث إن هارون هذا كان في القافلة التي كانت تقصد خراسان، و كانت تضم (22) علويا، و على رأسها السيدة فاطمة أخت الرضا (ع) (1).

فأرسل المأمون إلى هذه القافلة؛ فقتل و شرد كل من فيها، و جرحوا هارون المذكور، ثم هجموا عليه و هو يتناول الطعام فقتلوه (2). و أما زعيمة القافلة السيدة فاطمة بنت موسى (ع)؛ فيقال إنها هي الاخرى قد دس إليها السم في ساوة؛ و لهذا لم تلبث إلا أياما قليلة و استشهدت (3).

و آخر من يذكره المؤرخون من ضحايا المأمون: «حمزة بن موسى»، أخا الإمام (ع)؛ حيث ذكروا أنه كان من جملة من قتلهم أتباع المأمون (4).

فيكون المأمون قد قتل ستة، بل سبعة من إخوة الإمام (ع)؛ لأنهم طالبوه بدم أخيهم، أو كادوا. و ألحق بهم ما شاء اللّه ممن تابعهم، أو خرج معهم ...

و يقول الكاتب الفارسي، علي أكبر تشيد: «إن كثيرا من العلويين كانوا قد قصدوا خراسان، أيام تولي الإمام العهد من المأمون، لكن أكثرهم لم يصل؛ و ذلك بسبب استشهاد الإمام (ع)، و أمر المأمون الحكام، و أمراء البلاد بقتل، أو القبض على كل علوي.» (5).0.

1- قيام سادات علوي ص 161.

2- جامع الأنساب ص 56، و قيام سادات علوي ص 161، و حياة الامام موسى بن جعفر ج 2.

3- قيام سادات علوي ص 168.

4- حياة الامام موسى بن جعفر ج 2.

5- قيام سادات علوي ص 160.

و في الشعر أيضا نجد ما يدل على ذلك:

بل إن دعبلا المعاصر للإمام و المأمون، يرثي الإمام (ع) فيقول:

شككت: فما أدري أمسقي شربةفأبكيك أم ريب الردى فيهون

أيا عجبا منهم: يسمونك الرضاو يلقاك منهم كلحة و غضون فدعبل لم يكن شاكا في الأمر. بدليل البيت الثاني، أعني قوله:

أيا عجبا منهم يسمونك إلخ ... و بدليل مرثيته الاخرى للإمام، التي يقول فيها:

لم يبق حي من الأحياء نعلمه من ذي يمان و لا بكر و لا مضر

إلا و هم شركاء في دمائهم كما تشارك أيسار على جزر الى آخر الأبيات ... و مهما شككت في شي ء، فإنني لا أشك في أن أقوال دعبل هذه هي التي دعتهم لاتهامه بالزندقة، و المروق من الدين ...

و يقول السوسي:

بأرض طوس نائي الأوطان إذ غره المأمون بالأماني

حين سقاه السم في الرمان (1)

و القاضي التنوخي أيضا يقول:

و مأمونكم سم الرضا بعد بيعةفآدت له شم الجبال الرواسب (2) و أبو فراس أيضا يقول في شافيته:

باءوا بقتل الرضا من بعد بيعته و أبصروا بعض يوم رشدهم و عموا

1- مناقب ابن شهرآشوب ج 4 ص 374.

2- مناقب ابن شهرآشوب ج 4 ص 328، و في الغدير ج 3 ص 380 هكـذا: «تود ذرى شم الجبال إلخ ...».، و لعل الصواب فيه: «تهد ذرى الخ ...».

عصابة شقيت من بعد ما سعدت و معشر هلكوا من بعد ما سلموا

لا بيعة ردعتهم عن دمائهم و لا يمين، و لا قربى، و لا ذمم و هكذا ... يتضح بما لا مجال معه للشك: أن كون المأمون هو الذي اغتال الإمام قد كان معروفا لدى الناس، و شائعا بينهم منذ ذلك الحين ...

و لا غرابة في ذلك فلقد كان وعد حاجبه، و جمعا من العباسيين بأنه سوف يدبر في الإمام بما يحسم عنه مواد بلائه!!.

الإمام و آباؤه عليهم السلام يخبرون بشهادته:

و بعد كل ما تقدم ... نرى أنه لا بد لنا قبل أن نأتي على آخر هذا الفصل من الاشارة إلى أن الإمام نفسه قد أخبر أكثر من مرة بأنه سوف يقضي شهيدا بالسم، بل لقد أخبر بذلك آباؤه الطاهرون، و غيرهم ممن عاشوا في ذلك الزمان ...

و نستطيع أن نقسم هذه الروايات الكثيرة جدا إلى ثلاث طوائف:

1- طائفة وردت على لسان النبي (ص)، و الأئمة (ع): يخبرون فيها عن استشهاد الإمام الرضا (ع) في طوس، و هذه على ما يبدو خمسة أحاديث.

2- طائفة وردت عن الإمام نفسه، يخبر فيها بهذا الأمر، و بأن المأمون نفسه هو الذي سوف يقدم على ذلك، و أنه سوف يدفن في طوس إلى جنب هارون ...

و هذه الطائفة كثيرة جدا- و في بعضها يصرح بذلك للمأمون نفسه، كما المحنا إليه- حتى إنه زاد في قصيدة دعبل؛ من أجل تتميم قصيدته قوله:

و قبر بطوس يـا لهـا من مصـيبةالحت على الأحشاء بالزفرات (1) 3- تلـك الطائفـة التي تشـرح لنا كيفيـة دس السم إليه. و أنه بالعنب، أو بادخال الابر المسمومة فيه، أو بالرمان، أو بهما معا، أو بغير ذلك ...

و هذه الطائفة كثيرة أيضا، و قد ورد بعضها عن الإمام نفسه. و قال بعض الكتاب: إنه تتبع هذه الروايات، فوجد انها تنتهي إلى ستة أشخاص، هم:

أبو الصـلت عبد السـلام الهروي، و الريان بن شبيب، و هرثمة بن أعين (2) و محمـد بن الجهم، و علي بن الحسـين الكاتب، و عبد اللّه بن بشير (3) ...

و لكنني قد راجعت بدوري هذه الروايات؛ فوجدت: أن عددا آخر غير هؤلاء قد رووا ذلك أيضا ...

و حتى الزيارة تؤكد على استشهاده (ع):

و أخيرا ... فقد ورد في الزيارة الجوادية قول الامام الجواد (ع):

ص: 431

1- ينابيع المودة ص 454، و مناقب ابن شهرآشوب ج 4 ص 338، و البحار ج 49 ص 239، و عيون أخبار الرضا ج 2 ص 263، 264.

2- لم يكن هرثمـة حيـا حين وفاة الامام، لأنه بعـد مقتل أبي السـرايا ذهب إلى مرو، فلم يمهله المأمون، و تخلص منه بعـد أيام قلائل من وصوله، فروايته لكيفيـة وفاة الامام عليه السـلام لا تصـح، إلا أن يكون هرثمة اثنين ... هذا و يلاحظ بعض التشابه بين رواية هرثمة، و رواية أبي الصلت ... فلعل الأمر قد اشتبه على الراوي، أو أنه قد ذكر اسم هرثمة لحاجة في نفسه قضاها ...

3- القائل بذلك هو علي موحدي في كتابه: ولاية عهدي امام رضا ...

«السلام عليك من إمام عصيب، و امام نجيب، و بعيد قريب، و مسموم غريب (1)...»

و في كامل الزيارة لابن قولويه، و هو من الكتب المعتمدة، و الموثوقة، و غيره: قد ورد قولهم (ع) في زيارته: «قتل اللّه من قتلك بالأيدي و الألسن (2)». و فقرة أخرى في زيارته تقول: «السلام عليك أيها الشهيد السعيد، المظلوم المقتول ... إلى أن قال: لعن اللّه أمة قتلتك، لعن اللّه أمة ظلمتك (3)».

و أما قولهم (ع): أيها الصديق الشهيد، فهي موجودة في غير مورد من زيارته، و في مختلف الكتب الموردة لها.

القمة الشامخة الخالدة:

و الآن ... و بعد أن أصبح الصبح واضحا لكل ذي عينين، و بان و ظهر ما جهد المأمون و من يدور في فلكه في إخفائه و طمسه- الآن- قد آن لنا أن نقول:

فليكد المأمون كيده، و ليسع سعيه، و ليناصب جهده؛ فلقد بقي الإمام (ع)، رغم كل مؤامراته و دسائسه: قمة شامخة، لم تدنسه الاهواء، و لم تنل منه العوادي ... و يبقى- و إلى الأبد- كعبة الزوار، و مهوى الأفئدة، من شرق الأرض و غربها ...

أما المأمون ... فيبوء بعارها و شنارها، و يذهب إلى ... لعنة اللّه و التاريخ.

ص: 432

1- البحار ج 102 ص 53.
2- كامل الزيارات ص 313، و مفاتيح الجنان ص 501، و عيون أخبار الرضا ج 2 ص 270
3- عيون أخبار الرضا ج 2 ص 269.

دعبل و المأمون!!:

الموقف الجريء

جاء في أمالي الشيخ ج 1 ص 98، 99، و أمالي المفيد ص 200، 201، و ط الحيدرية في النجف ص 192- 193 و الاغاني 8 ص 57، و الغدير ج 2 ص 375، 376 عنه، و عن ابن عساكر في تاريخه ج 5 ص 233 و أخبار شعراء الشيعة للمرزباني ص 94- 95 ما يلي:

عن يحيى بن أكثم، قال: إن المأمون أقدم دعبل رحمه اللّه، و آمنه على نفسه؛ فلما مثل بين يديه، و كنت جالسا بين يدي المأمون؛ فقال له: أنشدني قصيدتك «الرائية»؛ فجحدها دعبل، و أنكر معرفتها؛ فقال له: لك الأمان عليها كما آمنتك على نفسك؛ فأنشده:

تأسفت جارتي لما رأت زوري و عدت الحلم ذنبا غير مغتفر

ترجو الصبا بعد ما شابت ذوائبهاو قد جرت طلقا في حلبة الكبر

أجارتي: إن شيب الدهر يعلمني ذكر المعاد، و أرضاني عن القدر

لو كنت اركن للدنيا و زينتهاإذن بكيت على الماضين من نفر

ص: 433

أخنى الزمان على أهلي فصدعهم تصدع الشعب لاقى صدمة الحجر

بعض أقام، و بعض قد أصار به داعي المنية و الباقي على الأثر

أما المقيم: فأخشى أن يفارقني و لست أوبة من ولى بمنتظر

أصبحت أخبر عن أهلي و عن ولدي كحالم قص رؤيا بعد مدكر

لو لا تشاغل عيني بالاولى سلفوامن أهل بيت رسول اللّه لم أقر

و في مواليك للحرين مشغلةمن أن تبيت لمشغول على أثر

كم من ذراع لهم بالطف بائنةو عارض بصعيد الترب منعفر

أمسى الحسين و مسراهم لمقتله و هم يقولون هذا سيد البشر

يا أمة السوء ما جازيت أحمد في حسن البلاء على التنزيل و السور

خلفتموه على الأبناء حين مضى خلافة الذئب في إنفاد ذي بقر قال يحيى: و أنفذني المأمون في حاجة؛ فقمت، فعدت إليه، و قد انتهى إلى قوله:

لم يبق حي من الأحياء نعلمه من ذي يمان، و لا بكر، و لا مضر

إلا و هم شركاء في دمائهم كما تشارك أيسار على جزر

قتلا، و أسرا، و تخويفا و منهبةفعل الغزاة بأهل الروم و الخزر

أرى أمية معذورين إن قتلواو لا أرى لبني العباس من عذر

قوم قتلتم على الاسلام أو لهم حتى إذا استمكنوا جازوا على الكفر

أبناء حرب، و مروان، و أسرتهم بنو معيط، ولاة الحقد و الوغر

اربع بطوس على قبر الزكي بهاإن كنت تربع من دين على وطر

قبران في طوس: خير الناس كلهم و قبر شرهم، هذا من العبر

ما ينفع الرجس من قرب الزكي و لاعلى الزكي بقرب الرجس من ضرر

هيهات كل امرئ رهن بما كسبت له يداه؛ فخذ من ذاك أو فذر قال: فضرب المأمون بعمامته الأرض، و قال:

«صدقت و اللّه يا دعبل».

كلمة ختامية:

و في الختام:

فإنني أرجو أن اكون قد وفقت في هذه الدراسة، للكشف عن الحقائق التي أريد لها أن تبقى طي الكتمان ... و أن يكون القارئ قد وجد فيها ما يصح أن يكون جوابا على الاسئلة الكثيرة، التي قد يثيرها لديه هذا الحدث التاريخي الهام، الذي لم يكن طبيعيا و عادّيا، كسائر ما يجري و ما يحدث ...

الإكثار من النصوص التاريخية في الكتاب:

و لعل المطلع على هـذا الكتاب يكون قـد لاحظ: أنني أكثرت فيه من النصوص التاريخيـة، و لم يكن هدفي من ذلك إلا أن لا يجد القارئ كبير عناء في استخلاص الحقائق، بعيدا عن نزوات العاطفة، و عثرات الميول ...

و لا ـ شك أنه يكون قـد لاحـظ أيضا: أنني لم أحاول انتقاء ألفاظه، و لا صـياغة جمله صـياغة فنيـة أنيقـة ... و إذا كنت مقتنعا بأن ذلك من مميزاته، و حسناته؛ لاعتقادي بأن ذلك هو ما تفرضه طبيعة البحث

ص: 436

الموضوعي الهادئ ... فلسوف لا- أستغرب، و لا- أتألم إذا كان هناك الكثيرون، ممن يعتقدون أنه عيب و نقص، كان بالامكان تجنبه، و الابتعاد عنه ... و مع ذلك: فلن أجد نفسي مغبونا حين أقدم- بإخلاص- اعتذاري لهم، و طلب المسامحة، و غض النظر منهم ...

رجاء و اعتذار:

و إذا كان يجوز لي أخيرا: أن أطلب من إخواني الاعزاء شيئا؛ فان رجائي الأكيد من كل من يقرأ كتابي هذا: أن يتحفني بملاحظاته، و أن ينبهني لما يجده، أو يراه خطأ، أو نقصا؛ فان الإنسان- إلا من اصطفى اللّه- معرض للخطأ و للصواب ... و إذا كان كثيرا ما يكون له فضل فيما أصاب؛ فكثيرا ما يكون له العذر أيضا فيما أخطأ ...

شكر و تقدير:

هذا ... و لا يسعني هنا الا أن أتقدم بجزيل شكري، و عميق تقديري لسماحة حجة الاسلام المحقق السيد مهدي الروحاني، و لأصحاب السماحة و الفضيلة، من أساتذتي و إخواني، الذين تفضلوا بمطالعة هذا الكتاب؛ حيث كان لآرائهم الصائبة، و توجيهاتهم السديدة، و ملاحظاتهم الدقيقة أكبر الأثر على هذا الكتاب، إن في الشكل، و إن في المحتوى ...

و أخيرا ... فإنني أتقدم أيضا بخالص شكري، و فائق تقديري للقارئ الكريم، الذي جعلني مدينا له، بما منحني من وقته، و عقله، و فكره ...

و أرجو أن أكون قد وفقت للفوز بثقته أيضا ...

و لا أطيل عليك- قارئي الكريم-؛ فقد كان الفراغ من نقله إلى

ص: 437

المبيضة ليلة الأحد السابع من صفر، الساعة التاسعة منها سنة 1396 ه.

ق. الموافق 8 شباط سنة 1976 م ش.

و الحمد للّه، و له المنة، و صلاته و سلامه على عباده الذين اصطفى محمد و آله الطاهرين ...

نزيل قم المقدسة جعفر مرتضى الحسيني العاملي

ص: 438

رسالة نقد، و جوابها

اشارة

و بعد ... فان سماحة الأخ الجليل، و الفاضل النبيل، الشيخ عفيف النابلسي حفظه اللّه، قد تفضل مشكورا برسالة ... أبدى فيها رضاه و اعجابه بالكتاب، ثم أشار فيها إلى المآخذ التالية:

1- لقد ورد في ص 133: أن زبيدة، زوجة الرشيد، كانت تتشيّع ...

مع أن سلوكها، و ظروفها، و أجواءها، و أيضا تاريخ أهلها و ذويها- كل ذلك يبعدها كل البعد عن نسبة التشيع لها؛ لا بمعناه الخاص، و لا العام، الذي يعني الوقوف مع الامام الكاظم عليه السلام ضد خصومه، و التعاطف معه، و الاستنكار للظلم ...

و إرادة الرشيد طلاقها لعله لمضايقتها له، في محاولاتها منعه من التمتع بحسناوات القصر ... و أما إحراق قبرها فهو لعدم تمييز العامة بين قبرها، و بين قبور آل بويه ...

2- جاء في ص 133 أيضا: أن نكبة البرامكة يقال: ان سببها هو تشيعهم للعلويين، و هذا لا يتلاءم مع موقف يحيى حينما شكا إلى الرشيد أمر الكاظم عليه السلام، و شحن صدره غيظا على العلويين، و بالأخص على الامام الرضا عليه السلام منهم ... مع أن هذا ينافي ما ذكر في ص 263 من أن البرامكة كانوا أعداء لأهل البيت عليهم السلام ...

3- ما جاء في هامش ص 355 من عدم الجزم بأن الابيات، التي أولها:

ذكروا بطلعتك النبي محمدا إلخ ...

هي للبحترى، و قد كان اللازم الجزم بذلك؛ لانسجام هذه الابيات مع سائر ابيات قصيدة البحتري ... هذا بالاضافة إلى أن الشاعر يقول: (حتى انتهيت الى المصلى لابسا) و معلوم أن الامام عليه السلام لم يصل إلى المصلى، بل رجع من وسط الطريق ... الأمر الذي يدل على أن الأبيات قد قيلت في غير الامام عليه السلام، و قضية صلاته ...

أما نحن فنقول:

و نستميح سماحة الأخ العذر، إذا أشرنا الى ما يلي ...

1- أما بالنسبة إلى النقطة الأولى، و هي تشيع زبيدة، فاننا نقول: إننا لربما نجدهم في كتب التاريخ يقولون عن مثل المغيرة بن شعبة، و الاشعث بن قيس و امثالهما ممن بايع عليا عليه السلام في خلافته، و كذلك كل من ناصر قضايا أهل البيت سياسيا، و بذل نفسه في سبيلها: إنه من شيعة علي عليه السلام و أهل البيت ... من دون نظر إلى سلوكه، و ميوله، و عقائده، و مذهبه ... و هذا الاطلاق كان في الصدر الأول طبعا ... و المقصود منه: أنه من أتباع علي و أهل البيت و انصارهم ...

و إذا تجاوز ناتلك المرحلة ... فاننا لا بد و أن نؤكد على الفرق بين كلمتي «شيعي»، و «تشيع» ... فان «الشيعي» في اصطلاحهم هو من كان من الامامية، أو الزيدية، أو الكيسانية، أو غيرهم من فرق الشيعة.

و كلمة: «يتشيع»، أو «فيه تشيع» يقصد منها في كتب المتقدمين من أهل السنة- كما يرى العلامة المحقق السيد مهدي الروحاني- كل من كان يحب عليا عليه السلام، و أهل بيته الطاهرين، صلوات اللّه و سلامه عليهم أجمعين ... و نشأت هذه الكلمة على شكل تهمة و طعن؛ بتاثير من الاجهزة الحاكمة، كمعاوية و المروانيين بعده، ثم كل الحكام المعادين لأهل البيت عليهم السلام؛ فكانت المحبة لأهل البيت- مجرد المحبة- تعدّ عند الناس أتباع السلطة الحاكمة جريمة كبرى، و عظيمة لا تغفر ... قال الكميت رحمه اللّه ...

بأي كتاب أم بأية سنةترى حبهم عارا علي و تحسب

و طائفة قد كفرتني بحبكم و طائفة قالوا مسي ء و مذنب

يعيبونني من خبّهم و ضلالهم على حبكم، بل يسخرون و أعجب فمحبة آل الرسول كانت في دولة بني أمية تعدّ تشيعا، استبشاعا لها، و تقبيحا لأمرها، ثم زالت بشاعتها في عصر بني العباس لأمور تاريخية ذات طابع خاص، حتى كان يطلق على كل من كان من غير الشيعة كلمة «التشيع» ...

ص: 440

و لأجل هذا قال ابن النديم في الفهرست: إن الامام الشافعي كان شديد التشيع، و قالوا في محمد بن جرير الطبري: فيه تشيع يسير، و موالاة لا تضر ... مع أن من الواضح: انهما ليسا من الشيعة ... و هذا الاطلاق يوجد كثيرا في كتب التراجم و الرجال في مقام الجرح و التعديل ...

و على كل حال ... فان هذا الفرق بين «الشيعة» و «المتشيعة» قد خفي على سيدنا آية اللّه الامام شرف الدين رحمه اللّه؛ حيث إنه ... قد ذكر عددا ممن كان فيه «تشيّع» فجعلهم من «الشيعة» ...

و لعل الذي أوقعه في الاشتباه هو أن بعض «أهل الجرح و التعديل» ممن تغلب عليه نزعة النصب، قد عدّ جماعة من هؤلاء «المتشيعة» من الروافض، توهينا لنزعتهم، و تسفيها لرأيهم في محبة علي عليه السلام و أهل بيته الطاهرين.

و هارون الرشيد كان ناصبيا، و قد تقدم في فصل «موقف العباسيين من العلويين» و غيره بعض مواقفه و أفعاله ... فلعله لما رأى حب زوجته لأهل البيت أراد طلاقها ...

و واضح ... أن «التشيع» على النحو الذي ذكرناه، لا يتنافى، و لا يتعارض مع الاعلان عن مواقف هي ضد الجهة التي يتعاطف معها، بوحي من مصالحه المعيشية و الأمنية و نحوها ... كما أنه لا يتنافى، و لا يتعارض مع عدم الالتزام العملي بالتعاليم المذهبية، بل إنه قد يكون مستهترا عملا، و ينتهج سلوكا شاذا، و بعيدا عن روح و تعاليم الدين الحنيف. و مع ذلك يدّعي أنه ملتزم بدين، و منتم إلى مذهب، شأن الكثيرين من السياسيين من المعاصرين و غيرهم ... كما أنه لا ملازمة بين التشيع و بين وجوب القيام بثورة مسلحة ضد نظام الحكم القائم ... و عليه ... فتشيّع زبيدة ربما يكون مقتصرا على هذا التعاطف و الحب لأهل البيت، و لا يتنافى ذلك مع ما ذكره سماحة الأخ الكريم.

كما أن من البعيد جدا: أن لا يكون قبر زبيدة، أعظم عباسية في التاريخ متميزا، و معروفا لدى الناس، حتى العامة منهم ... كما أن تعليل طلاقه لها بأنها:

كانت تضايقه، و تمنعه من التمتع بحسناوات القصر، ما هو إلا اجتهاد في مقابل النص!! ...

2- و أما البرامكـة، فان ما ذكره الأخ لـم يغب عن بالي وقتها، و هو صـحيح مائة بالمائة ... و لكنه لا يعني أن النص الآخر كذب محض؛ إذ ربما يكون القصـد منه: ليس أنهم كانوا يتشـيعون حقيقـة، و إنما المراد أنه: حين رأى الرشـيد نفوذهم و قوتهم، و خافهم على الملك، تعلل عليهم بذلك؛ ليقتلهم، و يتخلص منهم ...

كمـا أنه ليس من البعيـد ... أنهم كـانوا يجارون التيّار، فيتظاهرون بالتشـيع للعلويين؛ ليحافظوا على مكانتهم في العامـة ... في نفس الوقت الذي كانوا يتآمرون فيه على آل علي عليه السلام، و يبغون لهم فيه الغوائل، تماما، كما كان المتوكل يكرم الهادى عليه السلام في الظاهر، و يبغى له الغوائل في الباطن و الشواهد التاريخية على مثل هذا كثيرة جدا ...

3- و أمـا قضـية الشـعر ... فاننـا لا نصرّ على أنه للبحري ... و إن كنا قـد اشـرنا إلى أن من الجائز أن يكون البحترى قـد أخـذه على سبيل الاستشـهاد، و التضمين؛ فان ذلك أمر شائع و معروف بين الشعراء ... كما أنني قد بينت أن من الجائز أن يكون البحترى قد صحف عمدا أو سهوا فصار: البحري ... كما أنه قـد يكون العكس هو الصـحيح. و أما أنه لـم يصل الى المصـلى، فان للشاعر ان يـدعي ذلك اذا كان الامام (ع) قد قرب منه على سبيل المبالغة.

و بعد ... فاننا نستميح الأخ الشيخ العذر، و نسأل اللّه له دوام التوفيق و التسديد.

جعفر مرتضى الحسيني العاملي ...

22/ 1/ 1400 ه. ق.

ص: 442

وثائق هامة

اشارة

1- رسالة الفضل بن سهل الى الامام (ع).

2- وثيقة ولاية العهد.

3- رسالة المأمون الى العباسيين.

4- رسالة عبد اللّه بن موسى إلى المأمون.

5- رسالة سفيان إلى هارون.

قصيدة الأمير أبي فراس الحمداني.

ص: 443

رسالة الفضل بن سهل الى الامام (ع)

هذه الرسالة:

هذه الرسالة هي التي أرسلها الفضل بن سهل إلى الامام (ع)، يطلب فيها منه القدوم، من أجل عقد ولاية العهد له ...

و قد اطلعت عليها في وقت متأخر، و تحدثت عن بعض ما يمكن استخلاصه منها في بعض فصول الكتاب ...

و نظرا لأهميتها ... فقد آثرت أن أجعلها مع الوثائق الهامة، ليطلع عليها القارئ بنفسه ...

و قد أورد هذه الرسالة أبو القاسم عبد الكريم بن محمد، بن عبد الكريم الرافعي، الشافعي، القزويني، المتوفى سنة 623 ه. في كتابه: «التدوين».

و الكتاب موجود منه نسختان خطيتان: إحداهما في مكتبة «ناصرية» القسم الثاني رقم 782 في لكنهو. و الاخرى: خطية أيضا موجودة في الاسكندرية ... و هناك نسختان مصورتان عنهما: إحداهما: في مكتبة دفتر تبليغات اسلامي في قم مصورة عن نسخة لكنهو، و الاخرى: الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملي 445 هذه الرسالة: ..... ص : 445

مكتبة المرعشي النجفي العامة في قم مصورة في طهران عن نسخة الاسكندرية.

ص: 445

و هي في النسخة المصورة عن لكنهو موجودة في المجلد الثاني ... و في المصورة عن مكتبة الاسكندرية موجودة في ج 4 ص 51. و نقلها عن هذه النسخة السيد المرعشي النجفي في ج 12 من ملحقات الإحقاق ص 381، 382:

نص الرسالة:

قال في التدوين: و النص لنسخة: لكنهو:

و لما عزم المأمون على تفويض العهد إليه (أي إلى الرضا)، بسعي ذي الرئاستين الفضل بن سهل ... كتب إليه ذو الرئاستين:

بسم اللّه الرحمن الرحيم:

لعلي بن موسى الرضا، و ابن رسول اللّه المصطفى، المهتدى بهديه، المقتدى بفعله، الحافظ لدين اللّه، الخازن لوحي اللّه، من وليه الفضل ابن سهل، الذي بذل في رد حقه إليه مهجته، و وصل ليله فيه بنهاره ...

سلام عليك أيها المهتدي و رحمة اللّه و بركاته.

فاني أحمد إليك اللّه الذي لا إله إلا هو، و أسأله أن يصلي على محمد عبده و رسوله.

أما بعد:

فإني أرجو أن اللّه قد أدّى لك، و أذن لك في ارتجاع حقك ممن استضعفك، و أن يعظم مننه عليك، و أن يجعلك الامام الوارث. و يري أعداك، و من رغب عنك، منك ما كانوا يحذرون ...

و إن كتابي هذا عن إزماع من أمير المؤمنين، عبد اللّه الامام المأمون

و مني: على رد مظلمتك عليك، و إثبات حقوقك في يـديك، و التخلي منها إليك، على ما أسأل اللّه الذي وقف عليه: أن تبلغني ما أكون بها أسعد العالمين، و عند اللّه من الفائزين، و لحق رسول اللّه من المؤدين.

و لك عليه من المعاونين، حتى أبلغ في توليتك و دولتك كلتا الحسنتين (1).

فإذا أتاك كتابي- جعلت فداك- و أمكنك أن لا تضـعه من يدك، حتى تسـير إلى باب أمير المؤمنين، الذي يراك شـريكا في أمره، و شفيعا في نسـبه، و أولى النـاس بما تحت يـده ... فعلت ما أنا بخيرة اللّه محفوفا، و بملائكته محفوظا، و بكلاءته محروسا. و إن اللّه كفيل لك بكل ما يجمع حسن العائدة عليك، و صلاح الامة بك ...

و حسبنا اللّه و نعم الوكيل، و السلام عليك و رحمة اللّه و بركاته ...

و كتبت بخطي .....

ص: 447

1- الظاهر انها: الحسنيين، لأنها اقتباس من الآية الكريمة ...

وثيقة ولاية العهد

مصادر الوثيقة:

نذكر من المصادر التي أوردت هذه الوثيقة، على سبيل المثال لا الحصر:

القلقشندي في صبح الأعشى ج 9 من ص 362، إلى ص 366، و أكملها بذكر ما كتبه الرضا (ع) و الشهود في نفس الجزء من 391 و حتى 393، و أوردها أيضا في مآثر الانافة في معالم الخلافة ج 2 من ص 325 حتى ص 336.، و هي أيضا في شرح ميمية أبي فراس من 299 إلى 303. و في نور الابصار 142، 143، و في البحار ج 49 ص 148، إلى 153، و مسند الإمام الرضا ج 1 قسم 1 من ص 102 إلى ص 107، و الفصول المهمة لابن الصباغ ابتداء من ص 293، و وسيلة النجاة لمحمد مبين الهندي ابتداء من ص 387، طبع لكنهو، و رواها أيضا الكاشاني في معادن الحكمة، و الشبراوي في الاتحاف بحب الاشراف مختصرا و ابن شهر اشوب في مناقب آل أبي طالب، و الاربلي في كشف الغمة، و السيد الامين في المجالس السنية، و أعيان الشيعة، و ابن الجوزي في التذكرة، و ذكر الأخيران إنها قد ذكرها عامة المؤرخين. و عن التفتازاني إن الوثيقة كانت موجودة في عهده، و الاربلي أيضا يقول

ص: 448

بأنها كانت موجودة في عهده، و أنه في سنة سبعين و ستمائة اطلع على وثيقة العهد الأصلية، و نقلها في كتابه حرفا فحرفا ... و أشار إليها أيضا ابن الطقطقي في الفخري في الآداب السلطانية.

و غير هؤلاء كثير ... و نحن نذكر الوثيقة موافقة لما في صبح الاعشى، و مآثر الانافة، فنقول:

نص الوثيقة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ:* هذا كتاب كتبه عبد اللّه بن هارون الرشيد، أمير المؤمنين، لعلي بن موسى بن جعفر، ولي عهده ...

أما بعد:

فإن اللّه عز و جل اصطفى الاسلام دينا، و اصطفى من عباده رسلا دالين عليه، و هادين إليه، يبشر أولهم بآخرهم، و يصدق تاليهم ماضيهم، حتى انتهت نبوة اللّه إلى محمد (ص)، على فترة من الرسل، و دروس من العلم، و انقطاع من الوحي، و اقتراب من الساعة، فختم اللّه به النبيين، و جعله شاهدا لهم، و مهيمنا عليهم. و أنزل عليه كتابه العزيز، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، و لا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، بما أحل و حرم، و وعد و أوعد، و حذر و أنذر، و أمر به، و نهى عنه؛ لتكون له الحجة البالغة على خلقه؛ ليهلك من هلك عن بينة، و يحيا من حيّ عن بينة، و إن اللّه لسميع عليم ...

فبلغ عن اللّه رسالته، و دعا إلى سبيله بما أمره به: من الحكمة، و الموعظة الحسنة، و المجادلة بالتي هي أحسن، ثم بالجهاد و الغلظة،

حتى قبضه اللّه إليه، و اختار له ما عنـده (ص)؛ فلما انقضت النبوة، و ختم اللّه بمحمد (ص) الوحي و الرسالة، جعل قوام الدين، و نظام أمر المسـلمين بالخلافة، و اتمامها و عزها، و القيام بحق اللّه فيها بالطاعة، التي يقام بها فرائض اللّه تعالى و حدوده، و شـرائع الاسلام و سننه، و يجاهد بها عدوه ...

فعلى خلفاء اللّه طاعته فيما اسـتحفظهم و استرعاهم من دينه و عباده، و على المسـلمين طاعـة خلفائهم، و معاونتهم على إقامـة حق اللّه و عدله، و أمن السبيل، و حقن الدماء، و صلاح ذات البين، و جمع الالفة.

و في خلاف ذلك اضـطراب حبل المسـلمين، و اختلالهم، و اختلاف ملتهم، و قهر دينهم، و اسـتعلاء عدوهم، و تفرق الكلمة، و خسـران الدنيا و الآخرة فحق على من اسـتخلفه اللّه في أرضه، و ائتمنه على خلقه، أن يجهد اللّه نفسه، و يؤثر ما فيه رضا اللّه و طاعته، و يعتد لما اللّه مواقفه عليه، و مسـائله عنه. و يحكم بـالحق، و يعمـل بالعـدل فيما أحله اللّه و قلـده؛ فإن اللّه عز و جل يقول لنبيه داود: «يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق، و لا تتبع الهوى، فيضـلك عن سبيل اللّه، إن الذين يضـلون عن سبيل اللّه لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب».

و قـال اللّه عز و جـل: «فو ربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون»، و بلغنا أن عمر بن الخطاب قال: «لو ضاعت سـخلة بشاطئ الفرات، لتخوفت أن يسألني اللّه عنها».

و أيم اللّه، إن المسئول عن خاصة نفسه، الموقوف على عمله فيما بينه و بين اللّه، ليعرض على أمر كبير، و على خطر عظيم، فكيف بالمسؤول عن رعايـة الامـة. و باللّه الثقـة، و إليه المفزع و الرغبـة في التوفيق و العصـمة، و التسديـد و الهدايـة إلى ما فيه ثبوت الحجة، و الفوز من اللّه بالرضوان و الرحمة ...

و أنظر الامـة لنفسه، و أنصـحهم للّه في دينه و عبـاده، من خلائقه في أرضه، من عمل بطاعـة اللّه و كتابه، و سـنة نبيه (ص) في مـدة أيامه، و بعـدها، و أجهـد رأيه فيمن يوليه عهـده، و يختـاره لامامـة المسـلمين و رعايتهم بعـده، و ينصـبه علما لهم، و مفزعا في جمع الفتهم، و لمّ شعثهم، و حقن دمائهم، و الأمن بإذن اللّه من فرقتهم، و فساد ذات بينهم و اختلافهم، و رفع نزغ الشيطان و كيـده عنهم، فإن اللّه عز و جل جعل العهد بعد الخلافة من تمام الاسلام و كماله، و عزه، و صلاح أهله، و ألهم خلفاءه من توكيده لمن يختارونه له من بعدهم من عظمت به النعمة، و شملت فيه العافية، و نقض اللّه بذلك مكر أهل الشقاق و العداوة، و السعي و الفرقة، و التربص للفتنة.

و لم يزل أمير المؤمنين منـذ أفضت إليه الخلافـة، فـاختبر بشاعـة مـذاقها، و ثقل محملها، و شـدة مؤونتها، و ما يجب على من تقلـدها من ارتباط طاعة اللّه، و مراقبته فيما حمله منها، فأنصب بدنه، و أسـهر عينه، و أطال فكره فيما فيه عز الدين، و قمع المشـركين، و صلاح الامة، و نشـر العدل، و إقامة الكتاب و السنة. و منعه ذلك من الخفض و الدعة، و مهنأ العيش، علما بما اللّه سائله عنه، و محبة أن يلقى اللّه مناصحا له في دينه، و عباده، و مختارا لولايـة عهـده، و رعاية الامة من بعده: أفضل من يقدر عليه: في دينه و ورعه، و علمه، و أرجاهم للقيام في أمر اللّه و حقه، مناجيـا بالاسـتخارة في ذلك، و مسألته إلهامه ما فيه رضاه و طاعته، في آناء ليله و نهاره. معملا في طلبه و التماسه في أهل بيته: من ولـد عبد اللّه بن العباس، و علي بن أبي طالب فكره، و نظره. مقتصـرا ممن علم حاله و مذهبه منهم على علمه، و بالغا في المسألة عمن خفي عليه أمره جهـده و طاقته ... حتى استقصـى أمورهم معرفـة، و ابتلى أخبارهم مشاهـدة، و اسـتبرأ أحوالهم معاينة، و كشف ما عندهم مساءلة، فكان خيرته بعد

استخارته اللّه، و إجهاده نفسه في قضاء حقه في عباده و بلاده، في البيتين جميعا:

علي بن موسى، بن جعفر، بن محمد ابن علي، بن الحسين، بن علي، بن أبي طالب لما رأى من فضله البارع، و علمه النافع، و ورعه الظاهر، و زهده الخالص، و تخليه من الدنيا، و تسلمه من الناس ...

و قد استبان له ما لم تزل الأخبار عليه متواطئة، و الألسن عليه متفقة، و الكلمة فيه جامعة، و لما لم يزل يعرفه به من الفضل: يافعا، و ناشئا، و حدثا، و مكتهلا، فعقد له بالعقد و الخلافة من بعده (1) ...

واثقا بخيرة اللّه في ذلك، إذ علم اللّه أنه فعله إيثارا له، و للدين، و نظرا للاسلام و المسلمين، و طلبا للسلامة، و ثبات الحجة، و النجاة في اليوم الذي يقوم الناس فيه لرب العالمين.

و دعا أمير المؤمنين ولده، و أهل بيته، و خاصته، و قواده، و خدمه فبايعوا مسارعين مسرورين، عالمين بإيثار أمير المؤمنين طاعة اللّه على الهوى في ولده و غيرهم، ممن هو أشبك منه رحما، و أقرب قرابة.

و سماه «الرضا» (2)؛ إذ كان رضا عند أمير المؤمنين.».

1- في بعض نسخ كشف الغمة في الهامش: أنه (ع) كتب بقلمه الشريف تحت قوله: «و الخلافة من بعده» قوله: «بل جعلت فداك».

2- في بعض نسخ كشف الغمة في الهامش: أنه (ع) كتب بقلمه الشريف تحت كلمة: «الرضا» قوله: «رضي اللّه عنك و أرضاك، و احسن في الدارين جزاك» و في اخرى: أنه كتب تحت ذكر اسمه عليه السلام بقلمه الشريف: «و صلتك رحم، و جزيت خيرا»، و كتب بقلمه الشريف تحت الثناء عليه: «أثنى اللّه عليك فأجمل، و أجزل لديك الثواب فأكمل».

فبايعوا معشر أهل بيت أمير المؤمنين، و من بالمدينة المحروسة، من قواده و جنده، و عامة المسلمين، لأمير المؤمنين، و للرضا من بعده علي ابن موسى على اسمه و بركته، و حسن قضائه لدينه و عباده، بيعة مبسوطة إليها أيديكم، منشرحة لها صدوركم، عالمين بما أراد أمير المؤمنين، بها، و آثر طاعة اللّه، و النظر لنفسه و لكم فيها، شاكرين اللّه على ما ألهم أمير المؤمنين بها: من قضاء حقه في رعايتكم، و حرصه على رشدكم و صلاحكم، راجين عائدة ذلك في جمع الفتكم، و حقن دمائكم، و لمّ شعثكم، و سد ثغوركم، و قوة دينكم، و رغم عدوكم، و استقامة أموركم.

و سارعوا إلى طاعة اللّه، و طاعة أمير المؤمنين؛ فإنه الأمن إن سارعتم إليه، و حمدتم اللّه عليه، عرفتم الحظ فيه إن شاء اللّه.

و كتب بيده يوم الاثنين، لسبع خلون من شهر رمضان، سنة إحدى و مائتين ...

قال القلقشندي: «ثم إنه تقدم إلى علي بن موسى، و قال له:

اكتب خطك بقبول هذا العهد، و أشهد اللّه، و الحاضرين عليك بما تعده في حق اللّه، و رعاية المسلمين، فكتب علي الرضا تحته إلخ ...».

صورة ما كان على ظهر العهد، بخط الامام علي بن موسى الرضا عليهما السلام بسم اللّه الرحمن الرحيم:

الحمد للّه الفعال لما يشاء، و لا معقب لحكمه، و لا رادّ لقضائه، يعلم خائنة الأعين، و ما تخفي الصدور. و صلاته على نبيه محمد، خاتم النبيين، و آله الطيبين الطاهرين ...

أقول- و أنا علي بن موسى الرضا بن جعفر-: إن أمير المؤمنين عضده اللّه بالسداد، و وفقه للرشاد، عرف من حقنا ما جهله غيره؛

فوصـل أرحامـا قطعت، و أمن أنفسا فزعت، بل أحياها و قـد تلفت، و أغناها إذ افتقرت، مبتغيا رضا رب العالمين، لا يريـد جزاء من غيره، و سيجزي اللّه الشاكرين، و لا يضيع أجر المحسنين ...

و إنه جعـل إليّ عهـده، و الإـمرة الكبرى- إن بقيت- بعـده، فمن حـلّ عقـدة أمر اللّه بشـدها، و فصم عروة أحب اللّه إيثاقها، فقـد أباح اللّه حريمه، و أحل محرمه، إذ كان بذلك زاريا على الإمام، منتهكا حرمة الإسـلام. بذلك جرى السالف، فصبر منه على الفلتات، و لم يعترض على العزمات، خوفا من شتات الدين، و اضطراب حبل المسلمين، و لقرب أمر الجاهلية، و رصد فرصة تنتهز، و بائقة تبتدر ...

و قـد جعلت اللّه على نفسـي، إن استرعاني أمر المسـلمين، و قلـدني خلافته: العمل فيهم عامة، و في بني العباس بن عبد المطلب خاصـة بطـاعته، و طاعـة رسوله (ص)، و أن لا أسـفك دما حراما، و لا أبيـح فرجا، و لا مالا، إلا ما سـفكته حـدود اللّه، و أباحته فرائضه. و أن أتخير الكفاة جهـدي و طاقتي. و جعلت بـذلك على نفسـي عهـدا مؤكـدا، يسألني اللّه عنه؛ فإنه عز و جل يقول: «و أوفوا بالعهـد، إن العهـد كان مسئولا».

و إن أحدثت، أو غيرت، أو بدلت، كنت للغير مسـتحقا، و للنكال متعرضا. و أعوذ باللّه من سخطه، و إليه أرغب في التوفيق لطاعته، و الحول بيني و بين معصيته، في عافية لي و للمسلمين ...

و الجامعة و الجفر يدلان على ضد ذلك، و ما أدري ما يفعل بي و لا بكم، إن الحكم إلا للّه، يقضي بالحق (1)، و هو خير الفاصلين ...ة.

1- الظاهر أن الصواب هو «يقص الحق»، كما في معالم الانافة.

لكنني امتثلت أمر أمير المؤمنين، و آثرت رضاه، و اللّه يعصمني و إياه، و أشهدت اللّه على نفسي بذلك، و كفى باللّه شهيدا ...

و كتبت بخطي، بحضـرة أمير المؤمنين، أطال اللّه بقاءه، و الفضل ابن سـهل، و سـهل بن الفضل، و يحيى بن اكثم، و عبـد اللّه بن طاهر، و ثمامة بن أشرس، و بشر بن المعتمر، و حماد بن النعمان، في شهر رمضان، سنة إحدى و مائتين ...

الشهود على الجانب الأيمن:

شهد يحيى بن أكثم على مضمون هذا المكتوب، ظهره، و بطنه.

و هو يسأل اللّه: أن يعرف أمير المؤمنين، و كافة المسلمين ببركة هذا العهد، و الميثاق. و كتب بخطه في تاريخ المبيّن فيه ...

عبد اللّه بن طاهر بن الحسين، أثبت شهادته فيه بتاريخه.

شهد حماد بن النعمان بمضمونه: ظهره و بطنه، و كتب بيده في تاريخه.

بشر بن المعتمر يشهد بمثل ذلك.

الشهود على الجانب الأيسر:

رسم أمير المؤمنين، أطال اللّه بقاءه قراءة هذه الصـحيفة، التي هي صـحيفة الميثاق. نرجو أن نجوز بها الصراط، ظهرها و بطنها، بحرم سيدنا رسول اللّه (ص)، بين الروضـة و المنبر، على رءوس الأشـهاد، بمرأى و مسـمع من وجوه بني هاشم، و ساير الأولياء و الأجناد، بعد استيفاء شروط البيعة عليهم، بما أوجب أمير المؤمنين الحجة به على جميع

المسلمين، و لتبطل الشبهة التي كانت اعترضت آراء الجاهلين: «و ما كان اللّه ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه» ...

و كتب الفضل بن سهل بأمر أمير المؤمنين بالتاريخ فيه (1).

انتهى .....

ص: 456

1- و في هامش نسخة مصححة قال مصححها: «قال العبد الفقير إلى اللّه تعالى، الفضل بن يحيى عفى اللّه عنه: قابلت المكتوب الذي كتبه الامام علي بن موسى الرضا صلوات اللّه عليه، و على آبائه الطاهرين بأصله الذي كتبه الامام المذكور (ع) بيده الشريفة، حرفا فحرفا. و الحقت ما فات منه، و ذكرت أنه من خطه. و ذلك يوم الثلاثاء، مستهل المحرم، من سنة تسع و تسعين و ست مائة الهلالية بواسط، و الحمد للّه، و له المنة ...» انتهى أقول: و الذي الحقه هو ما قدمناه في هوامش الصفحات المتقدمة ...

رسالة المأمون الى العباسيين

مصادر الكتاب:

هـذا الكتاب مـذكور في طرائف ابن طاوس، الترجمة الفارسـية من ص 131، إلى ص 135، نقلا عن كتاب نـديم الفريد، لابن مسـكويه، صاحب كتاب حوادث الاسـلام ... و في البحار للعلامـة المجلسـي ج 49 من ص 208 إلى ص 214، و في قـاموس الرجال ج 10 ص 356، إلى 360، و في ينـابيع المودة للقنـدوزي الحنفي ص 484، 485 مختصـرا، و نقل في الغدير ج 1 ص 212 قسما منه عن عبقات الأنوار للهندي ج 1 ص 147، و أشار إليه غير واحد من المؤلفين ...

نص الكتاب:

كتب العباسيون كتابا إلى المأمون، و طلبوا منه الاجابة عليه؛ فأجابهم بما يلي:

«بسم اللّه الرحمن الرحيم: و الحمد للّه رب العالمين، و صلى اللّه على محمد و آل محمد، على رغم أنف الراغمين ...

ص: 457

أما بعد:

عرف المأمون كتابكم، و تـدبير أمركم، و مخض زبـدتكم، و أشـرف على قلوب صـغيركم و كبيركم، و عرفكم مقبلين و مدبرين، و ما آل إليه كتابكم قبل كتابكم، في مراوضة الباطل، و صـرف وجوه الحق عن مواضـعها، و نبذكم كتاب اللّه و الآثار، و كلما جاءكم به الصادق محمد (ع)، حتى كأنكم من الامم السالفة، التي هلكت بالخسفة، و الغرق، و الريح، و الصيحة، و الصواعق، و الرجم ...

أ فلا يتـدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها؟ ... و الـذي هو أقرب إلى المأمون من حبل الوريد، لو لا أن يقول قائل: إن المأمون ترك الجواب عجزا لما أجبتكم؛ من سوء أخلاقكم، و قلـة أخطاركم، و ركاكة عقولكم، و من سـخافة ما تأوون إليه من آرائكم؛ فليسـتمع مسـتمع، فليبلغ شاهد غائبا ...

أما بعد:

فإن اللّه تعالى بعث محمـدا على فترة من الرسل، و قريش في أنفسـها، و أموالها، لا يرون أحدا يساميهم، و لا يباريهم، فكان نبينا (ص) أمينا من أوسـطهم بيتا، و أقلهم مالا؛ فكان أول من آمن به خديجة بنت خويلد؛ فواسـته بمالها. ثم آمن به أمير المؤمنين علي بن أبي طالب سـبع سنين، لم يشـرك باللّه شـيئا طرفـة عين، و لم يعبـد وثنا، و لم يأكل ربا، و لم يشاكل الجاهليـة في جهالاتهم، و كانت عمومة رسول اللّه إما مسلم مهين، أو كافر معاند، إلا حمزة؛ فإنه لم يمتنع من الاسلام، و لا يمتنع الاسلام منه، فمضى لسبيله على بينة من ربه ...

و أما أبو طالب: فإنه كفله و رباه، و لم يزل مدافعا عنه، و مانعا منه؛ فلما قبض اللّه أبا طالب، فهمّ القوم، و أجمعوا عليه ليقتلوه؛

فهاجر إلى القوم الـذين تبؤوا الـدار و الإيمان من قبلهم، يحبون من هاجر إليهم، و لا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا، و يؤثرون على أنفسهم، و لو كان بهم خصاصة، و من يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ...

فلم يقم مع رسول اللّه (ص) أحـد من المهـاجرين كقيـام علي بن أبي طالب (ع): فإنه آزره و وقاه بنفسه، و نام في مضـجعه. ثم لم يزل بعد مستمسـكا بأطراف الثغور، و ينازل الأبطال، و لا ينكل عن قرن، و لا يولي عن جيش، منيع القلب، يؤمر على الجميع، و لا يؤمر عليه أحـد. أشد الناس وطأة على المشركين، و أعظمهم جهادا في اللّه، و أفقههم في دين اللّه، و أقرأهم لكتاب اللّه، و أعرفهم بالحلال و الحرام.

و هو صاحب الولاية في حديث «غدير خم»، و صاحب قوله:

«أنت مني بمنزلـة هـارون من موسـى، إلا ـ أنه لا ـ نبي بعـدي»، و صاحب يوم الطائف. و كان أحب الخلق إلى اللّه تعالى، و إلى رسول اللّه (ص).

و صاحب الباب، فتـح له، و سـد أبواب المسـجد. و هو صاحب الرايـة يوم خيبر. و صاحب عمرو بن عبد ود في المبارزة. و أخو رسول اللّه (ص) حين آخى بين المسلمين ...

و هو منيع جزيل. و هو صاحب آية: «و يطعمون الطعام على حبه مسكينا، و يتيما، و أسيرا». و هو زوج فاطمة سيدة نساء العالمين، و سيدة نسـاء أهـل الجنـة، و هو ختن خديجـة (ع). و هو ابن عم رسول اللّه (ص)، رباه و كفله. و هو ابن أبي طالب في نصـرته و جهاده. و هو نفس رسول اللّه (ص) في يوم المباهلة.

و هو الذي لم يكن أبو بكر و عمر ينفذان أمرا حتى يسألانه عنه؛ فما رأى إنفاذه أنفذاه، و ما لم يره رداه. و هو دخل من بني هاشم في

الشورى، و لعمري لو قدر أصحابه على دفعه (1) عنه (ع)، كما دفع العباس رضوان اللّه عليه، و وجدوا إلى ذلك سبيلا لدفعوه.

فأما تقديمكم العباس عليه؛ فإن اللّه تعالى يقول: «أ جعلتم سقاية الحاج، و عمارة المسجد الحرام كمن آمن باللّه و اليوم الآخر، و جاهد في سبيل اللّه، لا يستوون عند اللّه».

و اللّه، لو كان ما في أمير المؤمنين من المناقب و الفضائل، و الآي المفسرة في القرآن خلة واحدة في رجل من رجالكم، أو غيره، لكان مستأهلا متأهلا للخلافة، مقدما على أصحاب رسول اللّه بتلك الخلة، ثم لم يزل الامور تتراقى به إلى أن ولي أمور المسلمين، فلم يعن بأحد من بني هاشم إلا بعبد اللّه بن عباس، تعظيما لحقه، و وصلة لرحمه، و ثقة به، فكان من أمره الذي يغفر اللّه له ...

ثم ... نحن و هم يد واحدة- كما زعمتم- حتى قضى اللّه تعالى بالأمر إلينا، فأخفناهم، و ضيقنا عليهم، و قتلناهم أكثر من قتل بني أمية إياهم ... و يحكم، إن بني أمية إنما قتلوا من سل منهم سيفا، و إنا معشر بني العباس قتلناهم جملا، فلتسألن أعظم الهاشمية بأي ذنب قتلت، و لتسألن نفوس ألقيت في دجلة و الفرات، و نفوس دفنت ببغداد و الكوفة أحياء، هيهات، إنه من يعمل مثقال ذرة خيرا يره، و من يعمل مثقال ذرة شرا يره ...

و أما ما وصفتم في أمر المخلوع، و ما كان فيه من لبس؛ فلعمري ما لبّس عليه أحد غيركم؛ إذ هونتم عليه النكث، و زينتم له الغدر، و قلتم له: ما عسى أن يكون من أمر أخيك، و هو رجل مغرب، و معك الأموال و الرجال، نبعث إليه، فيؤتى به؛ فكذبتم، و دبرتم».

1- في الترجمة الفارسية هكذا: «على دفع علي (ع) عنها إلخ ...».

و نسيم قول اللّه تعالى: «و من بغي عليه لينصرنه اللّه ...».

و أمـا ما ذكرتم: من اسـتبصار المأمون في البيعـة لأبي الحسن الرضا (ع)؛ فما بايع له المأمون إلا مستبصـرا في أمره، عالما بأنه لم يبق أحد على ظهرها أبين فضلا، و لا أظهر عفة، و لا أورع ورعا، و لا أزهد زهدا في الدنيا، و لا أطلق نفسا، و لا أرضى في الخاصة و العامة، و لا أشد في ذات اللّه منه. و إن البيعة له لموافقة رضا الرب عز و جل. و لقد جهدت و ما أجد في اللّه لومة لائم ...

و لعمري، لو كـانت بيعتي بيعـة محابـاة، لكان العباس ابني، و سائر ولـدي أحب إلى قلبي، و أجلى في عيني، و لكن أردت أمرا، و أراد اللّه أمرا؛ فلم يسبق أمري أمر اللّه.

و أما ما ذكرتم: مما مسكم من الجفاء في ولايتي، فلعمري ما كان ذلك إلا منكم بمظافرتكم عليه، علي (خ د)، و ممايلتكم إياه، فلما قتلته و تفرقتم عباديد، فطورا أتباعا لابن أبي خالد، و طورا أتباعا لأعرابي، و طورا أتباعا لابن شـكلة، ثم لكل من سل سـيفا علي. و لو لا أن شـيمتي العفو، و طبيعتي التجاوز ما تركت على وجهها منكم أحدا، فكلكم حلال الدم، محل بنفسه ...

و أما ما سألتم: من البيعـة للعباس ابني ... أ تسـتبدلون الـذي هو أدنى بالـذي هو خير؟! ويلكم، إن العباس غلام حـدث السن، و لـم يؤنس رشـده، و لـم يمهل وحـده، و لـم تحكمه التجارب. تـدبره النساء، و تكفله الاماء، ثم ... لم يتفقه في الدين، و لم يعرف حلالا من حرام، إلا معرفـة لا تأتي به رعيـة، و لا تقوم به حجـة، و لو كان مسـتأهلا، قد أحكمته التجارب، و تفقه في الدين، و بلغ مبلغ أمير العدل في الزهد في الدنيا، و صرف النفس عنها ... ما كان له عندي في الخلافة، إلا ما كان لرجل من عك و حمير، فلا تكثروا من هذا المقال، فإن لساني لم

يزل مخزونا عن أمور و أنباء، كراهية أن تخنث النفوس عند ما تنكشف، علما بأن اللّه بالغ أمره، و مظهر قضاه يوما ...

فإذ أبيتم إلا كشف الغطاء، و قشر العظاء، فالرشيد أخبرني عن آبائه، و عما وجده في كتاب الدولة، و غيرها: أن السابع من ولد العباس، لا تقوم لبني العباس بعده قائمة، و لا تزال النعمة متعلقة عليهم بحياته، فإذا أودعت فودّعها، فإذا أودع فودعاها، و إذا فقدتم شخصي، فاطلبوا لأنفسكم معقلا، و هيهات، ما لكم إلا السيف، يأتيكم الحسني الثائر البائر، فيحصدكم حصدا، أو السفياني المرغّم، و القائم المهدي لا يحقن دماءكم إلا بحقها ...

و أما ما كنت أردته من البيعة لعلي بن موسى، بعد استحقاق منه لها في نفسه، و اختيار مني له، فما كان ذلك مني إلا أن أكون الحاقن لدمائكم، و الذائد عنكم، باستدامة المودة بيننا و بينهم. و هي الطريق أسلكها في إكرام آل أبي طالب، و مواساتهم في الفي ء بيسير ما يصيبهم منه.

و إن تزعموا: أني أردت أن يؤول إليهم عاقبة و منفعة، فإني في تدبيركم، و النظر لكم و لعقبكم، و ابنائكم من بعدكم ... و أنتم ساهون، لاهون، تائهون، في غمرة تعمهون، لا تعلمون ما يراد بكم، و ما أظللتم عليه من النقمة، و ابتزاز النعمة. همة أحدكم أن يمسي مركوبا، و يصبح مخمورا تباهون بالمعاصي، و تبتهجون بها، و آلهتكم البرابط، مخنثون، مؤنثون لا ـ يتفكر متفكر منكم في إصلاح معيشة، و لا استدامة نعمة، و لا اصطناع مكرمة، و لا كسب حسنة يمد بها عنقه، يوم لا ينفع مال و لا بنون إلا من أتى اللّه بقلب سليم ...

أضعتم الصلاة، و اتبعتم الشهوات، و اكببتم على اللذات، فسوف تلقون غيا. و أيم اللّه، لربما أفكر في أمركم، فلا أجد أمة من الامم استحقوا

العـذاب، حتى نزل بهم لخلة من الخلال، إلا أصـيب تلك الخلة بعينها فيكم، مع خلال كثيرة، لم أكن أظن أن إبليس اهتدى إليها، و لا أمر بالعمل بها. و قد أخبر اللّه تعالى في كتابه العزيز عن قوم صالح:

أنه كان فيهم تسـعة رهط يفسـدون في الارض و لا يصـلحون، فأيكم ليس معه تسـعة و تسـعون من المفسـدين في الأرض، قد اتخذتموهم شعارا، و دثارا، استخفافا بالمعاد، و قلة يقين بالحساب. و أيكم له رأي يتبع، أو روية تنفع، فشاهت الوجوه، و عفرت الخدود.

و أما ما ذكرتم: من العثرة كانت في أبي الحسن (ع) نور اللّه وجهه، فلعمري. إنها عندي للنهضة و الاستقلال، الذي أرجو به قطع الصراط، و الأـمن و النجاة من الخوف يوم الفزع الاكبر. و لا أظن عملا هو عنـدي أفضل من ذلك، إلا أن أعود بمثلها إلى مثله، و أين لي بـذلك، و أنى لكم بتلك السعادة ...

و أما قولكم: إني سـفهت آراء آبائكم، و أحلام أسـلافكم، فكذلك قال مشركوا قريش: «إنا وجدنا آباءنا على أمة، و إنا على آثارهم مقتدون». ويلكم، إن الدين لا يؤخذ إلا من الأنبياء، فافقهوا، و ما أراكم تعقلون ...

و أما تعييركم إياي: بسياسة المجوس إياكم، فما أذهبكم الانفة (1) من ذلك، و لو ساسـتكم القردة و الخنازير، و ما أردتم إلا أمير المؤمنين ...

و لعمري، لقـد كانوا مجوسا فأسـلموا، كآبائنا، و أمهاتنا في القديم، فهم المجوس الذين أسـلموا و أنتم المسـلمون الذين ارتدوا، فمجوسـي أسـلم خير من مسـلم ارتـد، فهم يتناهون عن المنكر، و يأمرون بالمعروف، و يتقربون من الخير، و يتباعـدون من الشـر، و يـذبون عن حرم المسلمين،».

1- الظاهر أن الصواب: «فما أذهبكم عن الأنفة».

يتباهجون بما نال الشرك و أهله من النكر، و يتباشرون بما نال الاسلام و أهله من الخير ... منهم من قضى نحبه، و منهم من ينتظر، و ما بدلوا تبديلا.

و ليس منكم إلا لاعب بنفسه، مأفون في عقله و تدبيره: إما مغن، أو ضارب دف، أو زامر. و اللّه، لو أن بني أمية الذين قتلتموهم بالأمس نشروا، فقيل لهم: لا تأنفوا من معايب تنالوهم بها، لما زادوا على ما صيرتموه لكم شعارا و دثارا، و صناعة و أخلاقا ...

ليس منكم إلا من إذا مسه الشر جزع، و إذا مسه الخير منع، و لا تأنفون، و لا ترجعون إلا خشية، و كيف يأنف من يبيت مركوبا، و يصبح باثمه معجبا، كأنه قد اكتسب حمدا، غايته بطنه و فرجه، لا يبالي أن ينال شهوته بقتل ألف نبي مرسل، أو ملك مقرب. أحب الناس إليه من زين له معصية، أو أعانه في فاحشة، تنظفه المخمورة، و تربده المطمورة، فشتت الأحوال ... فإن ارتدعتم مما أنتم فيه من السيئات و الفضائح، و ما تهذرون به من عذاب ألسنتكم ... و إلا فدونكم تعلوا بالحديد ...

و لا قوة إلا باللّه، و عليه توكلي، و هو حسبي».

ص: 464

رسالة عبد اللّه بن موسى الى المأمون

النص الأول للرسالة:

قال أبو الفرج الاصفهاني، صاحب كتاب «الأغاني»، في كتابه:

مقاتل الطالبيين ص 630، 631، في معرض حـديثه عن عبد اللّه بن موسـى، بن عبد اللّه بن الحسن، بن علي بن أبي طالب (ع)، الذي كان قد توارى في أيام المأمون:

«... و أخبرني جعفر بن محمد الورّاق الكوفي، قال: حدثني عبد اللّه بن علي بن عبيد اللّه العلوي الحسيني، عن أبيه، قال:

كتب المأمون إلى عبد اللّه بن موسى، و هو متوار منه، يعطيه الأمان، و يضمن له: أن يوليه العهد بعده، كما فعل بعلي بن موسى، و يقول:

«... ما ظننت أن أحدا من آل أبي طالب يخافني، بعد ما عملته بالرضا ...».

و بعث الكتاب إليه. فكتب إليه عبد اللّه بن موسى:

«... وصل كتابك، و فهمته، تختلني فيه عن نفسي ختل القانص، و تحتال علي حيلة المغتال، القاصد لسفك دمي ...

و عجبت من بذلك العهد، و ولايته لي بعدك؛ كأنك تظن أنه لم يبلغني ما فعلته بالرضا!! ففي أي شي ء ظننت أني أرغب من ذلك؟!.

أ في الملك الـذي قـد غرتك نضـرته و حلاوته؟!. فو اللّه، لأن أقذف- و أنا حي- في نار تتأجج أحب إليّ من أن ألي أمرا بين المسـلمين، أو أشرب شربة من غير حلها، مع عطش شديد قاتل ..

أم في العنب المسموم، الذي قتلت به الرضا؟!.

أم ظننت أن الاستتار قد أملني، و ضاق به صدري؟!. فو اللّه، إني لذلك، و لقد مللت الحياة، و أبغضت الدنيا، و لو وسعني في ديني أن أضع يـدي في يـدك، حتى تبلغ من قبلي مرادك، لفعلت ذلك، و لكنّ اللّه قـد حظر عليّ المخاطرة بـدمي. و ليتك قـدرت علي، من غير أن أبذل نفسي لك، فتقتلني، و لقيت اللّه عز و جل بدمي، و لقيته قتيلا مظلوما؛ فاسترحت من هذه الدنيا ...

و اعلم: أني رجل طالب النجاة لنفسـي، و اجتهدت فيما يرضي اللّه عز و جل عني، و في عمل أتقرب به إليه؛ فلم أجد رأيا يهدي إلى شي ء من ذلك، فرجعت إلى القرآن، الذي فيه الهدى و الشـفاء، فتصـفحته سورة سورة، و آية آية، فلم أجد شـيئا أزلف للمرء عند ربه، من الشهادة في طلب مرضاته ...

ثم تتبعته ثانيـة، أتأمل الجهاد أيّه أفضل، و لأي صـنف، فوجـدته جل و علا يقول: «قاتلوا الـذين يلونكم من الكفار، و ليجدوا فيكم غلظة»، فطلبت أي الكفار أضـر على الإسـلام، و أقرب من موضـعي، فلم أجد أضر على الاسلام منك، لأن الكفار أظهروا كفرهم، فاستبصر الناس في أمرهم، و عرفوهم فخافوهم ... و أنت ختلت المسـلمين بالإسـلام، و أسررت الكفر، فقتلت بالظنة، و عاقبت بالتهمة، و أخذت مال اللّه من غير حله، فأنفقته في غير حله، و شربت الخمر المحرمة صراحا،

و أنفقت مـال اللّه على الملهين، و أعطيته المغنين، و منعته من حقـوق المسـلمين، فغشـشت بالاسـلام، و أحطت بأقطـاره إحاطـة أهله، و حكمت فيه للمشـرك، و خالفت اللّه و رسوله في ذلك، خلافـة المضاد المعاند، فان يسـعدني الدهر، و يعنّي اللّه عليك بأنصار الحق، أبذل نفسـي في جهادك، بذلا يرضـيه مني، و ان يمهلك، و يؤخرك، ليجزيك بما تسـتحقه في منقلبك، أو تخترمني الأيام قبل ذلك، فحسبي من سعيي ما يعلمه اللّه عز و جل من نيتي، و السلام ...».

و ثمة نص آخر:

و كان أبو الفرج قد ذكر قبل ذلك أي في ص 628، 629 من نفس الكتاب نصا آخر هو إما رسالة أخرى ... أو نص آخر لهذه الرسالة نفسها ... و الظاهر أنه رسالة اخرى ... و كيف كان فقد قال أبو الفرج:

«و كان عبـد اللّه توارى في أيام المأمون، فكتب بعد وفاة الرضا يدعوه إلى الظهور، ليجعله مكانه، و يبايع له، و اعتد عليه بعفوه عمن عفا من أهله، و ما أشبه هذا من القول:

فأجابه عبد اللّه برسالة طويلة يقول فيها:

فبأي شي ء تغرني؟ ما فعلته بأبي الحسن- صلوات اللّه عليه- بالعنب الذي أطعمته إياه فقتلته.

و اللّه، ما يقعـدني عن ذلك خوف من الموت، و لا كراهة له، و لكن لا أجد لي فسـحة في تسـليطك على نفسـي، و لو لا ذلك لأتيتك حتى تريحني من هذه الدنيا الكدرة.

و يقول فيها:

هبني لا ثأر لي عندك و عند آبائك المستحلين لدمائنا، الآخذين حقنا،

الذين جاهروا في أمرنا فحذرناهم، و كنت ألطف حيلة منهم بما استعملته من الرضى بنا و التستر لمحننا، تختل واحدا فواحدا منا. و لكنني كنت امرأ حبب إليّ الجهاد، كما حبب إلى كل امرئ بغيته، فشحذت سيفي، و ركبت سناني على رمحي، و استفرهت فرسي، لم أدر أي العدوّ أشد ضررا على الإسلام، فعلمت أن كتاب اللّه يجمع كل شي ء، فقرأته، فإذا فيه: «يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار، و ليجدوا فيكم غلظة» ...

فما أدري من يلينا منهم، فأعدت النظر، فوجدته يقول: «لا تجد قوما يؤمنون باللّه و اليوم الآخر يوادّون من حاد اللّه و رسوله، و لو كانوا آباءهم، أو إخوانهم، أو عشيرتهم»، فعلمت أن عليّ أن أبدأ بما قرب مني ...

و تدبرت، فإذا أنت أضر على الاسلام و المسلمين من كل عدو لهم، لأن الكفار خرجوا منه، و خالفوه، فحذرهم الناس، و قاتلوهم، و أنت دخلت فيه ظاهرا، فأمسك الناس، و طفقت تنقض عراه عروة عروة، فأنت أشد أعداء الإسلام ضررا عليه ...» ... ثم قال أبو الفرج:

و هي رسالة طويلة أتينا بها في الكتاب الكبير ...

ص: 468

رسالة سفيان الى هارون

مصادر الرسالة:

ذكر هذه الرسالة الدميري في حياة الحيوان ج 2 ص 188، 189، نقلا عن ابن بليان، و الامام الغزالي، و دحلان في الفتوحات الاسلامية ط مصطفى محمد ج 2 ص 449 حتى 453.

و أشار إليها ابن خلدون في مقدمته، ص 17 مستدلا بها على تدين الرشيد و التزامه ... و ذكر جرجي زيدان شطرا منها في كتابه: تاريخ التمدن الاسلامي المجلد الأول، جزء 2 ص 385، 386، و المجلد الثاني جزء 4 ص 480. و نحن نذكرها هنا عن الدميري مع بعض تعديلات عن دحلان.

مناقشة لا بد منها:

و لكن الرسالة تذكر أن الذي كاتبه الرشيد، و المجيب له هو سفيان الثوري ... و هذا لا يمكن أن يكون صحيحا؛ فان سفيان قد توفي في خلافة المهدي متخفيا، في سنة 161 ه؛ و هارون لم يتولّ الخلافة إلا في سنة 170 ه.

ص: 469

و لعل الصواب: هو أن مرسلها هو: إمام مكة سفيان بن عيينة، المتوفى سنة 198 ه. عن إحدى و تسعين سنة ...

و لعل الراوي قد اشتبه عليه الأمر، عفوا، أو عمدا!! لحاجة في نفسه قضاها ... و أيّاما كانت الحقيقة؛ فإن هذه الرسالة تعتبر وثيقة تاريخية هامة؛ لأنها تصور لنا حقيقة الوضع في تلك الفترة من الزمن ...

و تعطينا شأنها شأن رسالة الخوارزمي، و رسالة عبد اللّه بن موسى إلى المأمون صورة واضحة عما كان يمارسه خلفاء ذلك الوقت من مآثم، و ما يرتكبونه من موبقات ...

نص الرسالة:

و ملخص حكاية هذه الرسالة هي: أن الرشيد أرسل إلى سفيان الثوري!!- و قد قلنا: إن الظاهر: أنه ابن عيينة- كتابا يتودد إليه فيه، و يطلب منه أن يقدم عليه.

فلما وصل الكتاب إلى سفيان، رماه من يده، و قال لإخوانه:

ليقرأه بعضكم؛ فإني أستغفر اللّه أن أمس شيئا مسه ظالم ...

فلما قرءوه، أمرهم أن يكتبوا إلى الظالم في الجواب ما يلي:

«من العبد الميت سفيان، إلى العبد المغرور بالآمال هارون، الذي سلب حلاوة الإيمان، و لذة قراءة القرآن ...

أما بعد:

فإني كتبت إليك أعلمك: أني قد صرمت حبلك، و قطعت ودّك، و قليت موضعك، و أنك جعلتني شاهدا عليك؛ بإقرارك على نفسك في كتابك: بما هجمت على بيت مال المسلمين؛ فأنفقته في غير حقه،

و أنفذته بغير حكمه، و لم ترض بما فعلته و أنت ناء عني، حتى كتبت إلي تشـهدني على نفسك، فأما أنا فإني قد شهدت عليك، أنا و إخواني الذين حضروا قراءة كتابك، و سنؤدي الشهادة غدا بين يدي اللّه الحكم العدل ...

يا هارون، هجمت على بيت مال المسلمين بغير رضاهم. هل رضي بفعلك المؤلفة قلوبهم، و العاملون عليها في أرض اللّه، و المجاهدون في سبيل اللّه، و ابن السبيل؟ أم رضي بذلك حملة القرآن، و أهل العلم؟! أم رضي بفعلك الأيتام و الأرامل؟!.

أم رضي بذلك خلق من رعيتك؟! ...

فشد يا هارون مئزرك، و أعدّ للمسألة جوابا، و للبلاء جلبابا، و اعلم أنك سـتقف بين يدي اللّه الحكم العدل؛ فاتق اللّه في نفسك، إذا سلبت حلاوة العلم و الزهد، و لذة قراءة القرآن، و مجالسة الأخيار، و رضيت لنفسك أن تكون ظالما، و للظالمين إماما ...

يا هارون، قعدت على السـرير، و لبست الحرير، و أسـبلت سـتورا دون بابك، و تشبهت بالحجبة برب العالمين. ثم أقعدت أجنادك الظلمة دون بابك و سترك، يظلمون الناس و لا ينصـفون. و يشـربون الخمر، و يحـدون الشارب. و يزنون، و يحـدون الزاني، و يسـرقون، و يقطعون السارق. و يقتلون، و يقتلون القاتل.

أ فلا كانت هذه الأحكام عليك، و عليهم، قبل أن يحكموا بها على الناس؟! فكيف بك يا هارون غدا، إذا نادى المنادي من قبل اللّه:

احشـروا الظلمـة، و أعوانهم أين الظلمـة، و أعوان الظلمـة؛ فتقـدمت بين يـدي اللّه، و يـداك مغلولتـان إلى عنقـك، لا يفكهما إلا عـدلك و انصافك، و الظالمون حولك، و أنت لهم إمام، أو سائق إلى النار.

و كأني بك يا هارون ... و قد أخذت بضـيق الخناق، و وردت المساق، و أنت ترى حسناتك في ميزان غيرك، و سيئات غيرك في ميزانك على سيئاتك، بلاء على بلاء، و ظلمـة فوق ظلمـة؛ فاتق اللّه يا هارون في رعيتك، و احفظ محمـدا (ص) في أمته. و اعلم أن هـذا الأمر لـم يصـر إليك، إلا و هو صائر إلى غيرك، و كـذلك الدنيا تفعل بأهلها، واحدا بعد واحد؛ فمنهم من تزود زادا نفعه، و منهم من خسـر دنياه و آخرته، و إني أحسبك يا هارون ممن خسر دنياه و آخرته.

و إياك، ثم إياك أن تكتب إليّ بعد هذا؛ فإني لا أجيبك ...

و السلام ...» ...

ثم بعث بالكتاب منشورا، من غير طيّ، و لا ختم ...

قصيدة الأمير أبي فراس الحمداني

نقاط رئيسية:

كنت قد وعدت القارئ الكريم في فصل: سياسة العباسيين ضد العلويين، بأن أورد في أواخر هذا الكتاب قصيدة الأمير أبي فراس الحمداني المعروفة ب: «الشافية».

و قد حان الآن موعد الوفاء بذلك الوعد ... و قبل ذلك، لا بأس بالإشارة إلى:

أن أبا فراس قد ولد في سنة 320 ه.، و توفي في سنة 357 ه. عليه الرحمة و الرضوان ...

و في زمانه: كان بنو العباس الخلفاء، و آل بويه السلاطين، و آل حمدان الامراء ...

ولاء ... و شجاعة:

و أما عن سبب نظم هذه القصيدة، فهو أن أبا فراس وقف على قصيدة ابن سكرة، التي يتحامل فيها على العلويين، و التي أولها:

ص: 473

بني علي دعوا مقالتكم *** لا ينقض الدر وضع من وضعه

فحمي أبو فراس، و نظم هذه القصيدة، التي سارت بها الركبان.

و دخل بغداد، و أمر أن يشهر في المعسكر خمسمائة سيف، و قيل: أكثر من ذلك ... ثم أنشد هذه القصيدة، و خرج من الناحية الاخرى (1) و قد شرح هذه القصيدة عدد من الادباء و العلماء، منهم ابن خالويه، و منهم محمد بن أمير الحاج حسيني.

و القصيدة هي:

الدين مخترم و الحق مهتضم *** و في ء آل رسول اللّه مقتسم

و الناس عندك لا ناس فيحفظهم *** سوم الرعاء و لا شاء و لا نعم

إني أبيت قليل النوم أرّقني *** قلب تصارع فيه الهم و الهمم

و عزمة لا ينام الدهر صاحبها *** إلا على ظفر في طيه كرم

يصان مهري لأمر لا أبوح به *** و الدرع و الرمح و الصمصامة الخذم

و كل مائرة الضبعين مسرحها *** رمث الجزيرة و الخذراف و العنم

و فتية قلبهم قلب إذا ركبوا *** يوما و رأيهم رأي إذا عزموا

يا للرجال أ ما للّه منتصر *** من الطغاة، أ ما للدين منتقم

بنو علي رعايا في ديارهم *** و الأمر تملكه النسوان و الخدم

ص: 474

1- راجع: شرح الشافية، لمحمد بن أمير حاج حسيني ص 6، و قاموس الرجال ج 10 ص 157، و رجال المامقاني ج 3 ص 30 من باب الكنى، و رجال أبي علي ص 349، و الغدير ج 3 ص 403 و الكنى و الألقاب ج 1 ص 137، و الفتوني في كشكوله، و غير ذلك.

محلئون فأصفى وردهم و شل *** عند الورود و أوفى شربهم لمم

فالأرض إلا على ملاكها سعة *** و المال إلا على أربابه ديم

فما السعيد بها إلا الذي ظلموا *** و ما الشقي بها إلا الذي ظلموا

للمتقين من الدنيا عواقبها *** و إن تعجل فيها الظالم الأثم

لا يطغين بني العباس ملكهم *** بنو علي مواليهم، و إن رغموا

أ تفخرون عليهم لا أبا لكم *** حتى كأن رسول اللّه جدكم

و ما توازن يوما بينكم شرف *** و لا تساوت لكم في موطن قدم

و لا لكم مثلهم في المجد متصل *** و لا لجدكم مسعاة جدهم

و لا لعرقكم من عرقهم شبه *** و لا نثيلتكم من أمهم أمم

قام النبي بها «يوم الغدير» لهم *** و اللّه يشهد، و الأملاك، و الامم

حتى إذا أصبحت في غير صاحبها *** باتت تنازعها الذؤبان و الرخم

و صيروا أمرهم شورى كأنهم *** لا يعلمون ولاة الحق أيهم

تاللّه ما جهل الاقوام موضعها *** لكنهم ستروا وجه الذي علموا

ثم ادعاها بنو العباس ملكهم *** و ما لهم قدم فيها، و لا قدم

لا يذكرون إذا ما معشر ذكروا *** و لا يحكم في أمر لهم حكم

و لا رآهم أبو بكر و صاحبه *** أهلا لما طلبوا منها و ما زعموا

فهل هم يدعوها غير واجبة *** أم هل أئمتهم في أخذها ظلموا

أمّا علي فقد أدنى قرابتكم *** عند الولاية إن لم تكفر النعم

أ ينكر الحبر عبد اللّه نعمته *** أبوكم، أم عبيد اللّه، أم قثم

بئس الجزاء جزيتم في بني حسن *** أباهم العلم الهادي، و أمهم

لا بيعة ردعتكم عن دمائهم *** و لا يمين، و لا قربى و لا ذمم

هلا صفحتم عن الاسرى بلا سبب *** للصافحين ببدر عن أسيركم

هلا كففتم عن الديباج سوطكم *** و عن بنات رسول اللّه شتمكم

ما نزهت لرسول اللّه مهجته *** عن السياط فهلّا نزّه الحرم

ما نال منهم بنو حرب و ان عظمت *** تلك الجرائر إلا دون نيلكم

كم غدرة لكم في الدين واضحة *** و كم دم لرسول اللّه عندكم

أ أنتم آله فيما ترون و في *** أظفاركم من بنيه الطاهرين دم

هيهات لا قربت قربى، و لا رحم *** يوما إذا أقصت الأخلاق و الشيم

كانت مودة سلمان لهم رحما *** و لم تكن بين نوح و ابنه رحم

يا جاهدا في مساويهم يكتمها *** غدر الرشيد بيحيي كيف ينكتم

ذاق الزبيري عب ء الحنث و انكشفت *** عن ابن فاطمة الأقوال و التهم

ليس الرشيد كموسى في القياس و لا *** مأمونكم كالرضا إن أنصف الحكم (1)

باءوا بقتل الرضا من بعد بيعته *** و أبصروا بعض يوم رشدهم و عموا

يا عصبة شقيت من بعد ما سعدت *** و معشر هلكوا من بعد ما سلموا

لبئسما لقيت منهم و ان بليت *** بجانب الطف تلك الأعظم الرمم ..

1- كان هذا البيت مقدما على الذي قبله في بعض مصادر هذه القصيدة. لكن الصواب تأخيره؛ ليتحد السياق، و ينسجم المعنى ...

لا عن أبي مسلم في نصحه صفحوا *** و لا الهبيريّ نجى الحلف و القسم

و لا الأمان لأهل الموصل اعتمدوا *** فيه الوفاء، و لا عن غيهم حلموا

أبلغ لديك بني العباس مألكة *** لا تدّعوا ملكها ملاكها العجم

أي المفاخر أمست في منابركم *** و غيركم آمر فيها، و محتكم

أنّى يفيدكم في مفخر علم *** و في الخلاف عليكم يخفق العلم

يا باعة الخمر كفوا عن مفاخركم *** لمعشر بيعهم يوم الهياج دم

خلوا الفخار لعلامين إن سئلوا *** يوم السؤال، و عمّالين إن علموا

لا يغضبون لغير اللّه إن غضبوا *** و لا يضيعون حكم اللّه إن حكموا

تنشى التلاوة في أبياتهم سحرا *** و في بيوتكم الأوتار و النغم

إذا تلوا آية غنى إمامكم: *** قف بالديار التي لم يعفها قدم

منكم علية أم منهم، و كان لكم *** شيخ المغنين ابراهيم، أم لهم

ما في بيوتهم للخمر معتصر *** و لا بيوتهم للشر معتصم

و لا تبيت لهم خنثى تنادمهم *** و لا يرى لهم قرد له حشم

الركن، و البيت، و الاستار منزلهم *** و زمزم و الصفا، و الحجر، و الحرم

و ليس من قسم في الذكر نعرفه *** إلا و هم دون شك ذلك القسم

و بذلك ينتهي هذا الكتاب، و الحمد للّه أولا و آخرا، و صلى اللّه على خير خلقه أجمعين، محمد و آله الطيبين الطاهرين ...

جعفر مرتضى الحسيني العاملي

فهارس الكتاب:

اشارة

1- مصادر الكتاب ...

2- محتويات الكتاب اجمالا ...

3- محتويات الكتاب بالتفصيل ...

مصادر الكتاب

الكتب التي راجعناها لهذا الكتاب كثيرة، نذكر منها ما يلي:

حرف الألف

1- آثار الجاحظ للجاحظ

2- الابانة لأبي الحسن الاشعري

3- الإتحاف بحب الاشراف للشبراوي الشافعي

4- إثبات الوصية للمسعودي

5- الاحتجاج للطبرسي

6- أحسن التقاسيم للمقدسي

7- إحقاق الحق (الملحق) للمرعشي النجفي

8- أخبار السيد الحميري للمرزباني

9- أخبار شعراء الشيعة للمرزباني

10- الأخبار الطوال للدينوري

11- الاختصاص للشيخ المفيد

12- الأدب في ظل التشيع للشيخ عبد اللّه نعمة

13- الارجوزة المختارة للقاضي النعمان

14- الارشاد للشيخ المفيد

15- أساس الاقتباس للقاضي اختيار الدين

16- الاسلام و النصرانية للشيخ محمد عبده

17- الأعلام للزركلي

18- اعلام الناس للإتليدي

19- إعلام الورى للطبرسي

20- أعيان الشيعة للسيد الأمين

21- الأغاني للأصفهاني

22- الأمالي للسيد المرتضى

23- الأمالي للقالي

24- الأمالي للصدوق

25- الأمالي للشيخ الطوسي

26- الأمالي للشيخ المفيد

27- امبراطورية العرب لجون باجوت جلوب

28- أمراء الشعر العربي في العصر العباسي لأنيس المقدسي

29- الإمامة للشيخ محمد حسن آل ياسين

30- الإمامة في الإسلام لعارف تامر

31- الإمامة و السياسة لابن قتيبة

32- الإمام الحسين للعلائلي

33- الإمام الصادق و المذاهب الاربعة للشيخ أسد حيدر

34- الإمام علي الرضا ولي عهد المأمون

35- الامين و المأمون لجرجي زيدان

36- الأنساب للسمعاني

37- أنساب الاشراف للبلاذري

- ب-

38- كتاب بغداد لطيفور

39- بحار الانوار للمجلسي

40- البداية و النهاية لابن كثير

41- البرهان في تفسير القرآن للبحراني

42- البصائر و الذخائر لأبي حيان

43- البلدان للهمداني

44- البيان المغرب لابن عذارى

45- البيان و التبيين للجاحظ- پ-

46- پند تاريخ لخسروي (فارسي)- ت-

47- التاج للجاحظ

48- تاج العروس للزبيدي

49- تاريخ ابن الوردي لابن الوردي

50- التاريخ الاسلامي و الحضارة الإسلامية لأحمد شلبي

51- تاريخ بغداد للخطيب البغدادي

52- تاريخ التمدن الاسلامي لجرجي زيدان

53- تاريخ جرجان للسهمي

54- تاريخ الجنس العربي لمحمد عزة دروزه

55- تاريخ الحكماء للقفطي

56- تاريخ الخلفاء للسيوطي

57- تاريخ الخميس للديار بكري

58- تاريخ الرسل و الملوك للطبري

59- تاريخ الشيعة للمظفر

60- تاريخ كربلاء لعبد الجواد الكليدار

61- تاريخ الموصل لابن زكريا

62- تاريخ اليعقوبي لابن واضح

63- تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة

64- تتمة المنتهى للشيخ عباس القمي (فارسي)

65- تجارب الامم لابن مسكويه

66- التدوين للرافعي (مخطوط)

67- تذكرة الخواص لابن الجوزي

68- التربية الدينية للفضلي

69- التنبيه و الاشراف للمسعودي

70- تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني- ث-

71- ثمرات الأعواد للهاشمي النجفي- ج-

72- جامع الأنساب لروضاتي (فارسي)

73- جامع الرواة للاردبيلي

74- جعفر بن محمد لعبد العزيز سيد الأهل

75- الجواري (سلسلة اقرأ رقم 60) جبور عبد النور- ح-

76- الحسنيون في التاريخ للساعدي

77- الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري لآدم متز

78- حلية الأولياء لأبي نعيم

79- حياة الامام موسى بن جعفر للقرشي

80- حياة الحيوان للدميري- خ-

81- الخرائج و الجرائح للراوندي

82- الخراج لأبي يوسف

83- خلاصة تذهيب تهذيب الكمال للخزرجي الأنصاري

84- خمسون و مائة صحابي مختلق للعسكري- د-

85- دائرة المعارف لوجدي

86- الدرة النجفية للشيخ يوسف البحراني

87- ديوان ابن المعتز لابن المعتز شرح و تقديم ميشيل نعمان

88- ديوان السيد الحميري للسيد

89- ديوان الطغرائي للطغرائي- ر-

90- ربيع الابرار للزمخشري

91- رجال الكشي

92- رجال المامقاني

93- رسائل الخوارزمي

94- رسالة في بني أمية للجاحظ

95- رسائل الجاحظ تحقيق عبد السلام هارون

96- روح الاسلام للسيد أمير علي

97- روض الأخيار المنتخب من ربيع الابرار لابن قاسم

98- روضة الواعظين للفتال النيسابوري- ز-

99- زندگاني حضرة إمام علي بن موسى الرضا لعطائي خراساني (فارسي)

100- زهر الآداب للقيرواني

101- زينة المجالس لحسيني- س-

102- سبائك الذهب للسويدي

103- السرائر (المستطرفات) لابن إدريس

104- سفينة البحار للشيخ عباس القمي

105- السنة قبل التدوين لمحمد عجاج الخطيب

106- السيادة العربية و الشيعة و الاسرائيليات لفان فلوتن- ش-

107- شذرات الذهب لابن العماد

108- شرح قصيدة ابن عبدون لابن بدرون

109- شرح ميمية أبي فراس لحاج حسيني

110- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد

111- الشعر و الشعراء لابن قتيبة

112- شيخ الامة: الإمام أحمد بن حنبل لعبد العزيز سيد الأهل

- ص-

113- صبح الأعشى للقلقشندي

114- صفة الصفوة لابن الجوزي

115- الصلة بين التصوف و التشيع للشّيبيّ

116- الصواعق المحرقة لابن حجر الهيثمي- ض-

117- ضحى الإسلام لأحمد أمين

118- ضيافة الاخوان لرضي الدين القزويني- ط-

119- طبقات الحنابلة لأبي يعلى الحنبلي

120- طبقات الشعراء لابن المعتز

121- الطبقات الكبير لابن سعد

122- طبيعة الدعوة العباسية لفاروق عمر

123- الطرائف لابن طاوس (الفارسية)- ع-

124- العبر في أخبار من غبر للذهبي

125- العبر و ديوان المبتدأ و الخبر و هو تاريخ ابن خلدون

126- العتب الجميل على أهل الجرح و التعديل لمحمد بن عقيل

127- العثمانية للجاحظ

128- عصر المأمون للرفاعي

129- العقد الفريد لابن عبد ربه

130- العقد الفريد للملك السعيد لمحمد بن طلحة الوزير

131- علل الشرائع للصدوق

132- العمدة لابن رشيق

133- عمدة الطالب لابن مهنا

134- عيون الأخبار لابن قتيبة

135- عيون أخبار الرضا للصدوق

136- عيون المعجزات للشيخ حسن بن عبد الوهاب

137- العيون و الحدائق لمؤلف مجهول- غ-

138- غاية الاختصار لتاج الدين بن محمد بن زهرة

139- غاية المرام في محاسن بغداد دار السلام للشيخ ياسين العمري الخطيب الموصلي

140- الغدير للاميني

141- الغيبة للطوسي- ف-

142- الفتوحات الاسلامية لدحلان

143- الفتوح لابن أعثم

144- فتوح البلدان للبلاذري

145- الفخري في الآداب السلطانية لابن الطقطقي

146- فرج المهموم في تاريخ علماء النجوم لابن طاوس

147- فرق الشيعة للنوبختي

148- الفصول المختارة من العيون و المحاسن للسيد المرتضى

149- الفصول المهمة لابن الصباغ

150- الفهرست لابن النديم

151- فوات الوفيات لمحمد بن شاكر- ق-

152- القرآن الكريم

153- قاموس الرجال للتستري

154- قيام سادات علوي لعلي اكبر تشيد (فارسي)- ك-

155- الكافي للكليني

156- كامل الزيارات لابن قولويه

157- الكامل في التاريخ لابن الأثير

158- الكامل في اللغة و الأدب للمبرد

159- كشف الغمة للإربلي

160- كفاية الطالب للكنجي

161- الكنى و الألقاب للشيخ عباس القمي

162- كنز الفوائد للكراجكي- ل-

163- لطائف أخبار الاول للإسحاقي

164- لطف التدبير لأبي عبد اللّه الاسكافي

165- مآثر الانافة في معالم الخلافة للقلقشندي

166- مثير الأحزان للشيخ شريف الجواهري

167- مجمع الفوائد و مجمل العوائد السيد مصطفى مرتضى (مخطوط)

168- المحاسن للبرقي

169- المحاسن و المساوي للبيهقي

170- محاضرات تاريخ الامم الاسلامية للخضري

171- مختصر التاريخ للكازروني

172- مختصر تاريخ الدول لابن العبري

173- مختصر تاريخ العرب للسيد أمير علي

174- المختصر في أخبار البشر، المعروف بتاريخ: أبي الفداء

175- مدينة الحسين للسيد محمد حسن الكليدار

176- مدينة العلم مجلة (السنة الاولى)

177- مرآة الجنان لليافعي

178- مروج الذهب للمسعودي

179- المستطرف للأبشيهي

180- مسند الإمام الرضا للعطاردي

181- مشاكلة الناس لزمانهم لليعقوبي

182- مصباح المتهجد للكفعمي

183- مطالب السئول لمحمد بن طلحة

184- معادن الحكمة للكاشاني

185- المعارف لابن قتيبة

186- معاني الاخبار للصدوق

187- معاهد التنصيص لعبد الرحيم العباسي

188- مفاتيح الجنان للشيخ عباس القمي

189- مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الأصفهاني

190- مقالات الاسلاميين لأبي الحسن الأشعري

191- مقتبس الأثر و مجدد ما دثر للأعلمي

192- مقدمة ابن خلدون

193- مكاتيب الرسول للأحمدي

194- الملل و النحل للشهرستاني

195- مناقب آل أبي طالب لابن شهر اشوب

196- من تاريخ الأدب العربي لطه حسين

197- من تاريخ الزندقة و الالحاد لعلي الوردي

198- منجد الاعلام لفردينان توتل

199- المهدية في الاسلام لسعد محمد حسن

200- الموفقيات للزبير بن بكار

201- ميزان الاعتدال للذهبي- ن-

202- النجوم الزاهرة لابن تغري بردى

203- النزاع و التخاصم للمقريزي

204- نزهة المجالس للصفوري الشافعي

205- النصائح الكافية لمن يتولى معاوية لمحمد بن عقيل

206- النص و الاجتهاد للسيد شرف الدين

207- نظرية الامامة لدى الشيعة لاحمد محمود صبحي

ص: 491

208- نهاية الارب للنويري

209- نهج البلاغة جمعه: الشريف الرضي

210- نور الابصار للشبلنجيّ

211- نور القبس المختصر من المقتبس (للمرزباني) للحافظ اليغموري- ه-

212- الهادي (مجلة)

213- الهاشميات للكميت- و-

214- الوافي للفيض

215- الورقة لابن الجراح

216- الوزراء و الكتاب للجهشياري

217- وسائل الشيعة للحر العاملي

218- وفيات الأعيان لابن خلكان

219- وقعة صفين لنصر بن مزاحم

220- الولاة و القضاة للكندي

221- ولاية عهدي امام رضا لعلي موحدي (فارسي)- ي-

222- يادبود هشتمين امام (فارسي) لعلي غفورى

223- ينابيع المودة للقندوزي الحنفي

ص: 492

و هناك مصادر عديدة أخرى أهملنا ذكرها إيثارا للاختصار؛ و لان اكثرها مشار إليه في هوامش الكتاب ... هذا ...

و نود هنا أن نشـير إلى أننا قد اعتمدنا في بعض المصادر، كالطبري، و حياة الحيوان، و العقد الفريد، و الكامل في التاريخ، و نور الأبصار، و غير ذلك ... على طبعات مختلفة، حسب ما تيسر لنا في الاوقات المختلفة ...

و الحمد للّه و صلاته على عباده الذين اصطفى ...

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

جَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ

(التوبه : 41)

منذ عدة سنوات حتى الآن ، يقوم مركز القائمية لأبحاث الكمبيوتر بإنتاج برامج الهاتف المحمول والمكتبات الرقمية وتقديمها مجانًا. يحظى هذا المركز بشعبية كبيرة ويدعمه الهدايا والنذور والأوقاف وتخصيص النصيب المبارك للإمام عليه السلام. لمزيد من الخدمة ، يمكنك أيضًا الانضمام إلى الأشخاص الخيريين في المركز أينما كنت.

هل تعلم أن ليس كل مال يستحق أن ينفق على طريق أهل البيت عليهم السلام؟

ولن ينال كل شخص هذا النجاح؟

تهانينا لكم.

رقم البطاقة :

6104-3388-0008-7732

رقم حساب بنك ميلات:

9586839652

رقم حساب شيبا:

IR390120020000009586839652

المسمى: (معهد الغيمية لبحوث الحاسوب).

قم بإيداع مبالغ الهدية الخاصة بك.

عنوان المكتب المركزي :

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم 129، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي 03134490125

هاتف المكتب في طهران 88318722 ـ 021

قسم البيع 09132000109شؤون المستخدمين 09132000109.

مركز
القائمية
اصبهان
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٠٩